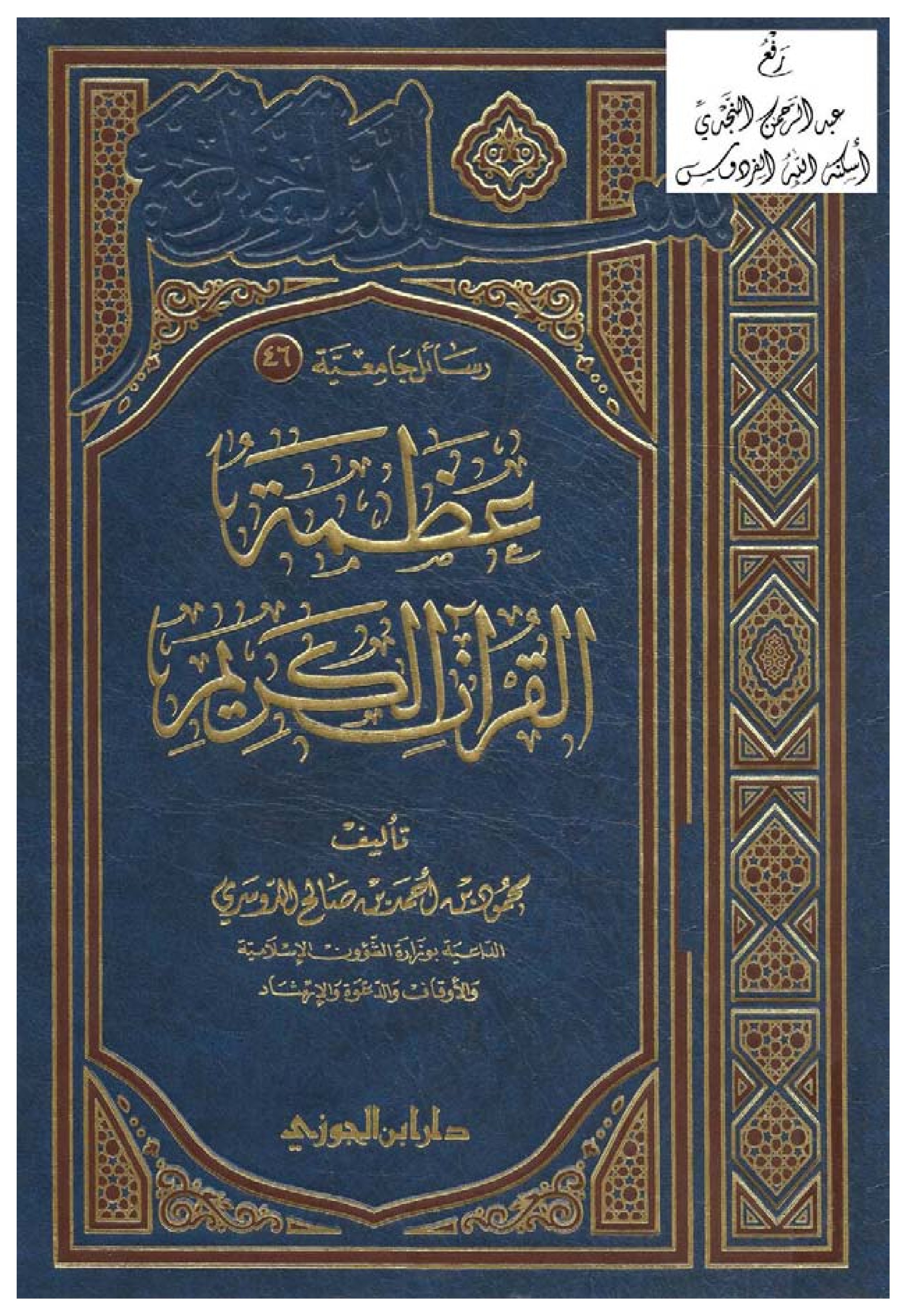

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
بسم الله الرحمن الرحيم
رسائل جامعية ٤٦
عظمة
القرآن الكريم
تأليف
محمود بن أحمد بن صالح الدوسري
الداعية بوزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد
دار ابن الجوزي

رسائل جامعية (٤٦)

عظمة القرآن الكريم

تأليف
محمود بن أحمد بن صالح الدوسري
الداعية بوزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد

دار ابن الجوزي

ح محمود أحمد صالح الدوسري، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدوسري، محمود بن أحمد بن صالح
عظمة القرآن الكريم. /محمود بن أحمد بن صالح الدوسري.-
الدمام، ١٤٢٦هـ
٧٠٥ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ٥ - ٢٠٣ - ٤٧ - ٩٩٦٠
١ - علوم القرآن أ - العنوان
ديوي ٢٢٠ ١٤٢٦/٨٢

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ



دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - الهفوف
- شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جـدة - ت: ٦٥٠٤٨٨٢ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج م ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية قُدِّمت إلى قسم الدِّراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية باليمن، لنيل درجة الماجستير في تخصُّص علوم القرآن، وتمت مناقشتها في يوم ٢٥/١١/١٤٢٥هـ.

ونال الباحث بها درجة الماجستير في تخصُّص علوم القرآن، بتقدير: (ممتاز) مع مرتبة الشَّرف.

وكانت لجنة المناقشة مكوَّنة من أصحاب الفضيلة:

١- **أ.د. عبد اللَّه بن قاسم الوَشَلي** - مشرفاً ورئيساً

أستاذ الفقه المقارن بجامعة صنعاء

٢- **أ.د. عبد الحق بن عبد الدَّائم القاضي** - عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة صنعاء

٣- **د. عبده بن محمد الذَّارعي** - عضواً

رئيس قسم القرآن وعلومه بجامعة صنعاء

تقـــديـم

الحمـد لله حمداً كثيـراً طيباً مـباركاً فـيه، أكرم عبـادَه المؤمنين بالهدى والتَّوفيق، وأنعم عليهم بإرسال الرُّسل مبشِّرين ومنذرين، وأعزَّهم بدينه الحق الذي لا يُذلُّ من دان به والتزمه، وشرَّفهم بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفــه، فجـعله هدًى ونوراً ورحمـة وفرقـاناً وروحاً ومـوعظة وشفاء، فهو أحسن الحديث، وهو الحقُّ كلُّه، جعله بلاغاً وحجَّة على جميع الخلق.

فهو عظيم لعظمة مَنْ تكلَّم به، وعظيم لمكانة مَنْ نزل به، وعظيم لمقام وشأن مَنْ أُنزل عليــه، وعظيم لخيريَّة مَنْ خوطبوا به، وعظيم لفضل الزَّمن الذي نزل فيه، وحُرمــة المكان الذي نزل فيه. فهو عظيم بتشـريعاته الشَّاملة، وعظيم في مـقـاصده الحـقَّـة، وعظيم في تأثيـره وأثره، وعظيم في لـغتـه وأسلوبه، فـيــه الكمـال المطلق؛ لأنه نزل من عند الله الكامـل المطلق، فللَّه الحمد والمنَّة وله الشُّكر والإنعام.

وأشهـد أن لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له ذو العظمـة والجلال، وذو العزَّة والجبروت والقهر والكمال، فهو وحده المعبود، وهو وحده المطاع، وهو وحده وليُّ الحمد والثَّناء.

وأشهـد أنَّ محمداً عـبد الله ورسوله، ومَنْ أعـلا الله مكانته، وأعطاه الوسيلة، وفضَّله على كـثير من خلقه، وجعلــه الخاتم لرسله، والمُنَزَّل عليه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعد:

فإنَّ لله على عباده نفحات، وخيرات، وبركات يقدِّرها الله حين يشاء، ولمن يشاء، وفي أيِّ وقت وأيِّ زمان، وإنَّ من أعظم النَّفحات الرَّبانية والخيرات والبركات الرَّحمانية، عندما تكون هداية وتوفيقاً في سلوك الطَّاعات، والأعمال الصَّالحات؛ خاصة الأعمال التي لها سمة الدَّوام، وصفة البقاء، واستمرار العائد من الأجر والثَّواب، وتحظى برضا الربِّ ومباركته، وفي الحديث: «**إذا مات ابنُ آدم انْقطع عَمَلُه إلاَّ مِنْ ثلاث...**» وفيه: «**أو علِم يُنتفع به**» متفق عليه.

وأيُّ شيء أعظم في ميزان الله من العلم، وأيُّ علم أعظم عند الله وأكثر وزناً وثقلاً من العلم الذي كون متعلَّقه بالله، وله صلة بذات الله وصفته مثل القرآن العظيم.

فالاشتغال بالقرآن، وخدمة القرآن، والتَّعريف به، ونشره، وتحبيبه إلى النُّفوس، وتشويق الأفئدة إليه، والتَّبصير به، ولفت الأنظار إليه، والإبانة عن حقائقه وفضله وفضائله وعظمته، وإقامة الحجة به على الآخرين، لمن أفضل ما يُشتغل به، وتُنفق فيه الأوقات، وتُبذل فيه الأموال، ويُضحَّى فيه بالمهج وبكلِّ ما هو أغلى وأنفس.

وإنَّ من حُسن حظِّ العبد المؤمن أن يجد نفسه مشدوداً ومندفعاً لمثل هذه الأعمال، وراغباً في أن يكون له فيها السَّبق والمسابقة، والإقبال والمسارعة، ويُيَسَّر له هذا السُّلوك ويُذَلَّل له الصعاب، فيركب أسنَّتها ويعلو سنامها،

فيخوض المعامع؛ ليصل إلى العمق الذي يحقق به الرسوخ في العلم، ويقين الإيمان، وحلية التَّقوى، وصفات عباد الرحمن العاملين للصَّالحات. ويُكْرَم بالانتساب إلى أفضل أهل (أهل القرآن).

وإنَّ من توفيق الله عزَّ وجلَّ لأخينا الفاضل، فضيلة الشيخ: محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، طالب العلم الرَّاغب، والباحث الجاد، وصاحب الهمَّة العالية، والطَّموح في الخير الرائد، أن وجد نفسَه مشدوداً ومُندفعاً وهو يحصِّل العلم، ويريد الارتقاء في رتبه، والوصول به إلى مراتبه، إلى أن يكون بحثه المختار، لنيل أحد رتب العلم المعاصرة، وهي درجة الماجستير، أن يكون في خدمة القرآن والنَّصيحة له، المتمثِّل في الكشف عن وجوه عظمته، واستخراج كنوزه واستنباط أحكامه، والذي حُدِّد موضوعه بـ (عظمة القرآن الكريم).

وإنَّ من حسن حظِّي أيضاً أن كان لي الشَّرف أن أُشرف على إعداد هذه الرِّسالة، وأُتابع سيرها حتى أوفت كما يراها القارئ بين يديه، وقد ظهرت بِحُلَّتها الجميلة، وسَمْتها الرَّشيق، ومظهرها الجذَّاب الجميل، وقد حُكِّمَتْ من علماءَ أفاضل وأساتذة أجلاء، ودكاترة أصحاب اختصاص واقتدار، خَبَروا جوهرها، وعرفوا حقائقها، وغاصوا في أعماقها، فكان حُكْمُهم: استحقاق صاحبها للامتياز، مُتَوَّجاً بمرتبة الشَّرف والوقار، وإنه حسب ظنِّي به أنه أهلٌ لهذا الفخار. وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل ذلك خيراً له، يُعينه على سعيه الذي تفرَّغ له، وهو الدَّعوة إلى الله، وهداية الخلق إلى ما يحبُّه الله ويرضاه.

وإنَّ من الإنصاف والاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، فقد عِشْتُ مع الباحث ما يقرب من العامين وهو يجمع مادَّة البحث ويرتبها، وينسق

فصولها وأبحاثها ومطالبها، فوجدته وقد اكتسى من العلم بحُلَّة، وبلغ من الرَّغبة في الازدياد قمَّة، وفي تجشُّم الصِّعاب لبلوغ أعلا مرتبة مبتسماً راضياً لا يبالي بما يصيبه من وصب ولا نصب، وكأني به ولسان حاله يقول كما قال موسى عليه السَّلام لفتاه: ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

ولكن لقد بلغ الباحث ما استهدف، وقرَّت عينه بما رأى من ثمرة طيِّبة، وعمل خيِّر للحياة والممات، مثَّلَهُ قولُه ﷺ: «أو علم يُنتفع به» فأسألُ الله عزَّ وجلَّ أن يزيد أخانا من فضله، ويديم عليه نعمة التَّوفيق، وأن يجعل باطنه خيراً من ظاهره، وأن يُشْرِكَنا معه في الأجر والثَّواب، إنَّه وليُّ ذلك وهو على كلِّ شيء قدير.

وآخر دعواي أن الحمد لله ربِّ العالمين، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

أ.د. عبد اللَّه بن قاسم الوَشَلي

أستاذ الفقه المقارن بجامعة صنعاء

حُرِّر في ١/ ١٢/ ١٤٢٥هـ

تقــــريــــظ

الحمد لله ربِّ العالمين القــائل في كتابه المبين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. والصَّلاة والسَّـلام الأتمَّان الأكمـلان على خَيْر الأنـام القائل: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمه»، والقائل: «إنَّ اللَّه يَرْفَعُ بهذا القُرآن أقواماً ويَضَعُ به آخرين». صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار الذين نشروا هذا القرآن وعظَّموه حقَّ تعظيمه.

وبعد:

لقد اطَّلعت على البحث القَيِّم العـظيم الذي يحمل عَظمته من عنوانه «عظمة القرآن الكريم» للباحث والدَّاعية الشـيخ: محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، فوجدته - فعلاً - اسـماً على مسمَّى؛ لأنَّ الذي أنزل القرآن هو العلي العظيم، والذي نزل به رسول كريم عظيم، والذي أُنزل عليه كذلك ذو خُلُقٍ عظيم، وإذا وَصَفَ الله تعالى شـيئاً بأنَّه عظيم؛ فـهو فوق ما يتـصوَّره البشر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. وقد وُفِّق الباحث في اختياره لموضوع بحثه حين وَجَدَ فيه ما يُشبع رغبته.

ولأن الموضوع مـهم يتعلَّق بخدمة كـتاب الله تعالى، ولا يسـتغني عنه عَالِمٌ ولا متعلِّمٌ فقد شجَّعته على طبعه ونشره على أوسع نطاقٍ ممكنٍ لتعمَّ به الفائدة، فقال لي: إنَّ هذا هو هدفي، وأرجو أن يحقِّق الله لي ما أصبو إليه، ثم طلب مني أن أكـتب تقريظاً للبـحث، فاعتـذرت إليه، فلم يقـبل عذري وألحَّ في الطَّلب، فاسـتعنت بالله وكتـبت هذه الأسطر، وهي قليلة في حقِّ البحث الذي يحمل عنواناً كبيـراً «عظمة القرآن الكريم»، حيث بذل الباحث

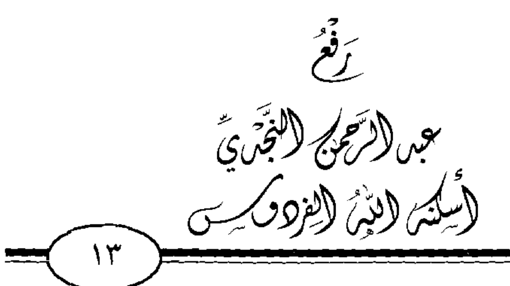
فيه جهداً كبيراً فجمع شتاته، وقرَّب أبعاده، بأسلوب رصين سهل، ولغة سليمة صحيحة، وإني أتصوَّر أن كلَّ مَنْ قرأ هذا البحث سيشاطرني الرأي، وسيثني عليه وعلى صاحبه، كيف لا!! والباحث قد تحدَّث فيه عن العَظَمة - بفتح العين والظاء - وما تحمل في طيَّاتها من معانٍ كثيرة، وعن عظمة القرآن وتأثيره، وعن مظاهر تلك العظمة ودلائلها، وعن عظمة أسلوب القرآن وعظمة مقاصده، وكذا عظمة التَّشريع القرآني وفضائله العامَّة والتَّفصيليَّة، وأهميَّة القرآن في حياة المسلمين وواجبهم نحوه... إلى غير ذلك من الموضوعات العظيمة التي تطرَّق إليها الباحث.

فنسأل الله تعالى أن ينفعنا بما قرأنا، وأن ينفع الباحث بما قرأ وكتب، وأن يكتب لهذا البحث القبول، وأن يجعله في سجل حسنات الباحث والقارئ، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

أ.د. عبدالحق بن عبد الدائم القاضي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة صنعاء



تقـــريظ

الحمد لله ربِّ العـالمين القائل عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. والصَّلاة والسَّلام على مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، القائل ﷺ: «**إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي؛ أحدُهما أعظمُ من الآخر: كـتاب اللَّه حـبلٌ ممدود من السَّمـاء إلى الأرض**» رواه الترمـذي، وصحَّـحه الألباني.

أما بعد:

لقـد طلب مني فضـيلة الأخ الشـيخ: محـمود بن أحـمد بن صـالح الدوسري، الدَّاعـية بوزارة الشُّؤون الإسـلامية بالممـلكة العربية السـعودية أن أكتب له تعريفاً بهذه الرسالة الموسـومة بـ «عظمـة القرآن الكريم» التي قدَّمها -حفظه الله- لنيل درجـة الماجستيـر من قسم الدِّراسات الإسـلامية بالجامـعة الوطنية باليمن، وامتثالاً لطلبه وتحقيقاً لرغبته قمت بذلك.

ولا يسعنـي أولاً إلاَّ أن أتقدَّم بالشُّكر الجزيـل للباحث على هذه الثِّـقة وحسن الظَّن بي. والذي سـاعدني على ذلك ويَسَّرَ لي الأمر أنِّي قـد شرفت بالمشاركـة في لجنة مناقشة هذه الرسـالة، والتي وجدتها من أحـسن الرسائل العلمية مضموناً وشكلاً.

إن موضـوع الرسالة من أعظم المواضـيع، كيف لا وهي تتـحدَّث عن شيء عظيم وهو القرآن الكريم، والذي أُنزل من عظيم وهو الله عزَّ وجلَّ.

ومن خلال قراءتي وتفحُّصي لهذه الرسـالة، وجدت أنَّ موضوعها من أهم المواضـيع التي تتعلَّق بعلوم القـرآن الكريم، والتي يحـتاجهـا المسلم في

حياته، كيف لا وهي تتحدَّث عن القرآن الكريم وعظمته، فالقرآن الكريم عظيمٌ في تشريعاته، عظيمٌ في دلالاته، عظيمٌ في قراءته وتلاوته، عظيمٌ في أحكامه والعمل به، عظيم في أسلوبه، عظيمٌ في كلِّ نواحيه وشمائله؛ لأنه عظيم منزَّلٌ من عند عظيمٍ وهو الله.

والحقيقة أنَّ أهميَّة الموضوع تَنْبُعُ من عنوانه ومحتوياته، فالرِّسالة تتحدَّث عن نفسها ولا تحتاج إلى مَنْ يُعَرِّفُ بها.

أمَّا صاحب هذه الرِّسالة فقد برزت شخصيَّته في:

١- اختياره لهذا الموضوع، فإنَّه دليلٌ واضحٌ على قوَّة صلته بالقرآن الكريم وعلومه، وعلامة واضحة على حبِّ الخير للآخرين، وحبٍّ خدمة كتاب الله عزَّ وجلَّ.
٢- سعة اطِّلاعه حيث ظهر هذا جليًّا في محتوى الرِّسالة وموضوعاتها المتعدِّدة.
٣- الدِّقَّة في التَّحليل والاستنباط لمواضع الشَّاهد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغيرهما من النُّصوص المتعلِّقة بالبحث.
٤- جودة الإخراج والطِّباعة والتَّوثيق والتَّرتيب، وهذا كلُّه يدلُّ على اعتناء الباحث بالموضوع اعتناءً كبيراً.

فجزاه الله خيراً، ونفع الله بعلمه وبهذه الرِّسالة وأمثالها، ووفَّقنا الله وكلَّ داعية إلى كلِّ خير.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبده بن محمد بن يوسف الذارعي

رئيس قسم القرآن وعلومه بجامعة صنعاء

المقدمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لاَّ إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ -٧١]. أما بعد:

أهميَّة الموضوع:

إنَّ الكتاب الذي لاريبَ فيه، ولا نقصَ يعتريه هو القرآن العظيم، روح الأمة الإسلامية، به حياتها وعزُّها ورفعتها، قال تعالى مخاطباً رسولَه محمداً ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن العظيم روحٌ يبعث الحياة ويحرِّكها وينمِّيها في القلوب، وفي الواقع العملي المشهود. والأُمَّة بغير القرآن أمَّة هامدة لا حياة لها ولا وزن ولا مقدار.

وإنَّ تحوُّلاً هائلاً وقع في الأرض بنزول هذا القرآن العظيم، صارت معه قافلة الحياة على هدى ونور، ونشطت مع فجره نفوسٌ لَبَّتْ نداءَ الله تعالى فأحياها وجعل لها نوراً تمشي به بين النَّاس: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وبقي القرآنُ للحياة بقاءَ النُّور في الكون لا يتوقَّف مَدُّهُ إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

والقرآن العظيم هو كتاب الهداية، ولغة الحياة، وقصَّة الكون الصَّادقة من بدايته إلى نهايته، بل هو تجديدٌ لميلاد الإنسان على اختلاف الحِقَب وتوالي الأجيال، ومرور الدُّهور والعصور، نزل لمخاطبة النَّفس البشرية والأخذ بيدها، فهو معها آمراً وناهياً، مُرشداً وواعظاً، مُبشِّراً ومنذراً، حارساً ومُدافعاً، مُصبِّراً ومسلِّياً، مُعلِّماً وموجِّهاً، سميراً وجليساً، صديقاً وأنيساً، فهو الحياة في سموِّها، والسَّعادة في أوجها، والكمال في أسمى معانيه، فلقد بلغ الغايةَ التي لا تدانيها غاية، في الرِّفعة والعلو، والخلود والسُّمو، فما أبدع تراكيبه، وأروع أساليبه، وأسمى معانيه.

والقرآن العظيم كذلك قبسٌ من الهدى والنُّور، نزل به جبريلُ عليه السَّلام من السَّماء إلى الأرض على سيِّد الخَلْقِ وأشرفِ الرُّسل نبيِّنا محمد ﷺ، فبلَّغه للنَّاس، وأذاع أخلاقَه ومثاليَّاته في كلِّ مكان، وبذلك نُشرَتْ صَفَحاتٌ جديدةٌ مشرقة ناضرة في تاريخ الإنسانية، وكان لها من وراء ذلك ميلادُ حضارة جديدة.

إنَّه ألفاظٌ إذا اشتدَّت فأمواج البحار الزَّاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، ومتى وَعَدت مِنْ كَرَمِ الله تعالى جعلت الثُّغور تضحك في وجه الغيوب، وإنْ أوعدت بعذاب جعلت الألسنة ترعد من حُمَّى القلوب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩-١٠].

والقرآن العظيم هو المعجزة الباقية الخالدة، التي نصبها ربُّ العزَّة تبارك وجلَّ في عُلاه، شاهداً حيّاً ناطقاً، بصدق الرَّسول العظيم ﷺ، ولقد تحدَّى اللهُ به العالَمَ كُلَّه إنساً وجنّاً، فما ثبتوا لهذا التَّحدِّي، بل أظهروا عجزاً صارخاً، وعِيّاً بليداً. وقد سجَّل الله عليهم نكوصَهم عن مجاراة القرآن ومسايرته في آفاقه العالية، حيث قال تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [الإسراء: ٨٨].

إنَّ العالَمَ كُلَّه في حاجة إلى نور القرآن؛ لتُصان كرامةُ الإنسان الذي صار في عصرنا هذا أرخص شيء في دنيا النَّاس، العالم في حاجة إلى القرآن ليكون الحقُّ والعدل أساساً في معاملة الإنسان للإنسان.

وإنَّ أفضل ما يُفْنَى فيه العمر، ويُعطى له الكثير من الوقت دراسة القرآن العظيم، وهذه الدِّراسة لم تتوقَّفْ ولن تتوقَّفَ أبداً بإذن الله تعالى؛ لأنَّه يُتلى ويكفي أنْ يُتلى، لكنَّ الَّذي يتوقَّفُ أحياناً هو التَّطبيقُ وبه يتباين جيلٌ عن جيلٍ، ويَعِزُّ ناسٌ ويَذِلُّ آخرون.

وما أحوج المسلمين في هذا الزَّمن إلى القرآن؛ ذلك أنَّهم لا يستطيعون أنْ يواجهوا قضايا عصرهم وزمانهم إلاَّ بالقرآن العظيم، يعتصمون به في روابطهم، ويقيمون أحكامه في حياتهم، ويجاهدون به أعداءهم ويُصلحون به دنياهم، ويستقبلون به آخرتهم، ولقد اقتضت سُنَّة الله تعالى في خلقه أنْ يكون اتِّباعهم القرآن العظيم سبباً لنجاتهم، قال الله تعالى: **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي**

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

إنَّ الاعتناء بدراسة القرآن الكريم ومعرفة أسراره لَمِنْ أوجب الواجبات على مَنْ يتفرَّغُ لدراسة علومه؛ ليتمكَّنَ من الكشف عن كنوز عظمته، وفضائله، وفضله، ودلائل إعجازه.

ولا سيَّما إذا كانت الدِّراسة مركَّزة، وكانت مجالاً بحثياً أكاديميّاً، كيف لا، وقد بات في عداد الأمور المُسَلَّمة: أنَّ أيَّةَ أُمَّة تَشْرُف بشرف كتابها المنزَّل، أو رسولها المُرسَل، فكيف إذا اجتمع الشَّرفَان، فقد وجب البحث، ووجب الاتِّباع.

وقد كانت علوم القرآن العظيم وخصائصه - وما زالت - مثار الإعجاب ومصدره، من عصر النُّزول إلى أنْ يرث الله الأرضَ ومَنْ عليها.

ولا شَكَّ أنَّ العكوف على هذه الكنوز فيما يخصُّ موضوعاً قرآنياً مَّا، سَيُعِينُ على ظهور كثير ممَّا خفي من أسرار عظمة القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

إنَّ ممَّا حدا بي إلى اختيار هذا الموضوع أموراً عديدةً وأسباباً كثيرة، كان في مُقَدِّمَتِها:

١-خدمةُ كتاب الله والنَّصيحةُ له، لمزيد الكشف عن وجوه عظمته، واستخراج كنوزه، واستنباط أحكامه، لعليِّ أُقَدِّمُ ما يخدم المكتبةَ القرآنية في مجالٍ من مجالات علوم القرآن.

٢- بيانُ فَضْلِ الله تعالى ومِنَّته على النبيِّ ﷺ وأُمَّته، بأنْ خَصَّهم بأفضل وأعظم الكتب المنزَّلة.

٣- تنبيهُ المسلمين من الغفلة إلى معرفة عظمة القرآن الكريم؛ ليستمسكوا به ويجتهدوا في تعلُّمه وتعليمه وتلاوته وحفظه وتدبُّره والعمل به.

٤- القناعةُ الرَّاسخة بأنَّ هذا الموضوع لم يُدْرَسْ دراسةً متخصِّصةً تجمع

متفرِّقه، وتلمُّ أشتاتَه وجزئياتِه، وتُعنى به استقراءً وتحليلاً.

٥- إنَّ سواداً كبيراً من عالمنا المعاصر لا يزال يعيش بعيداً عن عظمة القرآن الكريم، وهو في أمَسِّ الحاجة إليه؛ لينقذه من الضَّلالة إلى الهدى.

٦- النَّظَرُ فيما يبذله أعداء القرآن مِنْ تفنُّنٍ وتبجُّحٍ في عرض كتبهم المحرَّفة، وعقائدهم الباطلة، وأخلاقهم الفاسدة، وقوانينهم الجائرة، في قوالب حديثة مقبولة، ووسائل فنِّيَّة إعلامية، بأفضل الطُّرق وأعلاها.

٧- تصحيحُ النَّظرةِ الخاطئة والقاصرة التي لا تليق بالقرآن الكريم وعظمته، والاضطراب في فهم الآيات والأحاديث والآثار في هذا الشأن.

الدراسات السابقة:

بالنِّسبة للدِّراسات السَّابقة لهذا الموضوع فحاصل ما اطَّلعت عليه منها ما يأتي:

١- عظمة القرآن: تأليف عبد القادر عطا.

٢- عظمة القرآن ودعوته إلى الخير والكمال: تأليف د. محمد جمعة عبد الله.

٣- من أسرار عظمة القرآن: تأليف د. سليمان بن محمد الصغير.

٤- جوانب من عظمة القرآن الكريم: تأليف د. عبد الباري محمد داود.

٥- تعظيم شأن القرآن في السُّور المكية: تأليف أ.د. عاطف قاسم المليجي.

وهذه المؤلفات في مجملها جيدة، ولا تخلو من فائدة، إلاَّ أنه **يُلحظ عليها ما يأتي:**

أ- التَّطرُّق لموضوع «عظمـة القرآن» في جانب من الجوانب، كـما هو الشَّأن في الكتاب الخامس.

ب- الإجمال والاختصار في الطَّرح، كما هو الشَّأن في الكتابين الثاني والثالث.

جـ- الاستطراد في أمور لا عـلاقة لها بالموضوع، كـما هو الشَّأن في الكتابين الأول والرابع.

ويُلتمس العذر لمؤلفيها: بأنَّهم لم يقصدوا جَمْعَ كُـلٍّ ما يتعلَّق بعظمة القرآن.

وبعدُ: فلم يَحْظُ موضوع «عظمة القـرآن الكريم» بمؤلَّف مستقل شامل يتطرَّق للموضوع من جميع جوانبه في دراسة علميَّة متخصصةٍ شاملة، دقيقة متكاملة.

خُطَّة البحث:

لقد سار البحث في هذا الموضوع في مـقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وذلك كما يلي:

* **المقدِّمة**: وتشتـمل على أهميَّة الموضـوع، وأسباب اختـياره، وخُطَّة البحث ومنهجه.

* **التمهيد.**

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف «العظمة» لغة.

المبحث الثاني: ما جاء في الآيات من ألفاظ العظمة.

المبحث الثالث: ما جاء في الأحاديث من ألفاظ العظمة.

المبحث الرابع: تعريف «القرآن» لغة واصطلاحاً.

الباب الأول
عظمة الدلائل والمقاصد والتأثير

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : دلائل عظمة القرآن.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عظمة القرآن كما بيَّنتْها آياته الحكيمة.

المبحث الثاني: مظاهر عظمة القرآن.

المبحث الثالث: دلائل عظمة القرآن.

المبحث الرابع: عظمة أسماء وأوصاف القرآن.

الفصل الثاني: عظمة القرآن في أسلوبه ومقاصده.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عظمة أسلوب القرآن.

المبحث الثاني: عظمة مقاصد القرآن.

المبحث الثالث: عظمة التَّشريع القرآني.

المبحث الرابع: عظمة قصص القرآن.

الفصل الثالث: عظمة تأثير القرآن.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الدَّعوة بالقرآن.

المبحث الثاني: تطبيقات الدَّعوة بالقرآن.

المبحث الثالث: تأثير القرآن في استجابة بعض المعاصرين.

الباب الثاني
عظمة فضائل القرآن

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عظمة الفضائل العامة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآيات الدَّالة على عظمة فضائل القرآن.

المبحث الثاني: الأحاديث الدَّالة على عظمة فضائل القرآن.

المبحث الثالث: آثار السَّلف المبيِّنة لعظمة فضائل القرآن.

الفصل الثاني: عظمة الفضائل المُفَصَّلة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: فضائل استماع القرآن.

المبحث الثاني: فضائل تعلُّم القرآن وتعليمه.

المبحث الثالث: فضائل تلاوة القرآن.

المبحث الرابع: فضائل حفظ القرآن.

المبحث الخامس: فضائل العمل بالقرآن.

الباب الثالث

أهميَّة القرآن في حياة المسلمين وحقوقه عليهم

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أهميَّة القرآن في حياة المسلمين.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مكانة القرآن في حياة المسلمين.

المبحث الثاني: الأهداف الأساسيَّة للقرآن في حياة المسلمين.

المبحث الثالث: منهج القرآن في إصلاح المسلمين.

المبحث الرابع: الآثار العظيمة للقرآن في حياة الأمَّة الإسلامية.

الفصل الثاني: حقوق القرآن على المسلمين.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقوق عامَّة.

المبحث الثاني: حقوق مُفَصَّلة.

* **الخاتمة:** وتشتمل على أهمِّ نتائج البحث، خَتَمَ اللهُ لنا بالحسنى.

* **الفهارس:** وتشتمل على فهارس للأحاديث، والآثار، وتراجم للأعلام المترجم لها، وثَبْتِ المصادر والمراجع، والمحتوى.

وقد تمَّ استثناء «فهرس الآيات»؛ لكثرتها وامتلاء صفحات البحث بها.

منهج البحث:

تيسيراً على القارئ الكريم أُبَيِّنُ طريقة عملي في هذا البحث، وهي كالآتي:

١- يسير هذا البحث على الطَّريقة **الاستقرائية** في تتبُّع كلٍّ ما يدخل تحت مسمَّى «عظمة القرآن الكريم» من الآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم.
ويسير كذلك على الطَّريقة **الاستنباطية** في تحليل الآيات والأحاديث وسائر النُّصوص المتعلِّقة بموضوع البحث.

٢- الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها، وكذلك اللُّجوء إلى المصادر الحديثة عند تعذُّر الحصول على المطلوب من المصادر القديمة.
ويُلحق بالمصادر الحديثة: البحوث والمؤتمرات والمجلاَّت العلمية المعاصرة، فالحكمة ضالَّة المؤمن.

٣- عزو الآيات القرآنية بأرقامها إلى سورها.

٤- تخريج الأحاديث والآثار وعزوها إلى مراجعها من كتب السُّنَّة، مع ذكر أقوال أهل العلم في درجتها ما أمكن، ما لم تكن في الصَّحيحين أو أحدهما.

٥- إثباتُ أسماءِ المصادر والمراجع في الهامش بما اشْتُهِرَت به. نحو: «تفسير أبي السُّعود» بدلاً من «إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم»، و «تفسير ابن كثير» بدلاً من «تفسير القرآن العظيم» وهكذا. . . ، مع إثبات الاسم الحقيقي والاسم المشهور في ثَبْتِ المصادر والمراجع.

٦- التَّعريفُ بكلِّ عَلَم - في الهامش - عند وروده أوَّل مَرَّة في صُلب البحث، مستثنياً الأنبياءَ والمرسلين عليهم السَّلام؛ فإنَّهم أرفعُ من التَّعريف بهم، وكذلك الصَّحابة ﷺ؛ لشهرتهم.

٧- العنايةُ بشرحِ الألفاظ الغريبة، أو المصطلحات الواردة في البحث ما أمكن.

٨- التَّفريق - في الهامش - بين عبارة: (المصدر نفسه)، و بين عبارة: (المصدر السابق). على النحو الآتي:

أ- إذا أُطلقتْ عبارة: (المصدر **نفسه**) فالمقصود بذلك: المصدر الأخير المتكرر مباشرة بدون فاصل.

ب- إذا أُطلقتْ عبارة: (المصدر **السابق**) فالمقصود بذلك: المصدر قبل الأخير، أي بينهما فاصل.

ذلكم هو ملخَّص البحث، الذي يسَّر الله لي من أجله رحلةً علميَّةً مباركة - داخل المملكة وخارجها - استغرقتْ قرابة العام في جَمْعِ مادَّته.

وإنِّي إذْ أقوم بهذه الدِّراسة عن «عظمة القرآن الكريم» لا أدَّعي بلوغ الكمال؛ لأنَّ النَّقص من طبيعة البشر، والكمال لله وحده، وإنَّما حسبي أنَّني حاولتُ - قَدْر المستطاع - أنْ يأخذ هذا الموضوع مكانه اللائق به في الدِّراسات القرآنية.

شكر وتقدير:

ويُسعدني: أنْ أتقدَّمَ بخالص الشُّكر والتَّقدير، والعرفان بالجميل، لفضيلة المشرف الجليل، الأستاذ الدكتور: عبد الله بن قاسم الوَشَلي - أستاذ

الفقه المقارن بجامعة صنعـاء، الَّذي لم يألُ جُهْداً في توجيهي وإرشادي، حيث تابَعَ جـميعَ مـراحل البـحث بكلِّ عناية واهتـمام، على الـرَّغم من مشـاغله الكثيرة، وأعمـاله المتواصلة، وقد أكرمني هذا الشَّيخُ الفاضل فـي بيته بصنعاء إبَّان زيارتي له في بعض مراحل البـحث. فجزاه الله خيـرَ الجزاء وجعل الجنَّةَ مثواه.

كمـا أغتنمُ هذه الفـرصة: لأتوجَّه بالشُّكر الجـزيل، إلى قسم الدِّراسات الإسلامية بالجامعة الوطنيـة -المُوَقَّرة- التي انتسبتُ إليها، ومكَّنتني من الدِّراسة فيها.

ويطيب لي: أنْ أشكر كُلَّ مَنْ مَدَّ لي يدَ العون والمسـاعدة في هذا العمل العلمي، ووفَّـر لي من جـهده ووقـته، ومـا احتـجـتُه من المصـادر والمراجع والتَّوجيهـات. فجزى اللهُ الجميعَ عنِّي كُلَّ خير. ومـا توفيقي إلاَّ بالله، عليه توكَّلت، وإليه أُنيب، والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات.

وكتبه:

محمود بن أحمد الدوسري

الدَّاعية بوزارة الشُّؤون الإسلامية

والأوقاف والدَّعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية

Dosary33@hotmail.com

الدمام ص.ب: ٢٧٧٩ - ر.ب: ٣١٤٦١

حُرِّر في ٥/ ١٠/ ١٤٢٥هـ

التمهيد

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف «العظمة» لغة.

المبحث الثاني: ما جاء في الآيات من ألفاظ العظمة.

المبحث الثالث: ما جاء في الأحاديث من ألفاظ العظمة.

المبحث الرابع: تعريف «القرآن» لغة واصطلاحاً.

المبحث الأول
تعريف «العظمة» لغة

جاءت لفظة (العظمة) في اللُّغة بمعانٍ عدَّة نأخذ منها ما يدل على المقصود:

* قال ابن فارس(١): «العين والظاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على كِبَرٍ وقُوَّةٍ»، «وَمِنَ البابِ العَظْمُ، معروف، وهو سُمِّي بذلك لِقُوَّته وشِدَّته»(٢).

* وقال الفيروز آبادي(٣): «عَظُمَ، كصَغُرَ، عِظَماً وعَظَامَةً، فهو عَظِيمٌ وعُظَامٌ»(٤).

---

(١) هو إمام اللغة المحدِّث أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرَّازي المالكي، كان مناظراً متكلِّماً، بصيراً بالأدب والفقه المالكي، من مصنفاته: «معجم مقاييس اللغة»، و «المجمل». توفي سنة (٣٩٥هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ١٠٣). الأعلام، للزركلي (١/ ١٩٣)».

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٢٨٥)، مادة: «عَظُمَ».

(٣) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشِّيرازي، الشافعي، لغويٌّ مشارك في عدَّة علوم، ولد بكازرون من أعمال شيراز سنة (٧٢٩هـ)، وله مصنفات كثيرة منها: «القاموس المحيط»، و «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، و «البلغة في ترجمة أئمة النحاة واللغة»، و «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، وغيرها. توفي بزبيد سنة (٨١٧هـ). «انظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (٣/ ٧٧٦)».

(٤) القاموس المحيط، (ص١٤٧٠)، مادة: «العِظَم».

* و «قال اللَّيثُ[١]: العَظَمَةُ والتَّعَظُّمُ والنَّخْوَةُ والزَّهْوُ»[٢].

* «والعَظَمَةُ والعَظَمُوتُ: الكِبْرُ»[٣].

* «وَعَظَمَـةُ اللِّســانِ: مـا عَظُمَ مِنْهُ وغَلُظَ فـوقَ العَـكَدَةِ، وَعَكَدَتُه أَصلُه»[٤].

* و «العِظَمُ: خِلافُ الصِّغَرِ»[٥].

* «وأَعْظَمَه واسْتَعْظَمَه: رآه عَظِيماً»[٦].

* «وأَعْظَمَني ما قُلْتَ لي، أي: هالَني وعَظُمَ عَلَيَّ»[٧].

* «ولِفـلان عَظَمـةٌ عندَ النَّـاسِ، أي: حُـرْمَـةٌ يُعظَّمُ لهـا... وإِنَّه لَعَظِـيمُ المَعاظِمِ أي: عظيمُ الحُرْمَةِ»[٨].

* «وعَظْمُ الشيءِ: وَسَطُه»[٩].

* «وعَظَمَةُ الذِّراعِ: مُسْتَغْلَظُها»[١٠].

* «وعَظَّمَ الشاةَ: قَطَّعها عَظْماً عَظْماً»[١١].

---

(١) هو اللَّيث بن المظفر بن نصر بن يسار الخراساني، ويقال: الليث بن نصر. صاحب الخليل بن أحمد، وأَحَدُ مَنْ أخذ عنه النحو واللُّغة وروى عنه، وكان الخليل قد عمل من كتاب العين (باب العين) فأحبَّ الليثُ أن يَنفُق سوق الخليل فصنَّف باقي الكتاب وسمَّى نفسه الخليل. قال عنه ابن المعتز: كان مِنْ أكْتَبِ الناس في زمانه، بارعاً في الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو. وقال الأزهري: كان رجلاً صالحاً.

«انظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٩/ ٤٣). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي (٢/ ٢٧٠)».

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٤٠٩)، مادة: «عَظُمَ».

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه، (١٢/ ٤٠٩ - ٤١٠).

(٥-١١) المصدر نفسه، (١٢/ ٤١٠).

* «وعَظَّمَه تَعْظِيماً وأعْظَمَهُ: فَخَّمَهُ، وكَبَّرهُ»[١].

* «والتَّعْظِيمُ: التَّبْجيلُ»[٢].

* «والعَظَمَةُ: الكِبْرِياءُ»[٣].

* «وعَظَماتُ القَوْمِ: سادتُهم وذَوُو شرَفِهِم»[٤].

* «وعُظْمُ الشيءِ ومُعْظَمُه: جُلُّهُ وأكْثَرُهُ»[٥].

* «وأعْظَمْتُهُ، بِالألِفِ، وَعَظَّمْتُهُ تَعْظِيماً، مِثْلُ وَقَّرتُهُ تَوْقِيراً وفَخَّمْتُهُ»[٦].

* «وعَظَمُ الطَّرِيقِ، مُحرَّكاً، : جَادَّتُهُ»[٧].

* و «العَظْمُ: القَصَبُ الذي عليه اللَّحْمُ»[٨].

* و «العِظاميُّ: مَنْ يَفْتَخِرُ بآبائه وأجداده»[٩].

* «وعَظْمُ الفدَّان: لَوْحُهُ العَرِيضُ الذي في رأسِهِ الحَدِيدَةُ»[١٠].

ونخلص من هذا العرض لمعنى «عَظُمَ» في اللغة أنها تعني:

الكِبَرَ، والقوَّةَ، والزَّهْوَ، والحُرْمَةَ، والوسَطَ، والشَّرفَ، والكثرةَ، والتَّبجيلَ، والفخامةَ.



(١) القاموس المحيط، (ص١٤٧٠)، مادة: «العِظَم».

(٢-٥) المصدر السابق، (١٢/ ٤١١).

(٦) المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، (ص٢١٦)، مادة: «عَظُم».

(٧) القاموس المحيط، (ص١٤٧٠)، مادة: «العظَم».

(٨-١٠) المعجم الوسيط، (ص٦١٠)، مادة: «عَظَمَهُ».

المبحث الثاني
ما جاء في الآيات من ألفاظ العظمة

وردت لفظة «العظمـة» وما يتفرَّع عـنها في الآيات القرآنيـة في مواطن كثيرة، نأخذ منها ما يدل على المقصود:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

نوَّه الله تعالى في هذه الآية بعظمة القرآن، ووصفه بأنه نعمة عظمى، تتضاءل دونها جميع النِّعَم.

٢- وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

لاريب أنَّ القرآن خبر عظيم، وحديث عظيم؛ لأنه كلام ربِّ العالمين؛ ولأنه حوَّل خَطَّ سير البشرية إلى الطَّريق الأقوم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٦-٧٨].

قال ابن كـثير[(١)] رحمـه الله: «قوله ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾،

---

(١) هو الحافظ أبو الفداء عماد الدِّين، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدِّمشقي، الشافعي، ولد سنة (٧٠٠هـ)، وقدم دمشق وصاهر الحافظَ المزي، وصحب ابنَ تيمية، وتبعه في كثير من آرائه، وامتحن بسبب ذلك وأوذي، كان كثير الحفظ، سهل الاستحضار، انتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. له التفسير المشهور، ثاني كتاب في التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير، وله موسوعة التاريخ: «البداية والنهاية» توفي سنة (٧٧٤هـ). =

أي: و إنَّ هذا القسم الذي أقسمتُ به لقسم عظيم، لو تعلمون عظَمتَه لعظَّمتم المُقسم به عليه، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، أي: إنَّ هذا القرآن الذي نَزَل على محمد لكتاب عظيم. ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، أي: معظَّمٌ في كتاب معظَّمٍ محفوظٍ موقَّر»[1].

٤- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

المراد بالشَّعائر: أعلام الدِّين الظاهرة، ومنها: المناسك كلُّها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ومنها: الهدايا والقربان للبيت.

ومعنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد.

ومنها: الهدايا، فتعظيمها: باستحسانها واستسمانها، وأنْ تكون مكمَّلة من كل وجه.

فتعظيم شعائر الله، أساسه تقوى القلوب. فالمُعظِّم لها، يُبرهن على تقواه، وصحَّة إيمانه؛ لأنَّ تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله[2].

وقد ذُكِرت القلوب هنا؛ لأنَّ المنافق قد يُظهِر التَّقوى للناس تصنُّعاً، وقد يكون قلبه خالياً منها، فلا يكون مُجِداً في أداء الطاعات.

أمَّا المُخلِص - الذي تكون التَّقوى متمكنة في قلبه - فإنه يُبالغ في أداء

= «انظر: شذرات الذهب، (٦/ ٢٣٠). البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع، للشوكاني (١/ ١٥٣)».

(١) تفسير ابن كثير، (٧/ ٥٤٨).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٣/ ٣٢٠).

الطَّاعات على سبيل الإخلاص[١].

٥- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

يُخبر الله تعالى أنَّ مَنْ يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه، فهذا التَّعظيم يكون له خير وثواب مُدَّخر له في الآخرة عند ربِّه[٢].

ولأنَّ تعظيم حُرمات الله، من الأمور المحبوبة لله، المقرِّبة إليه، فمن عظَّمها وأجلَّها، أثابه الله تعالى ثواباً جزيلاً، وكانت له خير في الدُّنيا والآخرة.

وحرماتُ الله: كلُّ ما له حرمة، وأَمَرَ باحترامه، من عبادةٍ أو غيرها، كالمناسك كلِّها، والحَرَم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات المأمور بها شرعاً، فتعظيمها يكون إجلالاً بالقلب، وأداءها من غير تهاون أو تكاسل أو تثاقل[٣].

٦- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ مَنْ خافه واتَّقاه، باجتناب معاصيه وأداء فرائضه، يَمْحُ الله تعالى عنه ذنوبه وسيئات أعماله التي اقترفها؛ لأنَّ التَّقوى من أسباب مغفرة الذُّنوب.

ومعنى: ﴿يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ أي يُعطه أجراً عظيماً في الآخرة، وهو الجنة. وقيل: بالمضاعفة. وقيل: إعظام الأجر أنْ يخلِّده في الجنة. ولا منافاة

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٣/ ٢٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٥/ ٤٣٠). تفسير أبي السعود، (٦/ ١٠٥).

(٣) انظر: تفسير السعدي، (٣/ ٣١٨).

بين هذه الأقوال. وحاصلها: أنَّ أجره يَعْظُمُ في الدُّنيا والآخرة[١].

«قرأ الأعمش[٢]: ﴿نُعْظِمْ﴾ بالنُّون، التفاتاً من الغَيبة إلى التَّكلُّمْ.

وقرأ ابن مِقسم[٣]: ﴿يُعَظِّمْ﴾ بالياء والتَّشديد، مضارع عظم مشدَّداً»[٤].

٧- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠].

من قوانين الاقتصاد أنك تدفع المال لشراء سلعة هي أغلى منه، هكذا تكون قوانين المادَّة، ونفس الشَّيء يقال في مجال المعنويات، وهو ما أشار إليه الرازي[٥] - رحمه الله - بقوله: «**إنَّ مَنْ كان موصوفاً بهذه الصِّفات الأربعة**

(١) انظر: تفسير الطبري، (٢٨/ ١٤٤). فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٢٤٢).

(٢) هو سليمان بن مهران الكاهلي (أبو محمد)، المشهور بالأعمش، ولد سنة (٦٠هـ)، من الأئمة الثقات، قال ابن سعد: «وكان الأعمش صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث». وعدَّه ابن سعد في الطبقة الرابعة، من الكوفيين، وثَّقه ابن معين وأبو حاتم، وقال أبو زرعة: إمام، توفي سنة (١٤٨هـ). «انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/ ٣٤٢). الجرح والتعديل (٤/ ١٤٦- ١٤٧)، ترجمة (٦٣٠)».

(٣) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مِقسم، أبو بكر البغدادي العطَّار، النحوي، المفسر، المقرئ، ولد سنة (٢٦٥هـ). قال الخطيب البغدادي: «كان ثقة، من أحفظ الناس لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات، وله في التفسير ومعاني القرآن كتاب». توفي سنة (٣٥٤هـ). ومن مصنفاته: «الأنوار في علم القرآن»، و «المصاحف» و «الوقف والابتداء» و «الرد على المعتزلة». «انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٢/ ٢٠٦). البداية والنهاية، (٢/ ١٢٣). ميزان الاعتدال، (٦/ ١١٤)»

(٤) روح المعاني، للألوسي (٢٨/ ١٣٨).

(٥) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي، الطَّبرستاني الأصل، ثم الرَّازي، المفسر، المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، ولد سنة (٥٤٤هـ)، صنَّف في فنون كثيرة، ومن تصانيفه: «التفسير الكبير» المعروف بـ «مفاتيح الغيب»، و«المحصول»،=

كـان أعظَمَ درجةً عند اللَّه مِّمن اتَّـصف بالسِّقَـاية والعمـارة. وتلك الصِّـفات الأربعة هي هذه: **فأولَّها**: الإيمان، **وثانيها**: الهجرة، **وثالثها**: الجهاد في سبيل الله بالمال، **ورابعها**: الجهاد بالنفس.

وإنَّمـا قلنا: إنَّ المَوصـوفين بهذه الصِّـفـات الأربعة فـي غاية الجـلالة والرِّفـعة؛ لأنَّ الإنســان ليس له إلاَّ مـجـموع أمـور ثلاثة: الرُّوح، والبـدن، والمال. **أمَّا الرُّوح**: فلمَّا زال عنه الكفـر وحصل فيه الإيمان، فـقد وصل إلى مراتب السَّعـادات اللائقة بها. **وأمَّا البدن والمال**: فبـسبب الهجرة وقَـعَا في النُّقصان، وبسبب الاشتغال بالجهاد صارا مُعَرَّضَين للهلاك والبطلان. ولاشكَّ أنَّ النفس والمال محبوب الإنسان، والإنسـان لا يعرض عن محبوبه إلاَّ للفـوز بمحـبوب أكـملَ من الأوَّل، فلولا أنَّ طلب الرِّضـوان أتمُّ عندهم من النَّفس والمال، وإلاَّ لَمَا رجَّحـوا جانب الآخرة على جـانب النَّفس والمال، ولَمَا رضوا بإهدار النَّفس والمال لطلب مرضاة الله تعالى.

فثـبت أنَّ عند حصول الصِّفـات الأربعة صار الإنسان واصِـلاً إلى آخر درجات البشرية، وأوَّل مراتب درجات الملائكة، وأيُّ مناسبة بين هذه الدرجة وبين الإقدام على السِّقـاية والعمارة لمجرد الاقـتداء بالآباء والأسلاف ولطلب الرِّياسة والسمعة؟

واعلم أنَّه تعالى لم يقل أعظم درجـة من المشتغلين بالسِّقـاية والعمارة؛ لأنَّه لو عيَّن ذِكْرَهم لأوهَمَ أنَّ فضيلتهم إنَّمـا حصلت بالنِّسبة إليهم، ولَمَّا ترك ذِكْر المرجوح، دلَّ ذلك على أنهم أفـضل مِنْ كل مَنْ سواهم على الإطلاق؛ لأنه لا يُعـقل حـصـول سـعـادة وفـضيـلة للإنســان أعلى وأكـمل من هذه

=و «نهاية العـقول»، قيل: إنه ندم في آخـر حياته على دخـوله في علم الكلام. توفي بهراة يوم الفطر سنة (٦٠٦هـ).

«انظر: طبقات المفسرين، للداوودي (٢/ ٢١٦). شذرات الذهب، (٥/ ٢١)».

الصفات»[١].

«فإنْ قال قائل: كيف يستقيم قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾ وليس للمشركين درجةٌ أصلاً؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أعظم درجة من درجتهم على تقديرهم في أنفسهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] ومعناه على تقديرهم في أنفسهم.

والثاني: أنَّ هؤلاء الصِّنف من المؤمنين أعظم درجة عند الله من غيرهم»[٢].

٨- قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ومعنى: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ أي: أعظم منزلة عند الله. وقيل: درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها[٣].

و «المراد بالفتح هنا هو: فتح الحديبية[٤] حين جرى من الصُّلح بين الرَّسول ﷺ وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات، التي حصل فيها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدَّعوة إلى الدِّين من غير معارض. فدخل النَّاس من ذلك الوقت، في دين الله أفواجاً، واعتزَّ الإسلام عزاً عظيماً. وكان المسلمون قبل هذا الفتح، لا يقدرون على الدَّعوة إلى الدِّين

---

(١) التفسير الكبير، (١٦/ ١٢).

(٢) تفسير السمعاني، (٢/ ٢٩٦).

(٣) انظر: زاد المسير، (٨/ ١٦٤).

(٤) قال ابن الجوزي رحمه الله: «فيه قولان: أحدُهما: أنه **فتح مكة**. قاله ابن عباس والجمهور، والثَّاني: أنه **فتح الحديبية**. قاله الشَّعبي». [زاد المسير: (٨/ ١٦٣)].

في غير البقعة التي أسلم أهلهـا، كالمدينة وتوابعها. وكان مَنْ أسلم من أهل مكة وغيرها، من ديار المشركين، يُؤذى ويُخاف.

فلذلك كان مَنْ أسلم قبل الفتح وقاتل، أعظم درجة وأجراً وثواباً، ممن لم يُسلم ويقاتل وينفق إلاَّ بعـد ذلك، كما هو مقتضى الحكمـة. ولهذا كان السَّابقون، وفضلاء الصَّحابة، غالِبُهم أسلم قبل الفتح.

ولَمَّا كان التَّفضيل بين الأمور، قد يُتوهَّم منه نقصٌ وقدح في المفضول، احترز تعـالى من هذا بقوله: ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قـبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة. وهذا يدل على فـضل الصـحـابة كلِّهـم ﷺ، حيـث شـهـد الله لهم بالإيمان، ووعـدهم الجنة»[(١)].

٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ [المزمل: ٢٠].

لقد أخـبر الله تعـالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الصَّدقـة - في الدُّنيا - خير من الإمساك وأعظم ثواباً.

ولذلك قال ابن عباس ﷺ: تجـدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً من الذي تؤخِّره إلى وصيَّتك عند الموت.

وقال الزَّجاج[(٢)] رحمـه الله: تجدوه عند الله هو خـيراً لكم من مـتاع

---

(١) تفسير السعدي، (٥/ ١٧٦ - ١٧٧).

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن مـحمد بن السَّري، الزَّجاج، البغـدادي، نحويُّ زمانه، لزم المبَرِّد، فـكان يعطيه من عـمل الزُّجاج كل يوم درهمـاً، له تآليف جمَّـة منها: «مـعاني القرآن»، و «القروض»، و «الاشتقاق». توفي سنة (٣١١هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٣٦٠)».

الدُّنيا[١].

«ولْيُعلمْ أنَّ مثقال ذرة في هذه الدَّار من الخيـر، يُقابله أضعاف أضعاف الدُّنيا، ومـا عليها في دار النَّعيـم المقيم، من اللَّذات والشَّهوات. وإنَّ الخـير والبرَّ في هذه الدُّنيا، مادَّةُ الخيـر والبر في دار القرار، وبَذْرُه وأصلُه وأساسهُ. فوا أسفاه عـلى أوقات مضت في الغفلات. وواحسـرتاه على أزمان تقضَّت في غير الأعـمال الصالحات. ووَاغوثاه من قلوب لم يؤثر فيـها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق مَنْ هو أرحم بها من نفسها»[٢].



(١) انظر: التفسير الكبير، (٣٠/ ١٦٦).

(٢) المصدر السابق، (٥/ ٣٣٠).

المبحث الثالث
ما جاء في الأحاديث من ألفاظ العظمة

وردت لفظة «العظمة» وما يتفرع عنها في الأحاديث النَّبوية على النحو الآتي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« قَالَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والعَظَمَةُ إزاري، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُما، قَذَفْتُهُ فِى النَّارِ»(١).

«قال الخطابي(٢): معنى هذا الكلام أنَّ الكبرياءَ والعظمةَ صفتان لله سبحانه، واختص بهما لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما؛ لأن صفة المخلوق التواضع والذل.

وضرب الرِّداء والإزار مثلاً في ذلك، يقول - والله أعلم: كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره كذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق.

(فَمنْ نازَعَنِي واحداً منْهُما) أي من الوصفين . ومعنى نازعني: تَخَلَّقَ بذلك فيصير في معنى المُشارِك. (قَذَفْتُه في النَّارِ) أي: رميته من غير مبالاة

---

(١) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، (٤/ ٥٩)، (ح ٤٠٩٠).
وصححه الألباني في صحيح أبي داود : (٢/ ٧٧٠)، (ح ٣٤٤٦).

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، أبو سليمان الخطابي، الإمام، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف، ومنها: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود»، و «غريب الحديث»، و «شرح الأسماء الحسنى»، و «الغنية عن الكلام وأهله». توفي سنة (٣٨٨هـ). «انظر: معجم البلدان (١/ ٤١٥). الأنساب (٢/ ٢١٠). وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤). سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣). البداية والنهاية (١١/ ٢٣٦)».

بـه»[١].

٢- قوله ﷺ: «**أَلاَ وإنِّي نُهيتُ أنْ أَقْرَأَ القُرآنَ رَاكعاً أو سَاجِداً، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ**»[٢].

«قوله: ﷺ: (**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فيهِ الرَّبَّ**) أي: سبِّحوه ونزِّهوه ومَجِّدوه»[٣].

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال:

«**مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أو اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبَانُ**»[٤].

قال ابن الأثير[٥] رحمه الله: «التَّعَظُّمُ في النَّفْس: هوالكِبْرُ والنَّخْوَةُ أو الزَّهْوُ»[٦].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١١/ ١٠١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، (١/ ٣٤٨)، (ح ٤٧٩).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (٤/ ٤١٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده، (١٠/ ٢٠٠)، (ح ٥٩٩٥). والبخاري في الأدب المفرد، (ح٥٤٩).

وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: (ص٢٠٧)، (ح ٤٢٧). وفي صحيح الجامع: (٢/ ١٠٦٠)، (ح ٦١٥٧). والصحيحة: (٢/ ٧٢)، (ح ٥٤٣).

(٥) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجَزَري، (مجد الدِّين) أبو السعادات، كان فقيهاً محدِّثاً أديباً نحوياً، له تصانيف عديدة منها: «النهاية»، و «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و «الشافي في شرح مسند الشافعي»، و «المصطفى المختار في الأدعية والأذكار»، وغيرها. توفي سنة (٦٠٦هـ).

«انظر: معجم البلدان (٢/ ١٣٨). طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٥٣). شذرات الذهب (٥/ ٢٢). الأعلام (٥/ ٢٧٢)».

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٢٦٠)، مادة: «عظم».

فقوله: (مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسه) «أي: زَعَّمَ نفسَه عظيماً حيث لم يدرِ أَنَّ النعمة من ربِّه، وأنكر أنها مِنْ فَضْلِ الله ورحمته، وظنَّ أنه استحقَّ تلك النِّعمةَ بعلمه وعمله، وصار مَدَّعياً للفضل والكمال والعزِّ والجاه فهذا الذي يلقى الله وهو عليه غضبان»(١).

* وجاء في حديثٍ آخَرَ بلفظ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِه» الحديث(٢).

و «الحديث يدل على ذَمِّ الكِبْرِ والتَّعاظُمِ، ويظهر هذا التَّعاظُمُ وهذا التَّكَبُّر في مِشيتِهِ فيختال فيها، وفي لباسه فيُسبله، وكلامه فيتشدق فيه ويتقعر، وفي نظره فلا ينظر إلى الناس إلاَّ ببعض عينيه، ويُصعِّر خَدَّه للناس فَيُميله كِبْراً، . . . فالكِبْرُ والتَّعاظُمُ مِنْ كبائرِ الذنوب»(٣).

٤- عن سَعْد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أَعْظَمَ المُسْلمِين جُرْماً، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَته»(٤).

«قال الطِّيبي(٥): فيه من المبالغة أنه جعله عَظِيماً»(٦).

---

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجيلاني، (٢/ ٢٦٨).

(٢) رواه الحاكم، (١/ ٦٠). وأورده الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام: (ص ٣٧٤)، (ح ١٥٤٠)، وقال: «رجاله ثقات». وصححه مُحقِّق البلوغ [سمير الزهيري]: (٢/ ٢١٧)، (ح ١٥١١).

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، لعبد الله بن عبد الرحمن البسام، (٦/ ٣٥٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، (٤/ ٢٢٧٥ - ٢٢٧٦)، (ح ٧٢٨٩).

(٥) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطِّيبي (شرف الدِّين): من أهل توريز، من عراق العجم. من علماء الحديث والتَّفسير والبيان، قال ابن حجر عنه: «آية في استخراج الدَّقائق من القرآن والسُّنن». كانت له ثروة طائلة من الإرث والتِّجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. من مصنفاته: «التِّبيان في المعاني والبيان»، و «أسماء الرجال»، و «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»، و «شرح مشكاة المصابيح» وغيرها. توفي سنة (٧٤٣هـ).

«انظر: الدُّرر الكامنة، (٤/ ١٥٦). معجم المؤلفين، (١/ ٦٣٩). الأعلام، (٢/ ٢٥٦)».

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٣/ ٣٢٩).

وفي تعليل ذلك يقول ابن حجر[١] رحمه الله: «وَسَبَكَ منه الكَرماني[٢] سؤالاً وجواباً، فقال: السؤال ليس بجريمة، ولئن كانت فليس بكبيرة، ولئن كانت فليس بأكبر الكبائر. وجوابُه: أن السؤال عن الشيء بحيث يصير سبباً لتحريم شيء مباح هو أَعْظَمُ الجُرم؛ لأنه صار سبباً لتضييق الأمر على جميع المكلفين»[٣].

«ويستفاد منه عظَمُ الذَّنب بحيث يجوز وَصْفُ مَنْ كان السبب في وقوعه بأنه وقع في أَعْظَمِ الذنوب»[٤].

٥- عن عَبْد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قَالَ: «**كان نَبيُّ اللّه ﷺ، يُحَدِّثُنا عَنْ بَنِي إِسْرَائيلَ، حَتَّى يُصْبِحَ، ما يَقُومُ إلاَّ إِلَى عُظْمِ صَلَاة**»[٥].

قوله (**إلى عُظْم صلاة**): «عُظْم كقُفْل، أي، بضم العين وسكون

---

(١) هو الإمام الحافظ الشهير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بمصر سنة (٧٧٣هـ)، له تصانيف لا تحصى، من أشهرها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و «لسان الميزان»، و «تهذيب التهذيب»، و «تقريب التهذيب»، و «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» وغيرها. توفي سنة (٨٥٢هـ).
«انظر: البدر الطالع، (١/ ٨٧). الأعلام، (١/ ١٧٨)».

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، (شمس الدِّين) الكَرماني: عالمٌ بالحديث. أصله من كرمان. ولد سنة (٧١٧هـ)، تصدَّى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة. وأقام مدةً بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه: «الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري»، وله غير ذلك من الكتب. مات بعد رجوعه من الحجِّ في طريقه إلى بغداد، سنة (٧٨٦هـ) ودفن فيها. «انظر: الأعلام، (٧/ ١٥٣). معجم المؤلفين، (٣/ ٧٨٤)».

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٣/ ٣٢٩).

(٤) المصدر نفسه، (١٣/ ٣٣٠).

(٥) رواه أبوداود، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، (٣/ ٣٢٢)، (ح ٣٦٦٣). وقال الألباني في صحيح أبي داود: «صحيح الإسناد»، (٢/ ٦٩٧)، (ح ٣١١١).

الظاء،: مُعْظمُ الشيء»[١] .

قال ابن الأثير رحمه الله:[٢] «عُظْمُ الشيء: أَكْبَرُه، كأنه أراد لا يَقُوم إلاَّ إلى فريضة».

٦- عن مُحَمَّد بْنِ سِيرِينَ[٣] قال: «**جَلَسْتُ إلى مَجْلِسٍ فيه عُظْمٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ أَبِي لَيْلَى**» الحديث[٤] .

قال ابن الأثير رحمه الله:[٥] «أي: جَمَاعةٌ كثيرةٌ. يُقال: دخَل في عُظْم الناس: أي مُعْظَمهم».

* وجاء في رواية أُخرى: عن مُحَمَّد قال: «**كُنْتُ في حَلْقَة فيها عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ أَبِي لَيْلَى، وكَانَ أَصْحَابُهُ يُعَظِّمُونَهُ**» الحديث[٦] .

٧- عن عِتْبَانَ بْنِ مَالِك ﷺ قال: «... **ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إلى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ**»[٧] . «أيَ: مُعْظَمَه»[٨] .

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (١٠/ ٧٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٢٦٠)، مادة: «عظم».

(٣) هو محمد بن سيرين بن أبي عمرة البصري، أبو بكر، إمام وقته. مولى أنس بن مالك. قال الذهبي: «كان فقيهاً، إماماً، غزيرَ العلم، ثقةً، ثبتاً، علاَّمةً في التعبير، رأساً في الورع». توفي سنة (١١٠هـ). «انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦). تذكرة الحفاظ (١/ ٧٧). تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤)».

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا**﴾، (٣/ ١٣٧٠)، (ح ٤٥٣٢).

(٥) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿**وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾، (٣/ ١٥٦٦)، (ح ٤٩١٠).

(٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن مَنْ مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (١/ ٦١)، (ح ٣٣).

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٢٦٠)، مادة: «عظم».

والمعنى: «أنهم تحدثوا وذكروا شأنَ المنافقين وأفعالهم القبيحة وما يلقون منهم، ونسبوا مُعْظَمَ ذلك إلى مالكٍ»[١].

من خلال الاستعراض اللُّغـوي لمادة «عَظُمَ»، وكذلك ما تفرَّع عنها في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، السَّالفة الذِّكر، نستطيع أن نقرر:

أنَّ «عظمة القرآن» تعني الأمور الآتية:

١- سُمُوُّ مَعانيه، وفخامَةُ أُسلوبِه.

٢- وسطيَّةُ مَنْهَجِه.

٣- شمولُ أحكامِه.

٤- قُوَّةُ تَأثيرِه.

٥- استقامَةُ أهدافِه ونبلُها.

٦- الهيبةُ والحُرْمَةُ التي أَوْجَدَها الله تعالى في قلبِ كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ وقَرَأَهُ مِنَ الإِنسِ والجِنِّ مُؤمِنهم وكافِرهم، ومِنَ الجمادِ والحيوانِ.

٧- الشَّرَفُ الحاصِلُ لكل مَنْ آمن به واستجاب له.

٨- غلبةُ إعجازِه التي أَعْيَت الكافرين عن الإتيان بمثله.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (١/ ١٨٨).

المبحث الرابع
تعريف «القرآن» لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى «القرآن» في اللغة:

اتَّفق أهلُ العلم رحمهم الله على أن لفظ «قرآن» اسم وليس بفعل ولا حرف، لكنهم اختلفوا فيه من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدراً أو وَصْفاً، على أقوال عِدة، تُجْمَلُ فيما يأتي(١):

القول الأول: إنه «اسمٌ علمٌ غير منقول» وُضِعَ مِنْ أَوَّل الأمر عَلَماً على الكلام المنزل على محمد ﷺ، وهو اسم جامد غير مهموز، مثل التوراة والإنجيل.

وهذا القول مرويٌّ عن جماعةٍ من العلماء منهم: الإمام الشافعي وابن كثير وغيرهما رحمهم اللهُ جميعاً.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٩٦)، المصباح المنير (ص ٢٥٩)، لسان العرب (١/١٢٨-١٣١)، القاموس المحيط (ص ٦٢)، مختار الصحاح (ص ٢٤٩)، المفردات في غريب القرآن (ص ٤٠٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٠ - ٣١)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٨)، الإتقان في علوم القرآن (ص ١٣٧)، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩-٢٠)، مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (ص ١٩-٢٠)، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص ٢٠ - ٢٤)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، أ.د. محمد أبو شهبة (ص ١٩ - ٢٣)، القرآن الحكيم رؤية تربوية، د. سعيد إسماعيل علي (ص ١٠٢ - ١٠٥)، فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن، د. أحمد سالم ملحم، (ص٢١ - ٢٩).

وقد نَقَلَ ابنُ منظور[١] أن الشافعي[٢] رحمه الله كـان يقول: «القُرآن اسم، وليس بمهموز. ولم يُؤْخذ مِنْ قَرأتُ ولكنَّه اسمٌ لكتابِ اللهِ مثل التوراة والإنجيل»[٣].

القــولان الثــاني والثــالث: هم القــائلون بـأن لفظ القــرآن «مهموز»[٤]، فقد اختلفوا على رأيين:

١- أن القرآن: مـصدر «قرأ» بمعنى: «تلا» كـالرجحان والغـفران، ثم نُقل من المصدر وجُعل اسماً للكلام المُنَزَّل على نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

ويشهد له قـوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]. أي: قراءتَه.

وقول حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله عنه:

ضَحَّواْ بأشْمَطَ عُنْوانُ السجودِ به ... يُقَطِّـعُ اللَّيلَ تَسْـبيحاً وقُرآناً

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي (أبو الفضل) جـمال الدِّين بن منظور الأنصاري الرويفعي، الأفـريقي، إمامٌ حُـجَّة في اللغـة، وهو من نسل رويفع بن ثابت الأنصـاري، توفي سنة (٧١١هـ)، ومن أشهر مصنفـاته وأكثرها فائدة: «لسان العرب»، جَمَعَ فيـه أُمَّهات كتب اللغة فكاد يغني عنها. «انظر: الأعلام، (٧/ ٧١)».

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس القـرشي المطَّلبي الشافعي، إمام المذهب الشافعي، اتُّفِقَ على ثقته وإمامته وعدالته وحسن سيـرته، له أشعار كثيرة، من مؤلفاته: كتاب «الأم»، و «الرسالة». ولد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ).

«انظر: تهذيب الأسماء واللغات، (١/ ٤٤). وفيات الأعيان، (٤/ ١٦٣)».

(٣) لسان العرب، (١/ ١٢٨)، مادة: «قرأ».

(٤) **معنى «مهموز»**: أنَّ الهمزة في لفظ «القرآن» أصلية، من: «قرأ».

أي: قراءةً. ومن القائلين بهذا القول: «اللِّحياني[(١)]»[(٢)].

٢- أن القرآن: وَصْفٌ على وزن فعلان مشتق من «القُرْء» بمعنى الجمع، ومنه: قَرَأَ الماءَ في الحوض إذا جَمَعَه، «وَقَرأْتُ الشيءَ قُرآناً: جَمَعْتُه وَضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض»[(٣)].

قال ابن الأثير رحمه الله:[(٤)] «وسُمِّيَ القرآنُ قُرآناً؛ لأنه جَمَعَ القَصَصَ، والأَمْرَ والنهي، والوَعْدَ والوعيد، والآياتِ والسُّوَرَ بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغُفْران والكُفْرَان».

ومن القائلين بهذا القول: «الزَّجاج»[(٥)].

القولان الرابع والخامس: هم القائلون بأن لفظ القرآن «غير مهموز» لكنهم اختلفوا في أصل اشتقاقه على قولين:

١- أنه مشتق من «قَرنْتُ الشيءَ بالشيء» إذا ضَمَمْت أحدَهما إلى الآخَر.

قالوا: فَسُمِّي القرآن به: لِقرانِ السُّوَرِ والآياتِ والحروفِ فيه.

ومنه: قَرَنَ البعيرين إذا جَمَعَ بينهما. ومنه سُمِّيَ الجمعُ بين الحج

---

(١) هو علي بن المبارك اللِّحياني (أبو الحسن) من بني لحيان بن هذيل بن مدركة، وقيل: سمِّي به لعظم لحيته، النَّحوي، من كبار أهل اللغة، ومن مشايخه: الكسائي، ومن تلامذته: القاسم بن سلاَّم، ومن أشهر مصنفاته: «النَّوادر»، توفي في حدود (٢١٠هـ). «انظر: معجم المؤلفين، (٢/ ٤٩٠). الموسوعة الميسرة، (٢/١٦٤٣)».

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (ص ١٣٧).

(٣) لسان العرب، (١/١٢٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/ ٣٠).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١/٢٧٨).

والعمرة في إحرامٍ واحدٍ قِران. ومن القائلين بهذا القول: «الأشعري[(١)]»[(٢)].

٢- أنه مشتق من «القرائن» جمع قرينة؛ لأن آياته يُصدِّق بعضُها بعضاً ويُشبِه بعضُها بعضاً. ومن القائلين بهذا القول: «الفَرَّاء[(٣)]»[(٤)].

خلاصة العرض اللُّغوي لتعريف «لفظ القرآن» ما يأتي:

١- أنه «اسمٌ عَلَمٌ غير منقول» أي: جامد.

٢- أنه «مهموز» مُشْتَقٌ من: «قَرَأَ» بمعنى: «تلا».

٣- أنه «مهموز» مشتق من: «القُرْء» بمعنى: «الجَمْع».

٤- أنه «غير مهموز» مشتق من: «قَرَنْتُ الشَّيءَ بالشَّيء».

٥- أنه «غير مهموز» مشتق من «القَرائِن».

---

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، من ذرية الصَّحابي الجليل أبي موسى الأشعري، نشأ في حِجر زوج أُمِّه (أبي علي الجبائي) شيخ المعتزلة، واعتنق مذهبه ثم تاب منه على المنبر، ثم أظهر قبائح المعتزلة وفضائحهم، وله من الكتب: «الموجز» و «الإبانة» و «مقالات الإسلاميين» وغير ذلك، وحُكي عن ابن حزم أن للأشعري خمسةً وخمسين مصنَّفاً، وكان من أكثر الناس دُعابة، توفي سنة (٢٧٠هـ).

«انظر: البداية والنهاية، (١١/ ١٩٩). شذرات الذهب، (٢/ ٣٠٣)».

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ٢٧٨).

(٣) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدَّيلمي (أبو زكريا) الكوفي، النَّحوي، صاحب الكسائي، يُعرف بالفرَّاء؛ لأنه كان يفري الكلام كما قيل، وهو إمام أهل الكوفة وأعلمهم بالنَّحو واللغة وفنون الأدب. كان يُقال: الفرَّاء أمير المؤمنين في النحو، له تصانيف عديدة منها: «معاني القرآن»، و «المذكر والمؤنث»، و «مشكل اللغة». توفي بطريق الحج سنة (٢٠٧هـ).

«انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٤/ ١٤٩). الأنساب، للسَّمعاني (٩/ ٧٤٢). سير أعلام النبلاء، (١٠/ ١١٨). الأعلام، (٨/ ١٤٥)».

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (ص ١٣٧).

ويظهر - والله أعلم - أنَّ أرجحَ هذه الأقوالِ هو القولُ الثَّاني؛ لِقُرْبِ اشتقاقه من كلمة القرآن لفظاً ومعنى.

وأصبح لفظ القرآن - بعد ذلك -: «عَلَماً على الكتاب المُنَزَّل».

ثانياً: معنى «القرآن» في الاصطلاح:

«القرآن الكريم يتعذَّر تحديدُه بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص. بحيث يكون تعريفه حداً حقيقياً، والحد الحقيقي له: هو استحضاره معهوداً في الذِّهن أو مشاهداً بالحِسِّ. كأن تُشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان فتقول هو ما بين هاتين الدَّفَّتين، أو تقول: هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾»[1].

* وقد ذَكَرَ العلماءُ رحمهم الله للقرآن الكريم تعريفاً اصطلاحياً يُقَرِّب معناه ويميزه عن غيره، فَعَرَّفوه بأنه: «كَلامُ اللَّه، المُنَزَّلُ على نبيِّه محمد ﷺ، المُعْجِزُ بِلَفْظِه، المُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِه، المَكْتُوبُ في المَصَاحِف، المَنْقُولُ بالتَّواتُرِ».

وغاية العلماء من ذِكْرِ هذه القيود بشكل عام، هي تحديدُ المُعَرَّفِ، بحيث يكون التعريفُ دالاً عليه دلالةً واضحة، مانعاً من دُخُولِ غَيرِه فيه.

شرحُ القيودِ في تعريف «القرآن الكريم»:

القيد الأول: (القرآن: كَلامُ اللَّه): فيخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

---

(١) مباحث في علوم القرآن، (ص ٢٠).

القيد الثاني: (المُنَزَّلُ): خرج به ما استأثر الله بعلمه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، فَمِن كلام الله ما ينزله إلى البشر، ومنه ما يستأثر بعلمه.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

القيد الثالث: (على نبيِّه محمد ﷺ): خرج به المنزل على غيره من الأنبياء، كالتوارة المنزلة على موسى عليه السَّلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السَّلام، والزبور المنزل على داود عليه السَّلام، والصُّحُف المنزلة على إبراهيم عليه السَّلام.

القيد الرابع: (المُعْجِزُ بلَفْظه): فيخرج غير المعجز من كلام الله تعالى، كالأحاديث القدسية، وسائر الكتب السَّماوية، فلا تُسَمَّى قرآناً؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يَتَحَدَّ البشرَ أن يأتوا بمثلها.

القيد الخامس: (المُتَعَبَّدُ بتِلاوَته): فَتَخْرُج بذلك قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية.

القيد السادس: (المَكْتُوبُ في المَصَاحِف): فيخرج غير المكتوب في المصاحف من كلام الله تعالى، كمنسوخ التلاوة فلا يُسَمَّى قرآناً.

القيد السابع: (المَنْقُولُ بالتَّواتُر): فيخرج غير المنقول بالتواتر، كالقراءة الشاذَّة فلا تُسَمَّى قرآناً؛ لأنها نُقلت بطريق الآحاد.

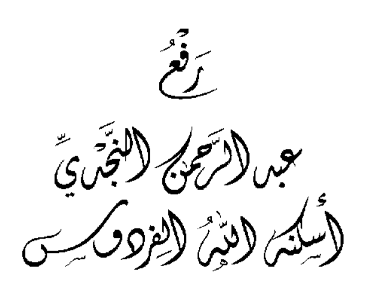
ويُلاحظ في هذه القيود: أن منها ما هو متفق عليه عند العلماء، ومنها ما هو مُخْتَلَف فيه، تَبَعاً لاختلاف أفهام العلماء ومقاصدهم.

أمَّا مِنْ حيثُ كون القيد لازماً أو غير لازم، فلم يُنقل عنهم خلافٌ إلاَّ

في قيد الإعجاز، والراجح - والله أعلم - أن الإعـجاز قيد لازم للتعريف؛ لأنه الصِّـفَةُ الأسـاسيـة للقرآن العظيم؛ ولأن به يَثْـبُتُ أن القـرآنَ كلامُ الله تعالى[1].



(١) انظر: المصـدر نفسه، والصـفحـة نفسـها. المدخل لدراسة الـقرآن الكريم، (ص ٢١). دراسات في علوم القـرآن الكريم (ص ٢٣ - ٢٤). فيض الرحمن في الأحكام الفقـهية الخاصة بالقرآن (ص٢١ - ٢٩).



الباب الأول

عظمة الدلائل والمقاصد والتأثير

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: دلائل عظمة القرآن.

الفصل الثاني: عظمة القرآن في أسلوبه ومقاصده.

الفصل الثالث: عظمة تأثير القرآن.

الفصل الأول
دلائل عظمة القرآن

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: عظمة القرآن كما بيَّنتْها آياته الحكيمة.

المبحث الثاني: مظاهر عظمة القرآن.

المبحث الثالث: دلائل عظمة القرآن.

المبحث الرابع: عظمة أسماء وأوصاف القرآن.

تمهيـــــد

إنَّ الحـديث عن عظمة القـرآن الكريم أعظم من أن يُحـيط بها بشـر، فكيف بمن يكتب أوراقاً محـدودة، في أشهر معدودة، فـأنى له أن يفي عمّاً يكتب بحـقِّه، أو قـريب منه، إنَّه القِمَّـةُ العليا والتي لـن نصل إليهـا مهـما اجتهـدنا ولكنَّنا نقتربُ منها كُلَّمـا اجتهدنا؛ لأنَّه كتـاب الله، به تكلَّم، وفيه أودع تلك العظمـة، ومع ذلك فـلا بدَّ من اسـتجـلاء هذه العظمـة، وتلك الخصوصية فقد استولى على العقول، وهيمن على القلوب، فأبدعت الألسن في وصفـه، وسالت الأقلام فـي نعته، حـتى لا يكاد الواحد منا يجـد مثل الكتب التي كتبت عنه كماً وكيفاً.

ولا غرابة في ذلك فهو أحسن الحـديث وأعظمه وأطيبه وأحكمه، وهو الكتاب الذي لا ريب فيه، ولا نقص يعتـريه، لبلاغة آياته، وسمو إرشاداته، ودقة معلوماته، وقوة دلائله وبياناته، وجمال عباراته.

وسـيكون الكلام في هذا الـفصل عـن عظمـة القـرآن، ومظاهر هذه العظمة، ودلائلها، على النحو التالي:

المبحث الأول
عظمة القرآن كما بَيَّنَتْها آياتُــه الحكيمــة

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: ثناءُ اللَّهِ على كتابه.

المطلب الثاني: عظمةُ مُنزِّله تعالى.

المطلب الثالث: فَضْلُ مَنْ نَزَلَ بالقرآن.

المطلب الرابع: القرآن تنزيلُ ربِّ العالمين.

المطلب الخامس: القرآن مستقيمٌ ليس فيه عوج.

المطلب السادس: خشوع الجبال وتصدُّعها.

المطلب السابع: انقيادُ الجمادات لعظمة القرآن.

المطلب الثامن: تَحَدِّي الإنس والجن بالقرآن.

المطلب التاسع: خَمْسُ مزايا إعجازيَّة.

المطلب الأول
ثناءُ اللهِ على كتابه

أثنى الله تعالى على كتابه العزيز في آيات كثيرة ممَّا يدلُّ على عظمته كما وَصَفَه «بالعظيم» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

ووَصَفَه «بالإحكام» في قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وذَكَرَ «هيمنته على الكتب السابقة» في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

فهذا الكتاب هو المهيمن الحافظ لمقاصد الكتب المنزلة قبله، الشاهد المؤتمن على ما جاء فيها، يُقِرُّ الصَّحيح فيها، ويُصَحِّح الخطأ.

ووَصَفَه في أُمِّ الكتاب بأنه «عليٌّ حكيم» في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]. فهذه شهادةٌ من الله تعالى بِعُلوِّ شأن القرآن وحكمته.

ولاريب أنَّ من عظمة القرآن أنَّه: ﴿عَلِيٌّ﴾ في مَحَلِّه، وشَرفه، وقَدرِه، فهو عالٍ على جميع كتب الله تعالى؛ بسبب كونه معجزاً باقياً على وجه الدَّهر[(١)].

ومعنى الحكيم: المنظوم نَظْماً مُتقناً لا يعتريه أيُّ خلل في أيِّ وجه من الوجوه، فهو حكيم في ذاته، حاكم على غيره.

---

(١) انظر: التفسير الكبير، (٢٧/ ١٦٧).

والقرآن ﴿حَكِيمٌ﴾ كذلك فيما يشتمل عليه من الأوامر، والنَّواهي، والأخبار، فليس فيه حُكْمٌ مُخالف للحكمة، والعدل والميزان[١].

ومن ثناء الله تعالى على القرآن أنْ وَصَفَه في ثلاث سور بأنه «كتاب مبارك»[٢].

وبركة هذا الكتاب تمتد إلى يوم القيامة فعطاؤه نامٍ لا ينفد.. يواكب الحياةَ بهذا العطاء، ثمَّ يأتي شفيعاً لأصحابه.



المطلب الثاني
عَظَمَةُ مُنَزِّلِه سبحانه وتعالى

العظيم: ذو العظمة والجلال في مُلكه وسلطانه عزَّ وجلَّ، كذلك تعرفه العرب في خُطَبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: مَنْ عظيمُ بني فُلانٍ اليوم؟ أي: مَنْ له العظمَةُ والرِّئاسَةُ منهم؟ فيقال: فلانٌ عَظيمُهم، ويقولون: هؤلاء عظماءُ القوم أي: رؤساؤُهم، وذوو الجلالة والرئاسة منهم[٣][٤].

(١) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٤٣٧).

(٢) تأمَّلْ نماذجَ لذلك في أرقام آيات السور التالية: (الأنعام: ٩٢، ١٥٥)، (الأنبياء: ٥٠)، (ص: ٢٩).

(٣) هناك فرق بين عظمة الخالق والمخلوق: فالمخلوق قد يكون عظيماً في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيماً في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون مَلِكاً أو غنياً معظَّماً في قومه، فيذهب مُلكه وغناه أو يفارق قومه وتذهب عظمته معها، لكن الله سبحانه هو العظيم أبداً.

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لإبراهيم بن السَّري الزجاج (ص٤٦)، شأن الدعاء، لحمد بن محمد الخطابي (ص٦٤ - ٦٥)، تفسير القرطبي، (١٦/ ٨٣).

«قال الأصبهاني[١]: العَظَمَةُ صفةٌ مِنْ صفات الله، لايقوم لها خَلْقٌ، واللهُ تعالى خَلَقَ بين الخلقِ عظمةً يُعَظِّمُ بها بعضُهم بعضاً، فمن الناس مَنْ يُعَظَّمُ لمالٍ، ومنهم مَن يعظم لفضلٍ، ومنهم من يُعظم لعلمٍ، ومنهم من يُعظم لسلطانٍ، ومنهم من يُعظم لجاه.

وكُلٌّ واحد من الخَلْقِ إنما يُعَظَّم بمعنى دون معنى، واللَّهُ عزَّ وجلَّ يُعظَّم في الأحوال كلها.

فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ الله، ألاَّ يتكلَّم بكلمةٍ يكرهها الله، ولا يرتكب معصيةً لا يرضاها الله، إذْ هو القائِمُ على كل نَفْسٍ بما كسبت»[٢].

فالله تعالى هو العظيم المطلق؛ لأنه عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته كلها فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء منها؛ لأنَّ ذلك تحكُّم لم يأذن به الله.

---

(١) هو الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي ثم الطَّلحي الأصبهاني، الملقَّب بـ «قِوَام السُّنة». مولده سنة (٤٥٧هـ). حدَّث عنه: أبو سعد السَّمعانيٍ، وأبو طاهر السِّلَفِي، وأبو القاسم بن عساكر، وأبو موسى المديني، وغيرهم. قال السَّمعاني: «هو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارفٌ بالمتون والأسانيد، كنت إذا سألته عن المشكلات أجاب في الحال». توفي سنة (٥٣٥هـ). ومن مصنفاته: «الترغيب والترهيب»، و «الحجة في المحجَّة» ويُسمَّى بـ «السنة»، و «دلائل النبوة» و «سير السلف»، و «المغازي». «انظر: الأنساب، (٣/ ٣٦٨-٣٦٩). البداية والنهاية، (١٢/ ٢١٧). سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ٨٠-٨٨)».

(٢) **نقلاً عن**: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد بن حمد الحمود، (١/ ٢٦٥). **وأحال على**: الحجة في المحجة، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، (ق ١٥ ب - ١٦ أ).

قال ابن القيم[١] رحمه الله مقرراً ذلك[٢]:

«وهو العَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَىً يُوجِبُ التَّـ ـعْظِيمَ لا يُحْصِيــه مــنْ إِنْســَان»

فَـمِنْ عَظَمَـته تعـالى: أنه لا يَشُقُّ عليـه أن يحفظ السَّـماوات السَّـبع والأرضين السَّبع، وَمَنْ فـيهما، ومـا فيهـما، كما قـال تعالى: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][٣].

وتتــجلى عظمة القــرآن العظيم في عظمــة مُنزِّله جلَّ جلالُه، ويتــضح ذلك جلياً في عدة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿الم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١-٣].

وقـوله تعـالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَـابِ مِنَ اللَّهِ الْعَـزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية، الأحقاف: ١-٢][٤].

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي ثم الدِّمشقي، شمس الدِّين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تَفقَّـه في مذهب الإمام أحمد وبرع وأفتى، لازَمَ ابنَ تيـمية وأخذ عنه، وتفنَّن في علوم الإســلام، وله في كُلِّ فن اليد الطُّولى. وكـان ذا عبـادة وتهجُّـد، وقد امتُحِن وأُوذي مرات، وصنَّف تصانيف كثيرة، منها: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، و «الصَّواعق المرسلة على الجهمية والمعطِّلة». توفي سنة (٧٥١هـ).

«انظر: ذيل طبقات الحنابلة، (٢/ ٤٤٧). معجم المؤلفين، (٩/ ١٠٦)».

(٢) النونية بشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى، (٢/ ٢١٤).

(٣) انظر: المصدر السابق، (١/ ٢٦٦).

(٤) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السـور التالية: (آل عمران: ٢-٣). (الكهف: ١-٢)، (المائدة: ٤٨)، (إبـراهيم: ١-٢)، (النمل: ٦)، (يـس: ١-٥)، (غـافــر: ٢)، (فصلت: ١-٢)، (الرحمن: ١-٢).

المطلب الثالث
فَضْلُ مَنْ نَزَلَ بالقرآن

نَوَّه الله تعالى بشأن مَنْ نزل بالقرآن على رسولنا محمد ﷺ، وهو جبريل عليه السَّلام، أمين الوحي الإلهي، وذَكَرَ فضلَه في عدة آيات، منها:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

و (روح القدس): جبريل عليه السَّلام.

والرُّوحُ: المَلَكُ، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم:١٧]، أي: مَلَكاً من ملائكتنا.

و (القدس): بضمَّتين، وبِضَمٍّ فسكون، مصدر، أو اسم مصدر، بمعنى: النزاهة والطهارة، أو الطُّهر.

والمراد به هنا: معناه الحقيقي والمجازي، الذي هو الفَضْلُ وجَلاَلَةُ القَدْر.

وإضافةُ الروحِ إلى القُدُسِ، من إضافة الموصوف إلى الصفة، كقولهم: حاتمُ الجود، وزيدُ الخَير. والمراد: حَاتمٌ الجواد، وزيدٌ الخَيِّر.

فالمعنى: المَلَكُ المُقَدَّس[1].

* وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١/ ٥٧٨)، (١٣/ ٢٢٩).

وسمي جبريلُ عليه السَّلام بالرُّوح لعدة أوجه:

١- لأنه روح مُقَدَّسة فَوَصْفُهُ بذلك تشريفٌ له وبيانٌ لعلو مرتبته.

٢- لأن الدِّين يحيا به، كما يحيا البدنُ بالروح، فهو المتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء.

٣- لأن الغالب عليه الرُّوحانية، وكذلك سائر الملائكة، غير أن روحانيته أتَمُّ وأكمل.

٤- لأنه ما ضَمَّتْهُ أصلابُ الفحول، وأرحامُ الأمهات[1].

* **وقد وصف اللَّه تعالى جبريل عليه السلام بخمس صفات في قوله** تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾** [التكوير: ١٩-٢١].

وهذه الصفات الخمس تتضمَّن تزكية سند القرآن العظيم، وأنه سماع نبينا محمد ﷺ من جبريل عليه السَّلام، وسماع جبريل الأمين من رب العالمين فناهيك بهذا السند علواً وجلالة.

• صفات جبريل الأمين عليه السَّلام

الصفة الأولى: أنه كريم.

فهو رسول كريم وليس كما يقول أعداؤه: إن الذي جاء به شيطان، فإن الشيطان خبيث مخبث، لئيم، قبيح المنظر، عديم الخير، باطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، وليس فيه ولا عنده خير، فهو أبعد شيء عن الكرم.

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٣/ ١٦١).

والرسول الذي ألقى القرآن على محمد ﷺ كريمٌ، جميلُ المنظر، بَهِيُّ الصورة، كثير الخير، طيب مطيب، معلم الطيبين.

الصفة الثانية: أنه ذو قوة.

كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

وفي ذلك تنبيه على أمور:

١- أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنوا منه، وأن ينالوا منه شيئاً، وأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يَقْرَبْهُ.

٢- أنه مُوَالٍ لهذا الرسول الذي كذَّبتموه؛ وَمُعاضدٌ له، ومُوادٌ له ومناصرٌ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وَمَنْ كان هذا القويُّ وليَّه، وَمِنْ أنصارِه، وأعوانِه، ومعلِّمَه، فهو المُهتدي المنصور، واللهُ هاديه، وناصِرُه.

٣- أَنَّ مَنْ عادى هذا الرسولَ فقد عادى صاحِبَه ووليَّه جبريلَ، ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عُرْضَةٌ للهلاك.

٤- أنه قادر على تنفيذ ما أُمِرَ به لقوته، فلا يعجز عن ذلك، مُؤَدٍّ له كما أُمِرَ به لأمانته، فهو القوي الأمين، وهذا يدل على عظمة شأن المرسِل، والرَّسول، والرِّسالة، والمرسَل إليه والمرسل به؛ لأنه انتدب له الكريمَ القويَّ المكينَ عنده، المُطاعَ في الملأ الأعلى، فإن الملوك لا تُرسل في مهماتها إلاَّ الأشراف، ذوي الأقدار والرتب العالية[1].

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، (١/ ٧٥-٧٦).

الصفة الثالثة: أنه مكين عند الرَّب تعالى.

كما قال تعالى: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

والمكينُ: فَعِيلٌ، صِفَةٌ مُشبَّهةٌ مِنْ مَكُنَ بضم الكاف، مكانةً، إذا علت رتبتُه عند غيره، كما قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السَّلام مع المَلِك: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

وتوسيطُ قوله: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ بين ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ و ﴿مَكِينٍ﴾ ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي: هو ذو قوة عند الله، أي جعل الله تعالى مقدرةَ جبريلَ عليه السَّلام تُخَوِّلُهُ أن يقوم بعظيم ما يُوكله اللهُ به مما يحتاج إلى قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وَزُلفى.

والعِندِيَّةُ: عِندِيَّةُ تعظيم وعناية.

وَعُدِلَ عن اسم الجلالة إلى ﴿ذِي الْعَرْشِ﴾ لتمثيل حال جبريل عليه السَّلام ومكانته عند الله تعالى بحال الأمير المنفِّذ لأمر المَلِك وهو بمحل الكرامة لديه(١).

فجبريل عليه السَّلام له مكانة ووجاهة عند اللَّه تعالى، وهو أقرب الملائكة إليه. يشهد له قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ إشارةً إلى علو منزلته، إذْ كان قريباً مِنْ ذي العرش سبحانه.

الصفة الرابعة: أنه مُطاعٌ في السماوات.

وفي قوله: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ إشارة إلى أن جنوده وأعوانه من الملائكة الكرام يطيعونه كما يطيع الجيشُ قائدَهم، لنصر صاحبه وخليله محمدٍ ﷺ.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣٠ / ١٣٨).

وفيه إشارة أيضاً إلى أن هذا الذي تُكذِّبونه وتعادونه سيصبح مطاعاً في الأرض، كما أن جبريلَ مُطاعٌ في السماء، وأن كُلاً من الرسولين مطاع في محلِّه وقومِه، وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلاَّ مثل هذا الملَكِ المُطاعِ.

الصفة الخامسة: أنه أمين.

وفي وصفه بالأمانة إشارة إلى حِفْظِ ما حمله، وأدائِه له على وجهٍ دون نقصٍ ولا تغييرٍ(١).

وفيما تقدَّم من عظمة أوصاف جبريل عليه السَّلام، تتبيَّن لنا - بقياس الأَولَى - عظمةُ القرآن الذي نَزَلَ به، وعلوُّ شأنه، ومنزلته عند الله تعالى.



المطلب الرابع
القرآن تنزيل ربِّ العالمين

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣].

أسند اللَّهُ - جلَّ جلالُه - إنزال القرآن إلى جناب عظمته في خمسين آية من آيات القرآن المجيد أو يزيد، وفي هذا دلالة على كمال العناية الإلهية بالقرآن، مما يهز المشاعر، ويحرك الوجدان، ويبعث على تربية المهابة منه عند

(١) انظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها. المصدر السابق، (١/ ٧٧).

سماعه.

كما أن في ذلك تنبيهاً على أن المُـنَزَّلَ من لدن حكيم خبير - وكَـمَالُ القائل يدل على صِـدْقِ المَقُول - وتنويهاً بعظمـته المكتسبـة من عظمة مُنَزِّله، وإشادةً - أيما إشادة - بشرف القرآن، وسمو قدره، وعظيم مكانته[(١)].

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

«وفي ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن»[(٢)].

ولاشك أن هذا «تنويه بشـأن القرآن الكريم وإجـلال لمحله، بإضـماره المؤذن بغاية نباهتـه المغنية عن التصريح به، كأنه حاضـر في جميع الأذهان، وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به»[(٣)].

يقول ابن عاشور[(٤)] رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١][(٥)]:

---

(١) انظر: عناية الله وعناية رسوله بالقرآن الكريم، أ.د. أبو سريع محمد (ص١).
وهو بحث مقدم إلى مؤتمر القرآن الكريم وأثره في إسعاد البشرية، كلية الشريعة - جامعة الكويت، بتاريخ (٢٥، ٢٦ / ١١/ ١٤١٥هـ).

(٢) التحرير والتنوير، (٣٠/ ٤٠٢).

(٣) تفسير أبي السعود، (٩/ ١٨٢).

(٤) هو محمـد الطَّاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشـيخ جامع الزيتونة، وهو من أعضـاء المَجْمَـعين العربيـين في دمشق والقـاهرة، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). من مصنفاته: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و «تفسير التحرير والتنوير»، و «أصول الإنشاء والخطابة». «انظر: الأعلام، (٦/ ١٧٤)».

(٥) التحرير والتنوير، (٢٠/ ١٨٨).

«و ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن، وعُدِلَ عن لفظ القرآن الذي هو كالعَلَمِ عليه إلى لفظ الكتاب المعهود لإيمائه إلى معنى تعظيمه بأنه المشتهر من بين كتب الأنبياء».

فمن عظمة القرآن أنه نزل من الله تعالى وحده لا من غيره؛ لنفع الناس وهدايتهم، **فاجتمعت في القرآن العظيم خمس فضائل:**

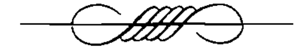
١- أنه أفضل الكتب السَّماوية.

٢- نزل به أفضل الرسل وأقواهم، الأمين على وحي الله تعالى.

٣-نزل على أفضل الخلق، محمد ﷺ.

٤- نزل لأفضل أمة أُخرجت للناس.

٥- نزل بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين[١].



المطلب الخامس
القرآن مستقيمٌ ليس فيه عوج

أثنى الله تبارك وتعالى - الذي لا نُحصي ثناءً عليه - على نفسه وَذَكَرَ أنه مستحق للحمد على إنزاله القرآن العظيم، تنبيهاً منه تعالى على أنه أعظم نعمائه؛ لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد، والداعي إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد - وقد علَّمَ عبادَهُ كيف يحمدونه على إفاضة هذه النعمة

(١) انظر: تفسير السعدي، (٣/ ٤٨٥).

الجليلة فقال سبحانه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١-٢].

قال أهل اللغة: إنَّ العِوَجَ في المعاني كالعِوَج في الأعيان، **ونفي العوج عن القرآن له عِدَّة أوجه**، منها:

الأول: نفي التَّناقض عن آياته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الثاني: أنَّ كُلَّ ما ذَكَرَ الله تعالى في القرآن، من التَّوحيد والنُّبوة والأحكام والتَّكاليف فهو حقٌّ وصدق ولا خَلَلَ في شيء منه البتَّة[١].

وأخبر تعالى كذلك عن القرآن أنه ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر فقال: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه من الوجوه، لا في ألفاظه، ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته[٢].

فقد وَصَفَ اللَّه تعالى كتابه العزيز بوصفين عظيمين، مشتملين على أنه الكامل من جميع الوجوه، وعظيمٌ بكل ما تُعَبِّرُ عنه الكلمات، وهما:

١- **نفيُ العوج عنه**: وهذا يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في

---

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢١/ ٦٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣)، تفسير السعدي (١/ ٧٢٣-٧٢٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣/ ١٩٥).

أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث.

٢- **إثباتُ أنه مستقيم مُقيم**: فالقرآن العظيم مستقيم في ذاته، مقيم للنُّفوس على جادَّة الصَّواب، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يُخْبِرُ ولا يأمرُ إلاَّ بأجلِّ الإخبارات، وهي الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيماناً وعقلاً، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإخبار بالغيوب المتقدِّمة والمتأخرة.

وأنَّ أوامره ونواهيه، تزكِّي النفوس وتطهِّرها وتنمِّيها وتكمِّلها، لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله ربِّ العالمين، وحده لا شريك له.

فحقيق بكتاب موصوف بما ذُكر، أن يَحْمَدَ اللهُ تعالى نفسَه على إنزاله(١).

وبنفي العِوَجِ عن القرآن الكريم، وإثبات استقامته تتجلَّى عظمتُه وعلوُّ شأنه ومنزلتُه عند الله تعالى.



المطلب السادس
خشوع الجبال وتصدُّعها

فلقد بلغ من شأن القرآن وعظمته وشدَّة تأثيره أنه لو أُنزل على جبل من الجبال وجُعل له عقل كما جعل للبشر، لرأيت الجبلَ - مع كونه في غاية القسوة والصَّلابة - خاشعاً متصدِّعاً من خشية الله. كما قال تعالى: ﴿لَوْ

(١) انظر: تفسير السعدي، (٣/١٣٩).

أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١]. أي: لاتَّعَظَ الجبلُ وتصدَّع صخرُه من شدَّة تأثُّره من خشية الله.

ففي هذا «**بيان حقيقة تأثير القرآن وفعاليته في المخلوقات، ولو كانت جبلاً أشم، أو حجراً أصم**»(١).

وضُربَ التَّصَدُّع مثلاً لشدَّة الانفعال والتَّأثر؛ لأن منتهى تأثُّر الأجسام الصلبة أن تَنْشَقَّ وتتصدَّع ولا يحصل ذلك بسهولة.

والخشوع: هو التَّطأطؤ والرُّكوع، أي لرأيته ينزل أعلاه إلى الأرض.

والتَّصدع: التَّشقُّق، أي لَتَزلزل وتَشَقَّق من خوفه اللهَ تعالى(٢).

ولاشَكَّ أنَّ هذا تعظيمٌ لشأن القرآن، وتمثيلٌ لعلوِّ قدره وشدَّة تأثيره في النفوس، لما فيه من بالغ المواعظ والزَّواجر، ولما اشتمل عليه من الوعد الحقِّ والوعيد الأكيد، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن - كما فهمتموه - لخشع وتصدَّع من خوف الله تعالى، فكيف يليق بكم أيُّها البشر ألاَّ تلين قلوبُكم وتخشع وتتصدَّع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبَّرتم كتابَه(٣).

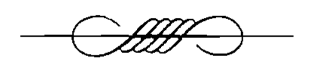
والمقصود من إيراد الآية: إبرازُ عظمة القرآن الكريم، والحثُّ على تأمُّل مواعظه الجليلة، إذ لاعذر لأحد في ذلك، وأداءُ حقِّ الله تعالى في تعظيم كتابه، وتوبيخُ مَنْ لا يحترم هذا القرآن العظيم، وفيه كذلك تمثيل وتخييل

(١) أضواء البيان، (٨/٧٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٨/١٠٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (٤/٣٤٣ - ٣٤٤).

لعلوِّ شأن القرآن وقوَّة تأثير ما فيه من المواعظ(١).



المطلب السابع
انقياد الجمادات لعظمة القرآن

يقول الله تعالى مبيناً ومنبِّـهاً على عظمة القرآن وتأثيره: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١].

فهذا شرطٌ جوابه محذوف، والمراد منه: تعظيم شأن القرآن العظيم.

«كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك، وتترك الجواب؛

والمعنى: ولو أن قـرآناً سُيِّـرت به الجبـال عن مـقارِّها وزُعـزعت عن مضـاجعـها، أو قُطِّعت به الأرض حـتى تتصـدَّع وتتزايل قطعـاً، أو كُلِّم به الموتى فتـسمع وتجيب، لكان هذا القـرآن لكونه غاية في التَّـذكيـر ونهاية في الإنذار والتَّخويف»(٢).

وفي بيان المقصود هنا يقول أبو السُّعود(٣) رحمه الله: «والمقصود: بيان

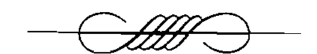
(١) انظر: تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٣٣). زاد المسير، لابن الجوزي (٨/ ٢٢٤).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٢/ ٤٩٨).

(٣) هو مـحمـد بن محـمد بن مـصطفى العـمادي، ولد في قـرية قرب القـسطنطينيـة سنة (٨٩٣هـ). طلب العلم على جلَّة من العلمـاء منهم والده، واشتهر في تركـيا ودرَّس في مدارسها، وولي القـضاء ببروسة وغيرها، ثم تولَّى منصب الإفـتاء نحو ثلاثين سنة، وله عدَّة مصنفـات أشهرها: تفسـيره المسمَّى «إرشاد العقل السليم إلـى مزايا القرآن الكريم»، توفي بالقسطنطينية سنة (٩٨٢هـ). «انظر: وفيات الأعيان، (٢/ ٤٣٨)».

عظم شأن القرآن العظيم، وفساد رأي الكفرة، حيث لم يقدِّروا قدره العلي، ولم يعدُّوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره، مما أُوتي موسى وعيسى عليهما السَّلام، . . . فالمعنى: ﴿لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾. أي: بإنزاله أو بتلاوته عليها، وزُعزعت عن مقارها كما فُعل ذلك بالطُّور لموسى عليه الصَّلاة والسَّلام. ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ أي: شقِّقت وجُعلت أنهاراً وعيوناً، كما فُعلَ بالحجر حين ضربه عليه السَّلام بعصاه، أو جُعلت قطعاً متصدِّعة. أو ﴿كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ أي: بعد ما أُحييت بقراءته عليها، كما أُحييت لعيسى عليه السَّلام، لكان ذلك هذا القرآن، لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته»[١].

فمما تقدَّم تتبين لنا عظمة القرآن وعلو شأنه ومنزلته وتأثيره.



المطلب الثامن
تَحَدِّي الإنس والجن بالقرآن

من مظاهر عظمة القرآن وعلوِّ شأنه، **أن اللَّه تعالى تحدَّى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة مثله.**

قال تعالى: **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [الإسراء: ٨٨][٢].

---

(١) تفسير أبي السعود، (٥/ ٢١-٢٢).

(٢) **تأمَّلْ آيات التَّحدي في أرقام آيات السور التالية:** (الطور: ٣٤)، (هود: ١٣)، (يونس: ٣٨)، (البقرة: ٢٣).

« ﴿قُلْ﴾ لا يقولها الحَقُّ سبحانه بينه وبين رسوله، بل المراد: أَعْلِنْها يا محمد على الملأ، وأَسْمِعْ بها الناس جميعاً؛ لأن القضية قضية تَحدٍّ للجميع»(١).

ولقد ثبت بما لا يدع ثُلْمَةً لمرتاب: أن القرآن العظيم تنزيلٌ من ربِّ العالمين على خاتم المرسلين. وأن الخلق جميعاً لو تضافرت جهودُهم واتَّحَدَ رأيُهم على غايةٍ واحدة هي أن يأتوا بمثل هذا القرآن في قِمَّةِ فصاحته، وذُروةِ بلاغته، وعُمقِ معناه، وما احتواه من شرائع وآداب، لم ولن يأتوا بمثله.

ولَـمَّا لم يَعْتَدَّ المُعارِضُ بالوحي، ولم يقتنعْ بما فيه من المعجزات الدَّالة على كونه من عند الله تعالى، وعلى حقيقة نبوته ﷺ، فقالوا: إنَّ محمداً اختلقه عمداً من تلقاء نفسه، أرخى اللهُ تعالى لهم العنان، وأَضْرَبَ عزَّ وجلَّ عما قالوه، وأمر رسولَه ﷺ أن يقول لهم: إنْ كان الأمر كما تقولون، فأتوا أنتم - أيضاً - بعشر سور مثله في البلاغة وحُسْنِ النَّظْم مُخْتَلَقات من عند أنفسكم - إنْ صَحَّ قولكم: أنِّي اختلقته من عندي - فإنكم أهلُ العربية وفرسانُها، وأقدرُ على ذلك مني، وادعوا مَنْ استطعتم دُعَاءَهُ والاستعانةَ به - متجاوزين الله تعالى - إن كنتم صادقين أني افتريته، فإن لم تفعلوا، فاعلموا أن الذي أنزله هو الله تعالى، واعلموا أيضاً أن لاشريك له في الألوهية، ولا يقدر أحد على ما يقدر هو عليه، فهل أنتم مخلصون في الإسلام أو ثابتون عليه؟.

يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٤ / ٨٧٢٧).

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[هود: ١٣-١٤].

ومع ذلك كله، ما ثابوا إلى رشدهم، وما وجدوا ما يتكلَّمون به، فعادوا لما نُهُوا عنه وقالوا: «اختلقه محمد عمداً».

فاستدرجهم اللَّه تعالى منْ حَيْثُ لا يعلمون، ووصل بهم إلى غاية التَّبكيت والخذلان، وتحدَّاهم أن يأتوا بسورة مثل القرآن فعجزوا.

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

ولما بُهِتَ الذين كفروا، ولم يستسلموا، صاروا كالذي يتخبطه الشَّيطان من المسِّ! مرة يقولون استهزاء: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

وأخرى يقولون عابثين: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

وصار أمرهم على ما يقول الله العظيم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩][1].

« ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ بل سارعوا إلى التكذيب ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه، أو بِمَا جهلوه ولم يحيطوا به علماً مِنْ ذكْرِ البعثِ والجزاء وسائرِ ما يُخالف دينَهم ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ ولم يقفوا بَعْدُ على تأويله ولم تبلغ آذانَهم معانيه، أو:

---

(١) انظر: عناية الله وعناية رسوله بالقرآن الكريم، (ص ١١-١٤).

ولم يأتهم بَعْدُ تأويلُ ما فيه مِنَ الإخبارِ بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صِدْقٌ أم كَذِب، والمعنى: أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى، ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نَظْمَهُ ويتفحصوا معناه.

ومعنى التَّوقع في ﴿لَمَّا﴾: أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازُه لَـمَّا كرر عليهم التَّحدي فزادوا قُواهم في معارضته، فتضاءلت دونها، أو لَـمَّا شاهدوا وُقُوعَ ما أَخبر به طِبْقاً لإخباره مراراً فلم يُقلعوا عن التكذيب تمرداً وعناداً ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أنبياءَهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وعيد لهم بمثل ما عُوقب به مَنْ قبلَهم»[١].

فهذا القرآن العظيم ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، كلا وربِّي، إنه كلام الله تعالى الذي تحدى به الخلقَ كلَّهم، فقال عَزَّ منْ قائلٍ حكيماً: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:٨٨]. فهذا تنويه بشرف القرآن وعظمته.

وهذه الآية ونحوها تُسَـمَّى آيات التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم أو سورة منه.

«وكيف يقدر المخلوق من تراب أن يكون كلامه ككلام ربِّ العالمين، أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه أن يأتي بكلام ككلام الكامل، الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من جميع الوجوه، هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل مَنْ له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وَزَنَ

(١) تفسير البيضاوي، (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠).

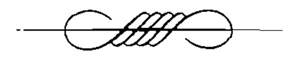
هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلغاء ظهر له الفرق العظيم»[١].

«فكما أنه ليس أحد من المخلوقين، مماثلاً لله في أوصافه، فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد.

فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى.

فتباً لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمداً ﷺ، افتراه على الله واختلقه من نفسه»[٢].

فعظمةُ القرآن وعُلُوُّ شأنه لا تجعل للخَلْق من إنسٍ وجِنٍّ مَطْمَعاً في الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.



---

(١) تفسير السعدي، (١/ ٤٦).

(٢) المصدر نفسه، (٣/ ١٣٠-١٣١).

المطلب التاسع
خَمْسُ مزايا إعجازيَّة

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ففي هذه الآية الكريمة خمس مزايا للقرآن العظيم على غيره من المعجزات(١):

المزيَّة الأولى: أشار إليها قوله تعالى: ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

من انتشار إعجازه وعمومه في المجامع والآفاق والأزمان المختلفة، فلا يختص بإدراك إعجازه فريق خاص، في زمن خاص، وهذا هو حال المعجزات المشهورة، مثل عصا موسى، وناقة صالح، وبرء الأكمة، فهو يُتلى، وَمَنْ ضمن تلاوته الآيات التي تَحَدَّتْ الناسَ بمعارضته، وسَجَّلت عليهم عَجْزَهم عن المعارضة من قَبل محاولتهم إياها، فكان كما قال، فالقرآن معجزة باقية، والمعجزات الأخرى معجزات زائلة.

المزيَّة الثانية: كون القرآن مما يُتلى.

فإن ذلك أرفع من كون المعجزات الأخرى أحوالاً مرئية؛ لأن إدراك المتلوّ، إدراك عقلي فكري، وهو أعلى من المُدْرَكات الحسية، فكانت معجزةُ القرآن أَلْيَقَ بما يُستقبل من عصور العلم التي تهيأت لها الإنسانية.

المزيَّة الثالثة: أشار إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾.

فقد وردت مَوردَ التعليل للتعجيب من عدم اكتفاء الكفار بالكتاب،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ١٨٨ - ١٩٠)، حديث القرآن عن القرآن (ص٢٩٧).

والإشـارة بـ «ذلك» إلى «الكتـاب» للتنويه على تـعظيمـه، وكـذلك تنكيـر «رحمة» للتعظيم، أي: لا يقادَر قدرها.

فالكتـاب المتلو مشتـمل على ما هو رحـمة لهم اشتـمال الظرف على المظروف، لأنه يشتمل علـى إقامة الشريعة، وهي رحـمة وصلاح للناس في دنياهم.

ومع أنه معجزة تدل على صدق الـرسول ﷺ، وترشد إلى تصديقه كغـيره من المعجزات، هو أيضـاً وسيلة علم وتشريع وآداب للمـتلو عليهم، وبذلك فَضَلَ على غيرِه من المعجـزات التي لا تُفيد إلاَّ تصديق الرسول الآتي بها.

المزيَّة الرابعة: أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾.

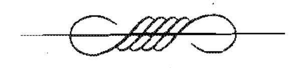
فالقرآن مشتمل على مواعظ ونُذُر وتعريف بعواقب الأمور، والاستعداد للحياة الثـانية، ونحو ذلك مما في تذكُّرِه سعـادة الدارين، وبذلك فَضَلَ على غَيْرِه من المعجـزات الصامتة، التي لا تفيد أكـثر من كون الرسول الذي أتت على يديه صادقاً.

المزيَّة الخامسة: إذا كان القرآن كتاباً متلواً فيستطيع كلُّ مَنْ حَذَقَ العربيةَ أن يُدرك خصائصَه.

فلا يسـتطيع أيُّ طاعنٍ أن يزعم أنه تخيـلات، كمـا قال قوم فـرعون لموسى عليه السَّلام: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]. وقال تعالى حكاية عن المشركين حين رأوا معجزة انشقاق القمر: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، فأشار قولُه: ﴿يُعْرِضُوا﴾ إلى أن ذلك القول صَدَر عنهم في معجزة مرئية.

فهذه مزايا عظيمة لمعجزة القرآن العظيم، حاصلة في حضرته ﷺ وغَيبته.

فالذين يقترحون على الرسول ﷺ أن يأتيهم من عنده بآيات هم أعرف الناس إذاً بسلطان هذا الكتاب العزيز، ولكنه العناد والجحود يُعمي صاحبه عن الحق، ومن العناد والجحود ما اقترحوه وطلبوه - كما حكى الله تعالى عنهم - : ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٠]. وهم لم يطلبوا الآيات رغبة في الإيمان، ولو رغبوا في الإيمان لكفاهم القرآن، المشتمل على معجزات بعدد آياته.. وما يعقلها إلاَّ المؤمنون، وكفى بربِّك هادياً ونصيراً.



المبحث الثاني
مظاهر عظمة القرآن

وفيه اثنا عشر مطلباً

المطلب الأول: كَثْرَةُ أسماءِ وأوصافِ القرآن.

المطلب الثاني: التَّنويهُ بالقرآن في مُفْتَتَحِ السُّور.

المطلب الثالث: الحديث عن القرآن في أواخر السُّور.

المطلب الرابع: القَسَمُ بالقرآن وعليه.

المطلب الخامس: تَفَضُّلُ اللَّه بإنزال القرآن.

المطلب السادس: اقترانُ أسماءِ اللَّه بتنزيل القرآن.

المطلب السابع: نزولُه في أفضلِ الأزمنة.

المطلب الثامن: نزولُه بأرقى اللُّغَات وأجمَعِها.

المطلب التاسع: تيسير فهم القرآنِ وتلاوتِه للعالَمين.

المطلب العاشر: حِفْظُ اللَّه للقرآن.

المطلب الحادي عشر: عالميَّةُ القرآن.

المطلب الثاني عشر: تصديقُ القرآن لكتب اللَّه وهيمنتُه عليها.

تمهيـــد

إنَّ نعَمَ الله تعالى على عباده كثيرة ومتنوِّعة، وإنَّ القرآن العظيم هو أجَلُّ نعمةٍ أنعمها الله تعالى على عباده؛ ذلك أنَّ الله تعالى قدَّمه في الذِّكر على نعمة خلق الإنسان، وعلى نعم كثيرة: قال تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: ١-٤].

والمتدبِّر للقرآن الكريم يلحظ كثرة الحديث عن عظمة القرآن في جانب كبير من الآيات والسُّور، ولا سيَّما في بداية ونهاية السُّور المكية، وكذلك القَسَم بالقرآن وعليه، والتَّنويه بالقرآن في مفتتح السُّور، والحديث عنه في أواخر السُّور، واقتران أسماء الله الحُسنى بتنزيل القرآن، وكثرة أسماء وأوصاف القرآن، ونزوله في أفضل الأزمنة، وبأرقى اللُّغات وأجمعها، وتيسير فهمه للعالَمين، وهيمنته على سائر كتب الله، وقد نزل للنَّاس أجمعين، ومع ذلك كلِّه تكفَّل الله تعالى بحفظه على مَرِّ السِّنين، كل ذلك يدلُّ على مكانته وعظمته.

والحديث عن مظاهر عظمة القرآن العظيم يدور في الأمور الآتية(١):

---

(١) انظر: تعظيم شأن القرآن في السور المكية، أ. د. عاطف قاسم المليجي (ص٧ - ٤٠)، عظمة القرآن ودعوته إلى الخير والكمال، د. محمد جمعة عبد الله (ص١٥- ٦٣)، جوانب من عظمة القرآن، د. عبد الباري محمد داود (ص٤٧- ٥٨).

المطلــب الأول
كثرة أسماء وأوصاف القرآن

لقد سـمَّى اللهُ تعالى القـرآن ووصفـه بأسماء وأوصـاف كثـيرة وردت جميعها في القرآن، إظهاراً لشرفه وعظمته، **فكثرة الأسماء والأوصاف تدل على شرف المسمى والموصوف**(١)(٢).

فالمتـأمل - على سبيل المثال - في قـوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الدخان: ١-٢]، يجد أن الله تعالى سمَّاه كتاباً، ووصَفَه بأنه مبين(٣).

قال الفيروز آبادي:(٤) «اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى،

---

(١) انظر: المبحث الرابع من هذا الفصل: «عظمة أسماء وأوصاف القرآن» (ص ١٤٧-٢٠٤).

(٢) لقد صنَّفَ جماعة من العلماء في أسماء وأوصاف القرآن العظيم:
قال القـاضي أبو المعاني عُزيزي بن عبـد الملك المعروف بشيـذَلَه - بضم عين عـزيزي- المتـوفى سنة ٤٩٤ هـ: «**إن الله تعالى سـمى القرآن بخمسة وخمسين اسـماً**». نقلها عنه الزركشي في البرهان (١/ ٢٧٨)، والسيوطي في الإتقان (ص١٣٥).
وقال الفيروز آبادي - المتوفى سنة ٨١٧هـ في كتابه «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»: «**ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم**». ثم ساقها متتابعة، (١/ ٨٨-٩٦).

(٣) **تأمَّلْ نماذجَ لكثرة أسمـاء وأوصاف القرآن في أرقام آيات السـور التالية**: (البقرة: ١٤٥، ٢٥٦)، (آل عمـران: ٦٢، ١٠٣، ١٣٨، ١٩٣)، (النســاء: ١٧٤)، (المائدة: ٤٨)، (الأنعـام: ١١٥، ١٥٣)، (الأعـراف: ٢٠٣)، (التـوبـة: ٦)، (يونس: ١، ٥٧)، (يوسف: ٢-٣)، (إبراهيم: ٥٢)، (الإسراء: ٩، ٨٢)، (الكهف: ٢)، (الأنبياء: ٥٠، ١٠٥)، (الفرقان: ١)، (النمل: ٣)، (الشعراء: ١٩٢)، (لقمان: ٢)، (الواقعة: ٧٧)، (الزخرف: ٤، ٤٤)، (فصلت: ٣، ٤، ٤١)، (القمر: ٥)، (الطارق: ١٣)، (النبأ: ١-٢)، (الزمر: ٢٣، ٣٣)، (الجن: ١)، (الحاقة: ٤٨)، (الطلاق: ٥)، (البروج: ٢١).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (١/ ٨٨).

أو كماله في أمرٍ من الأمور. أما ترى أن كـثرة أسماء الأسد دلت على كمال قُوَّته، وكثرة أسماء القيامة دلَّت على كمال شدَّته[١] وصعوبته، وكثرة أسماء الدَّاهية دلت على شدة نِكايتها.

وكذلك كثرة أسـماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمـته، وكثرة أسماء النبيِّ ﷺ دلت على علوِّ رتبته، وسموِّ درجته.

وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته».



المطلب الثاني
التنويه بالقرآن في مُفتتح السُّور

فمن مظاهر عظمـة القرآن العظيم أن اللَّه تعـالى نوه به في مفـتتح أربعٍ وثلاثين سورة.

منها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١].

سَمَّى اللهُ تعالى القرآنَ الكريم بأنه ﴿الْكِتَابُ﴾. وكلمة (قرآن) معناها: أنه يُقرأ، وكـلمة (كتـاب) معناهـا: أنه لا يحفظ فقط في الـصدور، ولكن يُدَوَّنُ في السُّطور، ويبقى محفوظاً إلى يوم القيامة، والقول بأنه ﴿الْكِتَابُ﴾، تميز له عن كل كـتب الدنيا، وتمييزاً له عن كل الكتب السَّـماوية التي نزلت

(١) ذكَّرَ القيامةَ باعتبار اليوم.

قبل ذلك.

فالقرآن هو الكتاب الجامع لكل أحكام الله تعالى، منذ بداية الرسالات حتى يوم القيامة، وهذا تأكيد لارتفاع شأنه وتفرُّدِه وسماويته ودليل عظيم على وحدانية مُنَزِّلِه جلَّ جلالُه.

ولقد نزلت على الأمم السابقة كتب تحمل منهج الله تعالى، ولكن كل كتاب، وكل رسالة، نزلت موقوتة، في زمانها ومكانها.

حتى جاء الكتاب الخاتم والمهيمن عليها جميعاً والجامع لمنهج الله سبحانه فيما ذُكِرَ فيها، ولذلك بُشِّرَ في الكتب السماوية السابقة بأن هناك رسولاً سيأتي، ويحمل الرسالة الخاتمة للعالَم، وعلى الذين يُصَدِّقون بمنهج الله أن يتبعوه، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لا يصل إليه أيُّ تحريف أو تبديل أبداً، فَكُتُبُ الله السابقة ائتمن الله البشر عليها، فنسوا بعضها، وما لم ينسوه حرفوه، وأضافوا إليه من كلام البشر ما نسبوه إلى الله سبحانه وتعالى ظلماً وبهتاناً، ولكن الكتاب العظيم محفوظ من الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]. وتأمَّل ضمائر العظمة في الآية الكريمة؛ لتعلمَ أنَّه الأشمُّ في العناية الإلهية غير قابل للاختراق.

ومعنى ذلك ألاَّ يرتاب إنسان في هذا الكتاب؛ لأن كل ما فيه من منهج الله محفوظ منذ لحظة نزوله إلى قيام الساعة.

وهذا النزول، والحفظ الدَّائم له، يستوجب حمد الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ [الكهف: ١].

وفي السُّورة نفسها بَيَّنَ اللهُ تعالى أن هذا الكتاب لن يستطيع بشر أن يُبَدِّلَ منه كلمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧][(١)].

فقوله تعالى: ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ معناه «لا مُغَيِّرَ للقرآن»[(٢)].

وقد نَوَّه اللهُ تعالى أيضاً بالقرآن العظيم في مفتتح سورة آل عمران، فقال تعالى: ﴿الم ۝ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ١-٣][(٣)].

وهكذا نعرف أن ﴿الْكِتَابَ﴾ نزل لِيُؤَكِّدَ لنا، أن الله واحد أحد، لا شريك له، وأن القرآن يشتمل على كل ما تضمنته الشَّرائع السَّماوية من توراة وإنجيل، وغيرها من الكتب السابقة.

ونزل القرآن أيضاً لِيُفَرِّقَ بين الحق الذي جاءت به الكتب السَّابقة، وبين الباطل الذي أضافه أولئك الذي ائتُمِنُوا عليه[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (١/ ١١٠ -١١٢).

(٢) تفسير البغوي، (٣/ ١٥٨).

(٣) نَوَّه اللَّه تعالى بالقرآن كذلك في مفتتح السور التالية: (الأعراف: ١-٢)، (يونس: ١)، (هود: ١)، (يوسف: ١-٢)، (الرعد: ١)، (إبراهيم: ١)، (الحجر: ١)، (الكهف: ١)، (طه: ١، ٢)، (النور: ١)، (الفرقان: ١)، (الشعراء: ٢)، (النمل: ١-٢)، (القصص: ١-٣)، (لقمان: ١-٢)، (السجدة: ١-٢)، (يس: ١-٥)، (ص: ١)، (الزمر: ١-٢)، (غافر: ١-٢)، (فصلت: ١-٣)، (الشورى: ١-٣)، (الزخرف: ١-٤)، (الدخان: ١-٣)، (الجاثية: ١-٢)، (الأحقاف: ١-٢)، (ق: ١)، (الرحمن: ٢)، (الجن: ١-٢)، (العلق: ١-٥)، (القدر: ١)، (البينة: ١-٣).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي، (١/ ١١٣).

المطلب الثالث
الحديث عن القرآن في أواخر السور

ومن مظاهر عظمة القرآن كذلك الحديث عنه في أواخر السور والتي بلغ عددها ثلاثاً وعشرين سورة. من ذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢][١].

يعني: ليس القرآن كما يقولون من أنه شعر أو كهانة أو سحر، بل هو قرآن عظيم، بلغ ذروة المجد وعلو الشرف حتى صار مهيمناً على سائر الكتب المنزلة، وهو كتاب كريم، لأنه كلام ربِّ العالمين، فهو عظيم الكرم فيما يعطي من الخير، جليل القدر، وهو كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسة.

يقول الشوكاني[٢] رحمه الله: «ثُمَّ رَدَّ اللهُ سبحانه تكذيبَهم بالقرآن

---

(١) جاء الحديث عن القرآن في أواخر السور التالية: (الأعراف: ٢٠٤)، (يونس: ١٠٩)، (يوسف: ١١١)، (إبراهيم: ٥٢)، (الكهف: ١١٠)، (النمل: ٩١-٩٣)، (الروم: ٥٨-٦٠)، (ص: ٨٦ - ٨٨)، (فصلت: ٥٢ -٥٤)، (الشورى: ٥٢- ٥٣)، (الدخان: ٥٨ -٥٩)، (النجم: ٥٩ -٦٢)، (الواقعة: ٩٥ -٩٦)، (القلم: ٥١ -٥٢)، (الحاقة: ٤٨ -٥٢)، (المدثر: ٥٤: ٥٦)، (الإنسان: ٢٩ -٣١)، (التكوير: ٢٧ -٢٩)، (الأعلى: ١٨-١٩)، (البلد: ١٩ - ٢٠).

(٢) هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الفقيه المجتهد، أحد كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء وولِّي قضاءها. له مؤلفات كثيرة، =

فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: متناه في الشرف والكرم والبركة لكونه بياناً لَمَا شَرَعَهُ اللهُ لعباده منْ أحكام الدِّين والدُّنيـا، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانه وسحر ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أي: مكتوب في لوح، وهو أُمُّ الكتاب، محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه»(١).



المطلب الرابع
القَسَـمُ بالقرآن وعليــه

ومن مظاهر عظمة الـقرآن العظيم أن الله تعالى أَقْـسَمَ به وعليه، وقد جاء القَسَمُ بالقرآن وعليه على صفات ثلاث:

الصفة الأولى: أقسم الله تعالى بالقرآن في ثلاث سور:

في قوله تـعالى: ﴿يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١-٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

=أشهرها: «فتح القدير»، و «نيل الأوطار في شـرح منتقى الأخبار»، و «السيل الجرار»، و «البدر الطالع»، توفي سنة (١٢٥٠هـ).

«انظر: البدر الطالع، (٢/ ٢١٤)، الأعلام (٦/ ٦٩٨)».

(١) فتح القدير، (٥/ ٥٨٦ - ٥٨٧).

الصفة الثانية: أن الله تعالى أقسم على القرآن في ثلاثة مواضع أيضاً:

منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١١-١٤][١].

الصفة الثالثة: أن الله تعالى أقسم بالقرآن وعلى القرآن في موضعين:

في قوله تعالى: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١-٣].

وفي قوله تعالى: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١-٣].

ومن المعلوم أن المُخاطَب، إن كان على الفطرة التي خُلِقَ عليها، تلقَّى الخَبَرَ بالقبول والإذعان، فإذا ما اعتراها ما يشوبها، ويكدرها، كانت في حاجة إلى توضيح الخبر وبيانه حتى تُؤمن به وتنقاد له. فإذا أُصيبت بضعف فوق ضعف، فأنَّى لها أن تَسْمَعَ أخباراً أو تُبْصِرَ برهاناً بدون قسم وتأكيد. **والمُقْسِمُ إذا ما أراد تحقيقَ أمر أو تأكيدَ خبر نحو مخاطب مُنكر أو صوب سامعٍ مُعرِض، فإنما يُقسم بأمر عظيم - لأَنَّ التَّعظيمَ مِنْ لوازم القَسَمِ -** وذلك ليزول إنكار المنكِر، وليقبل المُعرِض[٢].

---

(١) وقد أقسم اللّه تعالى على القرآن في موضعين آخرين: (في سورة الواقعة: ٧٥-٨٠)، (وفي سورة التكوير: ١٥-٢٧).

(٢) انظر: عناية الله وعناية رسوله بالقرآن الكريم، (ص ١-٣).

والله تبارك وتعالى أقسم - مرةً - على تحقيق إنزال الكتاب، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فهذا «كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم، الذي ذَكَرَ في صدر السُّورة الكريمة إعراضَ الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاءهم به، وتسميتهم تارة سحراً، وتارة أضغاث أحلام، وأخرى مفترى وشعراً، . . . قد صَدَّرَ بالتوكيد القَسَمي لمزيد الاعتناء بمضمونه، وإيذاناً بكون المخاطبين في أقصى مراتب النَّكير، أي: واللهِ لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كِتَابًا﴾ عظيمَ الشأن نَيِّرَ البرهان»[١].

وأُخرى يُقْسِم - جلَّ شأنه - بكل ما في الوجود من صفات حميدة وآيات عجيبة على صدق القرآن وعظمته، وأنه أعلى من تسميتهم الكاذبة، وأسمى من افتراءاتهم الباطلة. فيقول تبارك وتعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣].

و«قد جَمَعَ اللهُ في هذ القَسَم كل ما الشأن أن يُقسَم به من الأمور العظيمة من صفات الله تعالى ومن مخلوقاته الدَّالة على عظيم قدرته إذ يجمع ذلك كله الصِّلَتان ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾، فَمِمَّا يُبصرون: الأرض والجبال والبحار والنفوس البشرية والسَّماوات والكواكب، وما لا يُبصرون: الأرواح والملائكة وأمور الآخرة»[٢].

(١) تفسير أبي السعود، (٦/٥٨).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٩/ ١٣٠).

وثالثة يُقسِم - عزَّ وجلَّ - بالقرآن على أنه المعجز لكونه من لدنه، إذ لو كان من صُنع بشـر لما عجـزوا عن معارضته، لكونهم أرباب اللغة التي نزل بها، أو يُقْسم على صدق محمـد ﷺ في دعواه الرسالة. يقـول تعالى: **﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾** [ق: ١-٢].

ويقول - عَزَّ جاهُه: **﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ① بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾** [ص: ١-٢].

فقـد أقسم الله تعـالى بالقرآن قَـسَمَ تنويه وتشريف. ووصـفه بـ **﴿ذِي الذِّكْرِ﴾** لأن **﴿ذِي﴾** تضاف إلى الأشياء الرفيعة الشأن.

والمختار في جواب القَسَمَ وجهان:

أولهما: أن يكون محذوفـاً دلَّ عليه حرف **﴿صٓ﴾**، فإن المقـصود منه التَّحدي بإعجاز القرآن وعجزهم عن مـعارضته بأنه كلام بلُغَتِهم وَمُؤَلَّفٌ من حروفها، فكيف عـجزوا عن معارضته؟ فالتَّـقدير: والقرآنِ ذي الذِّكر إنه لَمِنْ عند الله، لهذا عجزتم عن الإتيان بمثله.

وثانيـهمـا: أن الجواب مـحذوف أيضـاً، دلَّ عليه الإِضـراب الذي في قوله: **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾** [ص: ٢]. أي: يجحدون أنه ذِكْرٌ ويقولون: سِحْرٌ مفترىً وهم يعلمون أنه حق(١).

ولاريبَ أنَّ القَـسَم بالقرآن وعليـه، فيـه تنويهٌ بشـأنه، وإبرازٌ لعظمتـه وشرفه، ومنزلته الرَّفيعة عند الله تعالى.



(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣/١٠٨).

المطلب الخامس
تَفَضُّلُ اللَّهِ بإنزالِ القرآن

من مظاهر عظمة القرآن الكريم أن اللَّه تعالى أثنى على نفسه الشَّريفة لتفضُّله بإنزاله، وعَلَّم عبادَه أيضاً كيف يثنون عليه تعالى من أجل إنزال الكتاب.

فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

من أسباب هذا الثَّناء:

أمَّا لماذا تفضَّل عزَّ وجلَّ، ولماذا وجب الحمدُ؟ فهو ما يوضِّحه الشنقيطي[(١)] رحمه الله بقوله: «عَلَّمَ اللهُ جلَّ وعَلا عِبادَه في أول هذه السُّورة الكريمة أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي إنزالُه على نبينا ﷺ هذا القرآن العظيم، الذي لا اعوجاجَ فيه؛ بل هو في كمال الاستقامة. أخرجهم به من الظلمات إلى النور. وبيَّنَ لهم فيه العقائد، والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار، وحذَّرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضَّهم فيه على كل ما ينفعهم؛ فهو النِّعمة العظمى على الخلق؛

(١) هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد سنة (١٣٠٥هـ) في شنقيط بموريتانيا، ويرجع نسبة إلى قبيلة حِميَر باليمن، كان مدرِّساً بالمسجد النبوي في المدينة النبوية، ودرَّس في الرياض، وعُين في هيئة كبار العلماء بها، ومن مؤلفاته: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و «مذكرة أصول الفقه»، و «دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب». توفي سنة (١٣٩٣هـ).
«انظر ترجمته في: مقدمة أضواء البيان».

ولذا عَلَّمهم ربُّهم كيف يحمدونه على هذه النِّعمة الكبرى»[١].

والله عزَّ وجلَّ «يحمد نفسَه المقدَّسة عند فواتح الأمور وخواتيمها، فإنه المحمودُ على كل حال، وله الحمدُ في الأُولى والآخرة»[٢].

وإذا كان من دواعي تفضُّله تعالى كونه أنزل الكتاب مستقيماً لا عوج فيه.. فإنَّ من الدَّواعي أيضاً كونه نذيراً.. ومَنْ أنذَرك فقد حَذَّرك، ومَنْ حذَّرك وقَاكَ من الخطر.

ومَنْ ثَنَاء الله تعالى على نفسه الشَّريفة لتفضُّله بإنزال القرآن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل، من البركة. أي: تَقَدَّسَ اللهُ ربُّنا. والبركة كثرة الخير وزيادته. **وفي كلمة ﴿تَبَارَكَ﴾ معنيان:**

١- تزايد خَيْرُه وتكاثَرَ، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٢- تزايد عن كُلِّ شيء، وتعالى عنه في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأصل لفظ ﴿تَبَارَكَ﴾: يدل على البقاء، وهو مأخوذ من بروك البعير، ومن بروك الطير على الماء، وسُمِّيَتْ البِرْكةُ بِرْكةً لثبوت الماء فيها، **والمعنى:** أنه سبحانه وتعالى باقٍ في ذاته أزلاً وأبداً مُمْتَنِعُ التَّغَيُّرِ، وباقٍ في صفاته مَمتنِعُ التبدُّل، ولَـمَّا كان سبحانه وتعالى هو الخالق لوجوهِ المنافعِ والمصالِحِ والمُبقي لها، وَجَبَ وصفُه سبحانه بأنه تبارك وتعالى[٣].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٤/ ٣).

(٢) تفسير ابن كثير، (٥/ ١٤١).

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٣٩)، تفسير البيضاوي، (٤/ ٢٠٥).

فهذا بيانٌ لعظمة الله الكاملة، وتفـرُّده بالوحدانية من كلٍّ وجه، وكثرة خيـراته وإحسـانه، فمـعنى ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعَـاظَمَ وكَمُلت أوصـافُهُ، وكَـثُرت خيـراتُه، والتي أعظَمُهـا وأفضَلُها أَنْ نَزَّلَ هذا الفُـرقانَ، الفـارقَ بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السَّعادة من أهل الشَّقاوة(١).



المطلب السادس
اقترانُ أسماءِ اللَّه بتنزيل القرآن

فمن مظاهر عظمـة القرآن العظيم **أن اللَّه تعالى عَـرَّف ببعض أسـمائه الحسنى**، ذات الأثر البالغ فـي حياة العـباد عند الحديث عن تـنزيل القرآن، ليكون إقبالُهم على الكتاب المُنزَّل إقبالَ مَنْ يعرف قدره ويدرك شأنه وعظمته، ويعلم أَنَّ مَنْ أنزله يملك تنفيذ وعده ووعيده.

فمن ذلك قوله تعالى: **﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ② كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [فصلت: ١-٣].

وقوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ㊶ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت: ٤١-٤٢](٢).

قال الشنقيطي -رحمه الله- عند تفـسيره لقوله تعالى: **﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ**

(١) انظر: تفسير السعدي، (٣/ ٤٢٥)

(٢) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السور التالية: (آل عمران: ١-٣)، (يس: ١-٥)، (الزمر: ١-٢)، (غافر: ١-٢)، (الشورى: ١- ٣)، (الجاثية، الأحقاف: ١-٢).

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]:

«**دَلَّ استقراءُ القرآنِ العظيم، على أن اللَّه جلَّ وعلا، إذا ذَكَرَ تنزيلَه لكتابه، أَتْبَعَ ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمِّنة صفاته العليا.** ففي أول هذه السُّورة الكريمة، ولَمَّا ذَكَرَ تنزيله كتابه، بَيَّنَ أن مبدأ تنزيله كائن منه جلَّ وعلا، وذكر اسمَه؛ الله، واسمَه العزيز، والحكيم، وَذَكَرَ مثْلَ ذلك في أوَّلِ سورة الجاثية، في قوله تعالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١-٣]، وفي أول سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ١-٣].

وقد تكرر كثيراً في القرآن، ذِكْرُهُ بَعْضَ أسمائه وصفاته، بعد ذِكْرِ تنزيل القرآن العظيم، . . .

ولا يخفى أَنَّ ذِكْرَهُ جلَّ وعلا هذه الأسماءَ الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيلَ هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح، على عظمةِ القرآن العظيم، وجَلالة شأنه وأهميةِ نُزوله»(١).

بمعنى: أنَّ عظمة القرآن من عظمة هذه الأسماء الحسنى، والتي ينعكس من جلالها على هذا القرآن ما يجعله وحده ﴿الْكِتَابِ﴾ والكتابُ لاريب.



(١) أضواء البيان، (٧/ ٤١ - ٤٢).

المطلب السابع
نزوله في أفضل الأزمنة

الأزمان ليس لها شأن في ذاتها، وإنَّما هي بما ينزل فيها، وما يحدث، ومن مظاهر عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى نزَّله في أفضل الأزمنة؛ في شهر رمضان المبارك، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد نُزِّلَ في ليلة مباركة من هذا الشهر المبارك، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣-٤].

وهذه اللَّيلة المباركة هي ليلة القدر والشَّرف والرِّفعة التي قال فيها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣].

«وفي ضمير العظمة وإسناد الإنزال إليه تشريف عظيم للقرآن»(١).

«فبركةُ الليلة التي أُنزِل فيها القرآن بركةٌ قَدَّرها اللهُ لها قبل نزول القرآن ليكون القرآن بابتداءِ نزوله فيها مُلابِساً لِوقت مبارك فيزداد بذلك فَضْلاً وشرفاً، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا اللهُ ببعضها»(٢).

وسُمِّيت ليلة القدر بهذا الاسم، لأن قَدْرَها وشرفَها عند الله عظيم، **ومعلوم أنَّ قدرَها وشرفَها ليس بسبب ذلك الزَّمان؛ لأن الزمان شيء واحد في الذَّات والصِّفات، فيمتنع أن يكون بعضُه أشرف من بعض لذاته، فثبت أنَّ قدرَه وشرفَه بسبب أنه حصل فيه أمور شريفة عالية، لها قدر عظيم،** ومرتبة

(١) التحرير والتنوير، (٣٠/٤٠٢).
(٢) المصدر نفسه، (٢٥/٣٠٨).

رفيعه، ومعلوم أن منصب الدِّين أعلى وأعظم من منصب الدنيا، وأعلى الأشياء وأشرفُها منصباً في الدِّين هو القرآن، لأجل أنَّ به ثبتت نبوة محمد ﷺ، وبه ظهر الفَرْقُ بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزلة، وبه ظهرت درجات أرباب السَّعادات، ودركات أرباب الشَّقاوات، فعلى هذا لا شيءَ إلاَّ والقرآنُ أعظم قدراً، وأعلى ذِكراً، وأعظم منصباً منه.

ولو كان نزولُه إنَّما وقع في ليلة أخرى سوى ليلة القدر، لكانت ليلة القدر هي الثَّانية لا الأُولى، وحيث أجمع أهل العلم على أن ليلة القدر وقعت في رمضان، علِمْنا أن القرآن إنما أُنزل فيها[1].



المطلب الثامن
نزوله بأرقى اللُّغات وأَجْمَعِها

لقد اختار اللهُ - عزَّ وجَلَّ - اللغةَ العربيةَ لتكون لغة آخِرِ كُتُبِه، وهذا الاختيار مِنَ الحقِّ - عزَّ وجَلَّ - لهذه اللغة العظيمة إنما يعود إلى ما تمتاز به مِنْ مرونة واتساعٍ وقُدرة على الاشتقاق، والنَّحت والتَّصريف، وغِنى في المفردات والصِّيَغ والأوزان[2].

فكل دارس للُغَات العالَم يُقرُّ بأنَّ اللُّغة العربية هي أرقى اللُّغات وأجمعُها للمعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة، وأحسنُها تهذيباً، وأكثرُها

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٧/٢٠٣ - ٢٠٤).

(٢) انظر: لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها، د. إبراهيم بن محمد أبو عباة، (ص١١ - ١٢).

إيضاحاً وبياناً للمطلوب.

وهذا يدل على عظمة القرآن أنه نزل بأشرف اللغات وأرقاها: اللغة العربية. ولذلك أشاد القرآن العظيم بها في عدة آيات، منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: ٢][١].

وإنْ سأل سائل فقال: لماذا أُنزل القرآن العظيم باللغة العربية دون غيرها من لغات العالَم:

فجوابه فيما يأتي:

لقد «أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتاباً مُخاطَباً به كُلَّ الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بِلُغَةٍ هي أفصحُ كلامٍ بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسبابٍ يلوحُ لي منها، أنَّ تلك اللغة أوفَرُ اللغات مادة، وأقلُّها حروفاً، وأفصحُها لهجة، وأكثرُها تصرُّفاً في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرُها ألفاظاً، وجَعَلَهُ جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نَظْمِ تراكيبها من المعاني، في أقلِّ ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قِوامُ أساليبه جارياً على أسلوب الإيجاز؛ فلذلك كَثُرَ فيه مالم يكثرْ مِثله في كلام بلغاء العرب»[٢].

والعربُ أمَّة جُبِلَتْ على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دَعامة

---

(١) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السور التالية: (الرعد: ٣٧)، (النحل: ١٠٣)، (طه: ١١٣)، (الشعراء: ١٩٢-١٩٥)، (الزمر: ٢٧-٢٨)، (فصلت: ٣)، (الشورى: ٧)، (الأحقاف: ١٢).

(٢) التحرير والتنوير، (١/ ٩٥-٩٦).

فطنتهم وذكائهم أُقيمت أساليبُ كلامهم؛ لأجل ذلك كَثُرَ في كلامهم المَجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية، والتَّعريض، والاشتراك والتَّسامح في الاستعمال كالمبالغة، والاستطرادُ ومستتبعاتُ التراكيب، والأمثالُ، والتَّلميح، والتَّمليح، واستعمال الجملة الخبرية في غير إفادة النِّسبة الخبرية، واستعمال الاستفهام في التقرير أو الإنكار، ونحو ذلك.

وَملاكُ ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلِّم بأوضح عبارة وأخْصَرِها ليسهل اعتلاقها بالأذهان؛ ولَمَّا كان القرآنُ وحياً من العَلاَّم سبحانه أراد أن يجعله آيةً على صِدْق رسوله، وتحدَّى بُلغَاءَ العرب بمعارضة أقصر سورة منه، فقد نُسِجَ نَظْمُهُ نَسْجاً بالغاً مُنتهى ما تسْمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظاً ومعنى.

فجاء القرآن على أسلوبٍ أبدعَ مما كانوا يعهدون وأعجب، فأعجزَ بُلَغَاءَ المعاندين عن معارضته ولم يَسَعْهم إلاَّ الإذعانُ، سواء في ذلك مَنْ آمن منهم، مثل: لبيد بن ربيعة[1] وكعب بن زهير[2] والنابغة الجعدي[3]، ومَن

---

(١) هو الصَّحابي الجليل: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، الشَّاعر المشهور، أسلم مع وَفْد قومه فحسن إسلامه، وترك الشعر بعد الإسلام، توفي سنة (٤١هـ)، وعمره: (١٤٠) سنة. «انظر: أسد الغابة، (٤/ ٢٦٠ - ٢٦١)».

(٢) هو كعب بن زُهَيْر بن أبي سلمى المازني، شاعر، من أهل نجد، اشتهر في الجاهلية، ولَمَّا ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبيُّ ﷺ دمَه، فجاءه كعب مستأمناً، وقد أسلم، وأنشد لاميَّته المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»، فعفا عنه النبيُّ ﷺ وخلع عليه بردته، توفي سنة (٢٦ هـ).
«انظر: معجم المؤلفين، (٢/ ٦٦٩). الأعلام، (٥/ ٢٢٦)».

(٣) هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بنِ عامر بن صعصعة العامري الجعدي، طال عمره في الجاهلية والإسلام، وهو أسنُّ من النابغة الذبياني، عاش: (١٨٠) سنة - فيما يُقال -، وكان يَذْكُر في الجاهلية دينَ إبراهيم - عليه السَّلام - =

استَمَرَّ على كفرِه عناداً، مثل: الوليد بن المغيرة[١].

فالقرآن من جانب إعجازه تكون معانيه أكثر من المعاني المعتادة التي يُودعها البلغاءُ في كلامهم. **وهو لكونه كتابَ تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقاً بأن يُودَعَ فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ، في أقلِّ ما يمكن من المقدار،** بحسب ما تسمح به اللغةُ الواردُ هو بها، والتي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى[٢].

وإذا «قِيسَ اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة فليس من اللغات لغة أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها، وقواعدها، ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعها، بمقياس بسيط واضح، لا خلاف عليه، وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فإن اللغة العربية تَستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه، ولا تهمل وظيفةً واحدةً من وظائفه، كما يَحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية، فلا الْتباس في حرف من حروفها بين مخرجين، ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين، . . . وقد تشاركها اللغات في بعض هذه المزايا، ولكنها لا تجمعها كما جمعتها، ولا تفوقها في واحدة منها»[٣].

= ويَصوم ويَستغفر، ووَفَد على رسول الله ﷺ فأسلم، وعاش إلى زمن ابن الزُّبير ومات بأصبهان، وكان من أصحاب عليٍّ رضي الله عنه.

«انظر: أسد الغابة، (٤/ ٥١٦ - ٥١٧). الإصابة، (٣/ ٥٣٧-٥٤٠)».

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية، ولد سنة (٩٥ ق.هـ.) من زنادقة قريش وزعمائها، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون، وهو والد خالد بن الوليد سيف الله المسلول.

«انظر: الكامل، لابن الأثير (٢/ ٢٦)».

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١/ ٩١).

(٣) أشتات مجتمِعات في اللغة والأدب، لعباس محمود العقاد (ص١١-١٢).

قال ابن فارس:[١] «قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلاَّ نبي، وهذا كلام حريٌّ أن يكون صحيحاً، وما بلغَنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة العربية كلها».

وقال أيضاً:[٢] «قال بعض علمائنا - حين ذُكِرَ ما للغرب من الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم، والتأخير، وغيرها من سنن العرب -: ولذلك **لا يقدر أحد من التَّراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نُقِلَ الإنجيلُ عن السِّريانية إلى الحبشية والرومية، وتُرجمت التوراةُ والزبورُ وسائر كتب اللَّه عزَّ وجَلَّ بالعربية؛ لأنَّ العَجَمَ لم تَتَّسِعْ في المجاز اتِّساعَ العرب**».

وقال كذلك:[٣] «ومما لا يمكن نقله البتَّةَ أوصاف السَّيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة، ومن المعلوم أن العَجَمَ لا تعرف للأسد اسماً غير واحد.

أما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم، وحدَّثني أحمد بن محمد بن بندار، قال: سمعت أبا عبد الله بن خَالَوْيه الهمذاني[٤] يقول: جَمَعْتُ للأسد خمسمائة اسم، وللحيَّة مائتين...».

---

(١) الصحابي، (ص٢٦).
(٢) المصدر نفسه، (ص١٧).
(٣) المصدر نفسه، (ص٢١).
(٤) هو الحسين بن أحمد بن خَالَوْيه بن حمدان الهمذاني (أبو عبد الله). نحويٌّ، لغويٌّ. أصله من همذان، ودخل بغداد، وأدرك جلَّةً من العلماء بها، فأخذ عن أبي بكر الأنباري، وأبي بكر بن دريد، وأبي عمر الزاهد، وقَدِمَ الشَّام، وصحب سيف الدولة، ووقع بينه وبين المتنبي منازعات. ومن تصانيفه: «الاشتقاق»، و «الجمل في النحو»، و «البديع في القراءات»، و «شرح الممدود والمقصور»، و «شرح مقصورة ابن دريد»، وله شعر. توفي بحلب سنة (٣٧٠هـ). «انظر: وفيات الأعيان، (١/١٩٧). معجم الأدباء، (٩/ ٢٠٠-٢٠٥). معجم المؤلفين، (١/٦٠٢)».

المطلب التاسع
تيسير فهم القرآن وتلاوته للعالَمين

فَمِنْ مظاهر عظمة القرآن العظيم أنَّ الله -تبارك وتعالى- يسَّر فهمَه وتلاوتَه للعالمين حتى لا يكون لهم على الله حجة إذا لم يحيطوا بمعانيه، ويعلموا ما جاء فيه، ويدل على ذلك:

* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

* وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧][1].

لقد نوَّه الله تعالى بشأن القرآن العظيم وأخبر أنه يَسَّرَهُ وسَهَّلَهُ ليتذكَّرَ الخَلْقُ ما يحتاجونه من التَّذكير، مما هو هدى لهم وإرشاد لمصالحهم الشرعية.

وهذا التيَّسير ينبئ بعناية الله بالقرآن، كما قال تعالى عنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وفي هذا التَّيسير تبصرة وحثاً للمسلمين ليزدادوا إقبالاً على مُدارسته، وتعريضاً بالمشركين عسى أن يَرْعَوُوا عن صدودهم عنه، كما أنبأ عنه قولُه تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

والتَّيسير: إيجاد اليُسر في الشيء، سواء كان فعلاً، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. أو قولاً كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

---

(١) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السور التالية: (الدخان: ٥٨)، (الإسراء: ٨٩)، (الكهف: ٥٤)، (الروم: ٥٨)، (الزمر: ٢٧).

وسبب تيسيره: أنه نزل بأفصح اللغات وأبينها، وجاء على لسان أفضل الرسل ﷺ.

واليُسْر: السهولة، وعدم الكلفة في تحصيل المطلوب.

ومعنى تيسيره: يرجع إلى تيسير ما يراد منه، وهو فهم السامع المعاني التي عناها المتكلِّم به بدون كلفة على هذا السامع ولا إغلاق، كما يقولون: يدخلُ لِلأُذُن بِلا إذنٍ.

وهذا اليسرُ يشمل الألفاظَ والمعاني.

فأَمَّا الألفاظُ: لأنها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب، أي فصاحة الكلام، وانتظام مجموعها، بحيث يَخِفُّ حِفظُها على الألسنة.

وأَمَّا المعاني: فبوضوحها ووفرتها، وبتولد مَعانٍ مِنْ مَعانٍ أُخَر كُلَّما كَرَّرَ المتدبِّرُ تدبُّرَه في فَهْمِها[(١)].

ولقد ذكر الرازي رحمه الله عِدَّةَ أوجهٍ في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾.

وهي كالتالي:

١- سهَّلناه للحِفظ، ولم يكن شيء مِنْ كُتُبِ الله تعالى يُحفظ عن ظهر قلب غير القرآن.

٢- سهلناه للاتعاظ، حيث أتينا فيه بكل حِكمة.

٣- جعلناه يعلق بالقلوب ويُستلذ سماعُه، ومَنْ لا يفهم يتفهَّمه، ولا يُسأم من سماعه وفهمه، ولا يقول قد علمت فلا أسمعه، بل كل ساعة يزداد

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٤٤)، (٢٧/ ١٨٠-١٨١).

منه لذةً وعلماً.

٤- أن النبيَّ - ﷺ - لَمَّا ذُكِّرَ بحال نُوحٍ عليه السَّلام وكان له معجزة، قيل له: إن معجزتك القرآن ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ تذكرةً لكل أحد، وتتحدَّى به في العالَمِ ويبقى على مر الدُّهور، ولا يَحتاج كُلٌّ من يحضُرك إلى دعاء ومسألة في إظهار معجزة، وبعدك لا يُنكِرُ أحَدٌ وقوعَ ما وقع، كما يُنكر البَعضُ انشقاقَ القمر[١].

أمَّا بعد: فهذا التَّيسير حقٌّ لاريبَ فيه، فأين الذَّاكرون ذلك؟!! تلك هي المشكلة!



المطلب العاشر
حِفْظُ اللَّه للقرآن

أ- نوه الله سبحانه بعظمة القرآن، بِذِكْرِ حِفْظِه له قبل نزوله في آيات عدة منها:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦][٢].

ب- أما حِفْظُ الله تعالى للقرآن أثناء نزوله.

فيدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، (٢٩/ ٣٨-٣٩).

(٢) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السور التالية: (الزخرف: ٣-٤)، (الواقعة: ٧٥-٨٠)، (البروج: ٢١-٢٢).

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

ج - وأما حِفْظُ الله تعالى للقرآن بعد نزوله:

فيدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ولحفظ الله إيَّاه فقد بقي كما هو: طَوداً أشمَّ، عزيزاً لا يُقْتَحمُ حِماه، وكلُّ محاولة لتغيير حرف منه مقضيٌّ عليها بالفشل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢][1].

ولقد أولى اللهُ - تبارك وتعالى - كلامَه العظيم كل عناية وتقدير في العالم العلوي، وذلك بجعله مكتوباً في لوح محفوظ، فلا يُظْهِرُ على غيبه أحداً إلاَّ من ارتضى من رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، وحَمَلَهُ بأيدي سفرة كرام بررة ليبلغه إلى نبيه ومصطفاه ﷺ.

فالقرآن العظيم مُسَجَّلٌ في أُمِّ الكتاب، ومكنون في لوح محفوظ، فهو مصون في السماء عن كل ما يَثْلُمُه ولا يليق به، وذلك كَمَالٌ له وعنايةٌ به[2].

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

«**والكتاب المكنون**: مستعار لموافقة ألفاظ القرآن ومعانيه ما في عِلمِ الله

---

(١) تأمَّلْ نماذجَ لذلك أيضاً في أرقام آيات السورتين التاليتين: (الأنعام: ١٠٥)، (الكهف: ٢٧).

(٢) انظر: عناية الله وعناية رسوله بالقرآن الكريم، (٩-١١).

تعالى وإرادته وأمره المَلَكَ بتبليغه إلى الرسول ﷺ، وتلك شؤون محجوبةٌ عنَّا، فلذلك وَصَفَ الكتابَ بالمكنون اشتقاقاً من الاكتنان - وهو الاستتار - أي: محجوب عن أنظار الناس، فهو أمر مُغَيَّبٌ لا يعلم كُنْهَهُ إلاَّ الله.

وحاصلُ ما يفيد معنى الآية: أن القرآن الذي بَلَغَهُمْ وسمعوه مِنَ النبي ﷺ هو موافق لِمَا أراد اللهُ إعلامَ الناسِ به، وما تعلَّقت قدرته بإيجاد نظمه المعجز، ليكمل له وصف أنه كلام الله تعالى، وأنه لم يَصْنَعْهُ بشر»[1].

ولَمَّا أنكر الذين كفروا القرآن واستهزؤوا بالرسول ﷺ وقالوا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾** [الحجر: ٦].

ردَّ الله تعالى إنكارهم واستهزاءهم بأبلغ رد وأوكده فقال: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩]. أي: بِقُدْرتنا وعِظَمِ شأننا وعلو جنابنا نَزَّلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بسببه إلى الجنون.

وَمِنْ ثم فلا يمكن تطرُّق الخلل إليه على الدوام، ولا يحق لأحد الطعن فيه. إذ لو كان من عند غير الله لتطرق إليه الخلل والاختلاف، وَلَحَقَتْهُ الزيادةُ والنَّقْصُ، وأصابه الطَّعْنُ والتناقض. وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [النساء: ٨٢].

ثم قرر أنه عزَّ وجَلَّ المتولِّي حِفْظَهُ عن كل ما لا يليقُ به أو يقدحُ فيه من التَّحريف والتَّبديل والزيادة والنقص ونحو ذلك. وأنه - جَلَّ شأنهُ - المتكفل برعايته من إمكانية معارضته، بأنْ جَعَلَهُ معجزاً مبايناً لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللغة التي نزل بها فقال: **﴿وَإِنَّا لَهُ**

(١) التحرير والتنوير، (٢٧/ ٣٠٤).

لحَافِظُونَ﴾.

يقول أبو السعود رحمه الله[١]: «وفي سَبْكِ الجملتين مِنَ الدَّلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى.

وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ».

المقصود بالحفظ:

«شمل حفظُه الحفظَ من التَّلاشي، والحفظ من الزِّيادة والنُّقصان فيه، بأَنْ يَسَّر تواتره وأسباب ذلك، وسلَّمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأُمَّةُ عن ظهور قلوبها مِنْ حياة النبيِّ ﷺ، وصار حُفَّاظُه بالغِين عدد التواتر في كلِّ مِصْر.

وقد حكى عِياض[٢] في «المدارك»: أن القاضي إسماعيل بن إسحاق ابن حماد المالكي البصري[٣] سُئِل: عن السر في تطرق التَّغيير للكتب السَّالفة وسلامة القرآن مِنْ طَرْقِ التغيير له؟ فأجاب: بأنَّ اللهَ أَوْكَلَ للأحبار حفْظَ كتبهم فقال: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وتولَّى حَفْظَ

---

(١) تفسير أبي السعود، (٥/ ٦٩).

(٢) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي السَّبتي، إمام وقته ببلاد المغرب، في الحديث وعلومه والنَّحو واللُّغة، وله مصنفات جيِّدة، منها: «التنبيهات»، و «مشارق الأنوار»، و «شرح كتاب مسلم»، واشتُهر بالذَّكاء وحُسن السِّيرة، توفي سنة (٥٤٤)، وكانت ولادته سنة (٤٧٦هـ).

«انظر: وفيات الأعيان، (٣/ ٤٨٣-٤٨٥). الأعلام، (٥/ ٩٩)».

(٣) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي، فقيه مالكي، ولد سنة (٢٠٠هـ)، له مؤلفات منها: «المبسوط»، و «شواهد الموطأ»، و «الأصول»، و «السنن». توفي سنة (٢٨٢هـ).

«انظر: طبقات الفقهاء، للشيرازي (ص ١٦٤ - ١٦٥). الأعلام، (١/ ٣١٠)».

القرآن بذاته تعالى فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ »[١].

«ولكي نعرف دقَّةَ حفْظ الحقِّ سبحانه لكتابه الكريم؛ نجد أن البعض قد حاول أَنْ يُدْخِلَ على القرآن مَا ليس فيه، وحاول تحريفه من مدخل، يَرَوْنَ أنه قريب من قلب كل مسلم، وهو توقير الرسول ﷺ؛ وجاؤوا إلى قول الحقِّ سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

وأدخلوا في هذه الآية كلمة ليست فيها، وطبعوا مصحفاً غَيَّروا فيه تلك الآية بكتابتها (محمد رسول الله ﷺ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأرادوا بذلك أن يسرقوا عواطف المسلمين، ولكن العلماء عندما أمسكوا بهذا المصحف أمروا بإعدامه وقالوا: (إن به شيئاً زائداً)، فَرَدَّ مَنْ طَبَعَ المصحفَ: (ولكنها زيادة تُحبونها وتُوقِّرونها)، فَرَدَّ العلماءُ: (إن القرآن توقيفيٌّ؛ نقرؤه ونطبعه كما نزل) »[٢].

مِنْ تدبير الله لحفظ كتابه:

نعلم أَنَّ الله تبارك وتعالى قد هَيَّأ للقرآن العظيم ظروفاً تختلف عن الكتب السَّابقة فَحَفَظَهُ دونها، ومن ذلك:

١- هيَّأ له **أُمَّةً قويةً في ذاكرتها وحافظتها**؛ ذلك أَنَّ العربَ الأوائل في جاهليتهم كانوا متمكِّنين من ذلك، حيث يروون ألوفاً من أبيات الشِّعر بغير تدوين، إنَّما يعتمدون في ذلك على الحفظ.

٢- هيَّأ للقرآن العظيم **سهولةَ الحفظ**: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

---

(١) التحرير والتنوير، (١٣ / ١٧-١٨).

(٢) تفسير الشعراوي، (١٢/ ٧٦٥٣).

مِن مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٣- هيَّأ له أُمَّةً مستقرةً مُمكَّنةً في الحفظ، والفهم، والأمانة، فكان الحُفَّاظُ يحفظونه على يدي رسول الله ﷺ حتى يُتْقنُوا الحفظ، ثم يُدوِّنونه بعد ذلك، ويقف عليهم ﷺ بنفسه في مراجعة ذلك.

٤- هيَّأ له مراجعةَ النبيِّ ﷺ له في الملأ الأعلى، حيث كان يحفظ ما يوحى إليه ثم يُراجِعُهُ على جبريلَ عليه السَّلام مرةً كلَّ سنة، وفي السَّنَة الأخيرة من حياته المباركة راجع جبريلُ القرآنَ كُلَّه على رسول الله ﷺ مرتين.

٥- بعد الفراغ من تدوينه **لم يَعُدْ هناك مجال لعبث عابث**، وظَلَّ الحُفَّاظُ المُتقنون يُراجعون كلَّ نسخة تُكتب من المصحف مراجعة فاحصة ولمَّا أصبح للمصحف مَطابعُ خاصة، كُوِّنَتْ لجان متخصِّصةٌ ومتأهِّلَةٌ من كبار حُفَّاظِ العالم الإسلامي تُراجعُ وتُدقِّق كُلَّ حرف منه قبل أن تأذن بطبعه.

وبهذه الوسائل تَحَقَّقَ للقرآن العظيم ذلك الحفظ الذي قَدَّرَهُ الله له منذ الأزل وهو في اللَّوح المحفوظ، وأنجز وَعْدَهُ الصَّادقَ: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩]. وهذا الحفظ من أبرز مظاهر عظمة القرآن الكريم[(١)].

ومن آثار ذلك:

١- قَطْعُ أطماعِ الرَّاغبين في تحريفه.

٢- شعور المسلمين بنعمة الحفظ، وما يترتَّب عليه من ثقة مطلقة، وبراءةٍ من الشَّك الذي تورَّط فيه غيرُنا.

---

(١) انظر: ركائز الإيمان، (ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

المطلب الحادي عشر
عالميّة القرآن

لقد زعم أعداءُ الإسلام أنَّ القرآنَ العظيم كتاب تاريخي، خاطب عصراً محدَّداً فقط ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك، ولم يَبْقَ له في الواقع المعاصر أدنى تأثير!

ونحن المسلمين نعتقد اعتقاداً جازماً لامرية فيه، أن القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميعَ البشر إلى يوم القيامة، فلم يُقَيَّدْ بزمان، ولا بمكان، ولا جنس، ولا طبقة، بل هو موجَّهٌ إلى الثَّقلين، خاطبهم جميعاً بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكيمة، والأحكام الرَّفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على عالمية القرآن، ومن الصعوبة بمكان استقصاء جميع الآيات التي تحدَّثت عن عالمية القرآن[١].

وقد ذَكَرَ بعضُهم: «أنَّ عدد الآيات الدَّالة على عالمية القرآن تزيد على ثلاث مائة وخمسين آية»[٢].

---

(١) تأمل نماذج للآيات التي تدل على عالمية القرآن في أرقام آيات السور الآتية: (البقرة: ١٨٥)، (النساء: ١، ٧٩، ١٧٠، ١٧٤)، (الأعراف: ١٥٨)، (يونس: ٥٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨)، (يوسف: ١٠٤)، (الإسراء: ٨٩، ٩٤، ١٠٥، ١٠٦)، (الأنبياء: ١٠٧)، (الحج: ١، ٥، ٢٧، ٤٩، ٧٣)، (الفرقان: ١، ٥٠، ٥١، ٥٦)، (الأحزاب: ٤٥، ٤٦)، (سبأ: ٢٨)، (فاطر: ٢٤)، (ص: ٨٧)، (القلم: ٥٢)، (التكوير: ٢٧).

(٢) دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، د. محمد خليل جيجك، (ص١٣٢).

وهناك أربع آيات تُعْلِن بكل وضوح أنَّ القرآن ذِكْـرٌ لجميع العالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، [ص: ٨٧]، [القلم: ٥٢]، [التكوير: ٢٧].

والمتأمِّلُ في ألفاظ هذه الآيات الأربع، وتعبيراتها، يجد مقصودَهُ منها على عالمية القرآن، وقد استنبط بعض علماء التفسير من هذه الآيات الآتي:

أولاً: أنها **جاءت بصيغة الحصر**[١]، فهذه الصِّيغَة الحصرية تنفي عن القرآن كُلَّ صفةٍ تنافي عالميَّته، وتجعل عالميته منصوصاً عليها بكل وضوح.

ثانياً: **أنه مُذكِّرٌ للعالَم أجمع**، باعتبار أنه مخاطَبٌ به الإنس والجن، فهو يُذكِّرُهم ويُخاطبهم بما يحتاجون إليه فرداً وأسرةً ومجتمعاً ودولة.

ولفظ: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ عام للإنس والجن، ممن عاصروا النبيَّ ﷺ، وممن جاؤوا بعده إلى قيام الساعة[٢].

ثالثاً: العالَمين جَمْعٌ عُرِّفَتْ بـ (ال) فتدل على معنى الاستغراق. فالجمع المُعَرَّفُ بـ (ال) من صِيَغ العُمُوم في اللُّغة العربية.

ولفظ (**عالَم**) مفرد العالمين، فهو يَعُمُّ كُلَّ ما في الكون، فإذا جُمع بالواو والنون يكون خاصاً بالعقلاء من الإنس والجن أجمعين.

فدلت لفظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ على أَنَّ القرآنَ العظيم ذِكْرٌ لجميع عقلاء الإنس والجن بلا تقييد من مكان، أو زمان، أو طبقة، أو جنس.

يقول الرازي رحمه الله[٣]: «لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/ ١٢٥).

(٢) انظر: تفسير أبي حيان، (٦/ ٤٨٠). تفسير ابن عطية، (٤/١٩٩).

(٣) التفسير الكبير، (٢٤/ ٤٠).

فدلَّت الآية على أنه رسولٌ للخَلْقِ عامة إلى يوم القيامة».

ولاريب أن عموم رسالة النبيِّ ﷺ يتحقَّقُ بعالميَّة كتابه الذي أُرسل به إلى الناس كافة «يتذكَّرون به ربَّهم، ومـا له من صفات الكمال، وما يُنَزَّهُ عنه من النقـائـص، والرذائل، والأمـثـال. ويتـذكـرون بـه الأوامـرَ والنواهي، وحِكمَها. ويتذكرون به الأحكام القدريةَ، والشرعيةَ، والجزائية.

وبالجـمـلة، يتـذكَّـرون به مـصـالحَ الـدَّارَين، وينالون بالعـمل به السَّعادتين»(١).

ومن الآيات التي صَرَّحت بعالمية القرآن العظيم:

١- قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٨٩].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

٥- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

يقول ابن عاشـور - رحمه الله - (٢) في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: «صِيغَتْ بأبلغ نَظْمٍ؛ إذ اشـتـملـت هـاته الآية

(١) تفسير السعدي، (٥/ ٣٧٩).

(٢) التحرير والتنوير، (١٧/ ١٢١).

- بوجازة ألفاظها - على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ومدحِ مُرسِلِه تعالى، ومدحِ رسالته بأن كانت مَظْهَرَ رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنها رحمةُ الله تعالى بِخَلقِه.

فهي تشتمل على أربعةٍ وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عُطِفَتْ به، ذُكِرَ فيها الرسولُ، ومرسِلُه، والمرسَلُ إليهم، والرسالةُ، وأوصافُ هؤلاء الأربعة، مع إفادة عمومِ الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير ﴿رَحْمَةً﴾ للتعظيم؛ إذ لامقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم، وإلاَّ لقيل: إلاَّ لنرحم العالَمِين، أو إلاَّ أنك الرحمة للعالَمِين. وليس التنكير للإفراد قطعاً لظهور أنَّ المرادَ جِنْسُ الرحمة، وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم. فهذه اثنا عشر معنى خصوصياً، فقد فاقت أَجْمَعَ كلمةٍ لبلغاء العرب، وهي:

قِفا نَبْكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزل

إذ تلك الكلمة قُصاراها كما قالوا: «أنه وَقَفَ واستوقف وبكى واستبكى وذَكَرَ الحبيبَ والمنزلَ» دون خصوصيةٍ أزيد من ذلك فَجَمَعَ ستةَ معانٍ لاغير».

ويتحدَّث ابن القيِّم رحمه الله **عن عموم الآية** فيقول: (١)

«أَصَحُّ القولين في هذه الآية: أنها على عمومها.

وفيها على هذا التَّقدير وجهان:

أَحَدُهما: أن عموم العالَـمين حصل لهم النفع برسالته.

أمَّا **أتباعه** فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

(١) جلاء الأفهام، (ص١٨١ -١٨٢).

وأمَّا **أعداؤه المحاربُون له**: فالذين عُجِّلُ قتلُهم وموتُهم خَير لهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كُتِبَ عليهم الشقاء، فتعجيلُ مَوتِهِم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأمَّا **المعاهدُون له**: فعاشوا في الدنيا تحت ظِلِّه وعهدِه وذِمَّته، وهم أَقَلُّ شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأمَّا **المنافقون**: فحصل لهم بإظهار الإيمان به حَقْنُ دمائهم، وأموالِهم، وأهليهم، واحترامُها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث، وغيرها.

وأمَّا **الأمم النائية عنه**: فإن الله سبحانه رَفَعَ برسالته العذابَ العامَّ عن أهل الأرض، فأصاب كُلَّ العالمين النَّفْعُ برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمةٌ لكل أحد، لكن المؤمنون قَبِلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار رَدُّوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمةً لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواءٌ لهذا المرض. فإذا لم يستعمِلْه لم يخرج عن أن يكون دواءً لذلك المرض».

وهناك كلمات وتراكيب في القرآن تُخاطبُ الناس كافة بلا تقييد بجنس أو زمن أو مكان أو طبقة، مما يوحي بعالمية القرآن، وخلودِ أحكامه إلى الأبد، ومن هنا نلحظ أن القرآن يستعمل خطابَ العمومِ دون الخصوص[1]، والإطلاقِ دون التقييد، وقَلَّما تُذكَر المُخَصِّصات والمحدِّدات والمقيِّدات؛ كالأمكنة المحددة، أو الأزمنة الخاصة، أو الأشخاص المعيَّنة، وإذا ما وقعت حاجة أثناء البيان القرآني للتخصيص بصفة أو نحوها؛ فإنما ينتقي القرآنُ منها صفات عامة، خصوصيتها أقل: كالمؤمنين، والمتقين، والصالحين،

---

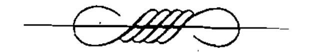
(١) من التراكيب والتعبيرات العالمية، الواسعة الدلالات والمفاهيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. مما يعم كل فرد من غير فرق، على الرغم من ضيق الدائرة البشرية التي نَزَلَ فيها القرآن آنذاك.

والكافرين، والمنافقين، والغافلين، وأمثالها مما لا يختص بجنس أو طبقة، دون أن يُقَيِّدَ ذلك بالحجازيين، أو المكيين، أو المدنيين مثلاً مما يُضَيِّقُ دائرة اللفظ.

تأمَّلْ - على سبيل المثال - في آيات الإفك، رغم أنها نزلت في أُمِّ المؤمنين عائشة ﵂ فإنك لا ترى فيها تحديداً بالاسم، أو النَّسَب، أو القرابة للمفترى عليها[(١)].

ومما يُفْصِحُ كذلك عن عالمية القرآن العظيم، ما يُذكر في معرض بيان فوائد القصص والأمثال، أنه - تبارك وتعالى - ضَرَبَ للناس، أو صَرَّف للناس من كل مثل، فيذكر الناس بصيغة الجمع، المعرَّف باللام، المفيد للاستغراق كما هو معروف عند أهل العربية[(٢)].

ومِمَّا سَبَقَ يتبين لنا أن عالمية القرآن مظهرٌ جليٌّ من مظاهر عظمته، والتي تدل بوضوح أيضاً على عظمة مُنزِّلة سبحانه وتعالى.



(١) انطلاقاً من الاتجاه القرآني إلى التعميم في غالب أحواله، ودلالاته، اتخذ علماء الفقه وأصوله في الآيات المنزَّلة لسبب خاص قاعدة: «العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب».

(٢) انظر: دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، (ص١٣٧ - ١٤١).

المطلب الثاني عشر
تَصْدِيقُ القرآن لكتب الله وهَيمنَتُه عليها

معنى «مُصَدِّق» في اللغة:

وردت لفظة «مُصَدِّق» في اللغة بمعانٍ متعددة ومتنوعة، نأخذ منها ما يدل على المقصود:

جاء في المعجم الوسيط: «صَدَّقَهُ، وصدَّقَ به، تَصْديقاً وتَصْداقاً: اعترف بصدق قوله، وحقَّقه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: ٢٠].

ويقال: صدَّقَ على الأمرِ: أقرَّه»[١].

وفي أساس البلاغة: «صَدَقَهُ الحديثَ...، وصَادَقَه ولم يُكاذِبْه، وتَصَادَقَا ولم يَتَكاذَبَا، وصَدَّقَه فيما قال... وعنده مِصْدَاقُ ذلك، وهو ما يُصَدِّقُه مِنَ الدَّليل»[٢].

قال ابن منظور:[٣] «وهذا مِصْدَاق هذا أي ما يُصَدِّقُه».

وخلاصة المعاني اللغوية لكلمة «مصدق» ما يلي:

١- الاعتراف بصدق الشيء.
٢- الإقرار على الشيء.
٣- الدَّلالة على صدق الشيء.

---

(١) المعجم الوسيط، (ص٥١٠)، مادة: «صَدَقَ».
(٢) أساس البلاغة، لمحمود بن عمر الزمخشري (ص٢٥١)، مادة: «ص د ق».
(٣) لسان العرب، (١٠/ ١٩٥)، مادة: «صدق».

معنى «هيمن» في اللغة:

وردت لفظة «هيمن» في اللغة بعدة معانٍ أيضاً، نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا:

جاء في المعجم الوسيط: «هيمن فلان: قال: آمين. و - على كذا: سيطر عليه، وراقبه، وحفظه...

والمهيمن: من أسماء الله تعالى، بمعنى الرَّقيب المسيطر على كل شيء، الحافظ له.

وفي التنزيل العزيز: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]»[١].

وفي مختار الصحاح: «المُهَيْمِنُ: الشَّاهِدُ»[٢].

وَخُلاصة المعاني اللغوية لكلمة «هيمن» ما يلي:

١- السَّيطرة.

٢-الرَّقابة.

٣- الحفظ.

٤- الشَّهادة.

ووَصْفُ القرآنِ العظيم بأنه مُهيمنٌ ومُصَدِّقٌ لكتب اللَّه يقتضي أنه:

أولاً: مُسيطرٌ عليها: بمعنى أنه الحاكم والقاضي عليها، فهو الذي يكبح جِماحَها إذا جنحت إلى الغلو والباطل، كما قال تعالى - رداً على ما زعمه

---

(١) المعجم الوسيط، (ص١٠٥)، مادة: «هيمن».

(٢) مختار الصحاح، (ص٣٢٨)، مادة: «هـ م ن».

النَّصارى في المسيح وأمِّه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ثانياً: رقيبٌ عليها: بمعنى أنه المصحِّحُ لأخبارها، الممحِّصُ لحقائقها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وذلك ردّاً على ما يزعمه النصارى أنه - عليه السَّلام - قُتِلَ فوق الصَّليب، فكان القرآن رقيباً على ذلك، فأوضح في الآية المتقدِّمة أن هذا الخبر الذي ألحقه النصارى زوراً وبهتاناً بالإنجيل المحرَّفِ، من مزاعمهم، وليس مما أُنزل على عيسى - عليه السَّلام -.

ثالثاً: حفيظٌ عليها: وهو قريب من المعنى الثاني.

رابعاً: شهيدٌ عليها: بمعنى أنه يشهد لها بالصِّحة والثَّبات، فيقرر أصولها، ويشهد بما فيها من الحقائق.

خامساً: أمينٌ عليها: بمعنى أن ما أَخْبَرَ به عنها، أو أنه فيها فهو الحقُّ، وما عداه مِمَّا زعمه أهلُها فباطل لا يُصدَّق. قال ابن جُرَيج[1]: «القرآن أمينٌ على ما قبله من الكتب، فما أَخْبَرَ أهلُ الكتاب عن كتابهم، فَإِنْ كان في القرآن فصدِّقوا، وإلاَّ فكذِّبوا»[2].

سادساً: مُعْتَرِفٌ بصدقها: بمعنى أنه مُعْتَرِفٌ بأنها من عند الله تعالى، أنزلها على رسله - عليهم السَّلام - معترف بما فيها من العقائد الصحيحة،

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج، فقيه الحرم، وإمام أهل الحجاز في عصره، روميُّ الأصلِ، من موالي قريش، مكيُّ المولد والوفاة، توفي سنة (١٥٠هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، (٦/ ٣٢٥). الأعلام، (٤/ ١٦٠)».

(٢) تفسير البغوي، (٢/ ٤٣). وانظر: تفسير الطبري، (٦/ ٢٦٦).

والكليات التي لا يختلف عليها العقلاء، كَحُبِّ الخير، والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامةِ العدل، وإحقاقِ الحقِّ إلى غير ذلك.

سابعاً: مُقَرِّرٌ لها على ما جاءت به من الحق: بمعنى أنه لا ينازعها فيما جاءت به من الحق في العقائد، والأخبار، وغيرها.

ثامناً: دالٌّ على صدْقها: بمعنى أنه هو الدليل على أَنَّ هذه الكتب من عند الله، وعلى أنَّ أخبارَها الصَّحيحة حقَّة، ذلك أَنَّ الكتبَ السابقة جاءت - مثلاً - بأوصاف نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وأوصاف أُمَّتِه، وبَشَّرت ببعثه ﷺ.

فجاء القرآن العظيم مصدِّقاً بما أَخبرت به هذه الكتب، ومطابقاً لهذه الأوصاف، فدلَّ ذلك على صدْق هذه الكتب فيما أَخبرت به في هذا المجال، وصِدْقِ كونها من عند الله تعالى(١).

والمتأمِّلُ في هذه المعاني المتقدِّمة يلحظ أنَّ بعضها يقترب من بعض، إلاَّ أنها كُلَّها وأكثَرَ منها وردت فيها نصوصٌ كثيرة من القرآن العظيم تفيد أنه تصديق، أو مُصَدِّقٌ لما تقدَّمَهُ من كتب(٢).

ولقد تعلَّق بهذه الآيات أو بعضِها أعداءُ الإسلام وخصومُه من غلاة المستشرقين والمنصِّرين، فزعموا أنها تعني سلامة الكتب السَّابقة من التَّحريف

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلِّقة بالكتب السَّماوية، د. عبد العزيز الدردير موسى، (ص٣٩٢ - ٣٩٣).

(٢) **تأمَّلْ نماذجَ للآيات التي تحدَّثَتْ عن هيمنة القرآن العظيم على سائر الكتب السابقة عليه، وتصديقه لها، في أربعة عشر نصاً من كتاب اللَّه تعالى، وهي كما يلي:**
(البقرة: ٤١، ٨٩ - ٩١، ٩٧)، (آل عمران: ٣)، (النساء: ٤٧)، (المائدة: ٤٨)، (الأنعام: ٩٢)، (يونس: ٣٧)، (يوسف: ١١١)، (طه: ١٣٣)، (الشعراء: ١٩٦)، (فاطر: ٣١)، (الأحقاف: ١٢، ٣٠).

والنَّسخ، وأن ذلك يستتبع وجوبَ العمل بهذه الكتب، كالقرآن سواء بسواء، ووضعوا في هذا المعنى بعض الكتب والرسائل[١].

تَصْدِيقُ القرآن لِمَا سَبَقَهُ من كتب الله:

فبالإضافة لِمَا تقدَّم ذكره، يكون تصديق القرآن العظيم لِمَا سبقه من كتب الله، من جهات متعددة:

الجِهَةُ الأُولى: أَثْبَتَ أنه الوحي، وقَرَّرَ إمكانية وقوعه فعْلاً، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...**﴾ [النساء: ١٦٣].

فهذا تصديقٌ لأصل الوحي وللرِّسالات السابقة، وبذلك يكون القرآن مُصَدِّقاً لما بين يديه، كما قال تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ [آل عمران: ٣].

الجِهَةُ الثانية: أَنَّ القرآنَ العظيم جاء حَسبَ وَصْفه الموجود في تلك الكتب، حيث اشتمل على وَصْفِ خاتم الرسل، وأنه يأتي بكتابٍ من عند الله تعالى، فنزول القرآن على وِفْقِ هذه النعوت تصديقٌ لهذه الكتب.

قال ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ [المائدة: ٤٨]. «أي: من الكتب المتقدِّمة المتضمِّنة ذِكْرَه ومَدْحَه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أَخْبَرت به، مما زادها صِدْقاً عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله، واتَّبَعُوا شرائِعَ الله، وصَدَّقوا رسلَ الله»[٢].

---

(١) من ذلك، رسالة بعنوان: «أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين» ومؤلِّف هذه الرسالة هو: (نيقولا يعقوب غبريل)، وطُبعت بمصر سنة (١٩٠١م).

(٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ١٥٢).

الجِهَةُ الثـالثة: أَنَّ القرآنَ العظيم وافَقَ الكتبَ السَّابقة في مـقاصد الدِّين، وأصوله، والتي لا تختلف باخـتلاف الشرائع والـرسالات، ومن هَنَا نَلْحَظُ اتِّفاقَ القرآن مع غيره من كتب الله فيما يلي:

١- الدَّعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وما يتَّصل بذلك من تنزيه الله تعالى عن النقائص، ووَصْفِه بكلِّ كمالٍ يليق بذاته المقدسة.

٢- تَتَّـفق الكتب المُـنَزَّلة كـذلك في: أصـول الشَّـرائع، كـالصَّـلاة، والصِّيام، والزَّكاة... حيث أَخْبَرَ القرآنُ العظيم أَنَّ الله عزَّ وجلَّ تعبَّدَ بها مَنْ قَبْلَنا.

فقال في الصَّوم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال في الصَّلاة والزَّكاة: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة: ٨٣].

ومن هنا نلحظ أَنَّ أصولَ الشرائع واحدةٌ في جميعِ الأديان، كما صَرَّحَ بذلك قولهُ تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى: ١٣].

وأمَّا تفـصيلات الشَّـرائع العَمَلية، فـتختلف فـيها الكتب السـماوية، اختلافاً يتـلاءم مع زمان كُلٍّ منها، ويتَّفقُ مع مصالح أتباعـها، مِصداقُ ذلك قولُه تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨].

٣- تَتَّـفِقُ الكتب المنَزَّلة كذلك في الدعـوة إلى الفضـائل، والترغـيب

فيـها، والترهيب مـن الرذائل والتنفير منهـا، فَكُلُّ كُتُبِ الله أمـرت بالعدل، والإحسان، والصِّدق، والصَّبر، والأمـانة، والوفاء، والرَّحمة، وما إلى ذلك من الفضائل، ومكارم الأخلاق التي تسعـد بها البشرية في كل زمان ومكان، وكل كـتب الله كـذلـك نهت عن الظُّلم، والخـيـانـة، والكذب، والغـدر، والقسوة، وما إلى ذلك من الرذائل التي تُوردُ البشـريةَ مواردَ الهلاك، ويشهد لذلك قولُـه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذْنَا مِيـثَـاقَ بَنِي إِسْـرَائِيلَ لا تَعْـبُـدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُـرْبَىٰ وَالْيَتَـامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُـسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعـالى أيضاً فـي حَقِّ إبراهيمَ وإسحـاقَ وإسمـاعيلَ ويعـقوبَ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الجِهَةُ الرابعة: من جهات تصديق القـرآنِ لِمَا سبقه من الكتب، **أَنَّ اللَّه تعالى قد جَمَعَ فيـه ما تَوَزَّعَ في هذه الكتب من الفضائل**، فأنقَذَ بذلك أصولَ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ كتب الله، وحَفِظَه، وصَدَّقَه.

فهـذا القرآن العظيم هو خُـلاصةٌ كاملـة للرسالات الأُولى، وللنَّصائح التي بُذلَتْ للإنسانية من فجر وجودها، **وهذا مِنْ أَوضَحِ وأَبْيَنِ مظاهر عظمة القرآن**[1].

---

(١) انظر: تصديق القـرآن الكريم للكتب السماوية وهيـمنته عليهـا، د. إبراهيم عبد الحمـيد سلامة، مـجلة الجامعة الإسلاميـة بالمدينة، (عدد: ٤٦)، (ربيع الآخر ١٤٠٠هـ)، (ص ٨٠ -٨٢).

هَيْمَنَةُ القرآن على ما سَبَقَهُ من كتب الله:

وكما جاء القرآن العظيم مُصَدِّقـاً لمَا قَبله منْ كتب الله، فقد جاء كذلك مهيـمناً عليها، كما صَـرَّحَ بذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومعنـى قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي أَنَّ القرآنَ العظيم رقيبٌ على الكتب السابقة؛ لأنه يشهد بصحَّتها، ويقرِّرُ أصـولَها، وما يتأَبَّدُ من فروعها، ويُبيِّنُ أحكامَها المنسوخةَ بتعيُّن وقت انتهاء مشروعيتها.

أو على معنى أنه أَمينٌ عليها، فما أخبر عن صِدْقِه مما ورد فيها صُدِّقَ، وما أخبر بزيفه فهو باطل.

أو على مـعنى أنه الحافظُ لـها، فـهو الذي حَـفظَ مـا جاء فـيهـا من التوحيد، وكُلِّيَّاتِ الدِّينِ إلى يوم القيامة.

أو على معنى أنه دَالٌّ على صـدقهـا، أي هو دليل على أنهـا من عند الله؛ لأنه جاء كما نَعَتَتْهُ هذه الكتب(١).

قال ابن كثـير رحمه الله:(٢) «وهذه الأقوال كُلُّها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كلَّه، فهو أمين، وشاهد، وحاكم على كل كتاب قـبله، جَعَلَ اللهُ هذا الكتـابَ العظيم، الذي أنزله آخـرَ الكتب وخَـاتَمَهـا، أَشْمَلَهـا وأَعْظَمَها وأَحْكَمَهـا، حيث جَمَعَ فـيه محاسنَ مـا قبله، وزاده من الكمالات مـا ليس في غيره، فلهـذا جعله شاهداً، وأميـناً، وحاكماً عليـها كلها، وتكفَّلَ تعالى بِحِفْظِه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (٦/ ٢٦٦ -٢٦٧). تفسير ابن عطية، (٢/ ٢٠٠).
(٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ١٥٣).

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]».

علاقةُ الهيمنةِ بالتَّصْديق:

ومما تَقَدَّم ذِكْرُه «نستطيع أَنْ نُقَرِّرَ أن مفهوم الهيمنة أَتَمُّ وأشْمَلُ من مفهوم التَّصديق؛ لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزالِ أصولها، وتقريرِ أصولها وشرائعها، بل تتعدَّى ذلك فَتُبَيِّنُ ما اعتراها من نَسْخٍ أو تحريفٍ، وما عَرَضَ لها من زَيفٍ وفساد.

فالقرآن بذلك مُهيمنٌ على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب، وشاهدٌ بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنةُ مع التَّصديق، ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها مِنْ تحريف وتسرُّبَ إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنة عن التَّصديق، فمفهومُها إذاً أَتَمُّ وأشملُ من مفهوم التَّصديق»[١].

مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السابقة:

لِهَيمَنة القرآن العظيم على كتب الله المنزلة قبله - فوق ما تقدم من تصديقه لها - مَظاهِرُ متعددةٌ، من أهمِّها ما يلي:

١- إخبارُهُ بتحريفِ الكتب السابقة وتبديلِها.

فتناولتها أيدي أهل الكتاب الآثمة بالتحريف والتبديل، وتناولوا ما بقي منها بالتَّأويل الفاسد، طِبْقاً للأهواء والشهوات، أو مُتابعةً لذوي السلطان، أو مُحاولةً لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم.

بل أَخْبَرَ القرآنُ كذلك أَنَّهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها - زوراً

---

(١) تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها، (ص ٨٥).

وبهتاناً - إلى الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٢- بيان المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحقَّ.

ففي جانب العقائد - على سبيل المثال - نفى القرآن العظيم ما صرَّحت به الأناجيل المُحرَّفة مِنْ قَتْلِ عيسى عليه السلام وصَلْبِه، فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

وحكَمَ على النصارى بالكفر لقولهم بالتَّثليث، وألوهية المسيح، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢ -٧٣].

أما التَّوراةُ المحرَّفة فإنها تَنْسبُ إلى الله تعالى كثيراً من النقائص، والتي جاء القرآنُ العظيم بدحضِها وإبطالها.

فلقد أخبر القرآن العظيم أنَّ اليهود نسبوا إلى الله عزَّ وجلَّ الولد، كما وَصَفَهُ اليهودُ المعاصرون للنبيِّ ﷺ بالفقر، والبخل، وغلِّ اليد.

فكَرَّ القرآن على ذلك بالإبطال والدَّحْض، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣- بَيَّنَ القرآنُ كثيراً من المسائل التي أَخْفَوها.

فمن ذلك: أن الدَّارس لأسفار العهد القديم يرى أنها «قد خَلَتْ من ذِكرِ اليوم الآخِرِ ونعيمه وجحيمه - وإذا كانت اليهوديَّةُ في أصلها تُقَرِّرُ البعثَ، والنشورَ، والحسابَ، والجنةَ والنار، كما يُنبئ بذلك القرآن - فإنَّ ذلك يدلُّ على أنَّ اليوم الآخِرِ وما فيه، وما يتَّصِلُ به، من المسائل التي أَخْفاها أهلُ الكتاب»[(١)].

ومن ذلك أيضاً إِخفاؤُهم ما يَتَّصِلُ بخاتم الرسل من بشائرَ ونعوت، وتحريفهم لها بالحذف، أو التأويل الفاسد، فجاء القرآنُ العظيم بالحقِّ في ذلك كُلِّه، قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

٤- أَنْهَى القرآنُ العملَ بالكتب السَّابقة.

فلا اعتبارَ لها بجانبه؛ لأنه شَغَلَ الفراغَ كُلَّه بتشريعه المبارك الجديد، وليس لأحدٍ أن يركن إلى هذه الكتب بعدما تسرَّبَ الباطلُ إليها، ولَعِبتْ الأيدي الآثمةُ بها.

---

(١) انظر: الأسفار المُقدَّسة، علي عبد الواحد وافي، (ص٢٩).

وهذا لا ينافي أنَّ القرآنَ أقرَّ كـثيراً من أحكام هذه الكتب، ولم يتناوله بنسخ؛ لأنه أمَرَ بهـذه الأحكام وأقَرَّها من جديد، فـعَمَلُنا ليس متابعـةً لهذه الكتب، بل لإقرار القرآن لها، وأمرِه بها.

وكُلُّ آية دلَّتْ على اتِّحاد الشَّرائع، فهي محـمولة على مقاصد الدِّين، وأصولِ العبادات، والآيات التي تدل على اختـلاف الشرائع، فمحمولة على الفروع، وما يتعلق بظواهر العبادات، ولله الأمرُ مِنْ قبلُ ومن بعد(١).

وقد تَبَيَّنَ لنا مما سبق ذِكْرُه أن تصـديق القرآن العظيم لكتب الله السابقة وهيمنتـه عليهـا، من أهم مظاهر عظمة القرآن، وفَـضْلِهِ على كتب الأنبـياء جميعاً.

أما بعد:

فبـعض المتسـبين للدَّعوة اليوم - في مـحاولة للتَّـقريب بين الأديان - يقول مخاطباً غيرنا: إيماننا لا يتمُّ إلاَّ بالإيمان بكتبكم، مع أنَّها محرَّفة! وكان عليه أن يكون صريحاً لا مُجامِلاً أو مدلِّساً.



(١) انظر: المصدر السابق، (ص٧٧ -٨٨).

المبحث الثالث
دلائل عظمة القرآن

وفيــه مطلبـــان

المطلب الأول: كثرة العلوم المستنبطة من القرآن.

المطلب الثاني: خصوم القرآن وأعداؤه شهدوا بعظمته.

تمهيـــــد

المقصود بدلائل عـظمة القرآن: هي الأمور الحسيَّـة والواقعية التي تدلنا على أن هذا القرآن عظيم، وإذا أجرينا اسـتقراءً لها نجدها قد فـاقت الحصر، **ومن أمثلتـها إجـمالاً:** اتِّساق القرآن على نمط واحـد، وتحقُّق أخباره الغيـبية المستـقبلية، وأنه معـجزة لا تنتهي، وقد بلغ الغـايةَ في البلاغة والفـصاحة، وَجَمَعَ كل ما يحتاج إليه البشر في المعاش والمعاد، وهكذا. . .

وسيكون الحديث عـن دلائل عظمة القرآن في أمرين مـهمَّين - حسب اجتهادي القاصر، حتى لا يطول بنا المقام - وهما إجمالاً:

المطلب الأول
كثرة العلوم المستنبطة من القرآن

لقد تنوَّعت فنون القـرآن وعلومه بحسب استنبـاط المجتهدين وفـهمهم للقرآن الكريم وما فُتح لهم في ذلك.

١- فالقراء:

اعتنوا بضبـط لغاته وتحرير كلماته، ومعـرفة مخارج حـروفه وعددها، وعدد كلماته وآياته وسُوَره وأحزابه وأنصافـه وأرباعه وعدد سجداته، وحصر الكلمات المتـشابهة، والآيات المتمـاثلة، من غير تعرض لمعـانيه، ولا تدبر لما أُودع فيه.

٢- والمفسرون:

اعتنوا بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدل على

معنيين، ولفظاً يدل على أكثر، فَأَجْـرَوا الأول على حُكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأَعمل كلٌّ منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.

٣- والنُّحاة:

قعَّدوا قواعـد النَّحو: فاعتنوا بالمعرب منه والمبني من الأَسـماء والأَفعال والحروف العـاملة وغيرها، وأوسعـوا الكلام في الأسماء وتوابعهـا وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي، حتى إنَّ بعضـهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

٤- وعلماء أصول الدين:

اعتنوا بما فيه من الأدلة العقليـة والشواهد الأصلية والنَّظرية، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلةً على وحـدانية الله ووجوده وبقائه وقدرته وعلمه وتنزيهه عَمَّا لا يليق به تعالى، وسمَّوا هذا العلم: بأصول الدين.

٥- وعلماء أصول الفقه:

تأمَّلوا معاني خطابه، فرأوا أن منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، وتكلموا في التَّخصيص، والنَّص، والظَّاهر، والمجمل، والمُحكم والمُتـشـابه، والأمـر والنهي، والنَّسخ، إلى غـيـر ذلك من أنواع الأقـيـسـة واستصحاب الحال والاستقراء، وسمَّوا هذا الفن: بأصول الفقه.

٦- والفقهاء:

أحكموا صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسَّـسوا أصـوله، وفَرَّعُوا فـروعه، وبسطوا القـول في ذلك بسطاً حسناً، وسمَّوه: بعلم الفروع، وبالفقه أيضاً.

٧- والمؤرِّخون:

تلمَّحوا ما فيه من قصص القرون السالفة والأُمم الخالية، ونقلوا أخبارهم ودوَّنوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدُّنيا وأَوَّل الأشياء، وسمَّوا ذلك: بالتَّاريخ والقصص.

٨- والخطباء وأهل الوعظ:

تنبَّهوا لما فيه من الحِكَم والأمثال والمواعظ التي تكاد تُدكدكُ الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتَّحذير، والتَّبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواجر، فَسُمُّوا بذلك: الخطباء والوعَّاظ.

٩- وعلماء الفلك:

نظروا إلى ما فيه من الآيات الدَّالأَّت على الحِكَم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنُّجوم والبروج وغير ذلك؛ فاستخرجوا منه: علم المواقيت.

١٠- والكُتَّاب والشُّعراء:

نظروا إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النَّظْم وحسن السِّياق، والتلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز وغير ذلك، فاستنبطوا منه: المعاني والبيان والبديع.

*** وقد احتوى القرآن العظيم أيضاً على علوم أُخرى من علوم الأوائل، ومنها:**

١ - الطِّب:

فإن مداره على حفظ نظام الصِّحة واستحكَام القوَّة؛ وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادَّة، وقد جُمِعَ ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧].

٢- والهندسة:

في قوله تعالى: ﴿**انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ**﴾ [المرسلات: ٣٠].

٣- والجدل:

فقد حوت آيات القرآن من البراهين، والمقدِّمات، والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً، ومناظرة إبراهيم نمروذ، ومحاجَّتُه قومَه أصلٌ في ذلك عظيم.

*** وفي القرآن العظيم أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها**[١]، ومنها:

---

(١) **وينبغي أن يُتَنَبَّه في هذا المقام إلى أمر مهم للغاية: وهو أن القرآن العظيم كتاب هداية وإرشاد ورحمة ونور للعالمين، وليس هو من كتب العلوم الطبيعية، فهذه العلوم ليست مقصودة لذاتها بل لما تحمله من عظة وعبرة،** وتُبين للناس نعمة الله عليهم أن أرشدهم إلى مصالحهم الدنيوية وعلمهم إياها، فلا ينبغي أن ينصرف الناس عن مقصد القرآن الأول والأخير - وهو: هدايته إلى الصراط المستقيم - إلى البحوث العلمية البحتة: كالجغرافيا، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم الطيور، وعلم الدواب، . . . ونحو ذلك!

الخياطة في قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والحدادة في قوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

والنِّجارة: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

والغزْل: ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢].

والنَّسج: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ [العنكبوت: ٤١].

والفلاحة: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] الآيات.

والصَّيد، والبناء، والبيع والشِّراء، والكيالة والوزن في آيات مختلفة ومتنوعة.

والغَوْص: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ [النحل: ١٤].

والصِّياغة: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً﴾ [الأعراف: ١٤٨].

والزِّجاجة: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

والفخارة: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨].

والملاحة: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ...﴾ [الكهف: ٧٩] الآية.

والكتابة: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

والخَبْز: ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً﴾ [يوسف: ٣٦].

والطَّبخ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

والجزارة: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

والصِّباغة: ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

والنِّحاتة: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

والرِّماية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠][1].



المطلب الثاني
خصوم القرآن وأعداؤه شَهِدُوا بِعَظَمَتِهِ

من أعظم دلائل عظمة القرآن العظيم أَنْ شَهِدَ له أعداؤه رغم عدم إيمانهم به، وكما قيل: الحق ما شهدت به الأعداء.

فكثير من الكافرين - قديماً وحديثاً - استمعوا إلى القرآن، وسجَّلوا إعجابهم في كلمات قالوها تعليقاً على ما سمعوا من آيات الله سبحانه، كما يقول الشاعر:

وَمَلِيحَةٌ شَهِدَت لها ضَرَّاتُها ... والخَيرُ ما شَهِدت به الأَعْدَاءُ

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ص٧٢٥-٧٣٢). وقد نقله السيوطي - مُلَخَّصاً - عن ابن أبي الفضل المرسيّ في تفسيره.

وفي كثير من المحاولات التي جرت مع بعض العلماء غير المسلمين في مُختَلف التَّخصصات، عندما كانوا يقرِّرون بعض الحقائق العلمية التي تم التَّوصل إليها بعد البحث والدراسة، ثم إذا أُخْبِروا بأن ما توصَّلوا إليه قد ذَكَرَهُ القرآن الكريم إما تصريحاً وإما تلميحاً منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام كانوا يصابون بالدَّهشة والاستغراب، وتختلف تعبيراتهم في ذلك، إلاَّ أنهم يكادون يُجمعون على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من قول البشر[١].

وسيكون الحديث عن شيء من شهادات هؤلاء الدارسين والباحثين والمفكرين من عقلاء الغرب وعباقرة العالم على النحو الآتي:

١- شهادة الفيلسوف الفرنسي «ألكْس لوازون»، حيث يقول[٢]:

«خَلَّفَ محمد [ﷺ] للعالم كتاباً هو آية البلاغة، وسجل للأخلاق، وكتاب مقدَّس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية».

٢- شهادة «لويس سيديّو»[٣]، حيث يؤكد على ما فعله القرآن العظيم في مجال شدِّ أواصر الشعوب التي انتمت للإسلام، بمنحها اللغة المشتركة والمشاعر الواحدة، حيث يقول[٤]:

---

(١) انظر: بالقرآن أسلم هؤلاء، لعبد العزيز سيد الغزّاوي (ص٤٧-٤٨).

(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، (ص٦٣). ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة، عدد (١١)، (محرم ١٣٩١هـ)، (ص٤٧).

(٣) لويس سيديّو: (١٨٠٨-١٨٧٦م) مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه «جان جاك سيديو» الذي توفي عام (١٨٣٢م). وصنَّف كتاباً بعنوان: «خلاصة تاريخ العرب». فضلاً عن «تاريخ العرب العام»، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات المعروفة. «انظر: قالوا عن الإسلام، د. عماد الدِّين خليل (ص ٧٢)».

(٤) تاريخ العرب العام، (ص ٤٥٨).

«فَمِمَّا يجدر ذِكْرُهُ أن يكون القرآنُ، بين مختلف اللغات التي يتكلم بها مختلف الشعوب في آسيا حتى الهند، وفي أفريقيا حتى السودان، كتاباً يفهمه الجميع، وأن يربط هذه الشعوب المتباينة الطبائع برابطة اللغة والمشاعر...».

٣- شهادة وزير المستعمرات البريطانية «غلاد ستون».

فقد صرَّح في مجلس العموم البريطاني مخاطِباً النواب قائلاً لهم: «ما دام القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به».

هيهات هيهات... لقد زال الاستعمار وأفل نجمُه، وبقي القرآن يتلى في جميع محطات الإذاعة في العالم، وكثير من قنوات التلفاز، ودُور المسلمين والحمد لله ربِّ العالمين(١).

٤- شهادة المستشرق الألماني «د. شومبس»، حيث قال(٢):

«... وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة، فقد درستُ القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المحكمة، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات، هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد [ﷺ] عن ربه».

٥- شهادة الباحث الفرنسي «الكونت هنري دي كاستري»(٣).

حيث يَتَعَجَّبُ مِنَ التناقض المُطلق بين أُمِّيَّةِ الرسول ﷺ، وإعجاز

(١) انظر: عالمية القرآن الكريم، د. وهبة الزحيلي، (ص١٤-١٥).

(٢) نقلاً عن: بالقرآن أسلم هؤلاء، (ص٤٩).

(٣) **الكونت هنري دي كاستري:** (١٨٥٠-١٩٢٧م) مُقَدَّم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: «مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب»=

الأداء القرآني من جهة أخرى، ويقول: [١] «إنَّ العقل يَحَارُ كيف يتأتَّى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أُمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بها لفظاً ومعنى».

٦- شهادة «جيمس متشنز»، حيث قال[٢]:

«لعلَّ القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم، وهو بكل تأكيد أيسرها حفظاً، وأشدُّها أثراً في الحياة اليومية لمن يؤمن به، فليس طويلاً كالعهد القديم، وهو مكتوب بأسلوب رفيع أقرب إلى الشِّعر منه إلى النثر، ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه وتزداد إيماناً وسمواً».

٧- شهادة الباحث العربي النصراني «نصري سلهب»[٣].

حيث تحدَّث عن النبيِّ ﷺ، فقال عنه أنه: [٤] «لا يقرأ ولا يكتب، فإذا بهذا الأمي يَهدي الإنسانيةَ أبلغَ أثر مكتوب حَلمت به الإنسانية منذ

= (١٩٠٥)، و «الأشراف السعديون» (١٩٢١)، و «رحلة هولندي إلى المغرب» (١٩٢٦)، وغيرها. «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٧٠)».

(١) نقلاً عن: القرآن الكريم من منظور غربي، د. عماد الدين خليل، (ص١٨).

(٢) نقلاً عن: المصدر السابق، (ص٦٠).

(٣) **نصري سلهب**: مسيحيٌّ من لبنان، يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجرَّدة، كما عُرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التَّعايش السِّلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان - كما يزعم - إنْ على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع. وعَبْرَ السِّتينيات كتب العديدَ من الفصول، وألقى العديد من المحاضرات في المناسبات الإسلامية والمسيحية على السَّواء، متوخِّياً الهدفَ نفسَه، ومن مؤلفاته: «لقاء المسيحية والإسلام» (١٩٧٠)، و «في خطى محمد» (١٩٧٠). «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٦٩).

(٤) في خطى محمد، (ص٩٤).

كـانت الإنسانيـة. ذاك كان القـرآن الكريم الذي أنزله الله على رسـوله هدى للمتقين».

ويمضي «سلهب» لكي يُشيـر إلى القيم البلاغيـة في القرآن، ويقول[(١)]: «فـالواقع إن هذا القرآن لَسِـحْرٌ حـلال،... وإنه لَمِنَ المسـتحـيل على غيـر العربي، أو على غير المُلِمِّ باللغة العربية، أن يُدرك ما فيه مِنْ جمال».

ويتحدَّث عن عالميَّة القرآن ومخاطبـته للبشر جميعاً، ويقول[(٢)]: «القرآن لا يخاطب المسلمين فَحَسْب، ولا يُعنى بشؤونهم فـحسب، إنه يخاطب البشر على إطلاقهم، ويُعنى بشؤونهم جـميعاً... فلو أقبل عليه البـشر وعبُّوا من أحكامه وتوصيـاته فارتووا منها وعملوا بها، لكانت البـشرية في وضع أفضل بكثير مما هي عليه».

ويتوقَّـف عند التأثيـر القرآني في الشِّـعر، ويقول[(٣)]: «فإذا كُنَّا بالأمس واليوم، نطرب لروائع الشِّعر العربي... سواء في بيروت أو دمشق أو القاهرة أو بغداد أو تونس، أو في أيِّ صِقْعٍ من أصقاع العروبة، فإنما الفَضْلُ في ذلك يعود للقرآن، والقرآن وحده».

٨- شهادة الأمريكي «د. سدني فيشر»[(٤)]، حيث يصف القرآن بأنه:

«صوت حي يُرَوِّعُ فُـؤادَ العربي، وتزداد روعتُه حين يُتلى عليـه بصوت

(١) المصدر نفسه، (ص٣٤١).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣٥٨).

(٣) المصدر نفسه، (٣٤٤).

(٤) **د. سدني فيشر**: أستاذ التَّاريخ في جامعة أوهايو الأمـريكية، وصاحب الدِّراسات المتعدِّدة في شؤون البلاد الشَّرقيَّة التي يدين الأكثـرون من أبنائها بالإسلام. مؤلف كتاب: «الشرق الأوسط في العصـر الإسلامي» والذي يناقش فيـه العوامل الفاعلة التي يرجع إليـها تطوُّر الشُّعوب والحوادث في هذه البلاد، وأولها الإسلام.

«انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٧٨). الشرق الأوسط في العـصر الإسلامي، عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، (ص ٥٤)».

مسموع . . .»[١].

٩- شهادة المستشرق «سيل»، حيث قال[٢]:

«إن أسلوب القرآن جميل وفياض، وفي كثير من نواحيه نجد الأسلوب عذباً وفخماً، وبخاصة عندما يتكلَّم عن عظمة الله وجلاله، ومن العجيب أن القرآن يأسر بأسلوبه هذا أذهان المستمعين إلى تلاوته، سواء منهم المؤمنين به أوالمعارضين له».

١٠- شهادة «كوبولد»، حيث يقول[٣]:

«القرآن هو الذي دَفَعَ العربَ إلى فتح العالَم، ومكَّنهم من إنشاء إمبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعةً وقوةً وعمراناً وحضارةً. . .».

ويُضيف قائلاً: «هذا هو الكتاب الذي خَلَقَ العربَ خَلْقاً جديداً، ثم وَحَّدَ صفوفَهم ودفعهم إلى العالَم فاقتحموه وحكموه . . . .».

١١- شهادة الدكتورة «لورا فيشيا فاغليري»[٤]، حيث قالت[٥]:

«إن عظمة الإسلام الكبرى هي القرآن. . .، ولا يزال لدينا برهان آخر

---

(١) نقلاً عن: القرآن الكريم من منظور غربي، (ص٦٥). وأحال على: الشرق الأوسط في العصر الإسلامي، (عن العقاد: ما يقال عن الإسلام، ص٥٤).

(٢) نقلاً عن: المصدر السابق، (ص٦١).

(٣) البحث عن الله، (ص٥١).

(٤) لورا فيشيا فاغليري: باحثةٌ إيطالية معاصرة، انصرفت إلى التَّاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، وإلى فقه العربية وآدابها.
من آثارها: «قواعد العربية» في جزءين (١٩٣٧ - ١٩٤١)، و «الإسلام» (١٩٤٦)، و «دفاع عن الإسلام» (١٩٥٢)، والعديد من الدِّراسات في المجلاَّت الاستشراقية المعروفة.
«انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٧٥). دفاع عن الإسلام، (ص ٥٦-٥٧)».

(٥) دفاع عن الإسلام، (ص٣٠ - ٣٢).

على مصدر القـرآن الإلهي، هذه الحقيقـة هي أنَّ نَصَّ القرآن ظل صافيـاً غير محرَّف طوال القرون التي ترامت بين تنزيله وحتى يومنا هذا، . . .

إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أيما إحـساس بالملل، على العكس إنه من طريقـة التلاوة المكررة يُحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوماً بعد يوم. . . ، حتى إننا لنجد اليوم - على الرغم من انحـسار موجة الإيمان - آلافـاً من الناس قادرين على ترديده عن ظهـر قلب. وفي مِصْـرَ وحدها عـدد من الحفـاظ أكثر مـن عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبة كلِّها».

وتُرتِّب على هذه الشَّهادة نتيجتَها فتقول[١]: «إنَّ انتشار الإسلام السَّريع لم يَتِمْ، لا عن طريق القوة ولا بجهـود المبشِّرين الموصُولة، إنَّ الذي أدَّى إلى ذلك الانتشار كون الكتاب الذي قدَّمه المسلمون للشعوب المغلوبة، مع تخييرها بين قبوله ورفضه، كتابُ الله، كلمةُ الحق».

١٢- شـهادة «المسيوبيـرك» في بعض خطاباته فـي البرلمان الإنكليـزي، حيث قال[٢]:

«إن تعاليم القرآن أحكم وأعقل وأرحم تشريع عرفه التاريخ».

١٣- شهادة «هيرشفيلد»، حيث قال[٣]:

«وليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي».

---

(١) المصدر نفسه، (ص٥٩).

(٢) نقلاً عن: المصدر السابق، (ص ٦٣).

(٣) التربية في كتاب الله، محمود عبدالوهاب، (ص٥٢ - ٥٣).

١٤- شهادة اللِّبناني النَّصراني د. «جورج حنَّا»[1]، حيث يؤكِّد ويقول[2]:

«إنه لابدَّ من الإقرار بأن القرآنَ فَضْلاً عن كونه كتاب دين وتشريع، فهو أيضاً كتاب لغة عربية فصحى.

للقرآن الفضل الكبير في ازدهار اللغة، ولَطَالما يعود إليه أئمة اللغة في بلاغة الكلمة وبيانها، سواء كانوا هؤلاء الأئمة مسلمين أم مسيحيين.

وإذا كان المسلمون يعتبرون أن صوابيَّة لغة القرآن هي نتيجة محتومة لكون القرآن مُنَزَّلاً ولا تحتمل التَّخطئة، فالمسيحيون يعترفون أيضاً بهذه الصَّوابية، بِقَطْعِ النظر عن كونه منزلاً... ويرجعون إليه للاستشهاد بلغته الصحيحة، كلما استعصى عليهم أمر مِنْ أُمور اللغة».

---

(١) د. جورج حنَّا: (١٣١١ - ١٣٨٩هـ، ١٨٩٣ - ١٩٦٩م)، مسيحيٌّ من لبنان، ينطلق في تفكيره من رؤية مادية طبيعية صرفة، كما هو واضح في كتابه المعروف: «قصة الإنسان».
وهو طبيب نسائي من الكُتَّاب، مولده ووفاته في الشويفات بلبنان. تخرَّج في الجامعة الأميركية طبيباً وتخصَّص في باريس بالتَّوليد وأمراض النِّساء، وأنشأ في بيروت مستشفى للتَّوليد.
له (٢٨) كتاباً مطبوعاً، منها: «من الاحتلال إلى الاستقلال»، و «العقم والسلالة البشرية»، و «أنا عائد من موسكو»، و «الوعي الاجتماعي»، و «الجديد في الواقع العربي».
«انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٥٨). معجم المؤلفين، (١/ ٥١٣). الأعلام، (٢/ ١٤٥)».

(٢) قصة الإنسان، (ص ٧٩ - ٨٠).

١٥- شهادة «وليم جيفورد بالكراف»، حيث يتمنَّى زوال القرآن بقوله[(١)]:

«متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه».

١٦- شهادة «الحاكم الفرنسي في الجزائر».

فقد قال في ذكرى مرور مائة سنة على احتلال الجزائر[(٢)]:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».

١٧- شهادة «وزير المستعمرات الفرنسي لاكوست».

فقد قال حين عجز عن فَرْنَسَة الجزائر[(٣)]:

«ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا».

فهذا نزر يسير، وغيض من فيض لأقوال خصوم القرآن وعقلاء القوم عن القرآن العظيم، **ولا تخلو هذه الشَّهادات من أحد ثلاثة أمور:**

١- مَنْ يرى القرآنَ العظيمَ جداراً صلباً بينه وبين تنصير المسلمين، فأعلن فشله، واعترف بهزيمته.

---

(١) خصائص القرآن الكريم، (ص٢١٧)، عن: جذور البلاء، عبد الله التل، (ص٢٠١).

(٢) قادة الغرب يقولون، جلال العالم، (ص٣١)، عن: مجلة المنار، عدد (٩-١١)، (١٩٦٢م).

(٣) المصدر نفسه، (ص٥١)، عن جريدة الأيام، عدد (٧٧٨٠)، بتاريخ (٦ كانون أول ١٩٦٢م).

٢- مَنْ كشف لقومه السرَّ في قوَّة المسلمين، فدعا إلى إبعادهم عن القرآن.

٣- مَنْ اعترف بإنصافٍ بفضل القرآن العظيم، ومكانته السَّامية، ومنزلته العظمى.

فإذا كان هؤلاء الخصوم قد اعترفوا بعظمة القرآن الكريم، أفلا يجب على المسلمين جميعاً أن يعضُّوا عليه بالنَّواجذ، ويجعلوه منار سبيلهم، وقوام حياتهم، وزمام عقولهم وربيع قلوبهم، وعلاج سقمهم، وعصمة أمرهم؟! نرجو ذلك[1].

يا ابنَ العُروبةِ سِرْ فأنتَ الأَسْبقُ	بِطريقِ مَجْدِكَ فالنَّجاحُ مُحَقَّقُ
هذا هو القرآنُ نِبْراسُ الهدى	دُستورُكَ الأَسْمَى المُنِيرُ المُشْرِقُ
آياتُهُ نَبْعُ العُلومِ جَمِيعِها	مَنْ قال: لا، فَهُوَ الغَبِيُّ الأَخْرَقُ
عِلْمُ الطَّبِيعَةِ والحَيَاةِ، وَحِكْمَةُ	الإيجادِ مِنْ تِبْيانِهِ تَتَدَفَّقُ
وَسِيَاسَةُ الدُّنيا بِأَقْوَمِ شِرعةٍ	بين الوَرَى بِسِواه لا تَتَحَرَّكُ
فيه القَضَاءُ لِحَلِّ كُلِّ قَضِيَّةٍ	عن حَلِّها أَهْلُ السِّياسَةِ أَخْفقُوا
عُودوا إلى القُرآنِ عَودَةَ بَاحِثٍ	ترك الهوى. والعَقْلُ حُرٌّ مُطْلَقُ
وَخُذُوا دَساتِيرَ الحَياةِ جَمِيعَها	مِنْ آيِهِ وعلى الخَلِيقَةِ أَشْفِقُوا

(١) انظر: من أسرار عظمة القران، (ص٥١-٥٣)، وخصائص القرآن الكريم، (ص٢١٧-٢٢١).

فَـــهُـــوَ الدَّواءُ لِكُـلِّ أَدْواءِ الوَرَى   وهو الطَّبِيبُ، لِكُلِّ سَقَمٍ، صَـدِّقُوا

فـــالغَـــرْبُ لَمَّا سَــارَ سَـــارَ بِنُورِهِ   وعَـلا، وَقَبْلَ الغَـربِ سَارَ المَشْـرِقُ

يا قَـومَ أَحْـمَدَ مَـجْـدُكُمْ قُـرآنُكُمْ   فـهو الـكِتَابُ العَـالَمِيُّ الأَصْـدَقُ[1]

---

(١) انظر: التربية في كتاب الله، محمود عبد الوهاب فايد، (ص٥٣-٥٤).

المبحث الرابع

عظمة أسماء وأوصاف القرآن

أولاً: عظمة أسماء القرآن.

ثانياً: عظمة أوصاف القرآن.

تمهيـــــد

لقد سمَّى الله تعالى كتابه العظيم وَوَصَـفَه بصفات جليلة عظيمة تنطبق على جميعه، إظهاراً لشرفه ومكـانته، فإن كثرة الأسماء والأوصاف دالة على شرف المُـسمَّى والموصـوف، ودالة كذلك على أنه الأصل والأسـاس لجمـيع العلوم النافعة، والفنون المرشدة لخير الدنيا والآخرة(١).

فـيجب علينـا - ونحن نتلو القـرآن ونتدبره - أن نـلحظ هذه الأسمـاء والأوصاف والسِّمات الجليلة، وأن نقف طويلاً أمام الآيات التي تعـرضها، فإنـه لا أحد أعلم بكلام الله تعـالى منه عزَّ وجلَّ، ومـهمـا بالَغَ الواصـفون لكتاب الله تعـالى وتفننوا في وصف ما اشـتمل عليـه، هو - وربٍّ البرية - فوق ذلك وأعظم.

وفيما يلي طائفة لأهمِّ أسماء وأوصاف القرآن العظيم وهي على النَّحو التَّالي.

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع راجع: البرهان، لـلزركشي (١/ ٢٧٨)، والإتقان، للسيوطي (ص ١٣٥ - ١٣٩) والتـذكار، للقـرطبي (ص٢٩ - ٣٠) وتفسـير ابن عطيـة (١/ ٥٦ - ٥٧)، ولطائف الإشـارات (١/ ١٨ -١٩)، والهدى والبـيان في أسـماء القرآن، لـصالح إبراهيم البليـهي (جـزءان، وهو كتـاب مهم فـي بابه)، ومفـاتيح للتـعامل مع القـرآن، د. صلاح الخالدي (ص٢٠ -٣٦)، ومن أسرار القرآن، د. علي محمد العماري (ص٩ - ١٤)، والفتوحـات الربانية في الآيات القرآنيـة، د. عبد الباري مـحمد داود (ص ٤٧ - ٥٢)، وتعظيم شأن القرآن، أ. د. عاطف قاسم المليجي، (ص١٣- ٢٠).

أولاً: عظمة أسماء القرآن

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: الفرقان.

المطلب الثاني: البرهان.

المطلب الثالث: الحق.

المطلب الرابع: النبأ العظيم.

المطلب الخامس: البلاغ.

المطلب السادس: الروح.

المطلب السابع: الموعظة.

المطلب الثامن: الشفاء.

المطلب التاسع: أحسن الحديث.

المطلب الأول
الفرقان

معنى «الفرقان» في اللغة:

جاءت لفظة «الفرقان» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

الفرقان: يقوم على ثلاثة حروف أصول، هي الفاء والراء والقاف، وهو كما يقول ابن فارس:[١] «أُصَيلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييزٍ وتنزيلٍ بين شيئين. مِنْ ذلك الفَرْق: فَرْق الشَّعَر، يُقال: فَرَقْتُه فَرْقاً...

والفُرْقان: الصُّبْح، سُمِّي بذلك؛ لأنه به يُفْرق بين اللَّيل والنَّهار، ويُقال لأنَّ الظُّلْمة تتفرَّق عنه».

و«فَارَقَ فلان امرأته مُفَارقةً وفراقاً: بَايَنَها»[٢].

والفَرْقُ يُقارب الفَلْقَ في المعنى، لكن الفَلْقُ يقالُ اعتباراً بالانْشقاق، بينما الفَرْقُ يقالُ اعتباراً بالانفصال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠].

والفُرقان أبلغ من الفَرْق؛ لأنه يُستعمل في الفرق بين الحق الباطل فَرْقاً جلياً بغير شبهة، بينما الفَرْقُ يَستعمل في هذا المعنى وفي غيره[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٣٥٠)، مادة: «فرق».

وانظر: مختار الصحاح، (ص٢٠٩)، مادة: «ف ر ق».

(٢) لسان العرب، (١٠/ ٣٠٠)، مادة: «فرق».

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص٣٧٩ - ٣٨٠)، مادة: «فرق».

«والفرقـان في الأصل مصدر فرَق كـالشُكران والكُفران والبُهـتان، ثم أُطلق على ما يُفرق به بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. وهو يوم بدر»(١).

معنى «الفرقان» اسماً للقرآن:

سمَّى اللَّه تعالى القرآنَ فرقاناً في أربع آيات من كتابه المبارك، وهي:

١- قوله تـعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤].

٣- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٤- قوله تـعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء : ١٠٦].

قال الشَّوكاني رحمه الله:(٢) «قرأ عليٌّ وابن عباس وابن مسعود وأُبيٌّ بن كعب وقتادة والشَّعبي(٣) ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ بالتَّشديد: أي أنزلناه شيئاً بعد شيء

---

(١) التحرير والتنوير، (٣/ ١١).

(٢) فتح القدير، (٣/ ٣٧٧).

(٣) هو أبو عمرو. عـامر بن شراحيل الشـعبي، الحميـري، الكوفي، التابعي الجليل، تولَّى قضاء الكوفة، وروى عن عمر، وعليٍّ، وابن مـسعود، وأبي هريرة، وغيرهم، قال ابن عيـينة: «كانت الناس تقـول بعد الصَّحـابة ابن عباس في زمـانه، والشعـبي في زمانه، والثوري في زمانه». مات سنة (١٠٩هـ).

«انظر: تهذيب التهذيب، (٥/ ٦٥). سير أعلام النبلاء، (٤/ ٢٩٤)».

لا جملةً واحدة.

وقرأ الجمهور ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ **بالتخفيف**: أي بَيَّناه وأوضحناه، وفَرَّقْنا فيه بين الحق والباطل».

واختلف المفسِّرون في سبب تسمية القرآن بالفرقان على أقوال(١):

١- سُمِّي بذلك؛ **لأن نزوله كان مُتَفَرِّقاً** أنزله تعالى في نَيِّفٍ وعشرين سنة، في حِين أنَّ سائر الكتب نزلت جملة واحدة(٢).

وتَشْهَدُ له قِراءةُ التَّشديد: ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾.

٢- سُمِّي بذلك؛ لأنه **يَفْرُقُ بين الحق والباطل**، والحلال والحرام، والمجمل والمبين، والخير والشَّر، والهدى والضَّلال، والغي والرَّشاد، والسَّعادة والشَّقاوة، والمؤمنين والكافرين، والصَّادقين والكاذبين، والعادلين والظَّالمين، وبه سُمِّي عمر بن الخطاب ﷺ الفاروق.

وتشهد له قراءة الجمهور: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتَّخفيف.

---

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢٤/ ٤٠) الكشاف، للزمخشري (٣/ ٢٦٧)، تفسير البيضاوي (٤/ ٢٠٥)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٩)، روح المعاني، للألوسي (١٨/ ٢٣١)، تفسير السمعاني (٤/ ٥)، معاني القرآن، للنحاس (٥/ ٨)، فتح القدير (١/ ٣١٢)، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٣/ ٧-١٠)، أضواء البيان، للشنقيطي (٦/ ٥-٦)، تفسير السعدي (١/ ٥٧٧)، تفسير الشعراوي (١٧، ١٠٣٥٧ - ١٠٣٥٩)، البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ٢٧٩)، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ١٤٥)، الهدى والبيان في أسماء القرآن، للبليهي (٢/ ٣٧-٤٠).

(٢) وقد ذَكَرَ الرازي في: «التفسير الكبير»، (٢٤/ ٦٩)، أَوْجُهَ الحكمة في نزول القرآن مُنجَّماً ومُفرَّقاً خلافاً للكتب السابقة التي نزلت جملة واحدة، ذَكَرَ ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]. فَلْيُراجَعْ، فهو كلامٌ نَفِيس ومن الأهمية بمكان.

وقد بَيَّنَ ابن عاشور رحمه الله سبب تسمية القرآن بالفرقان بقوله:[(١)] «ووجه تسميته الفرقان أنه امتاز عن بقية الكتب السَّماوية بكثرة ما فيه من بيان التفرقة بين الحق والباطل، فإنَّ القرآن يعضد هديه بالدلائل والأمثال ونحوها، وَحَسْبُكَ ما اشتمل عليه من بيان التوحيد وصفات الله مما لا تجد مِثْلَه في التوراة والإنجيل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]».

والقرآن العظيم فارقٌ بين نهجٍ في الحياة ونهج، وبين عهد للبشرية وعهد، فهو يُقرر منهجاً واضحاً لا يختلط بأي منهج آخر مما عرفته البشرية قبله. فهو فرقان بهذا المعنى الواسع الكبير. فرقان ينتهي به عهد الخوارق المادية ويبدأ به عهد المعجزات العقلية، وينتهي به عهد الرِّسالات المحلِّية الموقوتة ويبدأ به عهد الرسالة العامة: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[الفرقان: ١][(٢)].

٣- قيل: **الفرقان هو النَّجاة**، وهو قول عكرمة[(٣)] والسُّدِّي[(٤)]، سُمِّي

(١) التحرير والتنوير، (١/ ٧١).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/ ٢٥٤٧).

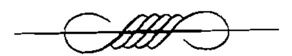
(٣) هو عكرمة البربري، أبو عبد الله، المدني، مولى ابن عباس، أصله من البربر، من علماء التَّابعين ومن المتبحِّرين بالتَّفسير، من كبار تلاميذ ابن عباس، اتُّهم ببدعة الخوارج الصُّفرية، ووثَّقه أئمة الحديث، قال ابن حجر: «ثقةٌ، ثَبْتٌ، عالمٌ بالتَّفسير، لم يَثْبُتْ تكذيبه عن ابن عمر، ولا ثبتت عنه بدعة، من الثَّالثة، مات سنة (١٠٧هـ)».
«انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٣٠)، (ت ٢٧٧). تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣-٢٧٣)، (ت ٤٧٥)».

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي الأعور السُّدِّي أحد موالي قريش، وهو السُّدِّي الكبير المفسر، ذكره ابن حبان في الثِّقات، ووثَّقه غير واحد، وضعَّفه آخرون، قال العجلي: ثقةٌ، عالمٌ بتفسير القرآن، روايةٌ له، وقد ذكره الطَّبري في تفسيره من طريق أسباط بن نصر الهمذاني، وله تفسير، مات سنة (١٢٧هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٦٤). تاريخ الثِّقات، للحافظ العجلي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (ص ٦٦). الثِّقات، لابن حبان (٤/ ٢٠)».

بذلك؛ لأن الخلق في ظلمات الضلالات، وبالقرآن وَجَدوا النَّجاة.

وعليه حَمَلَ المفسِّرون قولَه تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣][1].

وسواءٌ كانت سببُ تسمية القرآن العظيم بالفرقان؛ لأنَّ نزوله كان متفرِّقاً في نَيِّفٍ وعشرين سنة، بينما سائر كتب الله تعالى نزلت جملةً واحدة، أو سُمِّي بذلك؛ لأنه يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل؛ أو لأن فيه نجاةً من ظلمات الضَّلالات. **فهذا الاختلاف في التَّنوُّع يدلُّ دلالةً صريحة على عظمة القرآن، ورفعة منزلته عند اللَّه تعالى، وعلوِّ شأنه.**



المطلب الثاني
البرهان

معنى «البرهان» في اللغة:

جاءت لفظة «البرهان» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا وهي:

«**البُرْهان الحُجَّةُ الفاصلة البيِّنة**، يقال: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنَةً إذا جاء بِحُجَّةٍ قاطعةٍ لِلَدَد الخَصم، فهو مُبَرْهِنٌ»[2].

والبرهان: مصدَرُ بَرَهَ يَبْرَهُ إذا ابيَضَّ، ورَجُلٌ أَبْرَهُ، وامرأةٌ بَرْهَاءُ، وقَوْمٌ

---

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢/ ١٤).

(٢) لسان العرب، (١٣/ ٥١)، مادة: «برهن».

بُرْهٌ، وبَرَهْرَهَةٌ شابَّةٌ بَيْضَاءُ [(١)]. ومن هنا جاء التشبيه ببياض الحجة وإشراقها كبياض الحق وإشراقه.

«وقد بَرْهَنَ عليه: أَقَامَ الحُجَّةَ»[(٢)].

و «**البُرْهَانُ أَوْكَدُ الأدلَّة** وهو الذي يَقْتضِي الصِّدْقَ أبداً، لا مَحَالَةَ»[(٣)].

معنى «البرهان» اسماً للقرآن:

سمَّى اللَّهُ القرآنَ برهاناً في آية واحدة من كتابه العزيز، وهي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [النساء: ١٧٤].

فهذا خطابٌ لكلِّ أصحاب الملل، اليهودِ والنصارى والمشركين وغيرهم أن الله تعالى أقام بهذا القرآن الحُجَّةَ عليهم تُبرهن لهم بطلان ما هم عليه من الدِّين المنسوخ، وهذه الحُجَّة تشمل الأدلة العقلية والنَّقلية والآيات الآفاقيَّة كما قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: ٥٣]. بل كفى بالقرآن العظيم - وحده - برهاناً على صِدْقِ الرسول ﷺ في دعوى الرِّسالة[(٤)].

فالقرآن «برهان من الله لعباده، أقام به الحُجَّة عليهم، وأظهر من خلاله أوضح الدَّلالات وأقواها، على موضوعاته ومعانيه وحقائقه، في العقيدة والحياة.. وكلُّ مَنْ تعامل مع أدلة القرآن في يُسرها ووضوحها وتَأَثَّرَ قلبُه

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٥٥)، مادة: «بره».

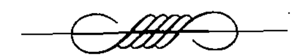
(٢) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٤) انظر: فتح القدير (١/ ٥٤٢)، أضواء البيان (٧/ ٧٩-٨٠)، تفسير السعدي (١/ ٢١٧).

وعقلُه بها، وقارَنَها بالأدلة والبراهين والأقيسة التي أوجدتها العقول البشرية وقررتها وبينتها، كل مَنْ فعل ذلك يُدركُ طرفاً من البرهان القرآني ويُسْره ووضوحه»[١].

وتتجلَّى عظمةُ القرآن الكريم ومنزلتُه العالية من خلال تسميته بالبرهان؛ ذلك لأنَّ الله تعالى أقام به الحُجَّة على عباده، تُبرهن لهم بطلان ما هم فيه من الدِّين المنسوخ، **وهي حُجَّة متنوِّعة في الاستدلال؛ لتستوعِبَها عقولُ البشر على اختلاف فهومهم وثقافاتهم**، وهذا من رحمة الله تعالى وحكمته.



المطلب الثالث
الحــــــق

معنى «الحق» في اللغة:

جاءت لفظة «الحق» في اللُّغة بمعانٍ عدة نأخذ منها ما يدل على المقصود:

عَرَّفها ابن فارس بقوله:[٢] «الحاء والقاف أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على إحكام الشيء وصحَّته».

و«أصلُ الحقِّ المطابقةُ والموافقة»[٣].

و«الحقُّ ضِدُّ الباطل»[٤].

والحقُّ من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، وقيل: من صفاته.

(١) مفاتيح للتعامل مع القرآن، (ص٣٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٢٦٩)، مادة: «حقَّ».

(٣) المفردات في غريب القرآن، (ص١٣٢)، مادة: «حق».

(٤) مختار الصحاح، (١/ ٦٢)، مادة: «حقق».

قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقةً المُتَحَقِّقُ وُجودُه وإلَهيَّتُه. قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [المؤمنون: ٧١]. قال ثعلب: الحق هنا الله عزَّ وجلَّ، وقال الزَّجاج: ويجوز أن يكون الحق هنا التنزيل، أي: لو كان القرآن بما يُحِبُّونه لَفَسَدَتِ السماواتُ والأرضُ.

وقال ﷺ لمُعاذ: «هَلْ تَدْري ما حَقُّ العبَاد على اللَّه»[١] أي: ثوابُهم الذي وَعَدَهم به فهو واجبُ الإنجازِ ثابتٌ بوعده الحَقِّ[٢].

«والأَحَقُّ من الخيل: الذي لا يَعْرَقُ، وهو من الباب؛ لأن ذلك يكون لصلابَته وقُوَّته وإحكامه»[٣].

معنى «الحق» اسماً للقرآن:

سَمَّى اللَّهُ تعالى القرآنَ حقّاً في مواضع عِدَّة من كتابه، نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].

«أي: وإن القرآن لكونه من عند الله حقٌ فلا يحولُ حوله ريب ولا يتطرَّقُ إليه شك»[٤].

وهذا القرآن العظيم عميق في الحق، عميق في اليقين، وإنه ليكشف عن الحقِّ الخالص في كل آية من آياته ما ينبئ بأن مصدره هو الحقُّ الأوحد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك، (٤/ ١٩٧٣)، (ح ٦٢٦٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (١/ ٥٨)، (ح ٣٠).

(٢) انظر: لسان العرب، (١٠/ ٥٠)، مادة: «حقق».

(٣) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٢٧٠).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٤٠١).

والأصيل[1].

٢- قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال الواحدي[2] رحمه الله: «نُلقي بالقرآن على باطلهم»[3].

و«القذف: الرَّمي، أي نرمي بالحقِّ على الباطل. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يقهره ويهلكه.

وأصل الدَّمغ: شَجُّ الرأس حتى يبلغ الدِّماغ، ومنه الدَّامِغَةُ[4]. والحقُّ هنا القرآن، والباطل الشيطان في قول مجاهد»[5].

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦].

قال الثَّعالبي[6] رحمه الله: «الضَّمير في ﴿بِهِ﴾ عائد على القرآن الذي

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٩٠).

(٢) هو أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، الشافعي، إمام علماء التأويل، له تفاسير ثلاثة هي: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، وله: «أسباب النزول». توفي سنة (٤٦٨هـ). «انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/ ٣٣٩)».

(٣) تفسير الواحدي، (٢/ ٧١٣).

(٤) «الدَّامِغَةُ مِنَ الشِّجَاج: إِحْدَى الشِّجاجِ العَشْرِ، وهي التي تَبْلُغُ الدِّمَاغَ، فَتَقْتُلُ لِوَقْتِهَا» انظر: المعجم الوسيط، (ص ٢٩٧)، مادة: «دمغ».

(٥) تفسير القرطبي، (١١/ ٢٩٥).

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثَّعالبي الجزائري، (أبو زيد): مفسِّر، من أعيان الجزائر، ولد سنة (٧٨٦هـ)، وزار تونس والمشرق. من كتبه: «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، و«الأنوار»، و«روضة الأنوار ونزهة الأخيار»، و«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز». توفي سنة (٨٧٥هـ). «انظر: الأعلام، (٣/ ٣٣١)».

فيه جاء تصريف الآيات، قاله السُّدِّي، وهذا هو الظاهر»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ جملة اعتراضية تتضمن شهادة الله بأن هذا القرآن المنزل على هذا النبيِّ الكريم ﷺ هو الحقُّ من الله[(٢)].

والمعنى: « ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ أي: بالقرآن الذي جئتم به، والهدى والبيان. ﴿قَوْمُكَ﴾ يعني: قريشاً. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾، أي الذي ليس وراءه حق. ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، أي: لَسْتُ عليكم بحفيظ، ولست بموكل بكم»[(٣)].

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ولم يُصَدِّقْ بتلك الشَّواهد الحقَّة.

وقوله: ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شكٍّ من أمر القرآن وكونه من عند الله عزَّ وجلَّ[(٤)].

«وفيه تعريضٌ بغيره ﷺ ؛ لأنه معصومٌ عن الشَّك في القرآن»[(٥)].

---

(١) تفسير الثعالبي، (١/ ٥٢٩).

(٢) انظر: أضواء البيان، (٧/ ٢٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣١٥).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود، (٤/ ١٩٥).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٤٨٨).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن حَقٌّ من الله تعالى لا مرية ولاشكَّ فيه كما قال تعالى: ﴿الم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢]. وقال تعالى: ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢](١).

«وتعريف ﴿الْحَقُّ﴾ لإفادة قَصْرِ جنسِ الحقِّ على القرآن. وهو قَصْرُ مبالغة لكمال جنس الحقِّ فيه حتى كأنه لا يوجد حق غيره، مثل قولك: حاتم الجواد»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ «إمَّا جَهْلاً منهم وضَلالاً، وإمَّا ظُلماً وعِناداً وبغياً. وإلاَّ فَمَنْ كان قَصْدُهُ حَسَناً، وفهمُهُ مستقيماً، فلابد أن يؤمن به؛ لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان مِنْ كلِّ وَجْه»(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٨-٤٩].

والقذف: الرَّمي بالسَّهم والحصى والكلام، **ومعناه**: أتى بالحقِّ وبالوحي ينزله من السَّماء فيقذفه إلى الأنبياء(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ «وهو الإسلام والقرآن»(٥).

فهذا القرآن العظيم الذي جاء به النبيُّ ﷺ هو الحق: الحقُّ القويُّ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٤١).

(٢) التحرير والتنوير، (١١/ ٢٢٧).

(٣) تفسير السعدي، (٢/ ٣٥٩).

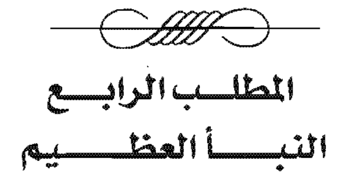
(٤) انظر: تفسير البغوي، (٣/ ٥٦٢ - ٥٦٣).

(٥) زاد المسير، (٦/ ٤٦٦).

الذي يقذف به الله تعالى. فمن ذا يقف للحقِّ الذي يقذف به الله تعالى؟

وكأنَّما الحقُّ قذيفةٌ تصدع وتخرق وتنفذ ولا يقف لها أحد في طريق، يقذف بها الله تعالى علاَّمُ الغيوب، فهو يقذف بها عن علم، ويوجهها على علم، ولا يخفى عليه هدف، ولا تغيب عنه غاية، فالطريق أمامه تعالى مكشوف ليس فيه ستور[1].

ومن خلال تسمية القرآن الكريم باسم (الحقّ) تبرز عظمتُه ومنزلتُه العالية، فلا بدَّ أن يؤمن النَّاس بهذا الحقِّ الأوحد ويستجيبوا له؛ لأنَّ مصدره هو الإله الأوحد جلَّ جلالُه، **ولا يوجد حقٌّ غيره، ففيه تعريضٌ بغيره من الكتب المُحَرَّفة؛ لاختلاط الحقِّ بالباطل فيها.**



المطلب الرابع
النبأ العظيم

معنى «النَّبأ» في اللغة:

جاءت لفظة «النَّبأ» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:[2] «النون والباء والهمزة **قياسه الإتيانُ من مكان إلى مكان**. يقال للذي يَنْبأ من أرضٍ إلى أرضٍ نابئٌ، **وسيلٌ نابئ**: أَتَى من بلَدٍ إلى بلد، ورجل نابئ مثله، ومن هذا القياس **النبأ**: الخبر؛ لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكان، **والمُنبئ**: المُخْبِر».

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٥/ ٢٩١٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٥٣٩)، مادة: «نبأ».

وَجَمْعُ النَّبَأ: أَنباءٌ، وَإِنَّ لفلان نَبَأ أي: خَبراً. واسْتَنْبَأَ النَّبأَ: بَحَثَ عنه[١].

و«النَّبَأُ: خَبَرٌ ذُو فائدَة عظيمة يَحْصُلُ به علمٌ أو غَلَبَةُ ظَنٍّ، ولا يقالُ للخَبرِ في الأصلِ نَبأٌ حتى يَتَضَمَّنَ هذه الأشْيَاء الثَّلاثة، وحَقُّ الخَبر الذي يُقَالُ فيه نَبَأٌ أَنْ يَتَعَرَّى عن الكَذِب كالتَّواتُرِ وخَبَرِ اللّهِ تعالى وخَبَرِ النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام»[٢].

معنى «النبأ» اسماً للقرآن:

سَمَّى اللّهُ تعالى القرآنَ نبأ عظيماً في موضعين: في سورة ص، وفي سورة النبأ، ولاشكَّ بأن القرآن نبأ عظيم، فمنذ إيجاد البشرية وتكوينها، ما رأت ولا سمعت بمثل هذا القرآن العظيم، فهو عظيم في أسلوبه، وعظيم في روعته، وعظيم في معناه، وعظيم في جمال تركيبه، وعظيم في وعده ووعيده، وعظيم في أحكامه، وعظيم في أمره ونهيه، وعظيم في أخباره وقصصه وأمثاله.

وَحِكْمَةُ الله تعالى تقتضي ذلك؛ لأنه الكتاب الذي جاء مُصدِّقاً ومهيمناً على كل كتاب قبله؛ ولأنه آخر الكتب السَّماوية.

ولأنه نزل تشريعاً عاماً لكل أمة ولكل جيل من أجيال العالم، وناسخاً لكل ما خالفه من الكتب قبله، فاقتضت حكمة الله أن يكون نبأ عظيماً، جاء بالصَّلاح والإصلاح بالخير والسَّعادة.

يُنبئ القرآن عن الله وعظمته وكبريائه، ينبئ القرآن عن وجوب توحيد الله وإفراده بالعبادة، ينبئ عن أحكام العبادات، وعن أحكام المعاملات، ينبئ

---

(١) انظر: لسان العرب، (١/ ١٦٢)، مادة: «نبأ».

(٢) المفردات في غريب القرآن، (ص ٤٨٢)، مادة: «نبأ».

عن كل ما يحتاجه البشر في الدِّين والدنيا.

يُنبئ القرآن عن الأمم التي تقادم عهدها وما جرى عليها من عذاب ونكال، بسبب تكذيبها وفسقها وطغيانها، ينبئ عن البعث والنشور، والحساب والعقاب، والنعيم والعذاب.

ينبئ النَّبأ العظيم عن كل شيء، من البداية إلى النهاية، من بداية خلق هذا الكون، حتى يستقر أهل الجنة في النعيم، وأهل النار في الجحيم[1].

قال الله تعالى عن القرآن العظيم: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧-٦٨].

«أي: خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله إيَّايَ إليكم، ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾، أي: غافلون. قال مجاهد[2]، وشريح القاضي[3]، والسُّدِّي في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾، يعني: القرآن»[4].

---

(١) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن، (٢/ ٣٤-٣٦).

(٢) هو شيخ القُرَّاء والمفسِّرين، أبو الحجَّاج المكِّي، مجاهد بن جبر، مولى السَّائب بن أبي السَّائب المخزومي - وقيل غيره - أشهر تلاميذ ابن عباس، أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه، يقول: «عرضتُ القرآنَ ثلاثَ عرضات على ابن عباس، أقفُه عند كل آية أسأله فيم نزلت، وكيف كانت». قال عنه قتادة: «أعلمُ مَنْ بقي بالتفسير مجاهد». توفي وهو ساجد سنة (١٠٣هـ). وقد بلغ: (٨٣) سنة.

«انظر: طبقات ابن سعد، (٥/ ٤٦٦). سير أعلام النبلاء، (٤/ ٤٤٩)».

(٣) هو شُرَيح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكِنْدي، أبو أمية منْ أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن، وَلِيَ قضاءَ الكوفة زمنَ عمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، ومعاويةَ، واستعفى أيام الحجَّاج فأعفاه سنة (٧٧هـ). وكان ثقةً في الحديث. تُوُفِّيَ سنة (٧٨هـ) بالكوفة. «انظر: تهذيب التهذيب، (٤/ ٣٢٦-٣٢٨). الأعلام، (٣/ ١٦١)».

(٤) تفسير ابن كثير، (٤/ ٤٣).

قال السَّمرقندي(١) رحمه الله: «قوله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾: يقول القرآن حديث عظيم؛ لأنه كلام ربِّ العالمين ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ يعني: تاركون فلا تُؤمنون به»(٢).

وقال ابن الجوزي(٣) رحمه الله: «وفي المُشَار إليه قولان:

أحدهما: أنه القرآن. قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور.

والثاني: أنه البعث بعد الموت»(٤).

ولقد جاء هذا النَّبأ العظيم ليتجاوز قريشاً في مكة، والعربَ في الجزيرة، والجيلَ الذي عاصر الدَّعوةَ في الأرض. ليتجاوز هذا المدى المحدود من المكان والزمان، **ويؤثِّرَ في مستقبل البشرية كلِّها في جميع أعصارها وأقطارها،** ويُكيِّفَ مصائرَها منذ نزوله إلى الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) هو صاحب الأقوال المفيدة والتَّصانيف المشهورة، المعروف بإمام الهدى (أبو اللَّيث) نصر بن محمد السَّمرقندي، نسبة إلى سمرقند، من تصانيفه: «تفسير القرآن العظيم»، و «تنبيه الغافلين»، و «النوازل في الفقه». توفي سنة (٣٧٥هـ).
«انظر: طبقات المفسرين، (٢/ ٣٤٦)».

(٢) تفسير السمرقندي، (٣/ ١٦٥).

(٣) هو العلاَّمة الحافظ المُفسِّر: جمال الدِّين (أبو الفرج) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الحنبلي، من نسل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق. كان يحضر مجلسه مئات الدَّارسين، له مصنفات كثيرة بلغت: (٢٥٠) مصنَّفاً، ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٩٧هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، (٢١/ ٣٦٥). البداية والنهاية، (١٣/ ٢٨)».

(٤) زاد المسير، (٧/ ١٥٤).

ولقد حَوَّلَ هذا النبأ العظيم خَطَّ سير البشرية إلى الطَّريق الأقوم.

ولم يمر بالبشرية في تاريخها كلِّه حادث أو نبأٌ ترك فيها من الآثار ما تركه هذا النَّبأ العظيم، وفيه إبرازٌ لعظمته، وعلوٍّ شأنه، ومنزلته وتأثيره.

ولقد أنشأ من القيم والتَّصورات، وأرسى من القواعد والنُّظُم في هذه الأرض كلِّها، وفي أجيال البشرية جميعها، ما لم يخطر للعرب على بال.

وما كانوا يُدركون في ذلك الزمان أن هذا النبأ العظيم إنما جاء ليغير وجه الأرض من شرك إلى توحيد، ومن ظلم إلى عدل، ويحقق قَدَرَ الله تعالى في مصير هذه الحياة، ويؤثر في البشرية وفي واقعها.

موقف المسلمين المعاصرين:

المسلمون المعاصرون يقفون مِنْ هذا النبأ العظيم كما وقف منه العرب أول الأمر.

لا يدركون طبيعتَه، ولا يتدبرون الحقَّ الكامن فيه، ولا يستعرضون آثاره في تاريخ البشرية وفي خط سيرها الطويل استعراضاً واقعياً، يعتمدون فيه على نظرة مستقلة غير مستمدة من أعداء هذا النبأ العظيم، الذين يهمُّهم دائماً أن يُصَغِّروا من شأنه في تكييف حياة البشر وفي تحديد خط التاريخ[١].



(١) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٣٠٢٦).

المطلب الخامس
البـــــــلاغ

معنى «البلاغ» في اللغة:

جـاءت لفظة «البـلاغ» في اللُّغـة بمعـانٍ عِـدَّة نأخـذ منهـا مـا له صلة بموضوعنا:

عـرَّفـها ابن فـارس بقـوله:[١] «الباء واللام والـغين أصلٌ واحد وهو **الوُصول إلى الشيء**: تقول بَلَغتُ المكانَ، إذا وصَلْتَ إليه».

و«بَلَغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى»[٢].

و«**البلوغُ والبلاغُ**: الانتهاءُ إلى أَقْصى المَقْصِد والمُنتهى مكاناً كانَ أو زَماناً أو أمراً مِنَ الأُمورِ المُقدَّرَة»[٣].

و البُلْغَةُ مـا يُتَبَلَّغُ به من عَيشٍ، كأنَّه يُرادُ أنه يبلُغُ رُتْبَـةَ المُكْثِرِ إذا رَضِيَ وقَنَع؛ وكذلك البَلاغَةُ التي يُمْدَحُ بها الفَصِيحُ اللِّسان؛ لأنه يبلُغُ بها ما يريده.

وقـولهم بـلَّغَ الفـارسُ، يُرَادُ به أنه يمـدُّ يَدَه بِعِنانِ فَـرسِـهِ لِـيَـزيدَ في عَدْوِه[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/١٥٦)، مادة: «بلغ».
(٢) لسان العرب، (٨/٤١٩)، مادة: «بلغ».
(٣) المفردات في غريب القرآن، (ص٧٠)، مادة : «بلغ».
(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، (١/١٥٦).

معنى «البلاغ» اسماً للقرآن:

قال الله تبارك وتعالى في مَدْحِ القرآن: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

قال السعدي(١) رحمه الله: «فَلَمَّا بيَّن البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: يتبلَّغون به ويتزوَّدون إلى الوصول إلى أعلى المقامات، وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع وجميع العلوم التي يحتاجها العباد ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد الله لأهلها من العقاب»(٢).

وذَكَرَ السيوطي(٣): رحمه الله سببَ تسمية القرآن بالبلاغ فقال: «وأمَّا البلاغ؛ فلأنه أُبْلِغَ به النَّاسَ ما أُمروا به ونُهوا عنه؛ أو لأن فيه بلاغةً وكفايةً عن غيره.

قال السِّلَفِي(٤) في بعض أجزائه: سمعت أَبا الكرم النحويّ يقول:

---

(١) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، نشأ في بلاد القصيم، ودرس على علماء الحنابلة هناك، وكان ذا معرفة تامَّة في الفقه، وكان مشتغلاً بكتب ابن تيمية وابن القيم واستفاد من ذلك خيراً كثيراً. له كتاب: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، و«القول السديد في مقاصد التوحيد» وغيرهما. توفي سنة (١٣٧٦هـ). «انظر: مقدِّمة كتاب تيسير الكريم الرحمن».

(٢) تفسير السعدي، (١/٤٢٨).

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، المصري، الشافعي، نشأ في القاهرة يتيماً، وقرأ على جماعة من العلماء، وهو كثير المؤلفات، ومن أشهر مؤلفاته: «الدُّر المنثور في التَّفسير المأثور»، و«الجامع الصَّغير في الحديث» وغيرهما. توفي سنة (٩١١هـ). «انظر: معجم المؤلفين، (٥/٢٨)».

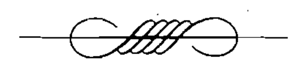
(٤) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة، الأصبهاني، أحدُ الحفَّاظ المكثرين، شافعيُّ المذهب، ولد سنة (٤٧٢هـ)، وتوفي سنة (٥٧٦هـ) بالإسكندرية. =

سمعت أبا القاسم التنوخيّ، يقول: سمعت أبا الحسن الرُّمانيّ سئل: كل كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾»[1].

ومن خلال ما تقدَّم يتبيَّن لنا بجلاء أنَّ القرآن العظيم بلاغٌ للنَّاس أجمعين يتبلَّغون به ويتزوَّدون به إلى الجنة إنْ استجابوا له؛ ذلك أنَّ الله تعالى أبْلَغَهم به ما فيه صلاحُهم وفلاحُهم في الدُّنيا والآخرة.

وفي القرآن العظيم كذلك بلاغَةٌ وكفايةٌ عن غيره من الكتب المحرَّفة فَضْلاً عن قوانين البشر الوضعية، كُلُّ ذلك يدلُّ على عظمتِه، وعلوِّ شأنه، ومنزلتِه عند الله تعالى.

فينبغي أن يكون القرآنُ - في قلوب المؤمنين - عظيماً لِيتبلَّغوا به إلى جنَّاتِ النعيم.



= «انظر: وفيات الأعيان، (١/ ١٠٥- ١٠٧)، (ت٤٤). اللُّباب في تهذيب الأنساب، (٢/ ١٢٦)».

(١) الإتقان في علوم القرآن، (ص١٣٨).

المطلب السادس
الـــــروح

معنى «الرُّوح» في اللغة:

جـاءت لفظة «الرُّوح» في اللُّغـة بمعانٍ عِـدَّة نأخـذ منها مـا يدلُّ على المقصود:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:(١) «الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مُطَّرد، يدلُّ على سَعَة وفُسْحَة واطِّراد، وأصل ذلك كلِّه الرِّيح».

والرُّوحُ: النَّفْسُ، يُذكَّر ويؤنَّث، والجمع أرواح.

والرُّوحُ والنَّفْسُ واحـد، غـيرَ أنَّ الرُّوحَ مُـذكَّر، والـنَّفْسَ مؤنَّثـة عند العرب.

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وتأويلُ الرُّوح أنه مـا به حـيـاةُ النَّفْس. **والرُّوح**: هو الذي يعـيش به الإنسان، لم يُخبر اللهُ تعالى به أحداً من خلقه ولم يُعْطِ عِلْمَه العباد.

والرُّوحانـيون: أرواح ليـست لها أجـسام. ولا يقـال لشيء من الخلق رُوحانيٌّ إلاَّ للأرواح التي لا أجساد لها مثل الملائكة والجن وما أشبههما(٢).

معنى «الروح» اسماً للقرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٤٩٤)، مادة: «روح».

(٢) انظر: لسان العرب، (٢/٤٦٣ - ٤٦٤)، مادة: «روح».

﴿الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قال أبو السُّعود - رحمه الله - في قوله ﴿رُوحًا﴾:[1] «هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الرُّوح للأبدان حيث يُحييها حياةً أبدية».

«وتنوين ﴿رُوحًا﴾ للتعظيم، أي: رُوحاً عظيماً»[2].

والمعنى: **﴿وَكَذَلِكَ﴾** حين أوحينا إلى الرسل قبلك **﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾** وهو: هذا القرآن العظيم، **سَمَّاه رُوحاً؛ لأنَّ الرُّوح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالِحُ الدُّنيا والدِّين**، لما فيه من الخير الكثير. وهو مَحض منَّة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال تعالى: **﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾** أي: قبل نزوله عليك **﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾** أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السَّابقة، ولا إيمان وعمل بالشَّرائع الإلهية، بل كنت أُمياً، لا تخُطُّ ولا تقرأ.

فجاءك هذا الرُّوح الذي: **﴿جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾** يستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المُرْدِيَة، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصِّراط المستقيم[3].

ولاجَرَمَ أَنَّ القرآن رُوحٌ وحياةٌ للإنسانية جَمْعاء، الإنسانية التي قَتَلَها الغرور وأماتها الجهل، ونَخَر في أعضائها السُّوس، وتسرَّبت إليها الأمراض الفاتكة، فانتكست وتعثَّرت وتدهورت، لاصِحَّة لها. ولا حياة طَيِّبة إلاَّ

(١) تفسير أبي السعود، (٨/٣٨).

(٢) روح المعاني، للألوسي (٢٥/٥٨).

(٣) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٤٣٤ -٤٣٥).

بالقرآن العزيز، الذي سمَّاه اللهُ روحاً - روحاً حَيَّةً نابضة[١].

فَمِنْ عظمـةِ القرآن وعلوٍّ شأنه أنَّه بمنزلة الرُّوح للأبدان تحـيا به القلوب والأرواح، **فهو حيـاة للإنسانية جَمْعَاء، ومَنْ لم يؤمن بهـذا الرُّوح فهو ميت، وإنْ أكل وشرب**، قال الله تعـالى: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْـمِعُ الْمَـوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [النمل: ٨٠ - ٨١].



المطلب السابع
الموعظـــــــــة

معنى «الموعظة» في اللغة:

جاءت لفظة «الموعظة» في اللُّغة بمعانٍ متعـددةٍ ومتنوِّعة نذكر منها ما له صلة بموضوعنا:

قال ابن فارس:[٢] «الواو والعين والظاء كلمة واحدة».

وقد عرفها الأصفهـــاني[٣] بقوله: «**الَوعْظُ زَجْرٌ مُقْتَرِنٌ بِتَخْـــوِيف**.

(١) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن، (٢/ ٤٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٦٣٩)، مادة: «وعظ».

(٣) هو أبو القاسم الحسين بن محمـد بن المفضل الأصفهـاني، الملقب بالراغب، توفي سنة (٥٠٢هـ). قال الذهبي عنه: «كـان من أذكياء المتكلِّمين». ومن مصنفـاته: «المفردات في غريب القرآن»، و «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و «محاضرات الأدباء».

«انظر: شذرات الذهب، (٣/ ٣٨٣). سير أعلام النبلاء، (١٨/ ١٢٠)».

قال الخليلُ: هو التَّذْكيرُ بالخَيْرِ فيما يَرِقُّ له القَلْبُ، والعِظَةُ والمَوْعِظَةُ الاسم»[(١)].

واتَّعَظَ هو: قَبِلَ الموعظة، حين يُذكر الخبر ونحوه.

ويُقال: السَّعيدُ مَنْ وُعِظ بغيره والشَّقيُّ من اتَّعَظ به غَيرُه[(٢)].

معنى «الموعظة» اسماً للقرآن:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧].

«يعني القرآن فيه ما يَتَّعِظُ به مَنْ قرأه وعَرَفَ معناه»[(٣)].

«**والموعظة: القرآن**؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف، ويزجر ويرقق القلوب، ويَعِد ويُوعِد، وهذه صفة الكتاب العزيز»[(٤)].

والمعنى: يا أيها الناس قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية، الكاشفة عن مَحاسنِ الأعمال ومَقابِحِها، المرغبة في المحاسن، والزاجرة عن المقابح.

قد جاءكم كتاب جامع لكل المواعظ أو الوصايا الحسنة التي تُصْلِح الأخلاقَ والأعمال وتزجر عن الفواحش، وتشفي الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وتهدي إلى الحق واليقين والصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة[(٥)].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص٥٤٢)، مادة: «وعظ».

(٢) انظر: لسان العرب، (٧/ ٤٦٦)، مادة: «وعظ».

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٤٥٣).

(٤) تفسير الثعالبي، (٢/ ١٨١).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٢٠٤)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي (٦/ ٢١٣).

وَوَصَفَ هذه الموعظة بأنها: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ للتنبيه على حُسْنها وكَمالها وضَرُورة العالَمِ أجمع إليها[١]، وهل تُوجد أبلغ من الموعظة الربانية ؟ وأكثر نفاذاً منها إلى القلوب؟

والقرآن في الحقيقة موعظة بليغة؛ لأن القائل هو اللهُ جلَّ جلالُه، والآخذ جبريلُ عليه السَّلام، والمستملي محمدٌ ﷺ، فكيف لا تقع به الموعظة[٢].

فلو اجتمع الخلقُ كلُّهم إنسُهم وجنُّهم وأتوا بالبلغاء والفصحاء لم يدانوا الموعظة القرآنية ولم يقاربوها في شيء، فأين كلامٌ من كلام، وأين موعظةٌ من موعظة. وفي هذا إبراز لعظمة القرآن، وعلوِّ شأنه، وتأثيره وفاعليَّته.

والقرآن كذلك موعظةٌ حَكيمة مُحكَمة، هي سياط القلوب، وفي الوقت نفسه فرحها واستبشارها، أَمَرَتْ بكل خير ونهت عن كل شر، فيجب تلقيها بالرضا والقبول والتسليم.

فكفى بالقرآن واعظاً، وكفى بالقرآن زاجراً، وكفى بالقرآن هادياً ومُذَكِّراً. قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨]. فالمُنتفعون بموعظة القرآن هم: المتَّقون، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.



(١) انظر: التحرير والتنوير، (١١/ ١٠٩).

(٢) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢/ ١٤).

المطلب الثامن
الشـــفاء

معنى «الشفاء» في اللغة:

جاءت لفظة «الشفاء» في اللُّـغة بمعانٍ متعددة ومتنوعـة نذكر منها ما له صلة بموضوعنا:

فقد عرفها ابن فارس بقوله:(١) «الشين والفاء والحرف المعتل يدلُ على الإشراف على الشيء. يقال أشفى على الشيء إذا أشرفَ عليه، **وسُمِّي الشِّفاء شفاءً لغَلَبَته للمرض وإشفائه عليه»**.

والشِّـفاءُ: دواء معـروفٌ، وهو ما يُبرئُ من السَّـقَمِ، والجمعُ أشْفِـيَةٌ، وأشاف جَـمْعُ الجَمْع. واسْـتشْفَى فـلانٌ: طلبَ الشِّفـاء. وأَشْفَـيْتَ فلاَناً إذا وَهَبْتَ له شفاءً من الدواء.

وشفاهُ وأشْفاهُ: طلب له الشِّفاءَ (٢).

معنى «الشفاء» اسماً للقرآن:

لقد سمَّى اللَّه عزَّ وجلَّ القرآنَ العظيمَ شفاءً في ثلاثة مواضع من كتابه، وهي:

١- قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾** [يونس: ٥٧].

«أي: دواء للقلوب من أمـراضـها التي هـي أشدُّ من أمـراض الأبدان

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/٦١٩)، مادة: «شفى».

(٢) انظر: لسان العرب، (١٤/٤٣٦)، مادة: «شفي».

كالشَّك والنفاق والحسد والحقد وأمثال ذلك»[١].

ولاشك أن «هذا القرآن، شفاء لما في الصدور، من أمراض الشَّهوات الصَّادرة عن الانقياد للشَّرع، وأمراض الشُّبهات، القادحة في العلم اليقيني»[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

«والشفاء حقيقته زوال الداء، ويستعمل مجازاً في زوال ما هو نقص وضلال وعائق عن النفع من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة والأخلاق الذميمة تشبيهاً ببرء السقم، كقول عنترة[٣]:

ولقد شَفَى نفسي وابرأ سُقْمها   قيل الفوارس: ويْكَ عنترَ قَدِّمِ

والمعنى: أن القرآنَ كُلَّه شفاء ورحمة للمؤمنين...

وفي الآية دليل على أن في القرآن آيات يُستشفى بها من الأدواء والآلام وَرَدَ تعيينها في الأخبار الصَّحيحة فشملتها الآية بطريقة استعمال المُشْتَرَكِ في معنييه»[٤].

---

(١) روح المعاني، (١١/ ١٧٦).

(٢) تفسير السعدي، (٢/ ٣٢٦).

(٣) هو عَنترةُ بن شدَّاد بن عمرو بن معاوية العَبْسي. شاعر، من فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد. أُمُّه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السَّواد منها، وكان مِنْ أحسن العرب شيمةً، ومن أعزِّهم نَفْساً، يُوصف بالحلم على شِدَّة بطشه، وكان مُغرماً بابنة عَمِّه عبلة، واجتمع في شبابه بامرئ القيس الشَّاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص، وجبار بن عمرو الطائي نحو: (٢٢ ق.هـ). يُنسب إليه ديوان شعر. «انظر: معجم المؤلفين، (٢/ ٥٨٧). الأعلام، (٥/ ٢٦٩)».

(٤) التحرير والتنوير، (١٤/ ١٥٠).

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ولْنَدَعْ للفخر الرازي رحمه الله الحديث عن شفاء القرآن، فقال[١]:

«**واعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية**، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، أما الاعتقادات الباطلة: فأشدها فساداً الاعتقادات الفاسدة في الإلهيات والنبوات، والمعاد، والقضاء والقدر. والقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه المطالب، وإبطال المذاهب الباطلة فيها، . . . وأما الأخلاق المذمومة: فالقرآن مشتمل على تفصيلها، وتعريف ما فيها من المفاسد، والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة، . . .

وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية: فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيراً من الأمراض. . .».

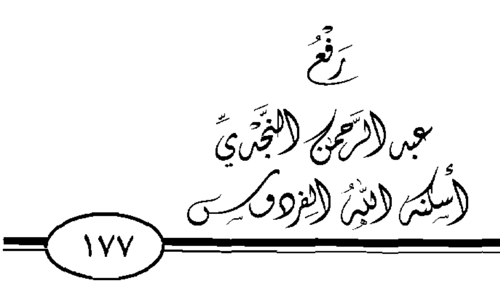
وينبغي علينا أن نُوَسِّعَ دائرةَ شفاء القرآن من أمراض القلوب والنفوس والجوارح إلى الأمراض العصرية المزمنة كأمراض السِّياسة والاقتصاد والحياة والحضارة وغيرها من أمراض العصر المعقدة، بهذا المفهوم الشَّامل يجب علينا أن ننظر للشِّفاء القرآني، ولا نقصره على آلام الرأس والبطن والجسد[٢].

فمن عظمة القرآن الكريم، وعلوِّ شأنه، وعظمة تأثيره: أنَّ فيه الشفاءَ الكامل لأمراض الاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، والأمراض الجسدية، وشفاؤه يمتد كذلك إلى الأمراض المُعاصِرَةِ المُزمنة لو أخذ الناس بتعاليمه وأدويته النَّافعة فعملوا بها.

---

(١) التفسير الكبير، (٢١/ ٢٩).

(٢) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن، (ص٣٤- ٣٥).



المطلب التاسع
أحسن الحديث

معنى «الحديث» في اللغة:

جاءت لفظة «الحديث» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما يدل على المقصود:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:(١) «الحاء والدال والثاء أصلٌ واحد، وهو كونُ الشيءِ لم يكن. يقال حدثَ أمرٌ بَعْد أن لم يَكُنْ».

والحَديثُ: الخبر قليله وكثيره، وجَمْعُه أحاديثُ على غير القياس.

والأُحْدُوثَةُ: بوزن الأعجوبة ما يُتحدَّثُ به، **والمُحَدَّثُ**: بفتح الدال وتشديدها الرَّجُلُ الصَّادق الظَّن(٢).

والحَديثُ: نقيضُ القديم.

واستَحْدَثْتُ خَبَراً: أي وَجَدْتُ خَبَراً جديداً(٣).

معنى «أحسن الحديث» اسماً للقرآن:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

«يعني أَحْكَمَ الحديث، وهو القرآن»(٤).

فهذا مدح مِنَ الله عزَّ وجلَّ لكتابه القرآن العظيم المُنزَّل على رسوله الكريم، أنه أحسن الحديث وأحسن الكلام على الإطلاق.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٢٨١)، مادة: «حدث».

(٢) انظر: مختار الصحاح، (١/ ٥٣)، مادة: «ح د ث».

(٣) انظر: لسان العرب، (٢/ ١٣١ - ١٣٤)، مادة: «حدث».

(٤) تفسير السمرقندي (٣/ ١٧٤).

«**وأحسن الكتب المنزَّلة مِنْ كلام اللَّه، هذا القرآن.** وإذا كان هو الأحسن، عُلِمَ أَنَّ ألفاظَه أفصح الألفاظ، وأوضحها، وأن معانيه أجلُّ المعاني؛ لأنه أَحْسَنُ الحديث في لفظه ومعناه، مُتَشابهٌ في الحُسْن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه.

حتى إنه كلما تدبره المتدبِّر، وتفكر فيه المتفكِّر، رأى من اتِّفاقه، حتى في معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلاَّ من حكيم عليم»[(١)].

«**وفي هذه الآية نكتة،** وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين، أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل مِنْ طريقٍ إلى معرفة أحسنه، حتى نتصف بصفات أولي الألباب، وحتى نعرف أن مَنْ آثره فهو مِنْ أولي الألباب؟

قيل: نعم، أحسنه ما نصَّ اللهُ عليه بقوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾الآية»[(٢)].

«**وسمَّاه حديثاً؛** لأن النبيَّ ﷺ كان يُحدِّث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه»[(٣)].

وهذه الآية الكريمة تدلُّ دلالة واضحة على «تفضيل القرآن على غيره من كلام اللَّه، التوارة والإنجيل، وسائر الكتب، وأن السلف كلَّهم كانوا مقرين بذلك، ليس منهم مَنْ يقول الجميع كلام الله فلا يفضل القرآن على

---

(١) تفسير السعدي، (٤/٣١٨). وانظر: التحرير والتنوير، (٢٤/٦٧).
(٢) تفسير السعدي، (٤/٣١٥).
(٣) فتح القدير، (٤/٤٥٨).

غيره»[١].

وافتتاح الآية باسم الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ يؤذن بتفخيم أحسن الحديث المنزَّل بأنَّ منزِّله هو أعظم عظيم، ويفيد الاختصاصَ كذلك، أي اختصاصُ تنزيل الكتاب بالله تعالى.

والمعنى: اللهُ تعالى هو الذي نَزَّلَ الكتابَ لا غَيْرُه وَضَعَه، فهذا كناية عن كونه وحياً من عند الله تعالى لا مِنْ وَضْعِ البشر.

وقد سُمِّي القرآن حديثاً في مواضع كثيرة من كتاب اللَّه تعالى، ومنها:

١- قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩].

٤- قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤][٢].

وكونُ القرآن العظيم أحسن الحديث على الإطلاق، وأحسن الكتب المنزَّلة من كلام الله تعالى، من حيث فصاحة ألفاظه ووضوحها، وجلالة معانيه وكثرتها ونفعها، دلَّ ذلك على عظمته وفخامته وعلوِّ شأنه ورفعته.



(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، (١٧/ ١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٤/٦٦).

ثانياً: عظمة أوصاف القرآن

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: الحكيم.

المطلب الثاني: العزيز.

المطلب الثالث: الكريم.

المطلب الرابع: المجيد.

المطلب الخامس: العظيم.

المطلب السادس: البشير والنذير.

المطلب السابع: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المطلب الأول
الحكـــــيم

معنى «الحكيم» في اللغة:

جاءت لفظة «الحكـــيم» في اللُّغــة بمعانٍ متـعدِّدَة ومتنوِّعة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:(١) «الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المَنْعُ وأوَّل ذلك الحُكم، وهوالمَنْع من الظُّلْم».

ويقال لِمَنْ يُحْسِنُ دقائقَ الصِّناعات ويُتقنها: حكيمٌ.

وقد حكَمَ، أي: صار حكِيماً.

وحكَمَ الشيءَ وأحْكَمَهُ، كلاهُما: مَنَعَهُ مِنَ الفساد.

يُقال: حكِّم اليَتِيمَ كما تُحكِّمُ ولدَك، أي: امْنَعْه مِنَ الفَسَادِ وأَصْلِحه كما تُصلح ولدك. وكُلُّ مَنْ منعتَه مِنْ شيءٍ فقد حكَّمْتَه وأَحْكَمْتَهُ.

وسُمِّيت حكَمَةُ الدَّابة بهذا المعنى؛ لأنها تمنعُ الدَّابةَ مِنْ كثيرٍ مِنَ الجهل(٢).

«ويُقال حكَمْتُ السَّفِيهَ وأَحْكمتُه، إذا أخذتَ على يديه، قال جرير(٣):

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٣١١)، مادة: «حكم».

(٢) انظر: لسان العرب، (١٢/ ١٤٠، ١٤٣)، مادة: «حكم».

(٣) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، (أبو حَزْرَة) من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة (٢٨-١١٠هـ). وعاش عمرَه كلَّه يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجَّاءً مُراً - فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. وقد جُمِعَت: «نقائضه مع الفرزدق» في ثلاثة أجزاء، و «ديوان شعره» في جزءين.

«انظر: الأعلام، (٢/ ١١٩). معجم المؤلفين، (١/ ٤٨٤)».

أَبَنِي حَنيفةَ أَحْكِمُوا سُفهاءَكم　　　إِنِّي أخافُ عليكمُ أَنْ أَغْضَبَا»[١].

معنى «الحكيم» وَصْفاً للقرآن:

وَصَفَ اللَّه تبارك وتعالى كتابه بأنه «حكيم» في عِدَّة آيات، منها:

١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، لقمان: ٢].

جاء وَصْفُ القرآنِ هنا بأنه ﴿الْحَكِيمِ﴾ ويُحمل على عِدَّة معانٍ، ومنها:

أ- الحكيم بمعنى المُحْكَم بالحلال والحرام والحدود والأحكام، فعيل بمعنى مفعَل، قاله أبوعبيدة وغيره. ويشهد له قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١].

ب- الحكيم بمعنى الحاكم، أي أنه حاكم بالحلال والحرام، وحاكم بين الناس بالحق، فعيل بمعنى فاعل. ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

جـ- الحكيم بمعنى المحكوم فيه، أي حَكَمَ الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحَكَمَ فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكَمَ فيه بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول، قاله الحسن وغيره.

د- الحكيم بمعنى المُحْكَم من الباطل لا كَذِبَ فيه ولا اختلاف، قاله

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (١/ ٣١١).

مقاتل، فعيل بمعنى مفعَل. كقول الأعشى[١] يذكر قصيدتَه التي قالها:

وغريبةٍ تأتي الملوكَ حكيمةٍ قد قلتُها لِيُقال مَنْ ذا قالَها[٢].

وقد ذَكَرَ السعديُّ رحمه اللَّه شيئاً من إحكام آيات القرآن الحكيم فقال[٣]:

«**ومنْ إحكامها**: أنها جاءت بأجلِّ الألفاظ وأفصحها، وأبينها، الدَّالة على أجَلِّ المعاني وأحسنها.

ومَنْ إحكامها: أنها محفوظة من التَّغيير والتَّبديل، والزِّيادة والنَّقص، والتَّحريف.

ومن إحكامها: أن جميع ما فيها من الأخبار السَّابقة واللاَّحقة، والأمور الغيبية كلِّها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها نبي من الأنبياء، ولم يأت ولن يأت عِلْمٌ محسوس ولا معقول صحيح يُناقض ما دلَّت عليه.

ومن إحكامها: أنها ما أَمرت بشيء، إلاَّ هو خالص المصلحة، أو

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، (أبو بصير) المعروف: بأعشى قيس، من شعراء الطَّبقة الأُولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلَّقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفُرس، غزير الشِّعر، عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يُسلم. ولقِّب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة - قرب مدينة (الرِّياض) - وفيها داره، وبها قبره. توفي سنة (٧هـ). «انظر: الأعلام، (٧/ ٣٤١). معجم المؤلفين، (٣/ ٩٤٩)».

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٤٢)، تفسير القرطبي (٨/ ٢٨٤).

(٣) تفسير السعدي، (٤/ ١٠١).

راجحها. ولا نهت عن شيء، إلاَّ وهو خالص المفسدة، أو راجحها. وكثيراً ما يُجمع بين الأمر بالشَّيء، مع ذكر حكمته وفائدته، والنَّهي عن الشَّيء، مع ذكر مضرَّته.

ومن إحكامها: أنها جَمَعت بين التَّرغيب والتَّرهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيِّرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم.

ومن إحكامها: أنك تجد آياتها المتكررة، كالقَصَص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف».

وأنَّى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب الحكيم، وهو تنزيلٌ من حكيم حميد، **والحكمةُ ظاهرةٌ في بنائه، وتوجيهه، وطريقة نزوله، وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق**[(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿**يسٓ ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾ [يس ١-٢].

فهذا قَسَمٌ من الله تعالى بالقرآن الحكيم، وقد وَصَفَهُ بالحكمة، وهي: وَضْعُ كل شيء في موضعه اللائق به.

ولا يخفى ما بين المُقْسَم به - وهو القرآن الحكيم - **وبين المُقْسَم عليه** - وهو رسالة الرسول ﷺ - **من الاتصال**، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلاَّ هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلاً وشاهداً على هذه الرسالة النبوية الكريمة[(٢)].

والقرآن الحكيم يخاطب كُلَّ أحدٍ بما يناسبه ويؤثر فيه كائناً من كان، وهذا من مقتضيات أن يكون حكيماً.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٥/ ٣١٢٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٢٢٧).

والقرآن الحكيم يُربِّي أيضاً بحكمة، وفق منهج عقلي ونفسي مستقيم، منهج يوجه طاقات البشر إلى الوجه الصَّالح القويم، ويقرر للحياة كذلك نظاماً يسمح بكل نشاط بشري في حدود ذلك المنهج الحكيم(١).

وسواءٌ جاء وَصْفُ القرآن العظيم بأنه «حكيمٌ»؛ لأنَّه مُحْكَمٌ بالحلال والحرام والحدود والأحكام، أو وُصفَ بذلك؛ لأنَّه حاكمٌ بالحلال والحرام وحاكم بين النَّاس بالحقِّ، أو وُصِفَ بذلك؛ لأنَّه مَحكومٌ فيه، قد حكَمَ اللهُ تعالى فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكَمَ فيه بالنَّهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكَمَ فيه بالجنَّة لمن أطاعه وبالنَّار لمن عصاه، أو وُصِفَ بذلك؛ لأنه مُحْكَم من الباطل فلا كَذبَ فيه ولا اختلاف؛ **فقد دَلَّ ذلك جميعُه على عظمة القرآن وفخامته، وعلوِّ شأنه ورفعته.**



المطلب الثاني
العـــــزيـــز

معنى «العزيز» في اللغة:

جاءت لفظة «العزيز» في اللُّغة بمعانٍ عدَّة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود وهي:

العزُّ ضدُّ الذُّل، يقال: عَزَّ يَعِز عِزاً - بكسر العين فيهما، وعَزازةً بالفتح فهو عَزيزٌ، أي: قوي بعد ذِلة(٢).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٥/ ٢٩٥٨).

(٢) انظر: مختار الصحاح، (١/ ١٨٠)، مادة: «ع ز ز».

والعزُّ في الأصل: القوَّة والشِّدَّة والغلبة، **والعزُّ والعِزَّة:** الرِّفعة والامتناع. **ورجل عَزيزٌ:** مَنيعٌ لا يُغْلب ولا يُقْهر(١).

والعزَّةُ: حَالَةٌ مَانِعَةٌ للإنْسَانِ مِنْ أَنْ يُغْلَبَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَرْضٌ عَزازٌ أي: صُلْبَةٌ.

وَيُقال: عَزَّ عليَّ كذا: صَعُبَ، وعزَّهُ في كذا: غَلَبَهُ.

قال تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]. أي: غَلَبَني(٢).

معنى «العزيز» وَصْفاً للقرآن:

قال الله تعالى في وَصْف القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]. أي: «يَصْعُبُ منالُه ووجودُ مِثْله»(٣).

والعزيز: النَّفيس، وأصله من العزَّة وهي المنعة؛ لأنَّ الشيءَ النَّفيس يُدافعَ عنه ويُحمى عن النبذ، ومِثْلُ ذلك يكون عزيزاً، والعزيز أيضاً: الذي يَغْلِب ولا يُغْلَب، وكذلك حجج القرآن(٤).

«ووَصَفَ تعالى الكتابَ بالعزَّة؛ لأنه بصحَّة معانيه ممتنع الطَّعن فيه، والإزراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى»(٥).

* **وجِمَاعُ أقوالِ المفسرين في وَصْفِ القرآن بأنه ﴿عَزِيزٌ﴾ ما يلي(٦):**

١- مَنيعٌ من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً. ولا يستطيع أنْ يغيره أو يزيد

---

(١) انظر: لسان العرب، (٥/ ٣٧٤-٣٧٥)، مادة: «عزز».

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٣٣٥-٣٣٦)، مادة: «عز».

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٧١).

(٥) تفسير ابن عطية، (٥/ ١٩).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٧)، زاد المسير (٧/ ٢٦٢).

فيه أو ينقص منه.

٢- كريم على الله، وعزيز على الله، وعـزيز من عند الله، فينبغي أن يُعَزَّ ويُجَلَّ وألاَّ يُلغى فيه.

٣- عديمُ الـنظير، منيعٌ من البـاطل، ومِنْ كل مَنْ أراده بتحـريف أو سوء.

٤- يمتنع على الناس أن يقولوا مثله، فهو غالب وقاهر.

٥- غير مخلوق.

والمتأمِّل في هـذه الأقوال يجدها جـميعـاً تنطبق على «**العزيز**» وَصْفاً للقرآن، وهي من اختلاف التنوع لا التَّـضاد، تدلُّ على عظمة القرآن وعزَّته، وعلوِّ شأنه ورفعته.

فنحـمد اللهَ العـزيزَ، الذي أنزل كـتاباً عـزيزاً: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ [فصلت: ٤١]، على نبيٍّ عزيز: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]. لأمةٍ عزيزة: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون: ٨][1].



(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي (٢/ ١٧).

المطلب الثالث
الكـــــــريم

معنى «الكريم» في اللغة:

جاءت لفظة «الكريم» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:(١) «الكاف والراء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشَّيء في نفسه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق. يقال: رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم، **وأكرمَ الرَّجلُ**، إذا أتى بأولادٍ كرام، **واستكْرَمَ**: اتَّخذَ عِلْقماً كريماً، **وكَرُم السَّحابُ**: أتَى بالغَيث، **وأرضٌ مكرُمةٌ للنَّبات**، إذا كانت جيِّدة النبات. **والكَرَم في الخُلُق**: يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المُذنب، قال عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتيبة(٢): الكريم: الصَّفوح، واللهُ تعالى هو الكريم الصَّفوح عن ذُنوب عباده المؤمنين».

والكريم: من أسماء الله الحسنى، وهو الجواد المُعْطي الذي لا يَنْفَدُ عَطاؤه، **وهو الكريم المُطْلَق**، والكريم الجامع لأنواع الشَّرَف والفضائل.

قال ﷺ: **«الكَريمُ، ابْنُ الكَرِيم، ابنِ الكَرِيم، ابنِ الكَرِيم، يُوْسُفُ بْنُ يَعقُوبَ بْنِ إِسْحاقَ بْنِ إِبْراهِيمَ»**(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٤٤٠)، مادة: «كرم».

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري، النَّحوي، اللُّغوي، له مصنفات مفيدة مثل: «المعارف»، و «أدب الكاتب»، و «مشكل القرآن»، توفي سنة (٢٧٦هـ).
«انظر: البداية والنهاية، (١١/ ٥٢)».

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف: ٦]، (٣/ ١٤٤٤)، (ح ٤٦٨٨).

وسُمِّي يوسف عليه السَّلام بالكريم؛ لأنه اجتمع له شرَفُ النُّبوة، والعلم، والجمال، والعفَّة، وكَرَم الأخلاق، والعَدْل، ورئاسة الدُّنيا والدِّين. فهو نبيٌ ابن نبي ابن نبي ابن نبي، رابع أربعة في النُّبوَّة[(١)].

معنى «الكريم» وصفاً للقرآن:

قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].

«والكريم: اسم جامع لما يُحْمَد، وذلك أن فيه البيان والهدى والحكمة، وهو مُعظَّم عند الله عزَّ وجلَّ»[(٢)].

«فهذا وَصْفٌ للقرآن بالرِّفعة على جميع الكتب حقاً، لا يستطيع المُخالف طعناً فيه»[(٣)]. فقد كَرَّمَه الله تعالى، وعَزَّه، ورَفَع قدرَه على جميع الكتبِ السَّابقة، وكرَّمه كذلك أن يكون سحراً أو كهانة أو كذباً[(٤)].

ومن تكريم اللَّه تعالى للقرآن: أنه أَقْسَمَ بالنُّجوم ومواقعها، أي: مساقطها في مغاربها، وما يُحدث اللهُ تعالى في تلك الأوقات، من الحوادث الدَّالة على عظمته، وكبريائه، وتوحيده.

ثم عظَّم هذا المُقْسَمَ به فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عِظَمَه.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/ ١٦٦-١٦٧)، مادة: «كرم».
لسان العرب، (١٢/ ٥١٠)، مادة: «كرم».
(٢) زاد المسير، (٨/ ١٥١).
(٣) التحرير والتنوير، (٢٧/ ٣٠٤).
(٤) انظر: فتح القدير، (٥/ ١٦٠).

وأمَّا المُقْسَم عليه فهو إثبات القرآن، وأنه حق لاريب فيه، ولاشك يعتريه. وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم فإنما يستفاد من كتاب الله تعالى ويستنبط منه(١).

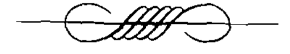
والمعنى: «أُقسِمُ بمواقع النُّجوم، إن هذا القرآنَ قرآنٌ كريم، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله اللهُ تعالى معجزةً لنبيه ﷺ، وهو كريم على المؤمنين؛ لأنه كلامُ ربِّهم، وشفاءُ صدورهم؛ كريم على أهل السَّماء؛ لأنه تنزيلُ ربِّهم ووَحْيُه.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ أي غير مخلوق. وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾ لما فيه من كريم الأخلاق ومعالي الأمور. وقيل: لأنه يُكرَّم حافظه، ويُعظَّم قارئه»(٢).

وفيما تقدَّم ذكره مِنْ وَصْفِ القرآن بأنه «كريم» تتبيَّن عظمتُه وفخامتُه، وعلوُّ شأنه ومنزلتُه عند الله تعالى، حيث كَرَّمَه، وعَزَّه، ورفع قَدْرَه على جميع الكتب السَّابقة.

فالحمد لله الكريم، الذي أنزل كتاباً كريماً، نزل به مَلَكٌ كريم، على نبيٍّ كريم، لأجلِ أمة كريمة، فإذا اتَّبعوه وتمسَّكوا به نالوا ثواباً كريماً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ(٣) وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ١١](٤).



(١) انظر: تفسير السعدي (٥/ ١٦٨)، زاد المسير (٨/ ١٥١).
(٢) تفسير القرطبي، (١٧/ ٢١٦).
(٣) والمراد بالذِّكر هنا: القرآن.
(٤) انظر: التفسير الكبير، (٢/ ١٧).

المطلب الرابع
المجيـــــد

معنى «المجيد» في اللغة:

جـاءت لفظة «المجـيد» في اللُّغـة بمعـانٍ عِـدَّة نأخذ منهـا مـا له صلة بموضوعنا:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:[(١)] «الميم والجيم والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على بلوغ النهاية، ولا يكون إلاَّ في محمود».

والمَجْدُ: السَّعـةُ في الكرَم والجَلال. وأصلُ المَجْدِ من قولهم: مَـجَدَتِ الإبلُ إذا حصلَتْ في مَرْعًى كثيرٍ واسعٍ[(٢)].

والمَجْدُ: المُرُوءةُ والسَّخاءُ. والمَجْدُ: الكرمُ والشَّرفُ.

وقيل: المَجْدُ الأخذ من الشَّرف والسُّؤْدَد ما يكفي. يُقال: رجل شريف ماجدٌ، له آباءٌ متقدِّمون في الشَّرف.

وأمْجَدَه ومَجَّده كلاهما: عظَّمَه وأثنى عليه.

وقـد وَصَـفَ اللَّهُ تعـالـى القـرآنَ بالمَـجـادة في قـوله: ﴿بَلْ هُوَ قُـرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾[البروج: ٢١].

وَصَفَه بذلك؛ لكثرة ما يَتَضَمَّنُ من المكارم الدُّنيوية والأُخروية.

والماجدُ: الحَسَن الخُلُق السَّـمْحُ. ورجل ماجد ومـجيد: إذا كـان كريماً معْطاءً[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٤٩٩)، مادة: «مجد».

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص٤٦٦)، مادة: «مجد».

(٣) انظر: لسان العرب، (٣/ ٣٩٥ - ٣٩٦)، مادة: «مجد».

معنى «المجيد» وصفاً للقرآن:

وَصَفَ اللَّه تعالى القرآنَ بأنه «مجيد» في موضعين من كتابه الكريم، وهما:

١- قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

والمعنى: إن «هذا القرآن الذي كذَّبوا به شريف الرُّتبة في نظمه وأسلوبه حتى بَلَغَ حدَّ الإعجاز، متناهٍ في الشرف والكرم والبركة، وليس هو كما يقولون: إنه شعر وكهانة وسحر. وإنما هو كلام الله المصون عن التَّغيير والتَّحريف، المكتوب في اللَّوح المحفوظ»[١].

وجِماعُ أقوالِ المفسرين في وَصْفِ القرآن بأنه ﴿مَّجِيدٌ﴾ ما يلي:

أ- هو كتاب شريف، أشرف من كل كتاب، عالي الطَّبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى[٢].

ب- وسيع المعاني عظيمها، كثير الوجوه، كثير البركات، جزيل المبرَّات واسع الأوصاف وعظيمها[٣].

جـ- مُتناهٍ في الشَّرف والكرم والبركة، لكونه بياناً لِمَا شَرَعه الله لعباده من أحكام الدِّين والدُّنيا، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانة وسحر[٤].

---

(١) التفسير المنير، (١٥/ ٥٤٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود (٩/ ١٣٩)، تفسير السمرقندي (٣/ ٥٤٥)، تفسير القاسمي (٦/ ٣١٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٧)، تفسير السعدي (٥/ ٧٩، ٣٩٨).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٧٢)، فتح القدير (٥/ ٤١٤).

والمتأمِّلُ في هذه الأقوال يجدها جميعاً تنطبق على «المجيد» وَصْفاً للقرآن، وهي من اختلاف التَّنوع لا التَّضاد، والله أعلم.

فلا غرابةَ أن يُوصف القرآن المجيد بهذا الوصف؛ لأنه كلامُ الله تعالى المجيد، ومما يدل على مَجْدِ القرآن أن الله جَلَّ شأنه، صانَه وحَفظه من كيد الكائدين وعبث العابثين، والحاقدين على الإسلام والمسلمين، وحَفظه من الزيادة والنُّقصان، ومن التَّغيير والتَّبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢- ومما يدلُّ أيضاً على مَجْد القرآن: **أنَّ اللَّه تعالى أَقْسَم به ووَصَفَه بالمجد** في قوله تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

«وأمَّا كَمَالُ مَجْده الذي دلَّت عليه صيغة المبالغة بوصف مجيد، فذلك بأنه يفوق أفضل ما أَبلَغَه اللهُ للناس من أنواع الكلام الدَّال على مراد الله تعالى، إذْ أَوْجَدَ ألفاظَه وتراكيبَه وصُورةَ نظمه بقدرته دون واسطة، فإنَّ أكثر الكلام الدال على مراد الله تعالى أَوْجَده الرُّسلُ والأنبياءُ المُتكلِّمون به يُعبِّرون بكلامهم عما يُلْقَى إليهم من الوحي»[1].

ولأن القرآنَ مجيدٌ، ومُنَزَّلٌ من عند الله تعالى، فالإيمان به واجب، والعمل بأحكامه وتشريعاته ونظامه متعين، ولازم ولابد منه[2].

وفيما تقدَّم ذكره مِنْ وصف القرآن بأنه «مجيد» متناه في الشَّرف والكرم والبركة، وسيع المعاني عظيمها، قد صانه اللهُ تعالى وحَفِظَه من كيد الكائدين وعبث العابثين، دلَّ ذلك بوضوحٍ وجلاءٍ على عظمتِه ورفعتِه، وعلوِّ شأنِه ومنزلتِه.

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٦/ ٢٣٠).

(٢) انظر: الهدى والبيان في أسماء القرآن (٢/ ٤١ - ٤٣).

المطلب الخامس
العظيم

معنى «العظيم» في اللغة:

جاءت لفظة «العظيم» في اللُّغة بمعانٍ عِدَّة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:(١) «العين والظاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على كِبَرٍ وقُوَّةٍ... ومن الباب العَظْمُ، معروف، وهو سُمِّي بذلك لقُوَّته وشدَّته».

وعَظُمَ، كَصَغُرَ، عظَماً وعَظَامَةً، فهو عَظِيمٌ وعُظامٌ، وعَظَّمَه تَعْظِيماً وأَعْظَمَه: فخَّمَه، وكَبَّرَه(٢).

والعَظَمة: التَّعَظُّم والنَّخْوَة والزَّهْوُ. والعَظَمَةُ والعَظَمُوت: الكِبْرُ.

والعِظَمُ: خِلافُ الصِّغَر. **وأَعْظَمَه واسْتَعْظَمَه**: رآه عَظِيماً.

والتَّعْظِيمُ: التَّبْجِيلُ. وعَظَماتُ القَومِ: سادتُهم وذَوُو شَرَفِهم(٣).

«وأَعْظَمْتُهُ، بِالأَلِفِ، **وعَظَّمْتُهُ تَعْظِيماً**، مِثْلُ وقَّرْتُهُ تَوقيراً وفَخَّمْتُهُ»(٤).

معنى «العظيم» وصفاً للقرآن:

لقد نوَّه اللَّهُ تبارك وتعالى بعظمة القرآن فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٢٨٥)، مادة: «عَظُم».

(٢) انظر: القاموس المحيط، (ص١٤٧٠)، مادة: «العِظَم».

(٣) انظر: لسان العرب، (١٢/ ٤٠٩ - ٤١٠)، مادة: «عَظُمَ».

(٤) المصباح المنير، للفيومي (ص٢١٦)، مادة: «عَظُم».

الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨].

يقول تعالى لنبيِّه ﷺ: كما آتيناك القرآن العظيم، فلا تنظرنَّ إلى الدُّنيا وزينتها، وما متَّعنا به أهلَها، استغنِ بما آتاك اللَّه من القرآن العظيم، عمَّا هم فيه من المتاع والزَّهرة الفانية.

«وقد ذَهَبَ ابن عُيينة[١] إلى تفسير الحديث الصَّحيح: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**»[٢]، إلى أنه يَستغني به عَمَّا عداه، وهو تفسير صحيح، ولكن ليس هو المقصود من الحديث»[٣].

«وأُوثر فعل ﴿آتَيْنَاكَ﴾ دون (أوحينا) أو (أنزلنا)؛ لأن الإعطاء أظهر في الإكرام والمِنَّة»[٤].

«فكأنه قال: ولقد آتيناك عظيماً خطيراً فلا تنظر إلى غير ذلك من أمور الدُّنيا»[٥].

---

(١) هو الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران، مولى بني هلال، (أبو محمد)، ولد سنة (١٠٧هـ) بالكوفة، وكان ثقةً، ثبتاً، كثيرَ الحديث، حُجَّة، مُحدِّث الحجاز في زمانه في مكة، حتى قال فيه الشَّافعي: «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز». سكن مكة وتوفي بها عام (١٩٨هـ)، وعمره: (٩١) سنة.

«انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/ ٤٩٧). الأعلام، (٣/ ١٠٥)».

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ [الملك: ١٣]، (٤/ ٢٣٥١)، (ح ٧٥٢٧).

(٣) تفسير ابن كثير، (٤/ ٥٥٣، ٥٥٥).

(٤) التحرير والتنوير، (١٣/ ٦٣).

(٥) تفسير ابن عطية، (٣/ ٣٧٣).

فالقرآن هو النِّعمةُ العُظمى، التي كل نعمـة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة، فعليك أن تستغني به[١].



المطلب السادس
البشير والنَّذير

معنى «البشير» في اللغة:

جـاءت لفظة «البـشيـر» في اللُّغـة بمعـانٍ عِدَّة نـأخذ منهـا مـا له صلة بموضوعنا وهي:

الباء والشين والراء أصلٌ واحد: **وهو ظهور الشَّيءِ مع حُسْنٍ وجمال.**

والبَشير: الحَسَنُ الوَجْه. ويقال: بَشَّرْتُ فُلاناً أُبَشِّرُهُ تَبشيراً، وذلك يكون بالخَير، ويقال: أَبْشَـرَت الأرضُ إذا أخرَجَتْ نَبَاتَها. **والمُبَشِّرات**: الرِّياح التي تُبَشِّرُ بالغَيْث[٢]. **والبَشيرُ**: المُبَشِّرُ، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً**﴾ [يوسف: ٩٦].

والبِشْرُ: الطَّلاقَةُ. يُقال: بَشَرْتُه فَأَبْشَرَ واسْتَبْشَرَ وتَبَشَّرَ وبَشِرَ: فَرِحَ. قال تعالى: ﴿**فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ**﴾ [التوبة: ١١١]. وبَشَرَني فلانٌ بوجهٍ حَسَنٍ أي: لَقِيَني.

والبِشَارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكون إلاَّ بالخير، وإنما تكون بالشَّر إذا كانت مقيَّدة،

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٢/ ٥٤٩)، تفسير الثعالبي، (٢/ ٣٠٠).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، (١/ ١٣٢)، مادة: «بشر».

كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

يقال: بَشَرْتُه بمولود فَأَبْشَرَ إِبْشاراً أي: سُرَّ. وتَبَاشَرَ القَومُ أي: بَشَّرَ بعضُهم بعضاً [(١)].

معنى «النذير» في اللغة:

جاءت لفظة «النَّذير» كذلك في اللُّغة بمعانٍ متنوِّعة نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود وهي:

النون والذال والراء **كلمةٌ تدل على تخويف أو تخوُّف**، ومنه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلاَّ في التَّخويف، **والنَّذير**: المُنذِر، والجمع النُّذُر [(٢)].

«**وأصلُ الإنذار**: الإعلام، يقال: أنذرتُه أُنْذِرُه إنذاراً، إذا أعلمتَه، فأنا مُنذِرٌ ونَذير: أي مُعْلِمٌ ومخوِّفٌ ومحذِّر. ونَذِرْتُ به، إذا علمتَ» [(٣)].

قال أبو حنيفةَ رحمه الله: النذيرُ صَوْتُ القَوْسِ؛ لأنه يُنْذِر الرَّمِيَّة.

وتناذَر القوم: أنذر بعضُهم بعضاً. ويقال: أَنْذَرْتُ القومَ سَيْرَ العدُوِّ إليهم فنَذِروا، أي: أعلمتُهم ذلك فعَلِموا وتحرَّزوا.

والتَّناذُر: أن يُنْذِر القومُ بعضُهم بعضاً شراً مَخُوفاً.

ومن أمثال العرب في الإنذار: «**أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ**» [(٤)] قال أبوطالب:

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٦١ -٦٢)، مادة: «بشر».

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٥٥٣)، مادة: «نذر».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، (٥/ ٣٨)، مادة: «نذر».

(٤) جزء من حديث. رواه البخاري مرفوعاً في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: الانتهاء عن المعاصي، (٤/ ٢٠٣٤)، (ح٦٤٨٢). ورواه مسلم مرفوعاً في صحيحه، كتاب =

إنَّما قالوا أَنا النَّذيرُ العُرْيان؛ لأَنَّ الرجُل إذا رأَى الغارةَ قـد فَجِئتهُم وأَراد إِنذار قومه تجرَّد من ثيابِه، وأشار بها ليُعلم أَن قد فَجِئتهُم الغارةَ [١].

معنى «البشير والنذير» وصفاً للقرآن:

قال الله تعالى في وصف القرآن العظيم: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣-٤]. فهـذا وصف للقرآن العظيم أنه: يُبَشِّرُ مَنْ آمن بالجنة، ويُنذر مَنْ كفر بالنَّار[٢].

وقيل: «بشيراً للمطيعين بالثواب، ونذيراً للمجرمين بالعقاب»[٣].

وكون القرآن ﴿بَشيراً ونَذيراً﴾ **يدلُّ على أن الاحتياج إلى فهم ما فيه من التَّبشير والإنذار من أهمِّ المهمات**، وهذا يُوجب أن يُتلقَّى بالقبول والإذعان والإيمان به والعمل به، فـإنَّ سعي الإنسان إلى معرفة مـا يوصله إلى الثواب الدائم أوالعقاب الدائم مِنْ أهمِّ المهمات[٤].

و«شُبِّه القرآنُ بالبشير فيما اشتمل عليه من الآيات المبشِّرة للمؤمنين الصَّالحين، وبالنذير فيما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي، فالكلام تشبيه بليغ.

وليس: ﴿بَشِيراً﴾ أو ﴿نَذِيراً﴾ اسمي فاعل، لأنه لو أُريد ذلك لقيل:

= الفضائل، باب شفقته ﷺ على أُمَّته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، (٤/١٧٨٨)، (ح٢٢٨٣).

(١) انظر: لسان العرب، (٥/٢٠١-٢٠٢)، مادة: «نذر».

(٢) انظر: تفسير ابن عطية، (٥/٤).

(٣) التفسير الكبير، (٢٧/٨٢).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٢٧/٨٤)، تفسير السعدي (١/٧٤٤).

مُبشراً ومُنذراً، والجَمْعُ بين: ﴿بَشِيراً﴾ و ﴿نَذِيراً﴾ مِنْ قَبِيل محسن الطِّبَاق»(١).

وبهاتين الصِّفتين وَقَعت المُشاركةُ بين القرآن العظيم وبين الأنبياء. قال الله تعالى في صفة الرُّسل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال في صفة إمام المرسلين محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨]. أي: مبشِّراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار لمن عصاه(٢).

ولاشَكَّ أن التَّعزيز الإيجابي، والتَّعزيز السَّلبي، من أركان التَّربية النَّاجحة، والتَّبشير من أول درجات التَّعزيز الإيجابي، كما أن الإنذار من أول درجات التَّعزيز السَّلبي.

ولأن الله عزَّ وجلَّ هو ربُّ العالمين، مربِّي الخلق برحمته وحكمته، فقد أنزل إليهم في كتابه العظيم كِلا التَّعزيزين، فكان القرآن الكريم بُشرى لمن اتَّبع تعاليمه، وإنذاراً وتخويفاً لمن خالفها ولم يعمل بها. قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ﴾ [الأعراف: ٢].

وقال عن مهمَّة هذا الكتاب العظيم: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].

---

(١) التحرير والتنوير، (٩/٢٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، (١٦/٢).

وتتجلَّى قوَّة تأثير القرآن العظيم، وفاعليَّته، وعظمته، في التَّرغيب والتَّرهيب: حين بَشَّر مَنْ آمن به وعمل صالحاً بالجنة، وأَنْذَر مَنْ كَفَر وعصى بالنَّار.

فالمُوَفَّقُ هو الذي يستحضر كِلا الأمرين، وهو يقرأ ويتدبَّر القرآن؛ لِيُفيدَ من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمَعاطب، وليُسَرَّ ويستبشر بالبشارة فيزداد في فعل الخير[1].



المطلب السابع
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

معنى «الباطل» في اللغة:

جاءت لفظة «الباطل» في اللُّغة بمعانٍ متعددَّة ومتنوِّعة نذكر منها ما له صلة بموضوعنا:

فقد عرَّفها ابن فارس بقوله:[2] «الباء والطاء واللام أصلٌ واحد، وهو ذَهاب الشيء وقلَّة مُكْثه ولُبْثه».

وبَطَل الشيءُ يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً: ذهب ضَياعاً وخُسْراً، فهو باطل، وأَبْطَله هو. ويقال: ذهب دَمُه بُطْلاً أي: هِدَراً.

---

(١) انظر: يعلمهم الكتاب، لمحمد الشعَّال (ص٢٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (١/ ١٣٥)، مادة: «بطل».

والباطل: نقيض الحقِّ، والجمع أباطيل، على غير القياس، كأنه جَمْع إِبْطال أو إِبْطيل؛ هذا مذهب سيبويه[١].

والبَطَلَةُ: السَّحَرَةُ.

والتَّبطُّل: فِعل البَطَالة، وهو اتِّباع اللَّهو والجَهالة[٢].

«**وسُمِّي الشَّيطانُ الباطلَ**؛ لأنه لا حقيقـةَ لأفعاله، وكلُّ شيءٍ منه فلا مَرْجُوعَ له، ولا مُعَوَّل عليه. والبَطَل الشُّجاع»[٣].

معنى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وصفاً للقرآن.

قال الله تبـارك وتعالى في وصف من أوصاف الـقرآن العظيم أنه: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد أورد الرَّازي رحمه الله عِدَّةَ وجوه في معنى الآية، وجميعها ينطبق على القرآن العظيم فقال:[٤] «**وفيه وجوه**:

الأول: لا تُكذِّبه الكتبُ المتقدِّمـة كالتَّوراة والإنجيل والزبور، ولا يجيء كتاب مِنْ بعده يُكذِّبه.

الثاني: ما حكَمَ القـرآنُ بكونه حقاً لا يصيـر باطلاً، وما حكَم بكونه

---

(١) هو عمرو بن عثـمان بن قنبر الحارثي - بالولاء - يُلقَّب بسيبويه - ومـعناها بالفارسية: رائحة التُّفاح: لَزِمَ الخليلَ بنَ أحمد، فَدَرَسَ عليه النَّحـو حتى فَاقَهُ، فصار إماماً من أئمَّة النَّحـو، وهو أول مَنْ بَسَطَ هذا العلم. فـصنَّف كـتـابه: (كتـاب سـيبـويه). ولد عـام (١٤٨هـ)، وتوفي (١٨٠هـ). «انظر: الأعلام، (٥/ ٨١)».

(٢) انظر: لسان العرب، (١١/ ٥٦)، مادة: «بطل».

(٣) معجم مقاييس اللغة، (١/ ١٣٥)، مادة: «بطل».

(٤) التفسير الكبير، (٢٧/ ١١٤).

باطلاً لا يصير حقاً.

الثالث: معناه أنه محفوظ من أن يُنقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يُزاد فيه فيأتيه الباطل مِنْ خَلْفِه. والدَّليل عليه قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]. فعلى هذا: الباطل هو الزِّيادة والنقصان.

الرابع: يحتمل أن يكون المراد أنه لا يوجد في المستقبل كتاب يُمكنُ جَعْلُهُ مُعارِضاً له، ولم يُوجَدْ فيما تقدَّم كتاب يصلح جعله مُعارِضاً له.

الخامس: قال صاحب الكشَّاف[١] هذا تمثيلٌ، والمقصود أن «الباطل لا يتطرَّق إليه، ولا يَجِدُ إليه سبيلاً مِنْ جهةٍ من الجهات حتى يَصِلَ إليه»[٢].

وقيل: «لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه فيه ولا بزيادة ولا نقص. فهو محفوظٌ في تنزيله، محفوظةٌ ألفاظُه ومعانيه، قد تكفَّل مَنْ أنزله بحفظه»[٣].

وقيل أيضاً: «لا يتطرَّق إليه الباطل من جميع جهاته سواء الأخبار الماضية، أو الأحكام التَّشريعية»[٤].

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزَّمخشري الخوارزمي، العلاَّمة، النَّحوي، اللُّغوي، المفسِّر، كبيرُ المعتزلة، يُلقَّب جار الله لمجاورة مكة زماناً، ولد سنة (٤٦٧هـ). بزمخشر من قرى خوارزم، كان رأساً في البلاغة والعربية، مُجاهراً باعتزاله وداعية إليه، له تصانيف كثيرة منها: تفسير «الكاشف»، و «الفائق في غريب الحديث»، و «أساس البلاغة». توفي سنة (٥٣٨هـ).
«انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٠/ ١٥١)، طبقات المفسرين، (٢/ ٣١٤)».

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٠٧).

(٣) تفسير السعدي، (٤/ ٤٠٢).

(٤) التفسير المنير، (١٢/ ٥٦٦).

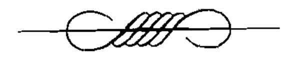
وكلُّ ما ذُكِرَ مِنَ الأقـوال فهو من اختلاف الـتَّنوع لا التَّضاد، وهو دالٌّ على عظمة القرآن وعزَّته، وعلوِّ شأنه، وقَدْرِه عند الله تعالى.

فإن قال قائل: أَمَا طَعَنَ في القرآن الطَّاعنون، وتأوَّله المُبطلون ؟

فالجواب: بلى. ولكنَّ اللهَ تعالى بحكمته ورحمـته قد حَماهُ مِنْ تعلُّق الباطل به، وقيَّضَ له عُلـماءَ ربَّانيين في كلِّ عَصرٍ ومصـرٍ عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم، فلم يبق طعن طاعن إلاَّ مَـمْحُوقاً، ولا قول مُبطل إلاَّ مُضْـمَحِـلاً، تصـديقاً لقـوله تعالى ووَعْـده الذي أنجزه على مَـرِّ الدُّهور والعـصور، وسـيبـقى كذلك مـا بقيت الدُّنيـا: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩](١).

فالحـمد لله الذي لم يجعل للبـاطل مَدْخلاً على هذا الكتـاب العزيز، وأنَّى له أن يدخل عليـه وهو صـادر من الله الحقِّ العظيم(٢)، قال تعـالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

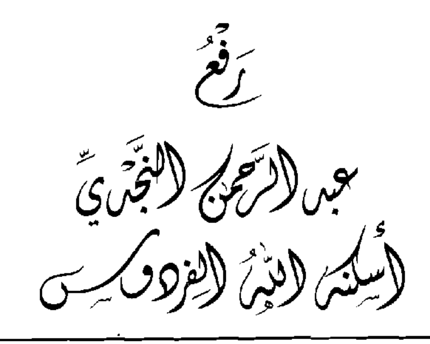
وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس: ٣٧].



---

(١) انظر: الكشاف، (٤/ ٢٠٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/ ٣١٢٧).



الفصل الثاني
عظمة القرآن في أسلوبه ومقاصده

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: عظمة أسلوب القرآن.

المبحث الثاني: عظمة مقاصد القرآن.

المبحث الثالث: عظمة التَّشريع القرآني.

المبحث الرابع: عظمة قصص القرآن.

المبحث الأول
عظمة أسلوب القرآن

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: مُناسَبَتُه للعامَّة والخاصة.

المطلب الثاني: إرضاؤُه العقلَ والعاطفة.

المطلب الثالث: جَودَةُ سَبْكه وإحكامُ سَرْدِه.

المطلب الرابع: تعدُّدُ أساليبه واتِّحادُ معناه.

المطلب الخامس: جَمْعُه بين الإجمال والبيان.

المطلب السادس: إيجازُ لَفْظِه ووَفَاءُ معناه.

تمهيد

معنى «الأسلوب» في اللغة:

يُقال للسَّطْرِ من النخيل أُسْلوب، وكُلُّ طريق ممتد فهو أُسْلُوب، والأُسلوب الطَّريقُ، والوَجْهُ والمَذْهَبُ، يقال: أنتم في أُسْلُوب سُوءٍ، والأُسْلُوب الفَنُّ، يقال: أخذ فلان في أَساليبَ من القول، أي: أفانينَ منه، وإِنَّ أَنْفَهُ لفي أُسْلُوب، إذا كان مُتكَبِّراً[١].

ويقال: سلكتُ أسلوبَ فلان في كذا: طريقَتَه ومذهَبَه. وطريقة الكاتب في كتابَته. ويُقال: أخذنا في أساليبَ مِنَ القَولِ: فنونٍ متنوعةٍ. والجَمْعُ: أساليب[٢].

«والأَساليبُ الفُنُونُ المُخْتَلِفَةُ»[٣].

معنى «الأسلوب» في الاصطلاح:

الأسلوب في اصطلاح الأدباء وعلماء العربية هو: **الطَّريقةُ الكلاميَّةُ التي يسلكها المتكلِّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ومفرداته.**

أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلِّم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام الذي انفرد به المتكلِّم[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب، (١/ ٤٧٣)، مادة: «سلب». مختار الصحاح، (١/ ١٣٠)، مادة: «س ل ب».

(٢) انظر: المعجم الوسيط، (ص٤٤١)، مادة: «سَلَبَ».

(٣) المفردات في غريب القرآن، (ص٢٤٤)، مادة: «سلب».

(٤) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٧٧). خصائص القرآن الكريم، (ص١٨).

معنى «أسلوب القرآن»:

وبناءً على ما تقدم فـإن أسلوب القرآن العظيم: **هو طريقتـه التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.** وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة أن يكون للقـرآن العظيم أسلوب خاص به، لا يسـتطيع أحـد أن يأتي بمثله، ذلك أنه كلام رَبِّ العالمين تبارك وتعالى.

وأساليبُ المتكلمين وطرائقُهم في عرض كلامهم من شعرٍ أو نثرٍ، تتعدَّدُ بتعدد أشـخاصهم، وأذواقهم، بل تتعـدَّدُ في الشخص الواحد أحيـاناً بتعدد الموضوعات التي يتناولها، والفنون التي يعالجها.

ومن الجدير بالذكر هنا مـعرفة **أَنَّ الأسلوب غيـر المفردات والتـراكيب التي يتألَّف مـنها الكلام**، وإنَّما هو الطَّريقـة التي انتهجـها المؤلِّفُ في اختـيار المفردات والتراكيب لكلامه.

وهذا هو السر في أَنَّ الأسـاليب مختلفة باختـلاف المتكلمين مِنْ ناثرين وناظمين، مع أَنَّ المفردات الـتي يستخـدمها الجـميع واحدة، والتَّـراكيب في جملـتها واحـدة، وهذا هو السر أيضـاً في أَنَّ القرآن العظيم لم يـخرج عن معـهود العرب في لغـتهم العربيـة، بل جاء كتـاباً عربياً جـارياً على مألوف العرب، فمن حـروفهم تألَّفتْ كلماته، ومن كلماتهم تألَّفَتْ تراكـيبه، ولكنَّ المعجزَ والمدهش أَنَّ القـرآن قد أعجزهم بأسلوبه الفـذِّ، ولو دخل عليهم مِنْ غير هذا الذي يعرفونه، لأمكن أن يُلتمس لهم عذر في ذلك، وأن يسلم لهم طعن، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ [فصلت: ٤٤][(١)].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٧٨).

تنوُّع أسلوب القرآن:

مَرَّ المجتمع الأوَّل - الذي نزل عليه القرآن - في تحولِّه من حال إلى حال، بأحوال مختلفة يحتاج كُلٌّ منها إلى أسلوب خاص في مخاطبته.

فحين كان الكفر هو السائد بينهم: مالت الآيات إلى قِصَرِ الفواصل مع قُوَّة الألفاظ، بما يشتد قرعُه على الأسماع، ويصعق القلوب؛ ليوائم جَوَّ الرَّدْع والزَّجر والتَّقريع للمخاطَبين وهذا هو الغالب في آيات السور المكية.

وحين ساد الإيمان وأقبلت القلوب على القرآن: طالت المقاطع والآيات في البيان المتأني والوقع الهادئ بما يُريح الآذان، ويجذب القلوب؛ ليوائم جَوَّ المحبة والاتِّباع والانقياد، وهذا هو الغالب في آيات السور المدنية.

فتغيُّر الأسلوبِ من حال إلى حال، دليلٌ واضح على أَنَّ القرآن العظيم يشتمل على أساليبَ صالحة لمخاطبة البشرية على كل حال.

خاصةً إذا عَلمنا أَنَّ أسلوب القرآن ليس موجَّهاً إلى شخص بعينه، ولا إلى جيل بعينه، بل خُوطبت به أجيال كثيرة ومتتابعة، إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها[(١)].

والحديث عن عظمة أسلوب القرآن يدور من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
مُناسَبَتُهُ للعامَّة والخَاصَّة

مادام القرآن العظيم مخاطَباً به الناس جميعاً، على امتداد الحياة كلِّها، فقد كان من حكمته أن يكون مناسباً للعامَّة والخاصَّة، **فمن خصائص أسلوبه: أنه لا يعلو عن أفهام العامَّة ولا يقصر عن مطالب الخاصَّة،** فإذا قرأْتَهُ

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص ١٩ - ٢٠).

العامَّةُ أحسُّوا بجلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يُرضي عقولَهم وعواطفَهم، وكذلك الخاصَّة إذا قرؤوه، لكنهم يفهمون منه أكثر مما يفهمه العامَّة.

وهذان مطلبان لا يدركهما الفُصحاء والبُلَغاء من الناس، ولذلك لجؤوا إلى قاعدة يعتذرون بها فقالوا: (لكلٍّ مقامٍ مقال)، أمَّا أنْ يأتي كلام واحد يُخاطَب به العلماء والعامَّة، والملوك والسُّوقَة، والأذكياء ومَنْ دونهم، والكبير والصَّغير، والذَّكر والأُنثى، والعرب والعجم، ويرى فيه كلٌّ منهم مطلبه ويدرك معانيه ما يكفيه، فذلك ما لا يوجد إلاَّ في القرآن العظيم وحده.

فالآياتُ نفسُها لم تتبدل ولم تتغير، لكن فيها من العطاء بحيث يدرك منه كُلُّ قارئ قَدْرَ طاقتِه، ووُسْعَ عقلِه وفكره، فلا يحمله ما لا يطيقه، ولا يقصر عن حاجته.

وهو لا يُخاطِبُ عامةً وخاصةً في عَصْرٍ من العصور، بل يُخاطِب أولئك في كل عصرٍ ومِصْرٍ إلى أنْ يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

ولن تجد فيه الخاصَّةُ - فَضْلاً عن العامة - قصوراً في معانيه، ولا خللاً في تراكيبه، ولا عَيْباً في أساليبه.

والعامَّةُ كذلك - على الرغم مِنْ تَحَوُّل الأساليب وتغيُّرها من قرن إلى قرن - لا تنبو عن أفهامهم لفظة، ولا يلتوي على ألبابهم معنى، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان أكثر مما يحتاجون إلى فهم لغتهم العربية.

وهذا لا يكونُ ولن يكونَ أبداً في كلام البشر الناقص، الذي إنْ أرضى العامَّةَ بمعانيه الواضحة، وحقائقه الظاهرة، هبط عن مستوى الخاصَّة ومشربِهم وأذواقِهم، وإنْ أرضى العلماءَ منهم بدقائقه وإشاراته، عجزت عقولُ العامَّةِ عن فهمه، ومِنْ ثَمَّ تنصرف عنه أذهانُهم، وتَمُجُّه أذواقُهم[١].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٨٧). خصائص القرآن الكريم، (ص٣٤-٣٥).

المطلب الثاني
إرضاؤه العقلَ والعاطفةَ

في الوقت الذي تُخاطب بعض الفلسفات في الإنسان عقلَه، وأخرى تخاطب قلبَه، **فإنَّ القرآن العظيم في خطابه يُحَقِّق التَّوازن بمخاطبة العقل والقلب معاً**، فيجمع بذلك الحقَّ والجَمالَ معاً، **ففي كلِّ إنسان قُوَّتان:**

١- قوة تفكير.

٢- وقوة عاطفة ووجدان.

فقوة التَّفكير تغوص باحثةً عن الحقائق والمعاني المستترة.

وقوة العاطفة تطفو فتبحث عن الجمال الظَّاهر، وهذه النفس الإنسانيَّة إمَّا أن تغوص مع تلك أو تطفو مع هذه، فلا تستطيع أنْ تغوصَ أو تطفو في لحظة واحدة، أو وقت واحد.

ولن يوجد إنسان سواء كان عالماً، أو أديباً، أو شاعراً يُمسك بالأمر من طرفيه. فيأتي بكلام واحد يفي بحاجة هاتين القوَّتين، ولو وُجِدَتْ عند أحدٍ من البشر فإنهما لا يعملان إلاَّ مناوبةً كُلَّما قويت واحدة، ضعفت الأخرى.

وهو أمر يجده الواحد من نفسه، فإذا قويت (قُوَّة الوجدان) تناقصت (قوة التَّفكير)، وحين تظهر (قوة التفكير) تضعف (قوة الوجدان).

وقد أدرك العلماءُ ذلك فقالوا: لا يقضي القاضي وهو حاقن، أو جائع، أو غضبان؛ لأنَّ حرارة الغضب تستر العقلَ فلا يصلح للقضاء[1].

والشَّاهد من هذا: أَنَّ (قوة التَّفكير) و (قوة الوجدان) تتنازعان في النفس الإنسانية، وتكون الغلبة لإحداهما، فإنْ تكلَّم المتكلِّم ووفَّى بحقٍّ العقل بَخَسَ حَقَّ العاطفة، وإنْ وفَّى حقَّ العاطفة بَخَسَ حقَّ العقل، فإمَّا أن

(١) انظر: محاسن الإسلام، لمحمد بن عبد الرحمن البخاري، (ص١١٤).

يأتي بكلام علمي مجرَّد يُرضِي به فكرَه وعقلَه، وإمَّا أن يأتي بكلام أدبي منمَّق يُرضي به عاطفتَه[١].

والقرآن العظيم وحده هو القادر على مُخاطبة العقل والقلب معاً، وأن يمزج الحقَّ والجمالَ فلا يبغي بعضُهما على الآخر.

وإنَّ المتأمِّلَ في كتاب الله تعالى يلحظ ذلك جلياً. ففي الوقت الذي تُورَدُ فيه الحجج والبراهين العقلية على البعث والإعادة - في مواجهة مُنكريها - لا يُهْمَلُ نصيب القلب من تشويق وترقيق، فَتُسَاقُ الأدلة سَوْقاً يهز القلوب هزاً، ويُمتعُ العاطفة امتاعاً، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

لقد أَوْرَدت هذه الآية الكريمة شُبهةً على البعث ثم ردَّت عليها بعبارة وجيزة، بليغة، فصيحة، تَنَاسقت فيها الألفاظ، وسمت فيها المعاني، مع دقَّة في الدلالة، وإنَّ أفصح الفصحاء، وأعلم العلماء، لو اجتمعا لم يُقَرِّرا ذلك إلاَّ في صفحات وصفحات، إنْ هما قَرَّراه.

ولنتأملْ قولَه تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

عند ذلك يتبيَّن لنا أنه **اجتمع في سبع كلمات عمق المقدِّمات اليقينية، ووضوح المقدِّمات المُسَلَّمة، مع دقة في التصوير لما يؤول إليه التنازع من فساد عظيم،** فلو ابتغى مثلَه فلاسفةُ العصور كلُّها ما استطاعوا تقريره إلاَّ بعبارة طويلة جافَّة.

نماذج وصور:

لننظرْ إلى القرآن العظيم وهو يسوق قصَّة يوسف مثلاً، كيف يأتي من خلالها بالعظات البالغة، ويطَّلِعُ من خلالها بالبراهين السَّاطعة، وآداب الشَّرف، والعفاف، والأمانة، وخشية الله، إذ قال الله تعالى في فَصْلٍ من

(١) انظر: خصائص علوم القرآن، (ص٣٦). النبأ العظيم، د. محمد عبد الله درَّاز، (ص١١٤ -١١٥).

فصول تلك القصَّة الرائعة:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فلنتأملْ في هذه الآية الكريمة كيف قُوبِلَتْ دواعي الغواية الثلاثة، بدواعي العفاف الثلاثة:

فدواعي الغواية الثلاثة:

١- مراودتُها له.
٢- إغلاق الأبواب.
٣- دعوتُها له: **﴿هَيْتَ لَكَ﴾**.

ودواعي العفَّة الثلاثة:

١- قوله: **﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾**.
٢- قوله: **﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾**.
٣- قوله: **﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**.

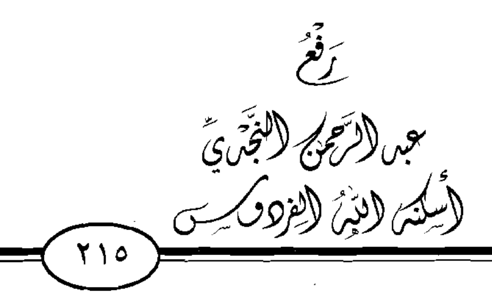
فصوَّرت هذه الآية الكريمة - وهي تسوق قصَّة من القصص - جدلاً عنيفاً بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، وبسطت جوانب القضيَّة، وشخَّصت الحدث، وكأنما تنظر إليه من زاوية خفيَّة.

ليصل الشَّاب في النِّهاية والفتاة كذلك إلى إمكان الاستعلاء فوق المغريات مهما كانت جاذبيَّتها، وذلك بعد أن مَلَكَ التَّعبير القرآني هنا أقطار النَّفس كلِّها، فامتلأت اقتناعاً بالعفَّة.

وهكذا نجد القرآنَ كُلَّه يوجه العقول والقلوب معاً جنباً إلى جنب بأسلوب سائغ، ويسير على النفوس[1]، ينبئ عن عظمته، وعلوِّ شأنه، وتأثيره في النفوس وفاعليته.

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٨٨). خصائص القرآن الكريم، (ص٣٥-٣٨).



المطلب الثالث
جَوْدَةُ سَبْكِهِ وإِحكامُ سَرْدِهِ

جودة السَّبك، وإحكام السَّرد، أمـر في غاية الأهمية، ذلك أنَّ الكلام هو مـرآة المعاني، فـإذا اتَّسق الكلام، وترابطت أجـزاؤه، وتلاحمت أفـراده وأُحْكِمَ سرده، صَفَتْ معانيه وانجلـت، فجودة السَّبك وإحكام السَّرد ضرورة لصـفاء المعـاني، وتحقيـقُ ذلك أمر صـعب المرتقى، فهـو يحتـاج إلى مَلَكة راسخة، وَحِذْق مكين في علم الكلام[1].

و «**القرآن الكريم تقرؤه من أوَّله إلى آخره فـإذا هو محكم السَّرد، دقيق السَّبك**، متين الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذ بـعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجُـمَله، يجري دم الإعـجاز فيـه كله من أَلِفِه إلى يـائه كأنه سبـيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سِمْط[2] وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار: نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخِرُه مساوِقاً لأوَّله، وبدا أوَّلُه مواتياً لآخِره»[3].

ومَنْ أراد جـودةً قويةً في سـبك كلامه، وإحـكاماً متـناسقاً فـي سرده: فليخـتر موقـعاً مناسـباً لكل عبـارة من كلامه، من حـيث بدايَة الكلام، أو نهايته، أو مضمونه، أو خلاصته، وليحسن ربط الكلام بعضه ببعض، ومزج بعضـه ببعض، وليخـتر أحسن الأسـاليب في ذلك، فقـد يكون الإسناد مرة أفـضل، وقد يكون التَّـعليق أُخـرى، وقد يكون العـطف ثالثة، وقـد تكون

---

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص٣٩).

(٢) السِّمْطُ: هو القلادة، وجمعه سُموطٌ.

«انظر: لسان العرب، (٧/ ٣٢٢)، مادة: (سمط)».

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/ ٥٣).

الإضافة رابعة وهكذا، ثم بعد ذلك عليه أن يُنَقِّي عباراته من الحشو، فإنْ أَتْقَنَ ذلك انتقل إلى المعنى الثاني وفَعَلَ به كما فعل بالمعنى الأول، وزاد على ذلك إتقان ربطه بالمعنى السَّابق وبالمعنى اللاَّحق.

وَرَصْفُ المعاني كرصف المباني: يَضَعها البَنَّاءُ لَبِنَةً لبنة، ويضع بين اللَّبِنات ما يربط بعضها ببعض، ثم يعود عليها كُلِّها بما يُغطِّي آحادها ويُظهرها كالسَّبيكة الواحدة، ثم يكرُّ أُخرى يُزيل ما خرج عن سمتها أو نبا عن حَدِّها، وعلى قدر إتقانه للبناء تكون مهارته.

والمتأمِّلُ في كلام البشر يجد أكثرَهم لا يتقنون تنظيم أجزاء كلامهم، بل يسوقونه أشتَاتاً مفكَّكة، وكثيراً ما عاب النُّقَّاد فحولَ الشُّعراء بسوء التَّخلص حين ينتقلون من معنى إلى معنى في القصيدة الواحدة.

وقد يضطر أصحاب البلاغة - للربط بين غرض وغرض - إلى استخدام أسماء الإشارة، أو أدوات التنبيه، أو كثرة التَّقسيم، والتَّرقيم، والتَّبويب، والعناوين، وعبارات: (أمَّا بعد)، (ونقول كذا)، (قلت)، أو الإشارة في مقدمة الأبحاث إلى تقسيمه إلى أبواب، وفصول، ومباحث، كاعتذار مسبق للانتقال من معنى إلى معنى[1].

أَمَّا القرآن العظيم فإنه على تنوُّع أغراضه، وطول نَفَسه في سوره وآياته، ينتقل من مقصد إلى مقصد، غير مستعين بوسائل العجز المساعدة، بل بطريقة بديعة أَخَّاذَة قد نشعر بها أو لا نشعر، ولن نُفَرِّقَ في ذلك بين أَطول سورة في القرآن كسورة البقرة، وبين أقصر سور القرآن[2].

---

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص٤٠). مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٩١).
(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (ص٢٩١).

شبهة وردُّهـا:

و «قد وَهَمَ مَنْ قال لا يُطلَب للآي الكريمة مناسـبة، لأنها على حسب الوقـائع المفَرَّقـة، وفَصْلُ الخطاب، أنَّهـا على حسب الوقـائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيـلاً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق مـا في اللَّوح المحفوظ مرتَّبـةٌ سورُهُ كلُّها وآيـاته بالتوقيف، كـما أُنزل جملة إلـى بيت العزَّة، ومن المعجـز البيِّن أسلوبه ونظمـه الباهر، والذي ينبغي فـي كُلِّ آية أَنْ يُبحثَ أول كل شيءٍ عن كونها مكمِّلة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلَّة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جَمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سِيقت له»(١)(*).

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هو: ١]. ولاحظْ أنَّ التَّفـصيل في دائرة: الإحكام، الذي كان سوراً منيـعاً، وكان كـذلك؛ لأنَّ مُنَزِّله هو: ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

والقرآن بذلك نعمـة تُذْكَر فَتُشْكَر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].



(١) الإتقـان في علوم القـرآن، (٢/١٠٨). وانظر: البـرهان في علوم القـرآن، للزركـشي، (١/٣٧).

(*) تأمَّلْ: كتاب «النبـأ العظيم»، د. محمد بن عبد الله درَّاز، فقـد أجاد في بيان هذا اللون وأبدع، وأشبع القلوب والعقول وأمتع، بما يعرض من التناسب والترابط بين سور القرآن.

المطلب الرابع
تَعَدُّدُ أساليبِه واتِّحادُ مَعْنَاه

ومعنى ذلك أَنَّ القرآن العظيم يُورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرائق مختلفة، بمقدرة معجزة، يلهث دونها - بآماد - أبلغ البلغاء، ويكبو خلفها - بقرون - أفصح الفصحاء، فقد اعتنى القرآن العظيم بتصريف القول، بحيث لا يَمَلُّ قارئه، ولا يسأم سامعه.

ويُكتفى هنا ببعض ما أورده الزُّرقانيُّ (١) - رحمه الله - من أمثلة على تصريف القول في القرآن، فقد أورد أمثلةً لتعبير القرآن عن طلب الفعل من المخاطَبين بِعدَّة أوجه، وكذلك تعبيره عن النهي بوسائل عِدَّة، وكذلك تعبيره عن إباحة الفعل بِطُرق مختلفة(٢).

وما لا يُدرك جُلُّه فلا يترك أَقَلُّه، فَيُقْتَصَرُ هنا على التعبير الأَوَّل منها فقط - تعبير القرآن العظيم عن طلب الفعل من المخاطَبين - بالوجوه الآتية:

١- الإتيانُ بصريح مادَّة الأمر، نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٢- والإخبارُ بأَنَّ الفعل مكتوبٌ على المكلفين، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

---

(١) هو محمد بن عبد العظيم الزُّرْقاني من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرِّساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ). «انظر: الأعلام، (٦/ ٢١٠)».

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٤)، وتأمَّلْ هذه الأمثلة جيداً فهي من الأهمية بمكان.

٣- والإخبارُ بكونه على النَّاسِ، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

٤- والإخبارُ عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي مطلوب منهن أن يتربصن.

٥- والإخبار عن المبتدأ، بمعنى يطلب تحقيقه من غيره، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] أي مطلوب من المخاطَبين تأمين مَنْ دخل الحرم.

٦- وطَلَبُ الفعل بصيغة فعل الأمر، نحو: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أو بلام الأمر نحو: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

٧- والإخبارُ عن الفعل بأنه خير: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٨- ووَصْفُ الفعل وصفاً عنوانياً بأنه برٌّ، نحو: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٩- وَوَصْفُ الفعل بالفَرْضِيَّة، نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠] أي مِنْ بذل المهور والنفقة.

١٠- وترتيب الوعد والثواب على الفعل، نحو: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

١١- وترتيب الفعل على شَرْطٍ قَبْلَه، نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

١٢- وَإيقاعُ الفعل مَنْفياً مَعْطُوفاً عَقِبَ استِفهامٍ، نحو: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

١٣- وإيقاعُ الفعل عَقِبَ تَرَجٍّ، نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

١٤- وترتيبُ وَصْف شنيعٍ على تَرْكِ الفعل، نحو: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فهذا مثالٌ واحد من أمثلة تصريف القول في القرآن العظيم، جاء (الأمر) فيه بهذه الأساليب المتعدِّدة.

وهكذا نجد التعبيرَ القرآني يُعدِّد الأساليب - في أداء المعنى الواحد - بألفاظ متعددة بين إنشاءٍ وإخبارٍ، وإظهارٍ وإضمار، وتكلُّمٍ وغَيبةٍ وخطابٍ، ومُضِيٍّ وحضور واستقبال، واسمية وفعلية، واستفهام، وامتنان، ووصف، ووَعْد ووعيد، إلى غير ذلك.

وتصريفُ القول في القرآن العظيم على هذا النحو مِنَّةٌ يمنُّها الله عزَّ وجلَّ على الناس ليستفيدوا عن طريقها كثرةَ النَّظرِ في القرآن، والإقبال عليه قراءةً وسماعاً، وتدبراً وعملاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١].

فلا عُذْرَ - بعد ذلك - لمن أهمل هذه النِّعمةَ وسَفِه نفسَه[1].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (٢/ ٢٩٥).

المطلب الخامس
جَمْعُه بين الإِجمالِ والبَيانِ

جَمَعَ القرآنُ العظيم بين الإجمال والبيان، مع أنهما غايتان متقابلتان لا تجتمعان في كلامٍ واحدٍ للناس! بل كلامهم إِمَّا مجمل وإِمَّا مُبَيَّن.

فالكلمة الواحدة من كلام البشر: إمَّا واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان، وإمَّا خفيَّة المعنى فتحتاج إلى بيان، وذلك كلام «المخلوق».

أمَّا القرآن العظيم - وحده - لأنَّه كلام «الخالق» فالأمر فيه مختلف، فهو خارق للعادة، **ولا عجب أن يجتمع في آية واحدة منه، البيان والإجمال جميعاً.**

فإذا قرأ الواحدُ منَّا آيةً من القرآن وَجَدَ فيها من الوضوح والظهور، حتَّى يظن أنه أحاط بكل معانيها، فإذا أعاد النَّظر مرَّةً أُخرى ظهر له منها معانٍ جديدة، كلها صحيح أو يحتمل الصِّحة، فإن زاد التَّمعُّن وأطال النَّظر في الآية، انفتح له من المعاني والمعارف والأسرار ما لم يظهر له مِنْ قبل، حتَّى يكِلَّ وينتهي، ومعانيها لا تزال تفيض بالخيرات والبركات، ومن هنا ندرك السرَّ في اختلاف العلماء في استنباط الفوائد والحكم من الآيات قلَّةً وكثرة، ويستدلون بها من نواحٍ شتَّى ومختلفة، والآيةُ نفسُها لم تتغير[1].

نمـــاذج:

ومن أمثلة الآيات التي جَمَعَتْ بين البيان والإجمال قولُ الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [البقرة: ٢١٢]. «هل ترى كلاماً أَبْيَنَ من هذا في عقول الناس، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة، **فإنك لو قلتَ**

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص٤٥). مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/٢٩٦).

في معناها: أنه سبحانه يرزق مَنْ يشاءُ بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله: لماذا يبسط الرزق لهؤلاء، ويقدره على هؤلاء؟ أصبتَ. **ولو قلتَ**: إنه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النَّفاد أصبتَ، **ولو قلتَ**: إنه يرزق مَنْ يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب أصبتَ، **ولو قلتَ**: إنه يرزقه بغير معاتبة ومناقشة له على عمله أصبتَ، **ولو قلتَ**: يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصر وحساب أصبتَ.

فعلى **الأوَّل** يكون الكلام: تقريراً لقاعدة الأرزاق في الدُّنيا، وأنَّ نظامها لا يجري على حسب ما عند المرزوق من استحقاقٍ بعلمه أو عَمَله، بل تجري وفقاً لمشيئته وحِكَمِهِ سبحانه في الابتلاء، وفي ذلك ما فيه من التَّسلية لفقراء المؤمنين، ومن الهضم لنفوس المغرورين من المترفين.

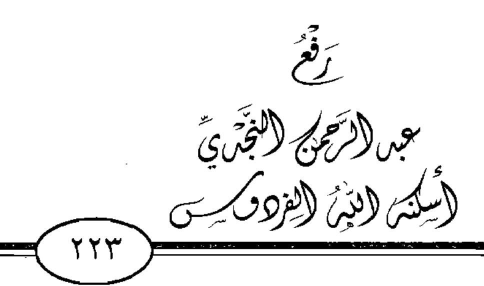
وعلى **الثاني** يكون تنبيهاً على سعة خزائنه وبسطة يَدِهِ جلَّ شأنه.

وعلى **الثالث** يكون تلويحاً للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النَّصْر والظَّفَر، حتى يبدل عسرهم يسراً، وفقرهم غنىً من حيث لا يظنون.

وعلى **الرابع والخامس** يكون وَعْداً للصالحين، إمَّا بدخولهم الجنة بغير حساب، وإمَّا بمضاعفة أجورهم أضعافاً كثيرة لا يحصرها العدُّ، ومَنْ وقَفَ على علم التَّأْويل واطَّلَعَ على معترك أفهام العلماء في آية، رأى من ذلك العَجَب العاجِب»[1].

وهو أمر لا نجد مِثْلَه فيما سوى القرآن العظيم، فدلَّ ذلك على عظمته وعلوِّ شأنه، وفخامته، ورفعته التي بها نعتزُّ، فلا يجمل بنا أن نجد العلوَّ والفخامة والرِّفعة في سواه، وإلاَّ فقد حقَّرنا عظيماً أو حاولنا ذلك!

(١) النبأ العظيم، (ص١١٧-١١٨).



المطلب السادس
إيجاز لفظه ووفاء معناه

المعنى واللَّفظ طرفان متقابلان إنْ أدنيتَ هذا أبعدتَ الآخر، هذا في كلام البشر، أمَّا في القرآن العظيم فالأمر مختلف تمام الاختلاف، ففي كل آية من آياته، نجد بياناً قاصداً مُقَدَّراً على حاجة النفوس البشرية، دون أن يزيد اللَّفظ على المعنى، ومع هذا القصد اللَّفظي، نجد أنَّ القرآن العظيم قد جَلَّى لنا المعنى في صورة كاملة، لا تُنقصُ شيئاً من المعنى، ولا تزيد فيه شيئاً دخيلاً وغريباً، وهو كما قال الله تعالى عنه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

هؤلاء البشر إنْ أتقنوا اللَّفظ، حتى لا يكونَ طويلاً، قَصَّرُوا في المعنى فعادوا يشرحون ويوضِّحون فيقعون في أسوأ مِمَّا هربوا منه، وإن اتَّجهت أذهانهم إلى المعنى لإظهاره جليّاً، فلا مَفَرَّ لهم من الإسهاب والإطناب.

وهو أمر يدركه المرء من نفسه، فإنْ كَتبَ شيئاً اليوم، كَرَّ عليه غداً وقال: لو أضفتُ كذا، لكان أوفى، ولو قلتُ كذا، لكان أفضل، ولو حذفتُ كذا لكان أنسب وأجمل، ولو عاد ذلك مرات ومرات لوجد نفسَه في كُلِّ مرة يحتاج فيها إلى المحو، أو الإثبات، أو التَّهذيب، أو الاختصار، فيدفعه لذلك أمران لا ثالث لهما، إمَّا أن يكون في المعنى قصور، أو يكون في اللَّفظ إسهاب(١).

تميُّز القرآن:

«لا يمكن أنْ تظفَر في غير القرآن، بمثل هذا الذي تظفر به في القرآن،

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص٤٧).

بل كُلُّ منطيق بليغ مهما تفوق في البلاغة والبيان، تجده بين هاتين الغايتين، كالزَّوج بين ضَرَّتين: بمقدار ما يُرضي إحداهما يُغضِب الأُخرى؛ فإن ألقى البليغُ بالَه إلى القصد في اللَّفظ وتخليصه مما عسى أن يكون من الفضول فيه، حمله ذلك في الغالب على أن يَغُضَّ من شأن المعنى، فتجيء صورته ناقصة خفيَّة، ربما يصل اللَّفظ معها إلى حَدِّ الألغاز والتَّعميَة؛ وإذا ألقى البليغُ بالَه إلى الوفاء بالمعنى وتجلية صورته كاملة، حَمَلَه ذلك على أن يخرج على حد القصد في اللفظ، راكباً متن الإسهاب والإكثار، حرصاً على ألاَّ يفوته شيء من المعنى الذي يقصده»[١].

ومهما أوتي هذا البليغ من البلاغة، فإنه يستطيع أن يجمع بين هذين الأمرين (الإيجاز اللَّفظي، والوفاء بالمعنى) أحياناً في جمل قليلة، لكن سيبدو عليه القصور بعد ذلك، وينفلت من يده زمام الكلام، وتستعصي عليه الجمل والعبارات.

ومَنْ كان في شكٍّ من ذلك فليسألْ علماءَ البيان وصيارفته: «هل ظفرتم بقطعةٍ من النَّثر، أو بقصيدة من الشِّعر، كانت كلها أو أكثرها جامعاً بين وفاء المعنى وقَصْدِ اللفظ؟.

ها هم أُولاءِ يُعلنون حُكْمَهم صريحاً بأنَّ أبرع الشُّعراء لم يُكتب له التَّبريزُ والإجادة، والجَمْعُ بين المعنى النَّاصع واللَّفظ الجامع إلاَّ في أبيات معدودة من قصائد محدودة، أمَّا سائر شعرهم بعد، فبين متوسط ورديء، وها هم أُولاءِ يعلنون حكمهم هذا نفسه أو أقلَّ منه، على النَّاثرين من الخطباء والكتاب»[٢].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٩٧).

(٢) المصدر نفسه، (٢/ ٢٩٧-٢٩٨).

فمن أراد أن يقرأ كـلاماً جَمَعَ هاتين الغايتين، فليـقرأ القرآن العظيم من أوَّله إلى آخره، حيث البيان الكامل الذي لا يحسُّ فيه عوجاً ولا أمتاً.

فألفـاظه الوجيزة المُحْكَمة تؤدي المعـاني بلا قصور، وبأحســن عبارة، وبدون زيادة كلمــة، فضــلاً عن حــرف، ونجد في كـل كلمة أو حَـرْفٍ من حروفه دلالة عظيـمة، بحيث لو حُذفَ منه، ربما تغـيَّر المعنى، أو حُرِّفَ، أو شُوِّه، وكــذلك الزيادة، ذلك أنَّه كلام العليم الخبـير، الذي تنزَّه عَمَّا يعـتري البشـر من الكَلِّ والقصـور والإعيـاء، فلا تأخذه سِنة ولا نوم، وهـو العزيز الحكيم[١].

قال ابن عطية[٢] رحمـه الله - وهو يتحدث عن عظمـة القرآن: «**لو نُزِعَتْ منه لفظة ثم أُدِيرَ لسان العرب في أن يُوجد أحسنَ منها لم يُوجد**»[٣].

فالقرآن العظيم يختلف عن كلام البشر - مهما علا وارتقى «حتَّى كلام رسـول الله ﷺ الذي أُوتي جـوامع الكلم، وأشرقـت نفسـه بنور النُّبـوة والوحي، وَصِيغ على أكمل مـا خلق الله، فإنَّه مع تحليقه في سمـاء البيان، وسُمُوِّه على كلام كُلِّ إنسان، لا يزال هناك بون بعيد بينه وبين القرآن»[٤].



---

(١) انظر: المصدر السابق، (ص٤٨).

(٢) هو أبو محـمد عبد الحق بن غالـب بن عبد الملك بن عطية، الغـرناطي، القرطبي، عَلَمُ المفسرين، كان فقـيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسيـر واللغة، وولي القضاء. من أهم مؤلفاته: «تفسير المحرر الوجيز»، توفي سنة (٥٤٦هـ).

«انظر: طبقات المفسرين، للداودي (١/ ٢٦٠)».

(٣) تفسير ابن عطية، (١/ ٥٢).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٢٩٨).

المبحث الثاني
عظمة مقاصد القرآن

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: إقامةُ الدِّين وحفظُه.

المطلب الثاني: تصحيحُ العقائد والتَّصورات.

المطلب الثالث: رفع الحرج.

المطلب الرابع: تقريرُ كرامةِ الإنسان وحقوقه.

المطلب الخامس: تكوينُ الأُسرة وإنصافُ المرأة.

المطلب السادس: إسعادُ المكلَّف في الدَّارَين.

تمهيــــد

معنى «المقاصد» في اللغة:

المَقاصِـدُ جَمْعُ مَقْصَـد، وقد وردت هذه اللَّفظة في اللغة بمعـانٍ عدة، نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا:

فقد عَرَّفَـها ابن فارس بقوله:(١) «القاف والصاد والدال أصولٌ ثلاثة، يدل أحدُها على إتيانِ شيءٍ وأَمِّه».

وجاء في لسان العرب:(٢) «قال ابن جنِّي: أصل (قصد) ومواقعها في كلام العـرب: الاعتـزامُ، والتَّوجُّهُ، والنُّـهودُ، والنُّهوض نحـوَ الشيء، على اعتدال كـان ذلك أو جَوْر، هذا أصله في الحقيقـة وإن كان يُخَصُّ في بعض المواطن بقصد الاستقامة دون الميل، ألآ ترى أنك تَقْصِدُ الجَوْرَ تارة كما تَقْصِدُ العدلَ أُخرى؟ فالاعتزام والتوجُّه شامل لهما جميعاً».

و «يُقال: إليه مَقْصَدي: وِجْهَتي»(٣).

مفهوم «المقاصد» من خلال تعبيرات بعض العلماء:

١- قال الغزالي(٤) رحمه الله: «مقصود الشَّرع من الخلق خمسة، وهو

(١) معجم مقاييس اللغة، (٢/ ٤٠٤)، مادة: «قصد».
(٢) (٣/ ٣٥٥)، مادة: «قصد».
(٣) المعجم الوسيط، (ص٧٣٨)، مادة: «قصد».
(٤) هو محمـد بن محمد بن محـمد الغزالي الطُّوسي، أبو حامد، الملقَّب بحـجة الإسلام، ولد سنة (٤٥٠هـ) من فقهاء الشـافعية، له مصنفات في الفقـه وأصوله والفلسـفة، ولولا اشـتغاله بالفلسـفة والتَّصـوف لكان له شأن أعظم مما كان. من مـصنفاته: «إحـياء علوم الدين»، و «المستصفى»، و «الوجيز»، و «الخلاصة». توفي سنة (٥٠٥هـ).
«انظر: وفيات الأعيان، (٤/ ٢١٦-٢١٩). الأعلام، (٧/ ٢٢)».

أن يحفظ عليهم دينَهم ونفسَهم وعقلَهم ونسلَهم ومالَهم»[١].

٢- قال الآمدي[٢] رحمه الله: «المقصود من شرع الحُكم: إمَّا جلب مصلحة، أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين»[٣].

٣- قال الشاطبي[٤] رحمه الله: «تكاليف الشَّريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخَلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون **ضرورية**، والثاني أن تكون **حاجية**، والثالث أن تكون **تحسينية**»[٥].

وقال أيضاً: «إنَّ الشارع قصد بالتَّشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية»[٦].

معنى «مقاصد القرآن»:

من خلال المعاني اللُّغويَّة لكلمة مَقْصَدْ، وما تبعه من تعبيرات بعض العلماء لمفهوم المقاصد، يمكننا تعريف (**مقاصد القرآن**) بأنها: ما تَوَجَّه القرآنُ

---

(١) المستصفى من علم الأصول، (٢/ ٤٨١).

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي، الآمدي، من أصحاب القاضي أبي يعلى، ومن كبار فقهاء الحنابلة في عصره، له مؤلفات منها: «عمدة الحاضر»، و «كفاية المسافر»، توفي سنة (٤٦٧هـ). «انظر: ذيل طبقات الحنابلة، (١/ ٨-٩)».

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، (٣/ ٢٧١).

(٤) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللَّخمي، الغرناطي، الأصولي، الحافظ، المالكي، المشهور بالشاطبي، من تصانيفه: «الموافقات في أصول الفقه»، و «الاعتصام»، و «المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية». توفي سنة (٧٩٠هـ).
«انظر: الأعلام، (١/ ٧٥). معجم المؤلفين، (١/ ١١٨)».

(٥) الموافقات في أصول الشريعة، (٢/ ٨).

(٦) المصدر نفسه، (٢/ ٣٧).

نحو تحقيقه، أو ما قَصَدَ القرآنُ نحو تحقيقه من أمور معنوية أو مادية، كتحقيقِ سعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة، وتأمينِ الضروريات والحاجيات والتَّحسينيات للمرء في هذه الحياة والحفاظ عليها، وتحقيق العدل وما إلى ذلك[(١)].

أهمية مقاصد القرآن:

إنَّ فهم مقاصد القرآن العظيم، **ضرورةٌ دينية، وحاجة دعوية:**

أما كونه ضرورة دينية: فلأنه **بالفهم الصحيح للقرآن يستقيم سلوك المسلم في حياته، ويحرص على العمل به، ويلتزم أحكامه وهَدْيَه...**

ولَطَالَمَا أخطأ كثير من المسلمين في تطبيقهم الخاطئ والجزئي للقرآن، فشوَّهوا بذلك من جمال القرآن العظيم المتمثل في كماله وتوازنه، ووحدة تعاليمه. وقُلْ مثل ذلك في إصدار فتاوى سطحية غريبة، وأحكام ظاهرية عجيبة لا تنسجم مع مقاصد القرآن العامة والخاصة، وربَّما رُدَّت بعض النصوص الشَّرعية بدعوى الاجتهادِ المقاصِدي، والعملِ بروح الشَّريعة من جهة أخرى!

وأما كونه حاجة دعوية: فلأنه **بقدر فَهْمِ مقاصد القرآن، وإحسان عَرْضها، يُقْبِلُ الناس عليه، ويتمسَّكون بهديه،** ويدخلون في دين الله أفواجاً، **وبقدر غموضها في نفوسهم،** يسوء عرضها، وتتشوَّه صورتها، ويضعف تمسك المسلمين بالقرآن، ويُعرض عن هديه غيرهم، ولطالما ظهرت آثار ذلك

---

(١) انظر: محاسن ومقاصد الإسلام، د. محمد أبو الفتح البَيانوني، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، (عدد: ٤٣)، (رمضان ١٤٢١هـ)، (ص ٢٣٤).

في مسيرة الدَّعوة الإسلامية المعاصرة![1].

تنوعٌ مقاصد القرآن:

«**مقاصد القرآن** من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرُّشد، وتحقيق أُخُوَّتهم الإنسانية ووحدتهم، وترقية عقولهم، وتزكية أنفسهم: **منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مراراً قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلاَّ بتكراره مراراً كثيرة**؛ لأجل أن يجتثَّ من أعماق الأنفس كل ما كان فيها من آثار الوراثة والتَّقاليد والعادات القبيحة الضَّارة، ويغرس في مكانها أضدادها، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه حتى يؤتي أكله ويبدو صلاحه ويَيْنَعَ ثمره، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كاملة، ومنها ما لا يمكن كماله إلاَّ بالتدريج، ومنها ما لا يمكن وجوده إلاَّ في المستقبل فيوضع له بعض القواعد العامة، ومنها ما يكفي فيه الفحوى والكناية.

والقرآن كتاب تربية عمليَّة وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يُذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة، كالمعهود في متون الفنون وكتب القوانين»[2].

وسيكون الحديث عن عظمة مقاصد القرآن من خلال المطالب الآتية:

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص ٢٢٥).

(٢) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، (ص ١٠٧).

المطلب الأول
إقامةُ الدِّين وحفظُه

إن المتأمِّل في مقاصد القرآن الرئيسة يجد أنها تدور حول نواحٍ ثلاث: ناحية **العقيدة**، وناحية **التشريع**، وناحية **السلوك**.

وقد حصر الغزالي رحمه الله مقاصدَ القرآن ونفائسَه في ستة أنواع فقال: «انحصرت سور القرآن وآياته في ستَّة أنواع: ثلاثة منها هي السَّوابق والأصول المُهِمَّة، وثلاثة هي الرَّوادف والتَّوابع المغنية المُتِمَّة.

أمَّا الثَّلاثة المهمَّة فهي: تعريف **المدعو إليه**، وتعريف **الصراط المستقيم** الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف **الحال عند الوصول إليه**»[1].

وهذا الإجمال في كلام الإمام الغزالي رحمه الله يحتاج إلى تفصيل، حتى يتبين لنا مقصد رئيس وعظيم من مقاصد القرآن الكريم، وهو على النحو الآتي:

١- تعريف المدعو إليه:

إنَّ أعظم مقاصد القرآن الكريم هو معرفة اللَّه تعالى، حَقَّ المعرفة؛ لأنها تورث الطَّاعةَ الحقَّة، فَيُخلص العبد عبوديته لله تعالى، وهذه العبودية الخالصة هي التي تُقيم منهج الله في الأرض.

ولذلك يقول البقاعي[2] رحمه الله: «المقصود من إرسال وإنزال الكتب

(١) جواهر القرآن، (ص ٢٣).

(٢) هو أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، الدمشقي، الشافعي، نزيل مصر. ولد بوادي البقاع اللبناني سنة (٨٠٩هـ)، ومن مشايخه: ابن حجر العسقلاني، وابن الجَزَري، ومن أشهر مصنفاته: «نظم الدُّرر في تناسب الآي والسور»، و «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور». توفي سنة (٨٨٥هـ).
«انظر: بدائع الزهور، (٣/ ١٦٩)».

نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحقِّ، والمقصود من جمعهم على الحقِّ، **تعريفهم بالمَلِك وبما يرضيه**، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأول»[(١)].

من أضرار الجهل بالخالق:

بدون معرفة اللَّه حَقَّ المعرفة، يقع الخلل في إقامة شرعه، فيتولد من ذلك أعظم مفسدة، وهي صرف العبودية لسواه، وقد سمَّاه الله تعالى ظلماً عظيماً فقال: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]. كما ينجم عن هذا الخلل العظيم ظلم الناس، بحيث يغيب شرع الله المطلوب إقامته بين الناس، فتحل محله الأهواء.

وقد وبَّخ الله المشركين على شركهم فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: ٧٣]. ثم بيَّن تعالى بعد ذلك السَّبب الرئيس في هذا الشرك، أن هؤلاء المشركين: ﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٧٤].

«فما عظَّموه حقَّ تعظيمه؛ إذ لو فعلوا ما أشركوا معه الضُّعفاءَ العُجَّزَ، وهو الغالب القوي... فكيف يُشاركه الضَّعيف الذَّليل؟»[(٢)].

٢- تعريف الصراط المستقيم:

فهذا هو القصد الثاني؛ لأن الإنس والجنَّ خُلقوا لعبادة الله تعالى، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الغزالي رحمه الله:[(٣)] «وعمدة هذا الصِّراط المستقيم أمران:

(١) نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور، (١/ ٢٠-٢١).
(٢) التحرير والتنوير، (١٧/ ٢٤٦-٢٤٧).
(٣) جواهر القرآن، (ص٢٨).

الملازمة والمخالفة». أي: **ملازمة صراط المُوحِّدين** مِنَ الَّذين أنعم الله عليهم ومَنَّ عليهم بالهداية والتَّوفيق، **ومخالفة صراط المشركين** من الَّذين غضب الله عليهم، والضالين عن الهدى وَدِينِ الحقِّ.

٣- تهذيب الأخلاق والسلوك:

وهذا هو المقصد الثالث، حيث إنَّ القرآن العظيم يحضُّ كثيراً على مكارم الأخلاق ومحاسنها في العادات والمعاملات، **ومن هذه المكارم الأخلاقية**: العفو في قوله تعالى: **﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾** [البقرة: ٢٣٧].

والعدل في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** [المائدة: ٨].

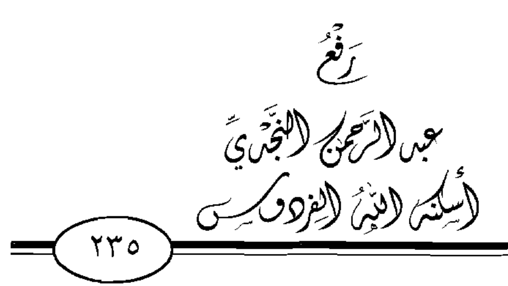
والإحسان في قوله تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** [النساء: ٣٦].

والإعراض عن اللَّغو في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾** [القصص: ٥٥].

إلى غير ذلك من الآيات الدَّالة على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات(١).

---

(١) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم، د. الحسن حريفي، (١/١٧٣-١٧٧).



المطلب الثاني
تصحيح العقائد والتصورات

ويتجلى هذا المقصد في عناصر ثلاثة:

١ - تصحيح عقيدة التوحيد:

القرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوةٌ إلى التوحيد، وإنكارٌ للشرك، وبيانٌ لحسن عاقبة الموحِّدين في الدنيا والآخرة، وسوء عاقبة المشركين في الدَّارين.

وقد اعتبر القرآنُ الشركَ أعظمَ جريمة يقترفها مخلوق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

وإنَّ حقيقة الشرك انحطاطٌ بالإنسان من مرتبة السِّيادة على الكون - كما أراد الله له - إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات، سواء كانت جماداً، أو نباتاً، أو حيواناً، أو إنساناً، إلى غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

والدَّعوة إلى التَّوحيد هي المبدأ الأوَّل المشترك بين رسالات النبيين جميعاً، فكل نبيٍّ نادى قومه أن ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا**

﴿فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فلا مكان للوسطاء بين الله عزَّ وجلَّ وبين خلقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٢- تصحيح العقيدة في النبوة والرسالة:

وذلك ببيان الحاجة إلى النُّبوة والرِّسالة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وبيان وظائف الرُّسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]. فليس الرُّسل آلهة ولا أبناء آلهة، إنَّما هم بشر يوحى إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولا يملكون هداية القلوب، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

وقد فَنَّدَ القرآن الشبهات التي أثارها الناس قديماً في وَجْه الرُّسل، كقولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠]. وقولهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]. فَرَدَّ القرآن عليهم بمثل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]. ومثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥].

وبَيَّنَ القرآنُ العظيم عاقبةَ الذين صَدَّقوا المرسلين والَّذين كَذَّبوهم، ومعظمُ قصص القرآن الكريم تدور حول هلاك المكذبين ونجاة المؤمنين، قال

تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٧-٣٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

٣- تصحيح عقيدة الإيمان بالآخرة:

لقد اتَّخذ القرآنُ العظيم في تصحيح عقيدة الإيمان بالآخرة وتثبيتها في نفوس المؤمنين أساليبَ شتى:

فمن ذلك: **إقامةُ الأدلة على إمكان البعث**، ببيان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق كما بدأهم أوَّل مرَّة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وقد بَيَّنَ القرآن العظيم **حكمةَ اللَّه تعالى في الجزاء** حتى لا يستوي المحسن والمسيء، والبَرُّ والفاجر، فتستحيل الحياة إلى عبث وباطل يتنزه الله تعالى عنه: قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال أيضاً: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

وقد كَثُرَ **حديثُ القرآن العظيم عن القيامة وأهوالها**، والكتابِ الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاَّ أحصاها، والميزانِ الذي توزن به الحسنات والسيئات، والحسابِ الدقيق الذي لا يظلم نفساً شيئاً، ولا يحمِّل وازرةً وزر أُخرى، وعن الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها.

وأبطل القرآنُ العظيم الأوهامَ التي أشاعها المشـركون أنَّ آلهتهم المزعومة تشفع لهم عند الله تعالى، وما زعمه كذلك أهل الكتاب من شفاعة القدِّيسين وغيـرهم. فلا شـفاعـة إلاَّ بإذن الله، ولمؤمنٍ موحِّـد، ورضى الله عن هذه الشفاعة، قال الله تعالى عن الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقال أيضاً: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البـقرة: ٢٥٥]. وقال تعـالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨](١).



المطلب الثالث
رفـــع الحـــرج

إنَّ شريعة القرآن العظـيم تمتاز بكونها شريعةً عمليَّـة تسعى إلى تحصيل مقاصدها، بالقول والعمل على مستوى الفرد والجماعة.

والله - سبـحانه وتعالى - لا يـخفى عليه مـا في بعض التكاليف من المشـاقِّ، على بعض النفـوس، فهـو مـحيطٌ بضـعف الإنسـان المكلَّف وقلَّة حيلته، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. وهذه المشاقُّ من قَبيل المشاقِّ المعتادة المقدور عليهـا، وأنَّ المقصد من إحداقها بالأفعال تربيةُ النفوس، وقهرُها، وكـبحُ جماحها؛ لئلاَّ تجنح إلى مـا لا يحل، «إذ مخالفة الهوى والشَّهوة هي من المقاصد المعتبرة شرعاً»(٢).

(١) انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، (ص ٨٣ - ٨٨). الوحي المحمدي، (ص ١٠٨-١١٦).

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، (٢/ ٤٥٥).

ورغم أنَّ هذه المشاق مقدورة للمكلف، **إلاَّ أنَّ الشَّارع الحكيم زيَّن تكاليف الشَّرع بزينة رفع الحرج والمشقَّة**، حتى تُحبَّها النفوس، وتُقْبِلَ على العمل بها دون كلل أو ملل، المفضي إلى الانقطاع.

ورَفْعُ الحرج من سُنَّة الأنبياء جميعاً، قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ**﴾ [الأحزاب: ٣٨]. «أي هذا حُكْمِ الله في الأنبياء قَبْلَه، لم يكن ليأمرهم بشيءٍ وعليهم في ذلك حرج»[١].

ومن أهل التأويل من اعتبر قولَه تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]. دليلاً على عدم وقوع التكليف بما لا يُطاق في شرائع الله جميعاً؛ لعموم لفظ: ﴿**نَفْسًا**﴾، التي وردت في سياق النَّفي؛ لأن الله تعالى ما شرع التكليف إلاَّ للعمل واستقامة أحوال الخَلْق، فلا يكلِّفُهم ما لا يُطيقون فِعْله[٢].

إذاً **فالسَّماحة واليُسر من أبرز أوصاف شريعة القرآن العظيم**، فقد قال الله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦]. ومن دعاء المؤمنين ما حكاه الله تعالى بقوله: ﴿**رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والحكمة في سماحة شريعة القرآن العظيم: «أنَّ الله جعل هذه الشريعةَ دِينَ الفطرة. وأمورُ الفطرة راجعةٌ إلى الجِبِلَّة، فهي كائنة في النفوس، سهلٌ عليها قبولُها. ومن الفطرةِ النُّفورُ من الشِّدَّة والإعنات، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ**

---

(١) تفسير ابن كثير، (٦/٤٤٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢/ ٥٩٧).

اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. وقد أراد الله تعالى أن تكون الشريعةُ الإسلامية شريعةً عامةً ودائمة، فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذُها بين الأُمَّة سهلاً، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا انتفى عنها الإعْنَاتُ، فكانت بسماحتها أشدَّ ملاءمةً للنفوس؛ لأن فيها إراحةَ النفوس في حالي خُوَيْصتها ومجتمعها.

وقد ظهر للسماحة أثرٌ عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها، فعُلِم أنَّ اليُسْرَ من الفطرة؛ لأنَّ في فطرة الناس حُبَّ الرِّفق»[1].

ومن يتتبَّع آيات رفع الحرج يلحظُ أمرين مهمين، سلكهما القرآن العظيم، في رفعه الحرج عن المكلفين:

الأول: مجيء آيات على هيئة بشارة تنبئ بمقدم شريعة، من سماتها التَّيسير والتَّخفيف، مِنْ أمثالِ قوله تعالى: **﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾** [الأعلى: ٨].

فهذه الآية الكريمة بشَّرت رسولَ الله ﷺ وأُمَّته بشرعٍ سَمْحٍ سهل مستقيم عدل، لا اعوجاجَ فيه، ولا حرج ولا عُسر[2].

الثاني: مجيء آيات فيها التَّنصيص على رفع الحرج، إمَّا بالكليَّة، وإمَّا بالتخفيف منه.

فمن الأول: قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة: ٩١].

فأوضحت الآيةُ الكريمة الأعذارَ التي لا حرج على مَنْ قعد معها عن

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، (ص ٢٧١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٨/ ٣٥٠).

القتال، بشرط النُّصح لله ولرسوله.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

ولقد قال الصحابيُّ الجليل يعلي بن أُميَّة -رضي الله عنه- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: إنما قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، وقد أَمِنَ الناسُ! فقالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ. فَسَأَلْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ. فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»[١].

قال ابن عاشور رحمه الله:[٢] «ولا شكَّ أَنَّ مَحْمَلَ هذا الخبر أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَقَرَّ عمرَ عَلَى فَهْمِه تخصيصَ هذه الآية بالقَصْرِ لأجل الخوف، فكان القَصْرُ لأجل الخوف رخصةً لدفع المشقة».

وقد عبَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالصَّدقة، وهو لا يريد إلاَّ دفع المشقَّة، والله أعلم[٣].

أما بعد:

فذلك شاهد بواقعية القرآن العظيم الذي يعترف بضعف الإنسان فيشرِّع له ما لا يعجزه. وهذا من عظمته وعلوِّ شأنه ورفعته.



---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، (١/٤٧٨)، (ح ٦٨٦).

(٢) التحرير والتنوير، (٤/ ٢٤٠).

(٣) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم، (١/١٨٦-١٩٠). الوحي المحمدي، (ص ١٨٠-١٨٣).

المطلب الرابع
تقرير كرامة الإنسان وحقوقه

إن من أعظم مقاصد القرآن العظيم ما يتعلَّق بتقرير كرامة الإنسان، ورعاية حقوقه، ويتَّضح ذلك من خلال النِّقاط الآتية:

أولاً: تقرير كرامة الإنسان:

طالما يؤكد القرآن العظيم - مراراً وتكراراً - أنَّ الإنسان مخلوقٌ كريم على الله تعالى، حيث خَلَقَ آدم بيده، ونَفَخَ فيه من روحه، وجعله خليفةً في الأرض، واستخلف أبناءه من بعده، وهي منزلة تطلَّعت إليها أنظار الملائكة الكرام، فلم تُمنحْ لهم، حكمةً من الله تعالى القائل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] والقائل أيضاً: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]. ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ومِنْ أَجْلِ ذلك أنكر القرآن العظيم على بعض البشر انتكاسَ فطرتهم حيث جعلوا القُوَى المسخَّرة لهم آلهة يعبدونها من دون الله، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وأنكر على بعضٍ آخر من البشر فقدان كرامتهم، وكونهم أذناباً لغيرهم، وهم الذين حكى الله تعالى قولهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا

وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وأنكر على آخرين غُلوَّهم في تقديس البشر حين أطاعوهم في معصية الله، فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

بل ردَّ القرآنُ على مَنْ نَسَبَ إلى بعض الأنبياء أنه دعا الناس إلى عبادة نفسه، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ثانياً: تقرير حقوق الإنسان:

إنَّ ما تتغنَّى به الإنسانية اليوم، وتُطلقُ عليه اسم (حقوق الإنسان)، قد اعتمده القرآن وقَرَّر ما هو أشمل منه وأعدل منذ (أكثر من أربعة عشر قرناً).

فقـرَّرَ القرآن العظيم حَقَّ كُلِّ إنسان في الحياة، ما لم يرتكب جرماً موجباً إباحة دمه شرعاً، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وحقَّ الإنسان في احترام مسكنه الخاص، وعدم دخوله إلاَّ بإذنه، قال تعالى: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

وحقَّ الإنسان في صيانة دمه وماله، وحماية ملكه الحلال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وحقَّ الإنسانِ في صيانة عرضه وكرامته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

وحقّ الإنسان في الزّواج وتكوين الأسرة، رجلاً كان أو امرأة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وحقّ الإنسان - بعد الزّواج - في الإنجاب، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

وحقّ الذّرية في الحياة، بنين كانوا أو بنات، ولهذا أنكر القرآن العظيم على أهل الجاهلية، فعلتهم الشّنيعة، في وأدهم البنات، وقتلهم أولادهم لأيّ سبب كان، وعدّ ذلك جرماً عظيماً، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

وحقّ الإنسان في كفاية العيش إن كان عاجزاً أو فقيراً، في أموال الأغنياء، قرّره القرآن بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]. وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وفي أموال الدّولة من الغنائم والفيء، ففي كلٍّ منها حقٌّ لليتامى والمساكين وابن السبيل.

وحقّ الإنسان في إنكار المنكر، ورفض الفساد، ومقاومة الظّلم البيّن، والكفر البواح، قرّره القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

ولقد ارتقى القرآن العظيم بهذه الحقوق إلى مرتبة الفرائض والواجبات؛ لأنَّ ما كان من الحقوق يمكن لصاحبه أن يتنازل عنه، أمَّا الواجبات المفروضة فلا يجوز أبداً التَّنازل عنها[١]. فما أعظمه من كتاب.



المطلب الخامس
تكوين الأسرة وإنصاف المرأة

أولاً: تكوين الأسرة:

من المقاصد التي هدف إليها القرآن، تكوين الأسرة الصالحة، والتي هي الرَّكيزةُ الأُولى للمجتمع الصالح، ونواةُ الأُمَّة الصَّالحة.

ولاريب أن أساس تكوين الأسرة هو الزَّواج، وقد عدَّه القرآن آيةً من آيات الله، مثل خلق السماوات والأرض، وغيرهما، فقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. فقد أشارت الآية الكريمة إلى الدَّعائم الثلاث التي تقوم عليها الحياة الزوجية، وهي: السُّكون، والمودَّة،

---

(١) انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم، (ص٨٩-٩٤). الوحي المحمدي، (ص ١٧٣-١٧٧).

والرَّحمة.

وقد سمَّى القرآنُ العظيم الارتباطَ بين الزوجين: ﴿مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. والمقصود به العقدُ القويُّ المتين.

وقد عبَّر القرآن الكريم عن مدى القرب واللُّصوق والدِّفء والوقاية والسِّتر بين الزوجين، فأنزل كلاً منهما من الآخر منزلةَ اللِّباس لصاحبه، فقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن أوَّل أهداف الزواج في القرآن: الذرية الصالحة، التي تقرُّ بها أعين الأبوين، لذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

ومن دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ولابدَّ لهذه الأسرة أن تكون متوافقة من جهة الدِّين، لذا حرَّم القرآن نكاحَ المشركات، وإنكاحَ المشركين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فخُتمت الآية بحكمة هذا التَّحريم، فما أبعد المسافة بين المشركين، الذين يدعون إلى النار، وبين المؤمنين الذين يدعون إلى الجنة والمغفرة.

وقد رخَّصَ القرآنُ في نكاح الكتابية؛ لأنَّها ذاتُ دينٍ سماويِّ الأصل، وهي تؤمن - في الجملة - بالله ورسالاته، وبالدَّار الآخرة، وإنْ كان إيماناً

مشوباً! ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

ونظراً لأنَّ المسلم يعترف بأصل دين الكتابية، فلن تضام عنده، ولن تضيع حقوقُها. بخلاف الكتابِّي الذي لا يعترف بأصل دين المسلمة، ولا بالكتابِ الذي آمنت به، والنبيِّ الذي اتَّبعته، ومنْ هنا جاء الإجماع على تحريم زواج المسلمة بغير المسلم، ولو كان كتابياً[١].

ثانياً: إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية:

ومن أهمِّ ماجاء به القرآن: إنصافُ المرأة، وتحريرها من ظلم الجاهلية لها، فقد كانت النِّساء قبل الإسلام مظلومات ممتهنات مستعبدات عند جميع الأمم، وفي شرائعها وقوانينها، حتى عند أهل الكتاب، إلى أنْ جاء الإسلام، ونزل القرآن، فأعطى اللهُ النساءَ جميعَ الحقوق التي أعطاها للرَّجل، إلاَّ ما يقتضيه اختلاف طبيعة المرأة ووظائفها النِّسوية من الأحكام، مع مراعاة تكريمها، والرَّحمة بها، والعطف عليها[٢].

فقد حرَّرها القرآن من تحكُّم الرجل في مصيرها بغير حق، وأعطاها حقوقَها لكونها إنساناً، وكرَّمها لكونها أنثى، وبنتاً، وزوجةً، وأمّاً، وعضواً فاعلاً في المجتمع[٣].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص ١٠٨ - ١١١).

(٢) انظر: الوحي المحمدي، (ص ٢١٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، (ص ١١٢).

وقد أوضح الشيخ محمد رشيد رضا[١] - رحمه الله - **حال النساء قبل مبعث النبيِّ ﷺ، عند أمم الأرض إجمالاً**، فقال:[٢]

«كانت المرأة تُشترى وتُباع، كالبهيمة والمتاع، وكانت تُكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تُورَث ولا تَرِث، وكانت تُمتلك ولا تَملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التَّصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل. وكانوا يرون للزوج الحقَّ في التَّصرف بمالها من دونها.

وقد اختلف الرِّجال في بعض البلاد في كونها إنساناً ذا نفسٍ وروحٍ خالدة كالرجل أم لا؟ وفي كونها تُلقَّن الدِّين وتَصِح منها العبادة أم لا؟ وفي كونها تدخل الجنَّة أو الملكوت في الآخرة أم لا؟ فقرَّر أحد المجامع في روميَّة أنها حيوان نَجِس لا روحَ له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة، وأن يُكمَّم فمها كالبعيرِ، والكلبِ العقور، لمنعها من الضَّحك والكلام، لأنها أُحبولة الشيطان! وكانت أعظم الشرائع تُبيح للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أن للأب الحقَّ في قتل بنته، بل في وأدها - دفنها حيَّة - أيضاً. وكان منهم مَنْ يرى أنه لا قصاص على الرَّجل في قتل المرأة ولا دية».

---

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدِّين بن محمد بهاء الدِّين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة «المنار»، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتَّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة (١٢٨٢هـ)، ونَظَمَ الشِّعر في صباه، وكتب في بعض الصُّحف. ومن أشهر آثاره: «تفسير القرآن الكريم»، و «الوحي المحمدي»، و «شبهات النصارى وحجج الإسلام». توفي بمصر سنة (١٣٥٤هـ). «انظر: الأعلام، (٦/ ١٢٦)».

(٢) الوحي المحمدي، (ص ٢١٧).

إنصاف القرآن للمرأة:

أعطى القرآنُ العظيم المرأةَ جميعَ حقـوقها واعتنى بها وحرَّرها من ظلم الجاهلية، ومن أبرز صور تكريم المرأة فـي القرآن: أنَّ سورةً من السَّبع الطِّوال تُسـمَّى «سـورة النسـاء» تضمَّنـت أنواعاً من إثـبات حـقـوق المرأة في نواحٍ مختلفة، لم تكن تحصل عليها في أيَّام الجاهلية الأُولى.

ومن مظاهر إنصاف القـرآن العظيم للمرأة، وتحريرها من ظلم الجـاهلية ما يأتي:

١- التَّأكـيد على حقِّهـا في الحياة مثل الرَّجل في قـوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

٢- أَثْبَتَ لها حقَّ التَّملك، والتَّمتُّع بما كسبت مـن حلال مثل الرَّجل في قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

٣- أَنْصَفَـها من ظلم الجـاهلية لها حـتى في الطَّعام في قـوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٩].

٤- أَثْبَتَ لها الكرامـةَ عند الله - حال التَّقوى - مـثل الرَّجل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

٥- أثبت لها ثوابَ الأعمال مـثل الرَّجل في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ

لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

٦- ضَمِنَ لها حقَّها في الإرث مثل الرَّجل في قوله تعالى: **﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾** [النساء: ٧].

٧- ضَمِنَ لها حقَّها في المهر، فقال تعالى آمراً الرِّجال: **﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾** [النساء: ٤].

٨- حَرَّمَ على الرِّجال أَخْذَ مالها بغير حقٍّ في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾** [النساء: ١٩].

وفي قوله تعالى: **﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾** [النساء: ٢٠].

٩- حَرَّرَها من تحكُّم الزَّوج في مصيرها بغير حقٍّ في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** [البقرة: ٢٣١].

١٠- حَثَّ الأزواجَ على الإحسان إليها بعد طلاقها - مراعاةً لحالتها النَّفسية والاجتماعية - في قوله تعالى: **﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة: ٢٤١].

وفي قوله تعالى: **﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾** [الأحزاب: ٤٩].

١١- أَثْبَتَ للمطلَّقة الحامل النَّفقة، فقال تعالى آمراً الرِّجال: **﴿وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾** [الطلاق: ٦].

١٢- أَثْبَتَ للمطلَّقة المُرضِع أجر إرضاعها، فقال تعالى آمراً الرِّجال:

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

وجملةُ القول: إنه ما وُجِدَ دينٌ، ولا شرع، ولا قانون في أُمَّة من الأمم، أعطى النِّساء ما أعطاهن القرآنَ العظيم من الحقوق والعناية والكرامة. أفليس هذا كلُّه من دلائل عظمته وعلوِّ شأنه ورفعته؟



المطلب السادس
إسعاد المكلَّف في الدارَين

لاشكَّ أنَّ اتِّباع القرآن العظيم يقود الإنسانَ إلى الهداية في الدُّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وإنَّ كتاباً هذا شأنه هو وحده المتكفِّل بإسعاد الإنسان.

والمؤمنون في كُلِّ ركعة من ركعات صلاتهم - فرضاً كانت أو نفلاً - يسألون ربَّهم تعالى الهدايةَ إلى الصراط المستقيم، كما حكى الله تعالى دُعاءَهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

«فسؤالُ الهدايةِ متضمنٌ لحصولِ كلِّ خَير، والسَّلامةِ من كلِّ شرٍ.

ولا تكون الطريقُ صراطاً حتى تتضمنَ خمسةَ أمور: الاستقامَة، والإيصالَ إلى المقصود، والقربَ، وسعتَهُ للمارِّينَ عليه، وتعيُّنه طريقاً للمقصود. ولا يخفى تضمُّنُ الصراطِ المستقيمِ لهذه الأمورِ الخمسة.

فَوَصْفُهُ بالاستقامةِ يتضمَّنُ قربَهُ، لأن الخطَّ المستقيمَ هو أقربُ خطٍّ فاصلٍ بين نقطتين. وكلَّما تعوَّجَ طالَ وبَعُدَ. واستقامتُهُ تتضمَّنُ إيصالَهُ إلى

المقصود، ونصبُهُ لجميع مَنْ يمرُّ عليه يستلزمُ سَعَتَهُ. وإضافتهُ إلى المنعَمِ عليهم، ووصفهُ بمخالفةِ صراط أهلِ الغضبِ والضلالِ، يستلزم تَعَيُّنَه طريقاً»(١).

ومن اتَّبع هدى اللَّه المتمثِّل في القرآن العظيم، لا يعتريه ضلال في هذه الدنيا، وينتفي عنه الشَّقاء في الآخرة، والشَّقاءُ ضد السعادة. قال الله تعالى: **﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾** [طه: ١٢٣].

وهذه الهداية إلى الصِّراط المستقيم تستلزم سعادةَ الدنيا والآخرة، فقد جمعَهُما الله تعالى في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النحل: ٩٧].

فقد نصَّت الآيةُ الكريمة على السَّعادة الدنيوية نصاً أفاده قولُه تعالى: **﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾**. **كما نصَّت على السَّعادة الأُخروية** المستفادة من قوله تعالى: **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

فقد ضَمِنَ الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة «لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاءَ في الدُّنيا بالحياة الطَّيبة، وبالحسنى يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين، وهم أحياء في الدَّارين، ومتاع الآخرة أبقى وأنقى قال تعالى: **﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾** [النحل: ٣٠]، ونظيرها قوله تعالى: **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾** [هود: ٣]. ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدُّنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطَّيبة

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، (١/ ١٠-١١).

في الدَّارين، فـإن طِيبَ النَّفس، وسـرورَ القلب وفـرحَـه ولذَّته وابتـهاجَـه وطمأنينتَه وانشراحَه ونورَه وسـعتَه، وعافيتَه من الشَّهوات المحـرَّمة والشُّبهات الباطلة هو النَّعيم على الحقيقة، ولا نسبةَ لنعيم البدن إليه»[١].

السَّعادة في مَنْطِق البشر:

كثيراً مـا يُخطئ السَّوادُ الأعظم من البشر في مفـهوم السَّعادة، فظنوا أنَّ السَّعـادة في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح، ولذة المـال والتَّفنن في أنواع الشهوات.

ولاريب أنَّ هذه متعـةٌ ولذَّة؛ تُشاركهم فيها البـهائم التي لا تعقل، بل قد يكون حظُّ البهائم أوفر من حظِّ هؤلاء.

وهذه الألوان والمُتع وصُنوف الـشَّهـوات قد جُـرِّبت من ذي قـبل فلم تُحقق السَّـعادةَ المنشـودة، وليست عنَّا ببعـيد تلك المجـتمعـات التي يَسَّرت لأفرادها مطالب الحياة الماديَّة وكمالياتها، ومع ذلك أُحيطت بسياجٍ مُحكمٍ من التَّعاسة والنَّكد، وظلَّت تشكو وتحس بالضِّيق والانقباض، وتبحث عن طريق تلتمس فيه السَّعادة!

وقد أخـبرنا الله تعالى عن تعاسـة هؤلاء، وعذابهم في الحيـاة الدنيا، بسبب بُعدهم عن هداية القـرآن العظـيم، ومن أجل ذلك يحذِّرنا الله تعالى من بريق متاعهم؛ لأنـه زائل فقال تعالى: **﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [التوبة: ٥٥][٢].

قال ابن القـيم رحمه الله - تأكيـداً لهذا المعنى:[٣] «ولا تظنَّ أنَّ قوله

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، (ص ٨٤).

(٢) انظر: الكليات الشرعية في القرآن الكريم، (١/ ١٩٢).

(٣) المصدر السابق، (ص ٨٥).

تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]. مختصٌ بيوم المَعاد فقط، بل هؤلاء في نعيمٍ في دُورهم الثَّلاثة، وهؤلاء في جحيمٍ في دُورهم الثلاثة، وأيُّ لذةٍ ونعيم في الدُّنيا أطيب من بردِ القلب، وسلامةِ الصَّدر، ومعرفةِ الرَّب تعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟

وهل العيش في الحقيقة إلاَّ عيش القلب السَّليم؟! وقد أثنى الله تعالى على خليله عليه السَّلام بسلامة قَلْبِه فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤]».

ولا شكَّ أنَّ الحياة الطَّيبة - في منظور القرآن - تكمن في سكينة القلب واطمئنانه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. وقال أيضاً: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وصيغة المضارع في قوله: ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ توحي بتجدد هذا الاطمئنان وديمومته، وهو في حاجة إلى مَنْ يرعاه ويحضنه، ولا سبيل إلى ذلك إلاَّ بالعبادات، وعند ذلك يصبح صاحبه في أطيب حال في الدنيا، وفي نعيم دائم في الآخرة[١].

وهذا ما أكده أيضاً العزُّ بن عبد السَّلام[٢] رحمه الله بقوله: «ومن

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٢/ ١٨٢).

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السَّلام الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء؛ لمواقفه الجريئة مع الحكام، ولد ونشأ في دمشق سنة (٥٧٧هـ). تولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ)، ومن كتبه: «قواعد الشريعة»، و «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام». «انظر: الأعلام، (٤/ ٢١)».

السَّعادة أن يختار المرء لنفسه المواظبة على أفضل الأعمال فأفضلها، بحيث لا يضيع بذلك ما هو أولى بالتَّقديم منه، والسَّعادة كلُّها في اتباع الشَّريعة في كلِّ ما ورد وصَدَر، ونبذ الهوى فيما يخالفها»[(١)].

وهذا الكلام النَّفيس من هذا العالم الجليل ليؤكد لنا مراراً وتكراراً أنَّ في القلب شَعَثاً لا يلمه إلاَّ الإقبال على الله تعالى، ووحشةً لا يزيلها إلاَّ الأُنس بالله، وحزناً لا يذهبه إلاَّ السُّرور بمعرفة الله، وصِدْق معاملته، وقلقاً لا يسكنه إلاَّ الاجتماع عليه والفرار إليه، وهو المتوافق مع فطرة الله عزَّ وجلَّ التي فَطَرَ النَّاس عليها.

نسألُ اللهَ القدير أن يجعلنا من أهل السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، من الذين قال فيهم: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٨].



ويُختم هذا المبحث بخلاصة جامعة، تبرز من خلالها: **عظمة المقاصد النَّبيلة التي رمى إليها القرآن العظيم في هدايته**، وهي على النَّحو الآتي[(٢)]:

أولاً: إصلاح العقائد: عن طريق إرشاد الخَلْق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما.

ثانياً: إصلاح العبادات: عن طريق إرشاد الخَلْق إلى ما يُزكِّي النفوس ويُغذِّي الأرواح ويقوِّم الإرادة.

ثالثاً: إصلاح الأخلاق: عن طريق إرشاد الخَلْق إلى فضائلها، وتنفيرهم

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (١/ ١٧).

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، (٢/ ٣٢٢-٣٢٣).

من رذائلها.

رابعاً: إصلاح الاجتماع: عن طريق إرشاد الخَلْق إلى توحيد صفوفهم، ومحو العصبيات، وإزالة الفوارق التي تُباعد بينهم؛ وذلك بإشعارهم أنهم جنس واحد، من نفس واحدة، ومن عائلة واحدة، أبوهم آدم، وأُمُّهم حواء، وأنَّه لا فضل لشعب على شعب، ولا لأحد على أحد إلاَّ بالتقوى؛ وأنهم متساوون أمام الله ودينه وتشريعه، متكافئون في الأفضلية وفي الحقوق والتَّبعات، من غير استثناءات ولا امتيازات، وأنَّ الإسلام عَقَد إخاءً بينهم أقوى من إخاء النَّسَب والعَصَب، وأنَّهم أُمَّة واحدة لا تفرقها الحدود الإقليمية، ولا الفواصل السِّياسية والوضعية: ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥٢].

خامساً: إصلاح السِّياسة، أو الحُكم الدَّولي: عن طريق تقرير العدل المطلق والمساواة بين الناس، ومراعاة الفضائل في الأحكام والمعاملات: من الحقِّ، والعدل، والوفاء بالعهود، والرَّحمة، والمواساة، والمحبَّة. واجتناب الرذائل: من الظُّلم، والغدر، ونقض العهود، والكذب، والخيانة، والغشِّ، وأكل أموال الناس بالباطل: كالرَّشوة، والربا، والتِّجارة بالدِّين والخرافات.

سادساً: الإصلاح المالي: عن طريق الدَّعوة إلى الاقتصاد، وحماية المال من التَّلف والضَّياع، ووجوب إنفاقه في وجوه البِرِّ، وأداء الحقوق الخاصَّة والعامَّة، والسَّعْي المشروع.

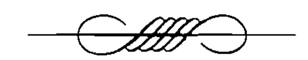
سابعاً: الإصلاح النِّسائي: عن طريق حماية المرأة، واحترامها، وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية، والدِّينية، والمدنية.

ثامناً: الإصلاح الحربي: عن طريق تهذيب الحرب ووضعها على قواعدَ سليمة؛ لخير الإنسانية في مبدئها وغايتها، ووجوب التزام الرَّحمة فيها

والوفاء بمعاهداتها.

تاسعاً: محاربة الاسترقاق: عن طريق تحرير الرَّقيق الموجود بِطُرق شتَّى، منها التَّرغيب العظيم في تحرير الرِّقاب، وجعله كفارة للقتلِ، وللظِّهارِ، ولإفسادِ الصيام بطريقةٍ فاحشة، ولليمينِ الحانثة، ولإيذاء المَمْلوك باللَّطْم أو الضَّرب.

عاشراً: تحرير العقول والأفكار: عن طريق منع الإكراه، والاضطِّهاد، والسَّيطرة الدِّينية القائمة على الاستبداد والغطرسة: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].



المبحث الثالث
عظمة التشريع القرآني

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شمول التَّشريع القرآني.

المطلب الثاني: خلود التَّشريع القرآني.

المطلب الثالث: عدالة التَّشريع القرآني.

تمهيـــــد

المسلمون جـميعاً على تبـاين أقطارهم، وتباعد ديارهم، يرجـعون إلى القرآن العظيم؛ لأنَّه المنهـاج الأمثل، الذي ارتضاه الله تعالى للإنسـانية، وقد اشتـمل القـرآن والسنَّة، على العقـائد، والعبـادات والمعـاملات، والحـقوق الشخصية، وغيرها.

وثروةُ القرآن العظيم لا تقف عند حدِّ الاعتقاد الصحيح وتوحيد الخالق جلَّ جلالُه، **بل من جملـة هذه الثَّروة ما يتـرتَّب على التَّوحـيد من:** تهذيب السُّلوك، وتربيـة العقل والوجـدان، وتصحـيح المعامـلات، وتطبيق قـواعد العدل.

وقد احـتوى الـقرآن الكريم، على أنواعٍ من الأعـمال التي كُلِّف بـها المسلمون: كالعبادات المحضة، والمالية، والبدنيـة، والاجتماعية، وقد اعتُبِرت هذه العبادات - بعد الإيمان بالله تعالى - أساس الإسلام.

واشـتمل القـرآن العظيم على سـتـة آلاف ومائتـين وستـة وثلاثين آية (٦٢٣٦) احتـوت - جملةً وتفـصيلاً - على العـبادات والعقـائد والتَّكاليف وأصـول الأحكام، والمعـامـلات، وعلاقـات الأمم والشـعـوب، في السِّلم والحرب، وسيـاسة الحُكم، وإقامة العدل، والعـدالة الاجتماعيـة، والتَّضامن الاجتـماعي، وكل ما يتـصل ببناء المجتمع، ورسـم شخصيـة المسلم الكامل خُلُقاً وأدباً وعلماً.

ولقد **جـاء القرآن العظيم بتشريـعات عـادلة، احتـوت أحكاماً كُلِّيـة، ومـبادئ عـامة، في كُلِّ فـروع التَّشـريع**، وصَدَق الله العظيـم القائل: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾** [الإسراء: ١٢] والقائل: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا**

لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

إنَّ القرآن العظيم - بحقٍّ - منهاج كامل وشامل، جاء بكليات الشَّريعة والأصول، في العبادات، والمعاملات، والأسرة، والميراث، والجنايات، والحدود، وأنظمة الحكم.

ومن آيات **الاقتصاد، والمعاملات المدنية**، قوله تعالى: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾ [النساء: ٥].

ومن آيات **الأحوال الشخصية**، قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومن آيات **الميراث**، قوله تعالى: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ [النساء: ٧].

ومن آيات **الجنايات**، قوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: ٤٥].

ومن آيات **الحدود**، قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ**

يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٤].

ومن آيات **المعاهدات**، قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ [الأنفال: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ [الأنفال: ٥٨].

ومن آيات **الدفاع العام**، قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة: ١٩٠].

ومن آيات **الحكم والقضاء**، قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [النساء: ٥٨-٥٩].

وأما آيات **الأخلاق والأدب والسلوك**، فهي تملأ القرآن الكريم، وتستطيع أن تحس بها في كل آية من آيات القرآن.

وفي **السياسة** دعا القرآن العظيم إلى الشورى، في قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ [الشورى: ٣٨]. ودعا كذلك إلى احترام حقوق الإنسان، والتزود بكل أسباب القوة.

وفي **النظام الأخلاقي** دعا إلى خلوص النية، والتمسك بقيم الخير والحق، والتزام الآداب الفردية والجماعية، التي تسير بالإنسانية إلى الكمال والتقدم.

وفي **النظام الاجتماعي** دعا إلى الأسرة المتماسكة، القائمة على ركائز

المودَّة والرَّحمة، والإخـلاص، والاحترام، والتعاون، والتَّعـارف، وقيام كل راعٍ بمسئوليته.

وفي **النِّظام الاقتـصادي** دعا إلى تبادل المنافـع، واتِّخاذ المال وسيلةً لا غاية، واحترام الملكية الفردية.

وفي **النِّظام التَّـشريعي** قام على أصـول كُلِّيَّة واسعـة. وقد تمثلت هذه النَّاحية في ثروة من الفقة الإسلامي(١).

والحقُّ أن بيان القرآن وتشريعاته لا ينفـصل بعضها عن بعض، وكما أنَّ القرآن العظيم معجزة بيانيَّة، فهو بحقٍّ معجزة تشريعية كذلك.

تميُّز التَّشريع القرآني:

اقتـضت حكمةُ الله ومـشيـئتُه أن يُنَزِّل الـقرآنَ العظيم، وقـد مرَّ على القـانون الرُّوماني مـدة ثلاثة عشـر قـرناً، وهذا القانون كـان مَرْجِعَ البـلاد المتحـضِّرة آنذاك، وقـد بلغ من الإصلاح والتَّـهذيب مـا بلغ، فكان نتيـجةَ إصلاحات لكبار الفـلاسفة، ورجال العلم، والقانون، والاجتـماع، فجاءت معجزة القرآن التَّشريعية تتحـدَّى القوانين والمُقَنِّنين، والفلسفة والفلاسفة، كما تحدَّت - من قبل - اللُّغويين.

وسيجد أيُّ باحث منصف، البونَ الشَّـاسع بين تشريعات القرآن العظيم وبين غيـره من القوانين، من حيث سـموِّها وشـمولها، ومـا فيـها من فطرة إنسانية، وخلوٍ من السَّلبيات، والثَّغرات، والمآخذ(٢).

وإنَّ ما اشـتمل عليه القرآن من أحكام تتـعلَّق بتنظيم المجتمع، وإقـامة

(١) انظر: مع كتاب الله، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (عدد: ٤٠)، (ربيع الأول ١٣٩٨هـ)، (ص٢٣-٢٧).

(٢) انظر: إعجاز القرآن الكريم، أ.د. فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، (ص٢٩١-٢٩٢).

العلاقات بين آحاده على دعائم من المودَّة والـرَّحمة والعدالة، لم يُسْبَقْ به في شـريعةٍ من الشَّـرائع الأرضيـة، وإذا وازنَّا بين ما جـاء في القرآن، وبين مـا جاءت به قوانين اليونان والرُّومان، وما قام به الإصلاحيُّون للقوانين والنُّظم، - **مع أنَّه لا يُقَارَنُ حقٌّ بباطل** - نجد أن هذه الموازنة فيهـا خروج عن التَّقدير المنطقي للأمور(١).

وإذا تأملنا أيَّ قاعدة من القواعد التَّـشريعية، وأيَّ باب من أبواب الفقه القرآني، نجد مصداقيَّةَ أسبقية القرآن العظيم، وسموَّ تشريعاته؛ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ [الإسراء: ١٠٥]. أي أنَّ القرآن هو **حقاً** من عند الله، ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

ومعنـى قوله: ﴿**وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ كـما هو، أي كلُّ مـا في القـرآن من حقائق، وتشريعات، وأخبار، حقٌّ لا يتطرق إليه باطل، وهو في أعلى رتب الحقِّ لا يُجارى في قضاياه، ولا يُدانيه كتاب آخر في أحكامه: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢](٢).

«ولهذا السَّبب فالقـرآن له أعلى حَظوة لدى المسلمين، وهو ليس مجرد كـتاب صلوات، أو أدعـية نـبويَّة، أو غـذاء للـروح، أو تسـابيح روحانيـة فحـسب، بل إنَّه أيضاً القانون السِّـياسي، وكنز العلوم، ومرآة الأجـيال، إنه سلوى الحاضر، وأملُ المستقبل»(٣).

وسيكون الحديث عن أبرز مظاهر العظمة في التَّشريع القرآني من خلال المطالب الآتية:

---

(١) انظر: المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، (ص٣٨٥).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٢٩٦).

(٣) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، (ص٣١).

المطلب الأول
شمول التَّشريع القرآني

إنَّ من خصائص التَّشريع القرآني تميُّزه بالشُّمول، وتميُّزه بالكمال، وقد دلَّ على كمال التَّشريع القرآني قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾ [المائدة: ٣].

ومعنى الآية كما فسَّرها الطبريُّ رحمه الله بقوله:[١] «اليوم أكملت لكم أيُّها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إيَّاكم ونهيي، وحلالي وحرامي وتنزيلي من ذلك منه، بوحي على لسان رسولي، والأدلة التي نَصَبْتُها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد اليوم».

وهذا الإكمال يتلازم مع الشُّمول، بمعنى شمول التَّشريع القرآني لكل ما يحتاجه الناس، **فلا تخلو حادثة عن حُكم الشريعة في جميع الأحوال والأعصار والأقطار**، فالمعاني التي تضمَّنها التَّشريع القرآني تعمُّ جميعَ الحوادث وتسعُها إلى يوم الدِّين، وهذا خاص بهذا التَّشريع، فلم يَسْبِق لشريعة أُخرى أن استَغْنت كُلَّ الاستغناء عن غيرها، كما هو الحال في التَّشريع القرآني.

إنَّ أكبر الشَّرائع قبل الإسلام - وهي شريعة موسى عليه السَّلام - لم تتوجَّه لغير بني إسرائيل، ولم تَدَّعِ العمومَ والشُّمولَ اللذين مَيَّز اللهُ تعالى بهما التَّشريع القرآني[٢].

وهذا التَّشريع القرآني شامل كذلك لجميع المصالح الدُّنيوية والأخروية، والفردية والجماعية، فهو تشريع لا يعرف الدُّنيا بدون الآخرة، ولا الآخرة

(١) تفسير الطبري، (٦/ ٧٩).

(٢) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، (١/ ٣٧٦).

بدون الدنيا، ولا يعرف الجماعة بدون الفرد، ولا الفرد بدون الجماعة، فالفرد جزء وعضو، والجماعة كلٌّ وجَسَد، وليس للجسد دون الرُّوح، ولا للعقل مجرداً عن العاطفة، إنَّه تشريع كامل وشامل وعظيم، يسلك مسلك الموازنة بين المصالح الدِّينية والمنافع الدُّنيوية.

وقد جاء في تقرير ذلك - رعاية مصالح الدنيا والآخرة - قوله تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص: ٧٧]. قال قتادة[١]: معناه لا تضيِّع حظَّك من دنياك في تمتُّعك بالحلال وطلبِك إياه، ونظرِك لعاقبة دُنياك[٢].

ولذلك نلحظ أنَّ **النُّصوص التَّشريعية لم ترد مُجَرَّد أوامر جافَّة، بل خاطبت في الإنسان قلبَه ولبَّه وأحاسيسه، وحرَّكت كوامن الإيمان فيه من مثل**: إن كنتم مؤمنين، لعلكم تتَّقون، لعلكم تذكَّرون، مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر... إلخ.

فَمِثل هذا الخطاب يُذْكي جذوة الإيمان في نفس المسلم، فيكون أدعى للاستجابة وأقرب للالتزام والانضباط.

وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي لا ترتكز على دعائم من الإيمان في جوهرها، ولا تُراعي أحاسيس الإنسان ومشاعره في أسلوبها، فهي مجرَّد أوامر ونواهٍ جافة، تكتفي بعلاج الظَّاهر، والحديث عن الدُّنيا فقط، على

---

(١) هو التَّابعي الجليل (أبو الخطاب) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، البصري، الضرير الأكمه، المُفسِّر، كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، كان أحفظَ الناس، لا يسمع شيئاً إلاَّ حفظه، وله تفسير، توفي بواسط في الطاعون سنة (١١٧هـ). «انظر: تذكرة الحفاظ، (١/ ١٢٢). طبقات المفسرين، (٢/ ٤٧)».

(٢) انظر: تفسير القرطبي، (١٣/ ٣٢٦).

ضعفٍ في العلاج، وقصورٍ في الحديث، وركاكةٍ في الأسلوب[١].

والسَّبب الرَّئيس في حرص التَّشريع القرآني على حصول التَّوازن بين مصلحة الدنيا ومصلحة الآخرة؛ **أنه وُضِعَ لمصالح العباد، وواضعُه هو أحكم الحاكمين**، فهو أعلم بمصالح خَلْقه وأحوالهم: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

وأمَّا التَّشريعات الوَضْعية لا تهتم إلاَّ بمصالح الدُّنيا، مع عجزها الواضح عن الموازنة بين مصالح الأفراد والجماعة[٢].

ونَخْرُج ممَّا سبق بأنَّ عموم التَّشريع القرآني وشموله يقتضي ما يلي:

أولاً: عمومُه الزَّماني: فهو تشريع واجب الاتِّباع، من حين ما بُعث محمد ﷺ إلى قيام الساعة، لا يجوز أبداً أن يُزاحِمَه أو يُنافسَه تشريعٌ، أو مذهب، أو نظام.

ثانياً: عمومُه المكاني: لأنه شريعة الأرض دون مُنافس أو مُزاحم، فهو تشريع للأرض بسهولِها وجبالِها ووديانها وبحارها وأنهارها وأعماقها وأجوائها، بل هو تشريع للكون بكلِّ أَجْرَامه، قال تعالى: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً**﴾ [مريم:٩٣].

ثالثاً: عمومُه البشري: فهو تشريع واجب الاتِّباع على كُلِّ البشر على اختلاف أجناسهم وأعراقهم، وحتى الجنِّ، فهو تشريع لكلِّ أحد كيفما وُجِدَ، وأينما كان، مكَثَ في الأرض، أو صَعَدَ في السماء، أو نزل الأجرام الأُخرى - إن استطاع إلى ذلك سبيلاً - فهو تشريع له، ولا يجوز له أن

---

(١) انظر: من مزايا التشريع الإسلامي، محمد بن ناصر السحيباني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، (عدد: ٦١)، (محرم ١٤٠٤هـ)، (ص٧٤).

(٢) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالِم، (ص ٤٦-٤٧).

ينفكَّ عنه، أو يتفلَّتَ منه، أو يفرَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف ١٥٨].

رابعاً: عمومُه وشمولُه الموضوعي: فهو لكلِّ شيء، ولكل شأن من شؤون الأحياء والأشياء، وحتى الأموات راعى التَّشريع القرآني ما لَهُم من حقوق وحُرمة بعد موتهم، واعتنى بالحيوانات رِفقاً وعناية وعطفاً، وبالدَّولة والمجتمعات والكون والكائنات، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨][1].

ولذلك عَدَّ العلماءُ أنَّ مَنْ يُنكِر شيئاً من عمومِ التَّشريع القرآني وشمولِه فهو كافر مرتد عن الإسلام، فَمَنْ يرى أنَّ أحداً - مَهْما كان - يسعه الخروج منه، فرداً أو جماعة أو دولة فهو كافر، أو زَعَمَ أن هذا التَّشريع القرآني خاص بجنس من الأجناس أو عصر من العصور، وأنه لا يُعْنَى بتنظيم شؤون الناس في الاقتصاد والاجتماع والسِّياسة، مَنْ اعتقد ذلك فهو مرتد عن الإسلام يُستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتل[2].



(١) انظر: من مزايا التشريع الإسلامي، (ص٧٠-٧٣).

(٢) انظر: البرهان والدليل على كفر من حكم بغير التنزيل، أحمد بن ناصر المعمر، (ص٤٨).

المطلب الثاني
خلود التَّشريع القرآني

هذا التَّشريع القرآني العظيم يمتاز بأنه خالد إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَنْ عليها، فلا يتطرَّق إليه تعديل أو تبديل، ومع أننا نلحظ أنَّ التَّشريع القرآني مَرِنٌ في أحكامه، لكنه راسخ في أصوله، فهو يُشبه شجرةً ثابتةَ الأصول، متحركةَ الفروع.

وممَّا يدل على خلود التَّشريع القرآني، وديمومته، واستمراره:

١- قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [الصف: ٩]. فهذا نصٌّ مطلق، غير مقيد بزمن.

٢- قوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩][(١)].

٣- قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾** [الحج: ٥٢].

هذه الآية الكريمة استدلَّ بها الشَّاطبيُّ رحمه الله **على خلود التَّشريع القرآني وحفْظه في مُجمله،** سواء كان كتاباً أو سنَّة، فقال:[(٢)] «فأخبر [الله تعالى] على أنه يحفظ آياته ويُحكِمها حتى لا يُخالطها غيرها، ولا يُداخلها التَّغيير ولا التَّبديل، والسُّنَّة وإن لم تُذكَر؛ فإنها مُبيِّنة له ودائرة حوله، فهي منه، وإليه ترجع في معانيها، فكل واحد من الكتاب والسُّنَّة يعضد بعضه

---

(١) انظر: المصدر السابق، (ص٧٥).

(٢) الموافقات، (٢/ ٤٠).

بعضاً، ويشد بعضه بعضاً».

وهذا لا يتحقَّقُ إلاَّ بأن يكون التَّشريع القرآني محفوظاً إلى يوم القيامة، وإلاَّ فإنه لو تغيَّر وتبدَّل لانقطع التَّكليف به.

ومِنْ فَضْلِ اللَّه تعالى أنه ضَمِنَ حِفْظَ هذا التَّشريع القرآني، لا عن أمر قدريٍّ بحتٍ مقطوعِ الصِّلة بالأسباب، ولكن **عن طريق تقييض رجال من هذه الأُمَّة في كل باب من أبواب علومها**، ألقى في قلوبهم حُبَّها، والذَّودَ عنها.

يقول الشَّاطبيُّ رحمه اللهُ مفصِّلاً هذا المعنى:[(١)] «أمَّا القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حَفَظَةً بحيث لو زِيدَ فيه حرف واحد، لأخرجه الآلاف من الأطفال الأصاغر فضلاً عن الأكبار، وهكذا جرى الأمر في جملة الشَّريعة، فقيَّضَ الله لكل عِلْم رجالاً حَفَظَهُ على أيديهم، فكان منهم قوم يُذهِبون الأيام الكثيرة في حفظ اللُّغات والتَّسميات الموضوعة في لسان العرب، حتى قرَّروا لغات الشَّريعة في القرآن والحديث، وهو الباب الأول من أبواب الشَّريعة، إذْ أوحاها الله إلى رسوله على لسان العرب.

- ثُمَّ قَيَّضَ رجالاً يبحثون عن تصاريف هذه اللُّغات في النُّطْق رفعاً ونصباً وجراً وجزماً، . . . واستنبطوا لذلك قواعد ضبطوا بها قوانين الكلام على حَسْبِ الإمكان، فسهَّل اللهُ بذلك الفَهْم عنه في كتابه، وعن رسوله ﷺ في خطابه.

- ثُمَّ قَيَّضَ الحقُّ سبحانه رجالاً يبحثون عن الصَّحيح من حديث رسول الله ﷺ، . . .

- وكذلك جعل اللهُ العظيمُ لبيان السُّنَّة من البدعة ناساً من عَبِيده بحثوا

(١) المصدر نفسه، (٢/ ٤١ - ٤٢).

عن أغراض الشَّـريعة كتاباً وسُنَّة، وعـمَّا كان عليه السَّلف الـصَّالحون، وداوم عليه الصَّحابة والتَّابعـون، وردُّوا على أهل البدع والأهواء حتى تميَّز أتْباع الحقِّ على أتباع الهوى.

- وبَعَث الله تعالى من عباده قُرَّاءً أخذوا كتابه تلقِّياً عن الصَّحابة وعلَّموه مَنْ بعدهم حرصـاً على موافقة الجمـاعة في تأليفه في المصـاحف حتى يتوافق الجميعُ على شيءٍ واحد، ولا يقع في القرآن اختلاف مِنْ أحدٍ من الناس.

- ثم قَيَّض الله تعالى أُنـاساً يُناضِلون عن دينه ويدفعون الشُّـبَه ببراهينه، وبَعَثَ الله من هؤلاء سـادةً فهِـموا عن الله وعن رسـوله ﷺ ، فاسـتنبطوا أحكاماً فَهِـموا معانيها من أغـراض الشَّريعة في الكتاب والسنَّة، تارة من نفس القـول، وتارة من معناها، وتارة من عِلَّة الحُـكم، حتى نَزَّلوا الوقـائع التي لم تُذكَرْ على ما ذُكِرَ، وسهَّلوا لمن جاء بعدهم طريق ذلك.

وهكذا جرى الأمر في كلِّ عِلم توقَّفَ فَهْمُ الشَّـريعة عليه، أو احْتِيجَ في إيضاحها إليه، وهو عَيْن الحفظ الذي تضمَّنته الأدلَّة المنقولة».

وإنَّ المتأمِّـل في أمر التَّـشريع القرآنـي، يجد أنَّ له كلاءتـين بهما يُـحفظ، الأُولى: كلاءةٌ من الله تـعالى مبـاشرة، وهي مـا تكفَّل به من حِفْظِ الـكتاب، **والأُخرى:** كلاءةٌ ذاتيَّة في هذا التَّشريع عندما يُطبَّق، ففيه تكْمُن عوامل الخلود والبقـاء، إذا استقام علـيه أهلُه، ولم يُضيِّعـوا فرائضه وحـدوده، فكذلك فإنَّ الرَّاعي والرَّعية يَحفَظُ الله بهم هذا التَّشريع إذا قاموا بواجبهم حياله، ومعروف أنَّ حِـفْظ الدِّين من ضمْنِ الضَّـروريات المأمـور بحفظهـا، وطريق ذلك إقامـة الحدود والشَّـرائع والشَّعائر التي تَحْـفَظُ الدِّين؛ مثل الصَّلاة ومـعاقبة تاركـها، وإقامة فريضـة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وفريضة الجهـاد، وإقامة حدِّ الرِّدَّة، والقيام بمسئولية الدَّعوة إلى الله تعالى [1].

---

(١) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (١/ ٣٦٩).

وخلود التَّشريع القرآني، وجعله المنهاج الصَّحيح الوحيد للحياة البشرية يرجع لأمور عدَّة منها:

أولاً: أنَّ هذا التَّشريع **قائم على العَدْل المُطْلَق**؛ لأن الذي خلَق الكون - سبحانه وتعالى - يعلم حقَّ العلم ما يحقِّق العدل المطلق، وكيف يتحقَّق.

ثانياً: أنَّ شَرْعَ الله تعالى **مبرَّأ من الهوى والمَيل**، كما أنه **مبرأ من الجهل والقصور والغلوِّ والتَّفريط**، وهو الأمر الذي لا يُمكِن أن يتوفَّر في أيِّ قانون من صُنع الإنسان ذي الشَّهوات والمَيل والضَّعف، سواء كان واضِعُه فرداً أو طبقة، أو أمَّة أو جيلاً من أجيال البشر.

ثالثاً: أنَّ التَّشريع القرآني **متناسق مع ناموس الكون كلِّه**؛ لأن الذي وَضَعَه هو خالِقُ هذا الكون، فإذا شَرَع للإنسان شَرَع له باعتباره عنصراً كونياً، له سيطرة على عناصر كونية مسخَّرة له بأمر خالقه، ومن هنا يقع التَّناسق بين الإنسان وحركة الكون الذي يعيش فيه.

رابعاً: أنَّ التَّشريع القرآني **هو التَّشريع الوحيد الذي يتحرَّر فيه الإنسان من العبودية للإنسان**، ففي كلِّ منهج غير المنهج الإسلامي يتَّخذ النَّاسُ بعضُهم بعضاً أرباباً من دون الله، أمَّا في المنهج الإسلامي فإنهم يَخرجون من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد وحده لا شريك له.

خامساً: أنَّه **منهج قائم على العلم المُطْلَق بحقيقة الكائن الإنساني**، والحاجات الإنسانية، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان، وبطبيعة النَّواميس التي تحكمه، ومن ثم لا يقع ولا ينشأ عنه أيُّ تصادم مدمِّر بين أنواع النَّشاط الإنساني، إنَّما هو توازن واعتدال، وهو أمر لا يتوفَّر أبداً لمنهج صَنَعه الإنسان، الذي لا يعلم إلاَّ ظاهراً من الأمر، ولا يعلم إلاَّ الجانب المكشوف من الكون، والإنسان، والحياة، في فترة زمنية معيَّنة.

سادساً: أنَّه **المنهج الذي يُوثِّق عُرى الوحدة بين البشر جميعاً**، إلى الحدِّ

الذي تتلاشى فيه الفوارق العنصرية والطَّبقية، فيصبح المجتمع كالفرد الواحد، تُحرِّكه إرادة واحدة، وتُديره روح واحدة، تدفعه إلى غاية مشتركة، كمثل أعضاء الجسد الواحد، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣][١].



المطلب الثالث
عدالة التّشريع القرآني

النَّاس أمام حُكم الله تعالى سواسية، فشريعة القرآن تنظر إليهم من حيث جوهرهم وأصلهم نظرة واحدة، ومن ثم فهي تعدل فيهم بعد أن تساوي بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. لقد أمر الله تعالى - في هذه الآية الكريمة - بالعدل بين جنس الناس، لا بين أُمَّة منهم دون أمَّة، أو جنس دون جنس، أو لون غير لون.

ومعنى العدل هنا: هو إعطاء مَنْ يستحق ما يستحق، ورفع الاعتداء والظُّلم عن المظلوم، وتدبير أمور النَّاس بما فيه صلاحهم[٢].

والعدالة من أبرز سمات التَّشريع القرآني، وهي ميزان الاجتماع فيه، وبها يقوم بناء الجماعة، وكل تنسيق اجتماعي - صغيراً كان أو كبيراً - لا يقوم على العدالة فهو مُنهار، مهما تكن قوة التنظيم فيه؛ لأنها دعامة وأساس للنظام الصالح، ولذلك جاء الأمر بها في أجمع آية لمعاني القرآن العظيم، وهي قولة تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ

(١) انظر: القرآن شريعة المجتمع، د. عارف خليل محمد أبو عيد، (ص٣٥ - ٣٧).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٤/ ١٦٢).

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

قال القرطبي[١] رحمه الله: «هذه الآية من أُمَّـهات الأحكام تضمَّنت جميعَ الدِّين والشَّرع»[٢].

وللعدل في التَّشريع القرآني معنى أبعدُ وأعمقُ منه في غيره؛ ذلك لأنَّ له أبعاداً إنـسانية راقـية، تُعـرف من مرادفـات العدل في لغـة العرب، وفي استـعمال القـرآن، فالعدل يُعـبَّر عنه **بالقسط**، والقسطُ هو توفـية النَّصيب بمقتضى الإنصاف[٣].

والمُنْصِف يعدل ولو كـان العدل ليس في صالحه، فعـندما نقول: رجل مُنصِف، أي: يعدل ولو مِنْ نفسه[٤].

القرآن يحرِّض على العدل:

صرَّح القـرآن العظيم بمحـبَّة الله تعالـى لعباده المـقسطين في أكـثر من موضع، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) هو أبو عبد الله مـحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القـرطبي، الأنصاري، الخزرجي، المالكي، من العلماء الورعين الزاهدين في الدنيـا المشغولين بالآخرة. كتابه في التـفسير: «جامع أحكام القرآن» من أجَلِّ التفاسير وأعظمها نفعاً، ومن كتبه المشهورة: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة». توفي سنة (٦٧١هـ).

«انظر: طبقات المفسرين، (٢/ ٦٩)».

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (٥/ ٢٨٥).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص٤٠٣)، مادة: «قسط».

(٤) انظر: مختار الصحاح، (ص٣١٢)، مادة: «ن ص ف».

ويُعبِّر القرآن العظيم عن العدل - أحياناً - **بالميزان**، كما في قول الله تعالى: **﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾** [الرحمن: ٧]. والمقصود به العدل[١].

وقوله تعالى: **﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾** [الرحمن: ٨-٩]. أي: كما خلَق السَّماوات والأرض بالحق والعدل اعدلوا؛ لتكون الأشياء كلُّها بالحقِّ والعدل[٢].

والمتأمِّل في سياق الآيات السَّابقة يجد أنها تتحدَّث عن نِعمة خَلْق الإنسان، ونعمة الوحي، وعبودية الكون، وقيامه على العدل والميزان، ثم يأتي الأمر لنا بالعدل والميزان والإنصاف والقسط، كما قال تعالى في مطلع السورة: **﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾** [الرحمن: ١-٩].

إذاً فللعدل في القرآن العظيم بُعْدٌ شعوري، لا ينبغي أن يُغفَل عنه، فليس هو سَرداً لمواد وأرقام تُقَنَّن ثم تُجعل في سطور، ثم تُنَظَّم في دواوين أو دفاتر، ثم تُوضع في الخزائن، أو على الأرفف! كلا وربِّي، إنَّ العدل في التَّشريع القرآني له قيمةٌ حيَّة، بل إنَّ له بُعداً كونياً، كما في سياق الآيات السَّابقة من سورة الرَّحمن[٣].

ولقد أعلى القرآنُ العظيم من شأن العدل، حتى جعله قرينَ التَّوحيد، فقال سبحانه: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران: ١٨]. ففي هذه الآية الكريمة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٧/ ٤٩٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (١/ ٤٠٤ - ٤٠٦).

شهـادة من الله تعالى، ومن مـلائكته الكرام، ومن الأنبيـاء وأولي العلم من المؤمنين بأنه لا مـعـبود بحقٍّ إلاَّ الله، وأنـه تعالى قـائم بتـدبير مـخلوقـاته بالعدل(١).

وفي الوقت الذي اقترن فيـه العدل بالتَّوحيد، **بَلَغ الظُّلم مَبْلَغَ أن يكون قرين الشرك**، قال تعالى: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]. فحرَّمه الله تعالى، وأمر بمنعه عن جنس الإنسان، ولو كان كافراً.

فلا شيءَ أحبُّ إلى الله تعالى من العـدل، ولا شيءَ أبغضُ إليه تعالى من الظُّلم، ولهـذا حَرَّمه علـى نفسه، وبين عـباده، كـما جـاء في الحديث القدسي: «**يَا عبَادي! إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي**(٢) **وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا**»(٣). فالله تعالى منع نفسَه من الظُّلم لعـباده، كما قال عزَّ وجلَّ: **﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾** [ق: ٢٩]. وقال: **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: ١٠٨]. وقال: **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾** [غافر: ٣١]. وقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾** [يونس: ٤٤]. وقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾** [النساء: ٤٠]. ومع أنَّهم عبـيده لا يُسأل عـمَّا يفعله بهم، إلاَّ أنـه تعالى ينفي ظلمهم.

فالَّذي حـرَّم الظُّلم على نفـسه، والذي لا يظلم النَّاس شـيئـاً، ولو كان مثقـال ذرة، لن يكون ما شرعه، وما حَكَـمَ به إلاَّ عين العدل والإنصاف، وما على العباد - إذا أرادوا الفلاح في الدُّنيا والآخرة - إلاَّ أن يَحكُموا به.

ويُقـابل هذا التَّـحريم للظُّـلم؛ أمر بالعـدل، فـعليـه أقام الله تعـالى

---

(١) انظر: تفسير الجلالين، (ص٦٧).

(٢) (**إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي**) قال العلماء: معناه تَقَدَّسْتُ عنه وتَعاليتُ.
وأصلُ التَّحـريم في اللغة المَنع. فسُـمِّي تقدُّسُه عن الظُّلم تحـريماً؛ لمشابهتـه للممنوع في أصل عدم الشَّيء. «انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦ / ٣٤٨)».

(٣) رواه مـسلم في صحيـحه، كـتاب البـر والصِّلة، باب تحـريم الظلم، (٤/١٩٩٤) (ح ٢٥٧٧).

السَّمـاوات والأرض، ومن أجله أرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وشـرع الشَّـرائع، قـال تعـالى: ﴿اللَّهُ الَّذي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]. وقال أيضاً ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فالحقُّ والميزان هما العدل والإنصاف، وهما القسط الذي يدعو إليه الكتاب والميزان(١).

مجالات العدل:

أَمَرَ اللَّه تعالى رسوله ﷺ أمراً صريحاً بالعدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

وكذلك أمر المؤمنين بالعدل؛ لأنَّه أقرب الأمور وألْصقها بالتَّقوى، كما في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

بل أمر المؤمنين بالعدل الذي يَعُمُّ مظاهرَ حياتهم كلِّها:

فقد أمـرهم بالعدل في الأمور **القوليَّة**، فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وأمرهم بالعـدل في الأمور **الفعليَّة**، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

وأمرهم بتحكيم العدل في الأمور **العائليَّة**، فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

وأمـرهم بالعدل في الأمـور **الماليَّة**، فقـال: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ

---

(١) انظر: أضواء البيان، (٧/ ٦٤).

بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال أيضاً: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأمرَهم بالعدل في الأمور القضائيَّة، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

وأمرهم بالعدل في الأمور التَّعبديَّة، فقال: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥].

وأمرهم بالعدل في الأمور النَّفسيَّة، والمعاملات القلبيَّة، فقال: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وأمرهم بالعدل في الأمور السِّياسية والحُكميَّة، فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وأمرهم بالعدل مع الأعداء والأغيار، فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وأمرهم بالعدل مع المسلمين الأخيار أو الفجَّار، فقال: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ولهذا كلِّه لا نعجب عندما نجد أنَّ العدلَ وصيةٌ من وصايا اللَّه إلى العباد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢][(١)].

ووجوه العدل في التَّشريع القرآني كثيرة ومُتعددة، يدركها مَنْ يُمْعِنُ النَّظر في أحكامه، ويتدبَّرها بتجرُّد وإخلاص، فمثلاً: أحكامه الخاصَّة

(١) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (١/ ٤٠٧-٤١١).

بالأسرة وتكوينها وتنظيمها، وحقـوق الأفراد وواجباتهم في الأسرة لا تماثلها أحكام مما تواضع عليه البـشر واعتادوه، فـالأب له حقوقه وعليـه التزاماته، والأمُّ كذلك، والأبناء المكلَّفون كذلك، والقاعدة نفسُها نجدها في التَّعامل بين الزَّوجين، المتـمثِّلـة في قوله تعـالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٩٩].

وأحكامه الخـاصَّة **بالميراث** وتوزيعـه على الورثة، تعتـبر كـذلك من العدالة بمكان، فللأب نصيبه وللأمِّ نصيبها، وللزَّوج نصيبه وللزَّوجة نصيبها، بحسب الحـال من وجود أولاد أو عـدم وجود أولاد، ووجود إخـوة أو عدم وجـود إخوة، وللأبناء نصـيبـهم والبنات، وللإخوة والأخـوات، والأعمـام والعمَّات، وهكذا تتدرَّج الحقوق حتى تصل إلى أصحابها مهما بَعُدوا.

وأما في مـجال **العقـوبات**: فعندمـا نلحظ أنَّ القصاص هو العـقوبة الرَّئيسة لأكثـر الجرائم الشَّخصية التي تقع على الأشخاص مـباشرة، فإنَّ هذا يعتبر منتهى العدالة وغاية الإنصـاف، وكذلك الحدود فإنَّها عقوبات عادلة إذا أدركنا فداحـة الجرائم التي فُرضَتْ من أجلها، والله تعـالى يقول: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾ [الشورى: ٤٠]. ويقول: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾ [النحل: ١٢٩].

وبالجملة، فما دُمنا نُسَلِّم ونعتـقد بأنَّ أحكام التَّشريع القرآني مُنزَّلة من عند الله تعالى، ويُعتبر العدل صفة من صفاته، فلابُدَّ أن تكون هذه الأحكام عادلة مُتقنة، ومن ثَمَّ نخرج بنتيـجة حتمية وهي: **أنَّ العدالةَ صفةٌ رئيسةٌ من صفات التَّشريع القرآني**[1].

والعدل في التَّشـريع القرآني ليس مجرد مساواة شكليَّـة في الدُّنيا فقط،

(١) انظر: من مزايا التشريع الإسلامي، (ص٦٩ - ٧٠).

بل إنه رابط بين دنيا النَّاس وأُخراهم، فله ارتباط وثيق بالإيمان - وهذا مما يميِّزه عن النُّظم الوضعية - ولهذا قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

قال أبوالسُّعود رحمه الله في معناها: (١) «﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في تبليغ الشَّرائع والأحكام، وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام، . . . ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي خالقنا جميعاً ومتولي أمورنا، ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ لا يتخطانا جزاؤها ثواباً أو عقاباً، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ لا تتجاوزكم آثارها فنستفيد بحسناتكم أو نتضرَّر لسيئاتكم».

فالنَّبيُّ ﷺ أُمِر بالعدل في الدُّنيا حتى يجيء يوم الفصل فيتولَّى الله تعالى العدل في الحكم يوم يرجع الأمر كلُّه إليه.

مقارنـــة:

لقد تميَّز مفهوم العدل في التَّشريع القرآني عنه في النُّظُم الوضعية البشرية، فهذه القوانين لا تعرف من معنى العدل إلاَّ جانبه الظاهر الذي يدركه العقل، كالوفاء في الميزان، وعدم أكل أموال النَّاس في البيع والشِّراء، وعدم الغشِّ والاحتكار ونحو ذلك، لكن جانباً آخر من العدل غير ظاهر، ولا يمكن التَّوصل إليه إلاَّ من خلال شريعة معصومة، شريعة تخاطب الضَّمائر والقلوب بالعدل؛ لأنَّ مَصدرها من الله اللطيف الخبير، الذي يعلم خبايا الأنفس وما تخفي الصدور.

فهناك أشكال وألوان من العدالة لا يمكن لهذه القوانين الوضعية العمياء البكماء الصَّمَّاء أن تُبصرَّ النَّاس أو تُخاطبهم بها، فكيف تَضْمن العدل بين

---

(١) تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٧).

الزَّوج وزوجته، أو الوالدين وأولادهما، أو الأولاد ووالديهم وهكذا. . .

وما هي طريقتها في الحفاظ على العدل بين البائع والمشتري، والتَّاجر والمستهلك، والعامل وصاحب العمل في الأمور المتعلقة بالقلوب والضَّمائر؟

إنَّ هذه القوانين الوَضْعية المفلسة ليس فيها بنود أو ذِكْر لخشية الله تعالى، وللورع أو اتِّقاء الشُّبهات أو محاسبة ذاتية للنفس، أو الرَّجاء في ثواب الجنَّة والخوف من عذاب النار، ليس فيها إلاَّ ما يتعلق بالصُّوَر الفَجَّة من المظالم، فهناك مثلاً أنواع من المعاملات المحرَّمة في التَّشريع القرآني لها أحكام متفرعة في الفقه الشَّرعي، وليس لها ذِكْر البتَّة فيما يسمَّى «بالفقه القانوني»!

ولذلك لم يكن أَمْرُ اللَّه تعالى لعباده بالعدل فقط، بل أَمَرَهم - جلَّ جلالُه - بالمبالغة في إقامة العدل، في قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾** [النساء: ١٣٥].

«قوله: **﴿قَوَّامِينَ﴾** صيغة مبالغة: أي ليتكرَّر منكم القيام بالقسط، وهو العدل»[١].

ولقد حذَّرهم الله تعالى من ترك العدل لعوارض البغضاء، في قوله: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾** [المائدة: ٨].

وقد نبَّه الزمخشريُّ رحمه الله على قياس الأولى من هذه الآية فقال:[٢] «وفيه تنبيه عظيم على أنَّ وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله، إذا كان بهذه الصِّفة من القوَّة، فما الظَّنُّ بوجوبه مع المؤمنين، الذين هم أولياؤه وأحباؤه».

---

(١) فتح القدير، (١/ ٧٩٠).

(٢) الكشاف، (١/ ٦٤٧).

إنَّ أبرز سمات القوانين الوضعية هو الظُّلم والإجحاف، ومن مظاهر الظُّلم المُقنَّن في هذه النُّظُم ما يأتي:

لقد ارتُكِبت مظالم شتى - خلال تاريخ الإنسان - باسم العدالة، فَسُنَّت القوانين والتَّشريعات نائية بالبشر في شتى أودية المهالك، زاعمة أنها تحقق العدل، فتُقرِّر العقوبات الكبيرة للذَّنب الحقير، وأحياناً يُحكَم بالعقوبة على غير مرتكب الجريمة.

ولقد حكى التَّاريخ عن **السُّومريين** الذين سكنوا العراق قديماً، أنهم كانوا يُلقون المرأة في النَّهر، إذا قالت لزوجها: لست زوجي، وإذا قال المتبنَّى لمن تبناه: لست أبي، فمن حقِّه أن يحلق رأس هذا المتبنَّى ويقيده في الأغلال إلى أن يبيعه!

وعند **الأكاديين** - الذين جاؤوا بعد السُّومريين - كان إذا أخطأ الطَّبيب في وصف العلاج قُطِعت يده، وإذا تسبَّب الطَّبيب في وفاة امرأة يولِّدها قُتِلت ابنته، فلا تقع العقوبة على الطَّبيب، وإذا قَتَلَ رجلٌ عبداً من العبيد، أُخِذ من عبيده واحد فقُتِل، وإذا استدان رجل مالاً ثم عجز عن أدائه، كان من حقِّ الدَّائن أن يستعبد ابن المدين أو ابنته أو زوجته![1].

ولقد كان في **شريعة جنكيز خان**[2]: إنَّ مَنْ تعمَّد الكذب يُقتل، ومن تجسَّس يقتل، ومن سحر يقتل، ومن بال في الماء الرَّاكد يقتل، أو انغمس فيه يقتل، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما يقتل، ومن أطعم أسيراً

---

(١) انظر: خصائص الشريعة الإسلامية، د. عمر بن سليمان الأشقر، (ص ٧٠ - ٧١).

(٢) **جنكيز خان**: قائد مغولي اسمه الأصلي «تيموجين» خَلَفَ أباه «يقوصاي» رئيساً للتحالف المغولي. ذَكَرَ ابنُ كثير أنَّ ابتداء حُكْمِه سنة (٥٩٩هـ)، ووفاته كانت سنة (٦٢٤هـ)، وهو والد ملوك التتار، ويُنسبون إليه.

«انظر: البداية والنهاية، (١٣/ ١١٧). الموسوعة العربية الميسرة، (ص ٦٥٠)».

أو كساه بغير إذن أهله يقتل، ومن وجد هارباً ولم يرده يقتل، ومن رمى إلى أحد شيئاً من المأكول قتل، بل يتناوله من يده إلى يده، ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً، ومن أكل ولم يطعم من عنده يقتل، ومن ذبح حيواناً ذُبح مثله، بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً![١].

ومن أَجْلِ ذلك نجد أنَّ الشَّرائع التي تولد ظالمة، أو يكتشف النَّاس بعد حين أنَّها ظالمة، فإنها تتَّسم بعدم الاستقرار، فَسمتها التَّغيير الدَّائم، في حين تتَّسم أحكام التَّشريع القرآني في أصولها بالثَّبات الدَّائم.

وقد كانت دولة مثل **فرنسا** - قبل ثورتها الشَّهيرة - تُطبِّق ما يسمَّى بـ «قانون الإقطاع»، وهذا القانون - بشهادة علماء القانون - ظالم وجائر.

وكذلك كان قانون العقوبات المُطبَّق في **إنجلترا** - قبل مائة عام - جائراً، كما أكَّد ذلك علماء القانون الغربيُّون؛ إذْ كان يُقرِّر عقوبة الإعدام في مئات الجرائم![٢].

ومن المعروف أنَّ **عدداً من الدُّول الغربية** ألغت - في السَّنوات الأخيرة - عقوبة الإعدام لكثير من الجرائم، بحجَّة أنها عقوبة قاسية وجائرة، ومعنى ذلك أنهم كانوا يتحاكمون فيما بينهم بالظُّلم والعدوان، قبل إلغاء هذا القانون!

شهادة الخصوم:

شهد غير المسلمين بعدالة التَّشريع القرآني، والحقُّ ما شهدت به الأعداء، فمنذ عهد النُّبوة الأزهر كان كفَّار بني إسرائيل يَنشُدون العدالة عند نبيِّ الرَّحمة ﷺ، بعد أن أيِسُوا من تحصيلها عند قضاتهم وحكَّامهم،

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/ ١٢٨).

(٢) انظر: المصدر السابق، (ص٧٤-٧٥).

وهناك أكثر من حادثة مشهورة في هذا الشأن.

ولقد لفتت عدالة التَّشريع القرآني أنظار كثير من مفكِّري النَّصارى المعاصرين، فلم يُخفوا إعجابهم بهذا التَّشريع القائم على العدالة والمساواة، فمن ذلك:

١- يقول المؤرِّخ الشَّهير «غوستاف لوبون»[(١)]:

«الحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم»[(٢)].

٢- ويقول «روبرستون»[(٣)]:

«إنَّ المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغَيرة لدينهم، وروح التَّسامح والعدل نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنَّهم مع امتشاقهم الحسام - نشراً لدينهم - تركوا مَنْ لم يرغبوا فيه أحراراً في التَّمسك بتعاليمهم الدِّينية».

٣- ويقول «ميشود»[(٤)]:

«إنَّ القرآن الذي أمر بالجهاد، متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطارقةَ والرُّهبانَ وخدمَهم من الضَّرائب، وحرَّم محمدٌ [ﷺ] قَتْلَ الرُّهبان؛ لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] النَّصارى بسوء حين فتح بيت المقدس، في حين ذبح الصَّليبيُّون المسلمين

---

(١) **غوستاف لوبون**: ولد عام (١٨٤١م)، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عُني بالحضارات الشرقية. من آثاره: (حضارة العرب)، و (الحضارة المصرية)، و (حضارة العرب في الأندلس).

«انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٨٦). حضارة العرب، (ص ٤٣١ - ٤٣٢)».

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، (ص٦٠٥).

(٣) المصدر نفسه، (ص١٢٧).

(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

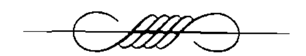
وحرَّقوا اليهودَ بلا رحمة، وقتَما دَخَلوها».

٤- وهناك شهادة أخرى أدلى بها «غوستاف» عن المساواة في التَّشريع الإسلامي، عَبَّر عنها بقوله[١]:

«العرب يتَّصفون بروح المساواة المطلقة وفقاً لنظمهم السِّياسية، وإنَّ مبدأ المساواة الذي أُعلن في أوروبا - قولاً لا فعلاً - راسخ في طبائع الشَّرق رسوخاً تاماً، وإنَّه لا عهد للمسلمين بتلك الطَّبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثَّورات في الغرب ولا يزال يؤدي، وإنَّه ليس من الصَّعب أن ترى في الشَّرق خادماً يصبح زوجاً لابنة سيِّده، وأن ترى أُجَرَاءَ منهم قد أصبحوا من الأعيان».

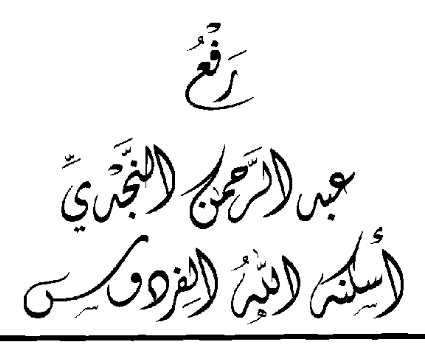
٥- ويُبدي «د. ول ديورانت» نفس الدَّهشة للدَّرجة التي وصل إليها مفهوم المساواة في التَّشريع القرآني، فيقول[٢]:

«كان يسمح للعبيد أن يتزوَّجوا، وأن يتعلَّم أبناؤهم إذا أظهروا قدراً كافياً من النَّباهة، وإن المرء ليدهش من كثرة أبناء العبيد والجواري الذين كان لهم شأن عظيم في الحياة العقلية، والسِّياسية في العالم الإسلامي، من كثرة مَنْ أصبحوا منهم ملوكاً وأمراء، أمثال المماليك في مِصرَ».



(١) المصدر نفسه، (ص٣٩١).

(٢) قصة الحضارة، د. ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، (٣/ ١١٢ - ١١٣).
وانظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (١/ ٤١٥، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢ - ٤٢٣).



المبحث الرابع
عظمة قصص القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف «القصص» لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مظاهر العظمة في قصص القرآن.

المطلب الثالث: عظمة مقاصد قصص القرآن.

تمهيــــــد

القصص منهج ربَّاني مبارك، ويُعَدُّ خـلاصة لتجـارب الأمم السَّـابقة - على مـرِّ التاريخ - تمخَّضت عن بيـان سنن الله تعالى في الأمم، ومـدى تحقق هذه السُّنن في كلِّ مرة تتوفـر فيها أسبابها وشـروطها في أيِّ عصر من العصور أو أُمَّة من الأمم.

وهذا القصص القرآني المبارك واقع عاشَـهُ أصحابه كما وُصِفَ تماماً في القـرآن العظيم، فـهـو محـل تدبر وتفكر واعـتبـار في مـصـائر هذه الأمم ومسيراتها، وما أصابها من عِزَّة ونصر وبركة نتيجة الإيمان والطاعة لله، أو ما حلَّ بها من ذل وانكسار وضنك العيش حين تنكَّبت الطريق السَّوي، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

ومن عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمَّـة المُحَمَّدية أن زوى لها هذه الخلاصات في كتابه العظيم فَحُفِظَت بذلك من الضَّياع أو التَّحريف، فلم تمتد إليه يد غادر فتُزوِّر أو تُغيِّر، ولا يد خائـن فتسرق أو تُخفي - كما هو الشأن في التَّوراة والإنجـيل المحرَّفَين - فهذا القـصص الحقُّ محفـوظٌ ما دامت على الأرض حياة تنبض أو شمس تُشرق وتغـيب، تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

وبقيت هذه الخُـلاصات بذلك بين أجيـال هذه الأمَّة غضَّة حـيَّة تمدهم بأسباب النجاح، وأصول التعـامل مع أنفسهم، والأمم مِنْ حولهم، وتُجنِّبهم طريق الخيبة أو الوقوع في مكائد ومصائد شياطين الجن والإنس.

وهذا غَيض من فَيض في فوائد القصص القرآني، وفعله في حياة الناس وأثره على تقدُّمهم أو تأخُّرهم، فضلاً عمَّا فيه من أنواع المعرفة، وسبل الهداية، والمتعة الهادفة، ممَّا كان له الأثر الفاعل في ضبط أتبَاع الأُمَّة المحمَّدية، حتى امتازوا عن غيرهم - من الأمم السَّابقة - بالعطاء والرُّقي.

وبعد هذا كلِّه كيف يجوز لعاقل ألاَّ يعكف على هذا القصص الحقِّ بالدِّراسة والتَّمحيص واستلهام العبرة والموعظة الحسنة، ويعمل بمقتضى ذلك، فينعم بحياة مستقرة، وآخرة مرتضاة[(١)].

وسيكون الحديث عن عظمة القصص القرآني من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
تعريف «القصص» لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى «القصص» في اللغة:

عند الرُّجوع إلى كتب اللُّغة يتبيَّن لنا أنَّ أصل المادة (قصص) مشتق من قَصَّ أَثَرَهُ أي: تتبَّعه. والقِصَّة: واحِدَةُ القَصَص: هي الأمر والحديث، يُقال: اقْتَصَّ الحديثَ، رواه على وجهه، وقصَّ عليه الخبر، والاسم: القَصص بالفتح، والقِصَّة التي تُكْتَب[(٢)].

إنَّ الدَّلالات اللُّغوية لمادة (قصَّ) تعني في الأصل: التَّتبع والاقتفاء، وهو معنى ملحوظ في القصَّة التي هي جملة من الكلام المقصوص، والقِصَّة

(١) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، محمد خير العدوي، (ص ٧ - ٨).

(٢) انظر: لسان العرب، (٧/ ٧٥). القاموس المحيط، (ص٨٠٨ - ٨٠٩). المعجم الوسيط، (ص٧٦).

تكتسب هذا الاسم من معنى فِعْلِ القاصِّ حين يُمارس عملَه في قَصِّ الخبر، فهو يأتي بالقصَّة على وجهها، كأنه يتتبَّع معانيها وألفاظها، ويقتفي آثار أحداثها في ترتيب بعضها على بعض، وكأنما القاصُّ في ذلك يُحاكي قُصَّاص الأثر، وهو تتبُّع آثار الأقدام على الأرض حتى يعرفَ مصير تلك الأقدام ويصل إلى النِّهاية، وهي صلة تنطبق على المعنى اللُّغوي لِلَفْظ (قصَّة) وذلك حين يقوم القاصُّ وهو يكتب قِصَّةً بتتبع الحدث من البداية مروراً بالوسط، والقَصُّ: القَطْع[1].

ثانياً: معنى «القصص» في الاصطلاح:

لكثرة التَّعريفات الواردة في مفهوم القصص اصطلاحاً، ومن باب الاختصار سيقع الاختيار على تعريف جامع للمعنى المراد.

وهو أنَّ القصص القرآني:

أنباءٌ وأحداثٌ تاريخية لم يلتبس بشيءٍ مِنَ الخيَال، ولم يدخل عليه شيءٌ غير الواقع، ومع هذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص، مِنَ الإثارة والتَّشويق مع قيامها على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصلح عليه القصص الأدبي بحال أبداً[2].

وحاصل القول: إن القصص القرآني: كلام حَسَنٌ في لفظه ومعناه، مشتمل على أحداث حقيقية، ومتضمِّن على ما يهدي إلى الدِّين، ويرشد إلى الخير، ويدعو إلى التَّفكر والاعتبار.

ولا يصلح أن نُطْلِقَ اسم الحكاية على القصَّة القرآنية؛ لأنَّ الحكاية يُلْحَظُ فيها المحاكاة، والوقوف على ما جرى، بِغَضِّ النَّظر عن العِبر التي فيها

---

(١) انظر: القاموس المحيط، (ص٨٠٩).

(٢) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب (ص٤٩).

أو الاستفادة منها، كما أنَّ الحاكي لا يهدف التَّأثير والتَّوجيه من حكايته.

أما القِصَّة فهي تكشف عن آثار الماضي وتُنقِّب عن حوادثه، وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العبرة والعظة. أخذاً بالعقل والوجدان إلى زمن القِصَّة وأدوارها وأشخاصها، مهما كانت كثيرة وبعيدة(١).



المطلب الثاني
مظاهر العظمة في قصص القرآن

من مظاهر العظمة في القصص القرآني أنَّه تفرَّد عن غيره من القصص بِعدَّة مميزات، كان لها بالغ الأثر في إعجازه، ومستواه الرَّفيع، وبنائه الفني، وشواهد صدق على صفائه من الشوائب.

وسيكون الحديث عن بعض مظاهر العظمة في القصص القرآني كما يأتي:

١- ربَّانية المصدر:

من المعلوم بداهةً أنَّ **القصص القرآني جزء من القرآن العظيم، فيثبت له كلُّ ما يثبت للقرآن من مزايا**، مثل تنزيله من الله تعالى وحياً على نبيِّنا محمد ﷺ، وثبوت نقله إلينا بالتَّواتر، وأنَّ النبيَّ ﷺ ليس له منه سوى تبليغه للناس كما أُنزل عليه، ولقد أشار الله تبارك وتعالى إلى هذه الحقيقة النَّاصعة في مقدِّمات بعض القصص وخواتيمها، كقوله تعالى: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾** [هود: ٤٩](٢).

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غَلْوَش (ص٢٨٨). معالم القصة في القرآن الكريم، (ص٣٣ - ٣٤).

(٢) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، (ص٩١).

٢- مطابقة الواقع والصِّدق:

إنَّ كلَّ ما أخبر به القرآن العظيم من قصص، فهو صدق، **له واقع مشهود وملموس حين وقوعه، دون أن يكون للخيال أو الوهم أو المبالغة مدخل في شيء أبداً**، بل هو الواقع الكامل كما حصل تماماً، وبكل أبعاده المشاهَدة والمغيَّبة، فهو من واقع الحياة، نُقِلَ في القرآن الكريم نقلاً دقيقاً يأخذ بمجامع القلوب، ولا يمكن أن يكون فيه غير الصِّدق والواقع المطابق له[1].

والقصص القرآني يختلف اختلافاً كلِّياً عن القصص الذي عرفه الإنسان؛ ذلك أنَّ القصص البشري منه ما يحكي أحداثاً وقعت ويصوِّر وقائع ثبتت، ومنه ما هو من نسيج خيال القُصَّاص، وليس له على أرض الواقع مستند، فهذا النَّوع لا يخلو من الكذب والمبالغة، ودليل واقعيَّة القصص القرآني، قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ [آل عمران ٦٢]. وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

ثم إنَّ الأخبار التي جاء بها القصص القرآني - وخصوصاً ما يتعلق بأهل الكتاب - لم يستطع أهل الكتاب ممَّن عاصروا النبيَّ ﷺ أن يكذبوها، وهم أشدُّ حرصاً على ذلك؛ لإبطال دعوى النبيِّ ﷺ، فقد سأل اليهود النبيَّ ﷺ عن ذي القرنين - وهم يعملون قصته من كتبهم - فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ**﴾ [الكهف:٨٣].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص١١١). سيكولوجية القصة في القرآن، تهامي نقرة، (ص٢٢١).

ولاريب أنَّ القصص في القرآن قرآن، وهو حق؛ لأنه في كتاب الله تعالى، وقد سمَّاه الله تعالى أحسن القصص، فقال: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف: ٣][(١)].

٣- الانتخاب مع العبرة والعظة:

القصص القرآني تناول من الأحداث أجزاء مُنتقاة، تُناسب أهدافه ومقاصده للعبرة منها، والاتعاظ بها.

وهذه الطَّريقة في اختيار مادة القصص هي من أحسن الطرق وأكثرها أثراً في نفوس قارئيها؛ لأنها تفي بالغرض من ناحية الهدف، وهي أيضاً تُعرض بأسلوب فني رفيع، فيه كلُّ عناصر التَّشويق والإثارة الفنية التي تُنتج الانفعالات والعواطف الخيِّرة في الإنسان، وتدعم هذا الجانب فيه. علماً بأن هذه الأجزاء المنتخبَة إنما هي أجزاء واقعية صادقة، ليست خيالاً أو وهماً أو مبالغة، كما سبق ذكره.

وبسبب خضوع القصَّة القرآنية للمقاصد الشَّرعية كانت تُعرَض بالقَدْر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، ومن النَّاحية التي تتَّفق معه فيها. فمرة تُعرض القصَّة من أوَّلها كقصَّة آدم، ومرة من وسطها، وثالثة من آخِرها، وتُعرض كاملة كقصَّة يوسف، أو يُكتفى ببعض جوانبها، مثل ما يتعلق بالرِّسالة في قصص نوح وهود، وهكذا حيثما تكمن العِبرةُ في هذا الجانب أو ذاك.

---

(١) انظر: الأهداف التربوية للقصص القرآني في حياة النبيِّ ﷺ الدعوية، وليد أحمد مساعدة، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية [علوم الشريعة والقانون]، (عدد: ١)، (صفر ١٤٢٢هـ)، (ص١٨٢).

أمَّا الموعظة فهي الهدف أو المحور الذي تدور حـوله القصَّة القرآنية في مُجملها[(١)].

٤- التَّنويع في تصوير الأحداث (التكرار):

لَّما كـان القرآن العظيم لا يهـدف إلى بيان الحقِّ فـقط، بل إلى تعمـيق مَجـراه في نفوس المؤمنين، وذلك بقـصِّ الأنباء، وضرب الأمـثال، وإقـامة الأدلَّة، كان لابد من التَّكرار المستمر، والتَّذكير الدَّائم.

ولاريب أنَّ التَّربية عملية شـاقة، ولابدَّ أن تكون متواصلة، حتى تؤتي أكلها، وإلاَّ ضاع الجُهد والجَهد المبذول فيها، وأصبح هباء منثوراً، وكلُّنا نعلم إلى أيِّ مدى تحتاج تربية النُّفوس والأفراد من جهد وتذكير دائم بالأمور المراد بنائها في النُّفوس، وتربية الأفراد عليها.

والتَّكرار هو أنجع وأحـسن الوسائل في تنـمية هـذا الأمر، سـواء كان التكرار قولاً يُرَدَّد، أو عـملاً يُقتـدى به أو يُدرَّب عليه، فيـبني فيهـا القناعة والعاطفة اللاَّزمتين للتَّحول إلى السُّلوك الجديد المراد لهذه النَّفس.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ القرآن العظيم كتاب هداية وإرشاد، وكتاب تربية وبناء، وجدنا أنَّ مـسوغات التَّكرار فيه قضـية منطقية جداً، استـعملها القرآن لخدمة أغراضه[(٢)].

ولم يكن إيراد القـصص وتكراره في القرآن العظيم عـزاءً للنبيِّ ﷺ في فَقْـدِ عزيز، ولا مواسـاةً في مصيـبة حلَّت بأهله، ولو كان الأمـر كذلك لاكتفى بـالآية أو الآيتين، ولَّما فَقَدَ النبيُّ ﷺ بعضـاً من ولده، جاء النَّصُّ

---

(١) انظر: معالم القصة في القـرآن الكريم، (ص١١). التصوير الفني في القرآن، (ص١٨٠ - ١٨٨).

(٢) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، (ص١١٨ - ١٢٠).

القرآني بالحضِّ على الصبـر، ولكن بصفة عامة للمـؤمنين، ولم يكن خاصاً بالنبيِّ ﷺ، مثل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦]. ولكن الأمر أبْعَدُ من ذلك - أهدافاً وغايات.

فإنَّ الدَّعـوة أخذت من عُمْر النبـيِّ ﷺ أكثر من ثلث عُمُـرِه - مدة ثلاثاً وعشرين سنة - ومن أجلها لقي التَّعـذيب، وفي سبيلها واجه طواغيت الكفـر وصناديد قريش، مـجرَّداً من السِّـلاح المادي الذي يدفع به الأذى عن نفسه، إلاَّ السِّـلاح المعنوي - وهو القرآن العظيم - يُجاهد به الكفـار جهاداً كبيراً، كـما قال الله تعالى: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٢]. ولغايةِ بقـاءِ الدَّعوة واسـتمرارها هاجـر وترك الوطن والأهل والعشـيرة، ومن أجل ذلك كلِّه احتاج إلى تثـبيتٍ كبيـر، مستمـر ومتكرر، يتناسب وعِظَمِ الأمانة الملقاة على عاتقه، ويتلاءم مع طول العهد في الدَّعوة، وينسجم مع المشقَّة الكبيرة والمعاناة التي وجدها من الكفار.

ولا يوجد تعارض البَّتةَ فيما سُمِّي بالتَّكرار في القرآن، ذلك أنَّ الخلاف بين مَنْ ينفي التَّكرار ومَنْ يُثْبِتُه لا يعـدو أن يكون لفظياً، ولا يترتَّب عليه أيُّ أثر؛ **لأنَّ مَنْ نفى التَّكرار**: قَصَدَ نفي تكرار الألفاظ ذاتهـا للقصَّة الواحدة في المواضع التي ذُكرت فيها، فقد يُذكر في موضع آخر للقصَّة ذاتها حدث جديد لم يُذكر في موضع سابق، **ومَنْ قال بالتَّكرار**: قال بتكرار ذات القصَّة بالنِّسبة لذات الأشخاص، وإن اختلفت ظروفُها وتباينت وقائعُها[(١)].

وخَيرُ مثال يُثبت ذلك: ما جاء في قصة موسى - عليه السَّلام - والتي تُعَدُّ بحقٍّ مِنْ أشدِّ القـصص تشابهاً في تصوير الأحـداث، نأخذ ما ورد عن قصَّته في سورتي الأعراف: [١٠٧-١٢٦]، والشعراء: [٣٢-٥١].

---

(١) انظر: الأهداف التربوية للقصص القرآني في حياة النبي ﷺ الدعوية، (ص١٨٣).

سورة الأعراف

١- فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ.

٢- يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.

٣- قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ.

٤- يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ.

٥- وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ.

٦- قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ.

٧- قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ

سورة الشعراء

١- فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ.

٢- يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ.

٣- قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ.

٤- يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ.

٥- فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ.

٦- قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

٧- قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ

النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ .

٨- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ .

٩- وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ .

١٠- قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .

١١- إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

١٢- لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ .

١٣- قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ .

(٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ .

٨- فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ .

٩- فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَرُونَ .

١٠- قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .

١١- إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .

١٢- لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ .

١٣- قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ .

وهكذا **نرى إلى أيٍّ مدى تتشابه هذه الآيات ولا تتكرر**. والعجيب حقاً أنَّه في كلا السُّورتين كان عدد الآيات (١٩) آية، إنه تَشابُهُ الملامح، كالإخوة الأشِقَّاء وليس التَّماثل أبداً. وهو التَّنويع بعينه في عَرْضِ الأحداث وإضفاء الجمال والكمال عليها بكل موحياتها[(١)].

ومن هنا نعلم **أنَّ تكرُّر القصَّة في عدة مواضع من القرآن**، وعرضها بصور مختلفة - من التَّقديم والتَّأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك - **له فوائدُ وحِكَمٌ عظيمة**، ومن أهمها:

« **١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها**: فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصَّة المتكرِّرة ترِد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ فيَ قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور مُتَعدِّدَة مع عَجْزِ العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التَّحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصَّة لتمكين عبرها في النفس: فإن التَّكرار من طرق التَّأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنَّها تمثل الصِّراع بين الحقِّ والباطل أتم تمثيل، مع أنَّ القصَّة لا تكرر في السُّورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي تُساق من أجلها القصَّة: فتذكر بعض معانيها

---

(١) انظر: المصدر السابق، (ص١٢٣ - ١٢٤). ويمكن التَّوسع في هذا البحث بقراءة: دراسات قرآنية، محمد قطب (ص ٢٤٧ - ٢٦١). سيكلوجية القصة في القرآن، تهامى نقرة (ص١١١ - ١٥٥).

الوافيـة بالغرض في مـقام، وتبـرز معـان أخرى في سـائر المقامـات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال»(١).



المطلب الثالث
عظمة مقاصد «قصص القرآن»

القـصص في القـرآن العظيم لا يقـصـد به بيـان التـاريخ بذاته، وإنما له مقاصد متنوعة تُلتمس فيها العبرة والعظة.

وكذلـك لم يكن القرآن العظيم ليـصوِّر الأحـداث في الأزمان الغـابرة لقصد التَّنبيـه على أحوال الأمم السالفة، أو لغرض التَّسليـة وجذب الأسماع فحسب، وإنَّما اجتمعت في قصص القرآن مـقاصدُ سامية، تقوم على تحقيق الإيمان وترسيخ أصوله في القلوب.

إنَّ القرآن العظيم يذكر القصَّة في مواطنها بأساليب متغايرة، وفي صور متـقاربة، ولكلٍّ منها مـغزى لا يؤدِّيه غيره، ومـرمى لا يصيبـه سواه، وهي بذلك ليست عـملاً فنياً مـقصوداً لذاته، وإنما هي وسـيلة للإيمان والإرشاد، وشرح الأوامر والنَّواهي الشرعية(٢).

إذاً فمـقاصد القـصص القرآني تتنوع تنوعاً كـبيراً، وهي مـوزَّعة على قصصه، حسب مـوضوعها وسياقها، وهي مقاصـد كثيرة لا يمكن الإلمام بها

---

(١) مباحث في علوم القرآن، (ص ٣٠٨).

(٢) انظر: روائع الإعجاز في القصص القرآني، محمود السيد حسن، (ص ٦١ - ٦٢).

جميعاً، وسيدور الحديث عن أهمها بإيجاز؛ ليتبيَّنَ لنا أنَّ القصص القرآني لم يأت اعتباطاً، وإنَّما جاء لمقاصدَ عظيمة، يمكن تحديدها في المقاصد الآتية:

المقصد الأول: إثبات الوحدانية للَّه تعالى، والأمر بعبادته.

اتَّفقت دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً على إثبات الوحدانية لله تعالى، والأمر بعبادته بطرائق شتَّى وأساليب مختلفة، **وهذا هو أهمُّ مقاصد القصص القرآني**، وذلك لإبراز حقيقة التَّوحيد، وإبطال الشِّرك والوثنية.

فالرُّسل والأنبياء جميعاً، دَعَوا إلى توحيد الخالق جلَّ جلالُه، والإقرار له بالوحدانية، لا ربَّ غيره، ولا معبودَ سواه، فدعوتهم جميعاً اجتمعت على التَّوحيد.

ومن أدلَّة ذلك: ما قصَّه القرآن العظيم في تدرُّج إبراهيم -عليه السَّلام- في الاستدلال على الحقيقة الإلهية والإيمان بالوحدانية، فقال الله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ٧٤ - ٧٩].

وكذلك جاء إثبات التوحيد على لسان يعقوب - عليه السَّلام - وبنيه في قوله تعالى: **﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة: ١٣٢].

وكذلك على لسان نوح - عليه السَّلام - فقال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف: ٥٩].

وعلى لسان هود - عليه السَّلام - فقال تعالى: **﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**

قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وعلى لسان صالح - عليه السَّلام - فقال تعالى: **﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف: ٧٣].

وعلى لسان شعيب - عليه السَّلام - فقال تعالى: **﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** [الأعراف: ٨٥].

وجاء في قصة سليمان - عليه السَّلام: **﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [النمل: ٢٥ -٢٦].

وكذلك في قصة موسى - عليه السَّلام - فقال تعالى: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾** [طه: ١٤].

وجاءت الدَّعوى إلى التوحيد واضحة في قصَّة يوسف -عليه السَّلام- فقال تعالى: **﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف: ٣٧ - ٤٠].

فقد صرَّح يوسف - عليه السَّلام - بأنَّه لم يبتدع ديناً وإنما سار على ملَّة آبائه وأجداده الذين هداهم الله إلى العقيدة الصَّحيحة، ألا وهي وحدانية الله، وهذه العقيدة لا تختلف من عصر إلى عصر، إذْ لا يُعقل أنْ يوحي الله تعالى إلى أنبيائه عقيدةً في حقيقتها تتناقض من رسول إلى رسول، إذاً فوحدانية الله تعالى دعوةٌ اشْتَرَكَ في التَّأكيد عليها جميع الأنبياء[1].

---

(١) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (٢/ ٨٨٦ - ٨٩٣).

ممَّا سبق ذِكره يتبيَّن لنا أنَّ هؤلاء الرُّسل جميعاً، توحَّدت دعوتهم في الدَّعوة إلى الله تعالى من أجل الإيمان به تعالى، ولكن اختلف أسلوب كلٍّ واحد منهم فيما بَعْدَ هذه الدَّعوة: فنوحٌ - عليه السَّلام - خاف على قومه من عذاب الله العظيم، إنْ هم عَصَوه وخالفوا أمر الله، وهودٌ -عليه السَّلام- طلب من قومه تقوى الله؛ لأنه ليس لهم إلهٌ غيره عزَّ وجلَّ، وصالحٌ - عليه السَّلام - بيَّن لقومه أنَّه قد جاءتهم دلالة واضحة، وعلامة بيِّنة - ناقة الله - بأن يتركوها تأكل في أرض الله، ولا يمسُّوها بسوء، خوفاً عليهم من العذاب الأليم، وهكذا.

ويتَّضح هذا الأمر جلياً في ردِّ الملأ على كلِّ رسول: فقوم نوح رَمَوه بالضَّلال المبين، وقوم هود رَمَوه بالسَّفاهة والكذب، وقوم صالح شكَّكوا في إرساله(١).

المقصد الثاني: إثبات الوحي والرسالة.

ذلك أنَّ القصص المذكور في القرآن تأتي فيه إشارة إلى أنه غيب ومجهول، لا يعلمه النبيُّ ﷺ ولا قومُه، وهو دليل على صدق الرِّسالة وإثبات الوحي، وأحياناً تأتي هذه الإشارة في نهاية القصص المذكور، فقال تعالى عقب قصة نوح - عليه السَّلام: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى تعقيباً على قصَّة موسى - عليه السَّلام: ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا**﴾ [القصص: ٤٤-٤٦].

(١) انظر: دراسات قرآنية، (ص٢٥٠).

وهذه القصص تدلُّ دلالة واضحة على نبوَّة محمد ﷺ ؛ لأنه - عليه السَّلام:

كان أمِّـيّاً وما طالـع كتاباً ولا تتلمـذ على أستـاذ، ولا يوجد في هذا القصص تناقض أو اختلاف، فقد دلَّ ذلك أنَّه وحي من عند الله تعالى ويدلُّ كذلك على صحَّة نبوَّته - ﷺ (١).

ومما يفيد إثبات الوحي والرسالة مـا جاء في مقدِّمات بعض القصص، كما في قـوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [يوسف: ٢-٣].

فهذا القصص القرآني لم يكن ليُعْلَمَ إلاَّ لمن شاهَده، والنبيُّ ﷺ لم يكن مشاهداً لهـذه الأحداث الصَّادقة، كـما قال تعالى- عقب قـصة مريم: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٤٤].

وفي نهاية سـورة الشُّعراء قال الله تـعالى - بعد ذكر عـدد من قصص الأنبياء: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤]. فهـذا نصٌّ صريح على أنَّ هذا القصص من عند الله وأنَّه وحيُه تعالى وتنزيلُه (٢).

المقصد الثالث: إثبات البعث والجزاء.

كثـيراً ما يرد في سـياق القصص القـرآني إثبات هذا المقصـد - البعث والجزاء - فمن ذلك قـوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**﴾ إلى قوله تـعالى:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٤/ ١٤٠).

(٢) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (٢/ ٨٩٦ - ٨٩٨).

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٨ - ٢٦٠].

وجاء على لسان نوح - عليه السَّلام: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤]. فالقصص القرآني ترد فيه كثير من الأدلَّة على إثبات البعث والجزاء، فيصرِّفها بطرائق شتَّى، وأساليب مختلفة؛ ليحقِّق الإيمان بذلك اليوم[(١)].

المقصد الرابع: تثبيت النَّبيِّ ﷺ وأُمَّته.

من أعظم مقاصد القصص القرآني تثبيت النبيِّ ﷺ وأمَّته على لزوم الدَّعوة إلى الحقِّ، وتحمُّل مشاقها، والصَّبر على العذاب في سبيلها، وبذلك تقوى ثقة المؤمنين بنصرة الحقِّ وجنده، وخذلان الباطل وأهله، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠][(٢)].

«لقد كان هذا القصص يتنزَّل على رسول الله ﷺ في مكَّة، والقلَّة المؤمنة معه محصورة بين شعابها، والدَّعوة الإسلاميَّة مجمَّدة فيها، والطريق شاق طويل لا يكاد المسلمون يرون لها نهاية!

فكان هذا القصص يكشف لهم عن نهاية الطريق، ويريهم معالمه في مراحله جميعاً، ويأخذ بأيديهم وينقل خُطاهم في هذا الطَّريق»[(٣)].

وكثيراً ما نجد في القصص القرآني تسليةً للنبيِّ ﷺ على ما لقيه

(١) انظر: المصدر نفسه، (٢/ ٨٩٩).

(٢) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، (ص٤١ - ٤٢).

(٣) في ظلال القرآن، (٤/ ١٩٤٨).

هؤلاء الأنبياء الكرام من نفور عن الحقّ، رغم الأدلة الواضحة والبراهين السَّاطعة، الدَّالة على رسالتهم، فإنَّ كثيراً من أتباعهم عَمُوا وصَمُّوا عن اتِّباع الحقِّ، وأصرُّوا على اتِّباع الباطل، كما جاء على لسان نوح - عليه السَّلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥-٧]. وكذلك: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١].

إنَّ القصص القرآني - حقاً - عزاءٌ للنبيِّ ﷺ؛ لئلاَّ تذهب نفسه حسرات على كفر الكافرين وجحودهم، بَعد الأدلة الدَّامغة التي جاءهم بها(١).

المقصد الخامس: العبرة بأحوال المرسلين وأممهم.

المراد بهذه العبرة، هو الاتِّعاظ والاعتبار بأحوال الأنبياء والمرسلين للاقتداء بهم في الصَّبر على الأذى، وتبليغ الدعوة، والاقتداء بإيمانهم القويِّ، وتخليد آثارهم، والإشارة إلى فضلهم ومكانتهم الرَّفيعة عند الله تعالى، وفي المقابل الابتعاد عن مثل تصرُّفات المخالفين من الأمم السابقة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ولذلك فإنَّ الله تعالى يحكي في هذا القصص، أنَّ عاقبة أمر المنكرين

---

(١) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (٢/١٠٩).

كان إلى الكفر واللَّعن في الدُّنيا والآخرة، وعاقبة المؤمنين النَّصر في الدُّنيا والسَّعادة في الآخرة، وذلك يقوِّي قلوب أهل الإيمان، ويضعف قلوب أعدائهم.

ولهذه العبرة - المبثوثة في ثنايا القصص - **فوائد عظيمة**: أهمها التنبيه على سنن الله تعالى في حياة الناس، وقد نبَّه الله تعالى على ذلك في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿**لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الحجر: ١٣]. فهذه الآية جاءت في سياق الكلام عن المعرضين عن الحقِّ، الذين لا ينظرون في أدلته؛ لانهماكهم في ترفهم وسرفهم، وجحودهم، والإبقاء على عاداتهم وتقاليدهم.

وقال تعالى: ﴿**سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: ٨٥]. وهذه الآية جاءت في سياق محاجَّة الكافرين والتَّذكير بما كان من شأنهم مع الأنبياء، والسَّير في الأرض والنَّظر في عاقبة الأمم القويَّة ذات القوى والآثار في الأرض وكيف هلكوا بعدما دُعُوا إلى الحقِّ؛ فلم يستجيبوا لأمر الله، وفي ذلك يقول الله تعالى كذلك: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الأنعام: ١٠-١١]. «أي: فإن شككتم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن تجدوا إلاَّ قوماً مُهلكين، وأُمماً في المُثُلات تالفين. قد أوحشت منهم المنازل، وعَدِمَ من تلك الرُّبوع كل متمتع بالسُّرور نازل. أبادهم المَلِكُ الجبَّار، وكان نبأُهم عبرةً لأولي الأبصار. وهذا السَّير المأمور به، سير القلوب والأبدان الذي يتولَّد منه الاعتبار. وأما مجرد النَّظر من غير اعتبار، فإنَّ ذلك لا يفيد شيئاً»[1].

---

(١) تفسير السعدي، (٢/ ٩).

فهذا القصص القرآني فيه التَّأديب والتَّهذيب للأمَّة الإسلامية، وذلك أنه ذَكَرَ الأنبياءَ وثوابهم، والأعداءَ وعقابهم، وذكر في غير موضع تحذيره إيَّاهم عن صنع الأعداء، وحثَّهم على صنع الأولياء، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] [1].

المقصد السادس: بيان جزاء الأمم السَّابقة ونهاية مصيرها.

إنَّ موقف المنكرين للرِّسالات والرُّسل موحَّد، مع كلِّ رسول في الإنكار والتَّكذيب، فقوم نوح قالوا في حقِّه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

وقوم هود قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦].

وقوم صالح قالوا للمؤمنين به: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

وقوم لوط قالوا: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

وقوم شعيب قالوا له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقوم فرعون قالوا في حقِّ موسى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

فهذه الأمم الغابرة التي لم تلتزم بدعوة الأنبياء والمرسلين، كان

---

(١) انظر: المصدر السابق، (٢/٩٠٣ - ٩٠٤).

مصيرها الهلاك والدَّمار، نتيجةً لانحرافها عن الطريق المستقيم، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩].

ومن أسباب هلاكهم - كما مرَّ بنا سابقاً: الإشراك بالله تعالى، والظُّلم والطُّغيان، والتَّكذيب بالبعث والجزاء، والتَّقليد الأعمى، والتَّهديد للمؤمنين، وإيذاؤهم، إلى غير ذلك من الأسباب.

كلُّ ذلك ليعتبر المسلمون بأحوال هذه الأمم، ويبتعدوا عن أفعالها وأقوالها، حتى لايصيبهم ما أصابهم من الهلاك والدَّمار.

وقد بيَّن الله تعالى في كثير من قصص القرآن أنَّه انتقم لأوليائه من أعدائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

فهي سنة ماضية أثبتها الله في قوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤][1].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (٢/ ٩٠٥ - ٩١٣).

المقصد السابع: تربية المؤمنين.

مقاصد القصص القرآني تتضافر جميعاً في تربية المسلمين التَّربية الصَّحيحة والشَّاملة، ومن أعظمها: **التَّربية على العقيدة الصَّحيحة**، من الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالبعث والجزاء، والإيمان بالأنبياء والمرسلين، والصَّبر على أذى الكافرين وإعراضهم عن الحقِّ، حتى يظهره الله تعالى ويهلك أعداءه.

نجد ذلك - مثلاً - في قصَّة السَّحرة الذين آمنوا بموسى -عليه السَّلام- فقضى عليهم فرعون بالصَّلب والقتل، فثبتوا على عقيدتهم رغم فظاعة التَّهديد، وفي قصَّة أصحاب الكهف تربية في الثَّبات على التَّوحيد، والإيمان بالبعث والجزاء.

والتَّربية في القصص القرآني المبارك شاملة للأنبياء والمرسلين، وأتباعهم المؤمنين.

ومما ورد في تربية الأنبياء قول الله تعالى لإبراهيم الخليل - عليه السَّلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

قال أبو السُّعود رحمه الله: «أَسْلِمْ أي: أَذْعِنْ وأَطِعْ، وقيل: اثْبُتْ على ما أنت عليه من الإسلام والإخلاص، أو اسْتَقِم وفوِّض أمرك إلى الله تعالى، فالأمر على حقيقته، والالتفات مع التعرُّض لعنوان الرُّبوبية والإضافة إليه - عليه السَّلام - لإظهار مزيد اللُّطف به والاعتناء بتربيته، وإضافة الربِّ في جوابه - عليه الصلاة والسَّلام - إلى العالَمين؛ للإيذان بكمال قوَّة إسلامه، حيث أيقن حين النَّظر بشمول ربوبيَّته للعالمين قاطبة، لا لنفسه وحده كما هو المأمور به»[١].

---

(١) تفسير أبي السعود، (١/ ١٦٣).

ومن أنواع التَّربية في قصص القرآن: **التَّربية على الصَّبر، والبرِّ، وامتثال أوامر اللَّه تعالى**، كما في قصة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السَّلام - إذ قال الله تعالى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٥].

وفي قصَّة لقمان مع ابنه كثير من الفضائل التربويَّة النَّبيلة، ففيها التَّوحيد والنَّهي عن الشرك بالله، وفيها البرُّ بالوالدين، وفيها شكر الله والوالدين، وفيها البعث والجزاء، وفيها الأمر بإقامة الصَّلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصَّبر على المصيبة، والنَّهي عن إمالة الخدِّ عُجْباً وكِبْراً، والنَّهي عن المشي في الأرض مرحاً، والأمر بالاقتصاد في المشي، وإغضاض الصوت، إذ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ الآيات. [لقمان: ١٢-١٩].

ومن أنواع التَّربية في قصص القرآن: **التربية على الصِّدق**، اقتداء بالأنبياء والمرسلين، إذ قال الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾ [مريم: ٤١].

ومنها **التَّربية على الإخلاص في الطاعة** وتنفيذ أوامر الله، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا**﴾ [مريم: ٥١].

ومنها **التَّربية على الوفاء والأمانة**، إذ يضرب يوسف - عليه السَّلام - المثَلَ الأعلى في ذلك، إنه ليذكر جيداً إكرام العزيز له، وكان دائماً يقابل الإحسان بالإحسان، قال تعالى: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا**

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. وبعد ثبوت براءته قال يوسف -عليه السَّلام- ما حكاه الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ [يوسف: ٥٢].

ومنها **التَّربية على مكارم الأخلاق**، ويظهر ذلك جلياً في دعوة شعيب لقومه في عدَّة مواضع، منها ما حكاه الله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٥].

لقد بدأ - عليه السَّلام - بإصلاح العقيدة، ثم ثَنَّى بعد ذلك بإيفاء الكيل والميزان حال البيع، والنَّهي عن بخس الناس أشياءهم حال الشِّراء، فقد ربط بين الإيمان والأخلاق، ودعا إلى التَّخلِّي عن الرَّذائل(١).

وهكذا نرى أنَّ القرآن العظيم «يستخدم قَصَصَهُ لجميع أنواع التَّربية والتَّوجيه الذي يشملها منهجه التربويُّ؛ تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتَّوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتَّربية بالقدوة، والتَّربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات»(٢).

ويمكن أن نُجمِل الأهداف التَّربوية للقصص القرآني في ثلاثة جوانب، وهي:

١- مدُّ الفرد والجماعة بالقيم الإسلامية.

٢- تربية المسلم على الثِّقة المطلقة بالله في قضائه وقدره.

---

(١) انظر: المصدر السابق، (٢/ ٩٢٤ - ٩٢٨).

(٢) القصص القرآني، عماد زهير حافظ، (ص١٦).

٣- تزويد قارئه وسامعه بالعديد من المعارف والحقائق التي تفيده في مسيرة الحياة، والتعامل مع الآخرين[(١)].

المقصد الثامن: الدَّعوة إلى الخير والإصلاح، ومنع الفساد.

نجد أنَّ من مقاصد القصص القرآني الدَّعوة إلى الخير والإصلاح، ومنع الفساد في الأرض. كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٥].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [هود: ٨٤-٨٥].

ففي قصة شعيب - عليه السَّلام - دعوة صريحة إلى ناحية عَمَلية، تتَّصل بالإصلاح الاجتماعي، ومنع الفساد في الأرض، والقيام بحقِّ الأمانة في التَّعامل.

وقد بيَّن القصص القرآني، عاقبة الصَّلاح والفساد، كما في قصَّة ابنَيْ آدم، إذ قال الله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**﴾ الآيات. [المائدة: ٢٧-٣٢].

وكذلك في قصة صاحب الجنَّتين، إذ قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا**

---

(١) انظر: القصة القرآنية ودورها في التربية، أحمد أحمد غَلْوَش، مجلة كلية التربية، جامعة الرياض، (العدد: ١)، (السنة: ١٣٩٧هـ)، (ص٦).

رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ الآيات. [الكهف: ٣٢-٤٢].

وقصة سدِّ مأرب، إذ قال الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ الآيات. [سبأ ١٥-١٩].

وفي قصَّة آدم وإبليس - المبثوثة في مواضع شتَّى من القرآن - التَّنبيه لأبناء آدم من غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم، منذ عهد أبيهم آدم؛ ذلك لأنَّ إبراز هذه العداوة عن طريق القصَّة أوقع أثراً في النَّفس البشرية، لتحذر أشد الحذر من غواية الشيطان ودعوته إلى الشر(١).

المقصد التاسع: مواجهة اليأس بالصبر.

ويبرز هذا المقصد جلياً في قصَّة يوسف - عليه السَّلام - وفيها جملة من الآيات تُحقِّق هذا المقصد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، (ص١٣٥).

المقصد العاشر: بيان قدرة الله على الخوارق.

في هذا المقصد يتبيَّن لنا الفارق العظيم في المحتوى بين القصص القرآني وبين القصص البشري، فهل يوجد في القصص البشري ما حكاه الله تعالى عن قصَّة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية، إذ يقول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

أَمْ يوجد في القصص البشري قصَّة كخلق آدم، ومولد عيسى، وإحياء الطَّير لإبراهيم، وتحوُّل عصا موسى، وقصة موسى مع العبد الصَّالح، وغيرها؟

إنَّ ما ورد في القصص القرآني من ذكرٍ للخوارق والمعجزات، جاء ليدل على قدرة الله تعالى الكاملة، والتي لا يستطيعها مخلوق في الكون كلِّه، ويشير كذلك إلى بيان الفارق بين النَّظرة الإنسانية العاجلة قصيرة المدى، وبين الحكمة الإلهية الكاملة والمحيطة بالماضي والحاضر والمستقبل، إضافة لعلم الله تعالى الكامل بالغيب: قريبه وبعيده على حد سواء. مما يلقي في روع المؤمنين الاطمئنان الكامل إلى جانب الله تعالى والرُّكون إليه[1].

---

(١) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، (ص٤٥).

المقصد الحادي عشر: بيان نعم الله على أنبيائه وأصفيائه.

نجد من مقاصد القصص القرآني بيان نعم الله تعالى على أنبيائه وأصفيائه، مما يترك أثراً طيباً في نفوس المؤمنين بأنَّ الله تعالى يكافيءُ أولياءَه وأصفياءَه ويُنعم عليهم في الدُّنيا قبل الآخرة، وهذا له دوره في ثباتهم على الحقِّ الذي يعتقدونه.

وإنَّ نعمة اللَّه على أنبيائه وأصفيائه تتجلَّى في مواقف شتَّى، ومنها(١):

إنعامه تعالى على سليمان - عليه السَّلام - بتسخير الجنِّ والطَّير، فقال تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ الآيات. [النمل: ١٦- ٤٤].

وتسخير الرِّيح، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**﴾ الآيات. [سبأ: ١٢-١٤]. وقال تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ [الأنبياء: ٨١].

وإنعامه على داوود بتسخير الجبال والطَّير وإلانة الحديد، إذ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** (١٠) **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سبأ: ١٠ -١١].

وتعليمه صنعة الدُّروع فقال تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وإنعامه على إبراهيم بالغلام الحليم، إذ قال تعالى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ**

---

(١) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (٢/ ٩١٨ - ٩٢١).

حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

والتَّبشير بإسحاق، فقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢].

وعلى موسى وقومه بفلق البحر لهم وإنجائهم من فرعون وجنده، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٦].

والامتنان على موسى وهارون، إذ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الآيات. [الصافات: ١١٤- ١٢٢].

وإنعامه على إبراهيم وإسماعيل بفدائه بالذِّبح العظيم، إذ قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الآيات. [الصافات: ١٠٧-١١٠].

وإنعامه على يونس بنبذه من بطن الحوت، وإنبات شجرة اليقطين عليه، وهداية قومه للإيمان بعد ذلك، إذ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الآيات. [الصافات: ١٣٩- ١٤٨].

وإنعامه على عيسى بإظهار كثير من المعجزات على يديه، منها قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

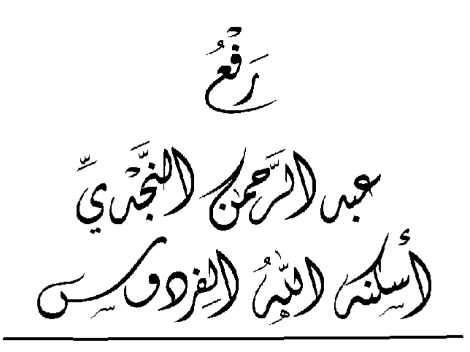
وإنعامه على مريم بتبرئة ساحتها ممَّا اتهمها به قومها، فقال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢٨-٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وإنعامه على زكريا بهبته يحيى، وإصلاح زوجه، إذ قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٨-٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي الإنعام على الأنبياء والأصفياء تخليدٌ لذكرهم الحَسَن، فها نحن أولاء ما زلنا نقرأ - حتى الآن - ما فعلوه فيما سبق من الزَّمان، وسيأتي مَنْ بعدنا ليقتدوا بهم إلى أنْ يأذن الله تعالى بقيام الساعة، وفي هذا ما فيه من الخلود والخير، وليعلم الذين أتوا من بعد هؤلاء الأنبياء أنَّ ما يفعلونه من خير فلن يُكفروه، وهذا من عاجل البُشرى للمؤمنين(١).

(١) انظر: المصدر السابق، (ص ٤٧).



الفصل الثالث
عظمة تأثير القرآن

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أهمية الدعوة بالقرآن.

المبحث الثاني: تطبيقات الدعوة بالقرآن العظيم.

المبحث الثالث: تأثير القرآن في استجابة بعض المعاصرين.

تمهيـــد

لقد أثَّر القرآن العظيم تأثيـراً عجيباً في قلوب الناس جيـلاً بعد جيل، فبعد أن أحال حياةَ العرب في الجزيرة العربية من جهل إلى علم، ومن شرك إلى توحيد، ومـن فرقة وفوضى إلى اجتـماع وائتلاف وتنظيم، اندفـعوا بعد ذلك كـالسَّـيل الأتيّ إلى نواحي الجـزيرة كلِّهـا وغـيرها وأطاحـوا بعـروش الأكاسـرة والقيـاصرة أعظم ملوك الأرض، واقـتلعوا جذور الشـرك والظلم ونشروا التوحيد والحق والعدل، فـدخل النَّاس في دين الله أفواجاً قد اختاروا الاهتداء بهذا القرآن، لا جـرم أن سبب هذا كله في الدرجة الأُولى هو تأثير القرآن العظيم.

ولقد بهر القرآنُ العربَ منذ أَنْ استـمعوا إليه في اللحظة الأُولى، سواء مَنْ شرح اللهُ صدرَه للإسلام وأنار بصيرته، أو مَنْ طبع الله على قلبه وجعل على بصره غـشاوة، كالوليـد بن المغيرة وغـيره، فَروعـة هذا القرآن يُحسـها القلب الخـاشع ويتأثر بـها أيما تأثر، ولكن العـرب - كـما وصـفهم القـرآن العظيم: ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وأعداء ألِدَّة: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، أخـذوا يثيـرون الشكوك في القـرآن، ويَشُنُّون عليـه حمـلات شعواء، بُغيةَ التهوين من شأنه، والغض من قدره.

من أسباب تأثيره:

المتأمِّل في قوَّة تأثير القرآن العظيم يجد أنه جمع بين الجزالة والسَّلاسة، والقوة والعذوبة، وحـرارة الإيمان، وتدفق البلاغة، فهـو النُّور الباهر، والحقُّ السَّاطع، والصِّدق المبين، ولمَّا سمعه فصـحاء العرب وبلغاؤهم وأرباب البيان

فيهم أقروا بعظمته وتأثيره بلسان حالهم قبل مقالهم.

وإن الإنسان ليأخذه العَجَبُ من بعض الدعاة الذين يغفلون أو يتغافلون عن آيات القرآن وتأثيرها في نفوس المدعوين، فهم يتكلمون بكل كلام يخطر ببالهم إلاَّ كـلام الله تعالى حال دعوتهم، ولا يسـتدلون إلاَّ بالآيات القليلة، وفي بعض الأحيان لا يُسمع منهم آية واحدة، مع كثرة حديثهم وتشعبه(*).

ولهذه الأهمية البالغة لكتاب الله تعالى، وأثره العظيم في انتشار الدعوة بين الناس قديماً وحـديثاً، سيكون الكلام عن تأثير القـرآن العظيم في نفوس المدعوين من خلال المباحث الآتية:

(*) ولا يُقـصد من هذا الـكلام أن يكتفي الدعـاة إلى الله تعـالى بتـلاوة الآيات فقط حـال الدعوة، مع إغفالهم التوضيح والبيان، والتـفصيل والتعليل، وضرب الأمثلة والشواهد، وذكر القصص والعبر. . . ، لأن هذا يُخالف نَصَّ القرآن، وهديَ رسول الأنام عليه أفضل الصلاة والسـلام، قال تعـالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

المبحث الأول
أهميَّة الدَّعوةِ بالقرآن

وفيه

ذِكْرُ بَعْضِ الآيات في أهمـيَّة الدَّعوة بالقـرآن، والتَّعليق عليها.

لقد أيَّد الله سبحانه رسوله ﷺ بالقرآن الكريم ، وأمره أن يدعو به، ويعتمـد عليه، وما ذاك إلاَّ لقوة تأثيـره في النفوس، **ولذا فإننا نجد نصوصاً قرآنية كثيرة تأمر بالدَّعوة بالقرآن العظيم نفسه وتحثُّ عليه**، فمن ذلك:

١ - قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

أخبر المولى جلَّ جلالُه أن هذا القـرآن أُوحي لنفع الناس وإصلاحهم، إذ فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل مَنْ بلغه القرآن إلى يوم القيامة، ولذا كان مجاهد - رحمه الله - يقول: «حيثما يأتي القرآن فهو داعٍ، وهو نذير، ثم قرأ **﴿لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾** »(١).

٢ - قول اللَّه سبـحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢]. فهذا خطاب لرسول الله ﷺ لينذرَ الكافرين بالقـرآن، ويُذكِّرَ به المؤمنين؛ لأنه حوى كل مـا يحتاج إليه العباد في الدنيا والآخرة، ولأنَّ المؤمنين هم المنتفعون بهديه.

وعندما يقـوم الدَّاعية إلى اللَّه تعـالى بدعوة الناس بالقـرآن إلى القرآن، فعليه ألاَّ يـكون في صدره حرج، أي: ضيق وشك واشتـباه؛ لأنه كتاب الله سبـحانه وتعـالى، لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه، فلْيـنشرح به صدره، ولْتطمـئن به نفسه، ولْيـصدع بأوامره ونواهيـه، ولا يخش لائماً أو مُعارضاً(٢).

---

(١) تفسير الطبري، (١١/ ٢٩١).

(٢) انظر: تفسير الطبـري (١٢/ ٢٩٧)، تفسير القرطبي (٧/ ١٦٠ -١٦١)، تفسـير السعدي (ص٢٤٥ -٢٤٦)، في ظلال القرآن (٣/ ١٢٥٤-١٢٥٩).

٣- قول اللَّه تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]. فالله عَزَّ وجلَّ، نَزَّل القرآن مُنَجَّماً ومفرَّقاً على الوقائع والأحداث إلى رسوله ﷺ، في ثلاث وعشرين سنة ليقرأه عليهم ويبلغهم إياه على مهلٍ، ليدبروا آياته ويؤمنوا به[1].

وكذلك ينبغي على كل داعية حريص على الاقتداء بنبينا محمد ﷺ، أن يقرأ القرآن العظيم على الناس ويدعوهم به على مهل، ليتأثروا بما فيه من حِكَمٍ وعلوم نافعة.

٤- قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]. فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى، لرسوله ﷺ، بأن ينذر الناسَ كلهم ويدعوهم بالقرآن العظيم الذي هو وحي من الله، فإن استجابوا فلأنفسهم، وإن لم يستجيبوا، فذلك لأن صوت القرآن الحكيم الذي سمعوه لم يجد قلباً قابلاً للهدى، فكان كالأصم الذي لا يسمع صوتاً، ولا يدري ماذا يقول المتحدِّث إليه[2].

وكذلك الدَّاعية إلى اللَّه عَزَّ وجلَّ، يُنذر الناس بالقرآن ويخوفهم به، فمن لم يستجب منهم ولم يتأثر فذلك لأن قلبه خال من الخير والقبول به، فهو كالأصمِّ في عدم الانتفاع بما في الأصوات من معانٍ وأخبار.

٥- قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. **فهذه الآية الكريمة نصٌّ صريح على أن الدَّعوة بالقرآن**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ٦٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٨١)، تفسير السعدي (ص٤٧٣).

العظيم من أعظم أبواب الجهاد في سبيل اللَّه تعالى، إذْ سمَّاه اللَّه تعالى جهاداً، بل كبيراً، فما أعظم شرف الدعاة إلى اللَّه تعالى، بلقب «المجاهدين جهاداً كبيراً»، وما أكبر هذه النِّعمة عليهم، التي تستحق منهم الشكر والإخلاص والعمل الدؤوب بمجاهدة الكافرين وغيرهم من عصاة المسلمين بالقرآن العظيم، لأن الذي يُجاهِدُ به الكفارَ، يكون مِنْ باب أولى أن يُجاهِدَ به أهلَ المعصية من المسلمين.

وعن هذا الأمر يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس[1] -رحمه الله: «وكما يُجاهَدُ أهلُ الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير، كذلك يُجاهَدُ به أهلُ المعصية، لأنه كتاب الهداية لكلِّ ضال، والدَّعوة لكل مرشد، وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة، من التنبيه بالأعلى على الأدنى، لاشتراكهم في العلة وهي المخالفة... وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه - أي: رسول الله -ﷺ- فكذلك هو فرض على أمته، هكذا على الإجمال، وعند التفصيل تجده فرضاً على الدعاة والمرشدين الذين يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين، فالنبي ﷺ قدوة لأمته فيما اشتملت عليه الآية من نهي وأمر»[2].

---

(١) هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكِّي ابن باديس: ولد في قسنطينة سنة (١٣٠٥هـ)، وأتمَّ دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة «الشهاب» علمية دينية أدبية، صدر منها في حياته نحو: (١٥) مجلداً. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدِّينية فامتنع واضطُهد وأُوذي، وهو مستمر في جهاده. توفي بقسنطينة سنة (١٣٥٩هـ). له: «تفسير القرآن الكريم» اشتغل به تدريساً زهاء: (١٤) عاماً، ونُشرت نُبَذٌ منه ثُمَّ جُمِعَ تفسيره لآيات من القرآن، باسم «مجالس التَّذكير».

«انظر: الأعلام، (٣/ ٢٨٩). معجم المؤلفين، (٢/ ٦٦)».

(٢) تفسير ابن باديس، (ص٢٥٢).

والدَّعوة بالقرآن العظيم هي الميزان الذي يُعْرَفُ به صلاح الدَّاعية وصدقه وسلامة منهجه، قال الشيخ ابن باديس -رحمه الله[١]: «عندما يختلف عليك الدُّعاة الذين يَدَّعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر مَنْ يدعوك بالقرآن إلى القرآن - وَمِثْلُه ما صح من السُّنَّة، لأنها تفسيره وبيانه - فاتَّبِعْه، لأنه هو المتَّبِعُ للنبيِّ ﷺ، في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثِّل لِمَا دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن».

٦- قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]. وهذه الآية كذلك تُبَيِّنُ أهمية الدَّعوة بالقرآن، إذْ جعل الله سبحانه، سماعَ تلاوةِ الآيات ملاذاً ومعاذاً من نزول العذاب بالكافرين، وذلك لقيام الحجة عليهم بسماعهم للقرآن العظيم الذي هو أبلغُ وسيلة، وأعظمُ سببٍ للإيمان بالله عزَّ وجلَّ، والدُّخول في دينه[٢].

ومثل هذه الآية قول الله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾** [التوبة:٦].

فقوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾** «أي القرآن الذي تقرؤه عليه، ويَتَدَبَّرُهُ، ويطَّلِعُ على حقيقة الأمر، وتقوم عليه حُجَّةُ الله به، فَإِنْ أَسْلَمَ ثَبَتَ له ما للمسلمين، وإن أَبَى فإنه يُرَدُّ إلى مَأْمَنِه وداره التي يأمَنُ فيها، ثم قاتِلْهُ

---

(١) المصدر نفسه، (ص٢٥٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٣٠١-٣٠٣)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٧)، تفسير السعدي (ص٥٧١).

إنْ شِئْتَ»(١).

فلو لم يكن للقرآن العظيم من تأثيرٍ بالغٍ في قلوب سامعيه، لَمَا كان هو الحد الفاصل لنهاية إجارة المشرك.

٧- **قول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾** [ق: ٤٥]. وذلك لأن القرآن يهزُّ القلوب، ويجعلها في خوف من شدة عذاب الله إن لم تؤمن بالقرآن، وتعمل بما فيه. فلذا كان **القرآنُ الكريم أعظمَ سلاحٍ يستعمله الدُّعاة إلى اللَّه سبحانه، في دعوتهم للناس، والتأثير فيهم**(٢).



(١) تفسير القاسمي، المسمى: «محاسن التأويل»، (٤/ ٩٠).

(٢) انظر: الدعوة إلى الله بالقرآن الكريم، د. خالد القريشي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (عدد: ٣١)، (رجب ١٤٢١هـ)، (ص٢٧٣-٢٧٨).

المبحث الثاني
تطبيقات الدَّعوة بالقرآن

وفيه

ذِكْرُ بَعضِ النَّماذِج مِنْ تَطبيقات الدَّعوة بالقرآنِ، والتَّعليق عليها.

تمهيــــــد

لقـد كان رسـول الله ﷺ، يدعو إلى الله تعـالى، بالقـرآن العظيم، بقوله وعمله، وهديه وسمته، ولَمَّا سُئلت أُمُّ المؤمنين عائشةُ ﵂، عن خُلُقه، قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ القرآنَ(١)»(٢).

أي: إن النبيَّ ﷺ، كـان يتمـثَّل القرآن في جـميع أمـوره وأحواله، وأقواله وأفعاله.

بل بَيَّن النبيُّ ﷺ أن السَّبب الرَّئيس في كـثرة أتْبَاعه يوم القـيامة هو نزول القرآن عليه، وأنه أعظم معـجزة أعطاها اللهُ لنبيٍّ من الأنبياء(٣) فقال: «ما منَ الأَنْبِيَـاء نَبِيٌّ إلاَّ أُعْطِيَ ما مثْلُهُ آمَنَ عليه البَـشَرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وَحْياً أوحَاهُ اللَّهُ إليَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ القِيامَةِ»(٤).

وَمِنْ أهم الفـروق بين معـجـزة القـرآن العظيم وغـيـره من معجزات الأنبياء:

١ - أن معجزة القرآن الكريم مستمرة إلى يوم الدِّين، ومعجزات الأنبياء قد انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلاَّ مَنْ حضرها.

---

(١) معناه: العمل به والـوقوف عند حدوده، والتـأدُّب بآدابه، والاعتـبار بأمثـاله وقصـصه، وتدبُّره، وحسن تلاوته.

(٢) رواه مسلم في صـحيحـه، كتاب صـلاة المسافرين وقـصرها، باب جـامع صلاة الليل، (١/ ٥١٢)، (ح٧٤٦).

(٣) انظر: المصدر السابق، د. خالد القريشي، (ص٢٨٢ - ٢٨٣).

(٤) رواه البخاري في صحـيحه، كتاب فضـائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، (٦/ ١١٨)، (ح٤٩٨١)، ومسلم في صحيحه، كتـاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، (١/ ١٣٤)، (ح١٥٢).

٢- **أن القرآن العظيم خارق للعادة** في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعْصار، إلاَّ ويظهر فيه شيء مما أخبر به، ولا يوجد هذا في غيره من المعجزات.

٣- أن المعجزات الماضية كانت حسِّية، تُشاهَدُ بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، **ومعجزة القرآن تُشاهَد بالبصيرة**، فيكون مَنْ يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يُشاهَد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهدته، والذي يُشاهَد بعين العقل باقٍ، يُشاهده كُلُّ مَنْ جاء بعد الأوَّل مستمراً[١].

ولذا يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- عند قوله ﷺ: «**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٢]: «رتَّب هذا الكلام على ما تقدَّم من معجزة القرآن المستمرَّة، لكثرة فائدته، وعموم نفعه، لاشتماله على الدَّعوة والحُجَّة والإخبار بما سيكون، فعمَّ نَفْعُهُ مَنْ حضر، ومَن غاب، ومَن وُجد، ومَن سيوجد، فَحَسُنَ ترتيب الرَّجْوَى المذكورة على ذلك، وهذه الرَّجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعاً».

وإذا كانت شخصيَّة الرَّسول المهيبة والمؤثِّرة في الدَّعوة لم تُغْنه عن الدَّعوة بالقرآن، فكيف بنا اليوم.. ونحن مقصِّرون؟ إنَّنا أحوجُ ما نكون للدَّعوة به!

لذا ينبغي على الدُّعاة إلى اللَّه تعالى، الحرص على الاستفادة من هذه المعجزة الباقية - القرآن العظيم - والرُّجوع إليها، والاستعانة بها دائماً في دعوة الآخرين؛ لتحقيق أعظم النتائج والآثار المرجوة من الهداية والاستقامة والتقوى.

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (٩/٩-١٠).

(٢) المصدر نفسه، (٩/ ١٠).

وهناك نماذج من تطبيقات الدَّعوة بالقرآن العظيم وتأثيره في نفوس المدعوّين نجدها في الأمور الآتية[1]:

أولاً: دعوة الوفود التي قَدِمَتْ للحجِّ بالقرآن.

عن ابن عباس ﷺ، قال: حدثني عليُّ بن أبي طالب ﷺ، قال: لمَّا أمر اللهُ رسولَه ﷺ، أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر الصدِّيق، حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب... قال مفروق بن عمرو: إلامَ تدعونا يا أخا قريش؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

قال مفروق: وإلامَ تدعو يا أخا قريش؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فقال مفروق: دعوتَ واللهِ يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال[2].

---

(١) انظر: المصدر السابق، د. خالد القريشي، (ص٢٨٤-٣٠٩). من أسرار عظمة القرآن، (ص٣١-٣٣). من مشاهد الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، د. علي البدري، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٤٤)، السنة الحادية عشرة، (ص٨٥-٩٤). خصائص القرآن الكريم، د. فهد الرومي، (ص٩٩-١٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في الثقات (١/ ٨٠-٨٨). والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٧). والطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة. وقال عنه الحافظ ابن حجر:=

فرسول الله ﷺ ، دعا هذا الوفدَ الذي قدِم للحجِّ، قبل الهجرة للمدينة، بتلاوة آيات من القرآن عليهم، وكان يُجيب على أسئلتهم بذكر الآيات التي فيها الجوابُ عما سألوا، وكان تأثير ذلك واضحاً على مفروق بن عمرو حينما قال: دعوتَ واللهِ يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

ثانياً: السَّفر إلى النَّاس ودعوتُهم بالقرآن.

عن خالد العدواني -رضي الله عنه- أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس، أو عصا، حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: فسمعته يقرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١] حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام. قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم. فقال مَنْ معهم مِنْ قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لتبعناه[١].

فرسول الله ﷺ يذهب إلى الناس ويسافر إليهم في بلادهم، فيدعوهم إلى الله تعالى بتلاوة آيات من القرآن العظيم، ولعظم أثر هذه الآيات في نفوس سامعيها لم ينسها الصحابي الجليل خالد بن أبي جهل العدواني الطائفي، إذ قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام.

= «إسناده حسن». «انظر: فتح الباري (٧/ ٢٢٠)».

(١) رواه أحمد في المسند، (٤/ ٣٣٥)، (ح ١٩٠٦١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: «وعبد الرحمن ذَكَرَهُ ابن أبي حاتم ولم يَجْرَحْه أحد، وبقية رجاله ثقات»، (٧/ ١٣٦). وقال أحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، في الفتح الرباني: «سنده جيد»، (٢٠/ ٢٤٣).

وقال الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة: «قال الحسيني: مجهول (أي: عبد الرحمن) وصحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات»، (١/ ٢٤٨).

ثالثاً: دَعوةُ الملوكِ والرُّؤساء بالقرآن.

١- عن أم سلمة رضي الله عنها، أنها قالت في شأن هجرتهم إلى الحبشة، (بلاد النَّجاشي)... فقال النَّجاشي[1]: فهل معكم شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته، فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال لهم جعفر بن أبي طالب: نعم، فقرأ عليهم صدراً من: سورة كهيعص. فبكى - والله - النَّجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم[2].

٢- وجاء في الكتاب الذي أرسله النبيُّ ﷺ إلى ملكِ الرُّومِ هِرَقْل: «**بِسْمِ اللَّه الرَّحْمن الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّد رَسُول اللَّه إلى هِرَقْل عَظِيم الرُّوم، سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فإنِّي أَدْعُوكَ بدعَايَة الإسْلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْن، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا**

---

(١) النَّجاشي: لقبٌ يُلقَّب به ملوك الحبشة، كما يقال لملك الفُرْس: كسرى، ولملك الرُّوم: قيصر، ونجاشي الحبشة المَعْنِيُّ هنا هو: أصحمة بن بحر، وكان مَلِكاً صالحاً، لبيباً ذكياً، وعالماً عادلاً، شهد له الرسولُ ﷺ بالإسلام والصَّلاح، وصلَّى عليه حين مات، وهو الذي آوى المسلمين في هجرتهم إلى الحبشة، وأكرمهم، ودفع عنهم أذى قريش. توفي رحمه الله سنة (٩ هـ)، وقيل: قبل ذلك.

«انظر: السيرة النبوية، لابن كثير (٢/ ٢٩-٣٠)».

(٢) رواه أحمد في المسند، (١/ ٢٠١)، (ح ١٧٤٥)، (٥/ ٢٩٠-٢٩٢)، (ح ٢٢٦٤٥).

وقال عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٤-٢٧): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع».

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]»[(١)].

فما أعظم أثر القرآن العظيم في نفوس سامعيه، سواء كانوا من المسلمين أم من غيرهم، وسواء كانوا من عامة الناس، أم من ملوكهم وساداتهم، فهذا النَّجاشي وبطارقته لم يملكوا أنفسهم عند سماع آيات القرآن العظيم، حتى بكوا وأخضلوا لحاهم من تأثيره فيهم.

رابعاً: تأثير القرآن في قلوب أعدائه وخصومه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلَمَكُم بالسِّحر والكهانة والشِّعر، فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

- فجاءه عُتبة بن ربيعة[(٢)] وكلمه كلاماً طويلاً، حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبيُّ ﷺ: **«فرغت يا أبا الوليد؟»** قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿حم ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾** [فصلت: ١-٥] واستمرَّ النبيُّ ﷺ يقرأ حتى بلغ قولَه تعالى:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ الآية، (٣/ ١٣٨١)، (ح ٤٥٥٣).

(٢) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، كان من عتاة المشركين، وأشدِّهم على رسول الله وعلى المؤمنين حرباً وإيذاء، كان مِمَّن دعا عليهم رسولُ الله ﷺ بأعيانهم. «انظر: البداية والنهاية، (٣/ ٢٧٣)».

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

فأمسك عُتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، ثم قام عُتبة إلى أصحابه.

فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

- وكان فيما قال لهم: يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ. . . قالوا: سَحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه(١).

هكذا كان تأثير القرآن العظيم في قلوب الأعداء، يخلع منهم القلوب، فيطير النَّوم من عيونهم، وما يمنعهم مِنَ الاستجابة له إلاَّ الكبر والعناد.

بل كان الكفار يُدرِكون تأثير القرآن في نفوس سامعيه، فإنهم كانوا يخشون استيلاءه على قلوب الناس عند سماعه، فكانوا يستقبلون الوافدين إلى مكَّةَ، ويحذرونهم من الاستماع إلى النبيِّ ﷺ، أو مجالسته.

وكان يُوصِي بعضُهم بعضاً بعدم الاستماع للقرآن العظيم كما قال الله

---

(١) انظر: دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد الفضل التميمي (٢/ ٢٢٠ -٢٢٢). ومسند أبي يعلى (٣/ ٣٥٠). وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٠): «رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي، وثَّقَهُ ابنُ معين وغيره، وضعَّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات».
وفي رواية أُخرى أن الذي سمع من الرسول ﷺ سورة فُصِّلت وَحَدَثت معه هذه القصة هو الوليد بن المغيرة.
«انظر: تفسير الطبري (٢٨/ ١٥٥ - ١٥٧). البداية والنهاية، ابن كثير».

تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

فلم يقولوا هذه المقولة وهم في بُعْدٍ عن تأثيره، فلولا أنهم أحسُّوا في أعماقهم روعته، وأدركوا في قلوبهم تأثيره، ما حذَّروا قومهم هذا التَّحذير، وما تنادوا هذا النِّداء، وقد كانوا يتأثَّرون لكنهم كانوا يستكبرون.

خامساً: تذكير النَّاس بالقرآن من خلال خُطَبِ العبادات.

عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها، قالت: «لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللَّه ﷺ، وَاحِداً سَنَتَيْنِ، أو سَنَةً وَبَعْضَ سَنَة، وَمَا أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلاَّ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ»(١).

فرسول الله ﷺ، وهو يخطُب على المنبر يوم الجمعة، وهو من أعظم أبواب الدعوة وميادينها، يخطُب ويدعو الناس بالقرآن العظيم بتلاوة سورة (ق).

سادساً: خَفَقَانُ القلبِ مِنْ سماعِ القرآن.

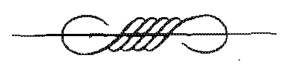
عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه، قال: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ في المَغْرِب بالطُّور، فَلَمَّا بَلَغَ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩٥)، (ح ٨٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الطور، (٦/ ٥٨)، (ح ٤٨٥٤).

ولِمَ لا يطير، فلا عَـجَبَ من ذلك، لأن تأثير القرآن كبـير، كيف ولو أُنزل على جبل لخشع وتصدَّع من خشية الله.



المبحث الثالث
تأثير القرآن في استجابة بعض المعاصرين

وفيه

ذِكْرٌ لِنَمَاذِجَ لمن تأثَّر بالقرآن واستجاب له من بعض المعاصرين

تمهيد

للقرآن العظيم أهمِّية كبرى وأثر عظيم في انتشار الدعوة بين الناس قديماً وحديثاً، وإن المتأمِّل في المنهج العقلي لدى غير المسلمين، يجد أنه يقف إزاء الإسلام على نقطة التَّوازن بين الشدِّ والجذب، في اتِّجاهين متناقضين:

الاتجاه الأول: تغلب عليه النَّزْعة العلمية الموضوعيَّة، التي تُحاول أن تتجرَّد من الهوى، وأن تكون حياديَّة في الرأي والنتيجة.

الاتجاه الآخر: تغلب عليه النَّزْعة التَّحزُّبية، وكل ما يرتبط بها، أو يوازيها من إحساس استعلائي تجاه كل ما هو شرقي.

ويوجد أناس من غير المسلمين يميلون إلى معالجة ما يخصُّ الإسلام معالجة موضوعية، على حين قد يندفع بعضهم في الاتِّجاه الآخَر.

وما قدَّمه بعض علمائهم على وجه العموم، والمستشرقون منهم على وجه الخصوص يتضمَّن الحسنَ والسَّيئ، وذلك لأسباب عديدة: منها قوة الجذب المشار إليها آنفاً، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذَّاتية والثَّقافية . . .

وما يَعْنينا هو شهادات أصحاب الاتِّجاه الأوَّل وأقوالهم، ولكن علينا أن نلحظ أمراً مهماً للغاية، وهو: أن هذه الأقوال والشَّهادات في الإسلام أو القرآن، لا تعدو كونها تأكيداً لحقائق قائمة وأصول ثابتة في ديننا وحضارتنا[1].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله بالقرآن الكريم، د. خالد القريشي (ص٣١١-٣١٣).
قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل (ص١١-٢٢).

وهذه الأقـوال والشَّـهـادات، تُنسب إلى أشـخـاص دخلوا في دين اللَّه تعالى، قالوا كلمتهم في جانب من جـوانب الإسلام، قبل إسلامهم، أو بعده، وهي على النحو الآتي(١):

١ - أحد القساوسة المنصِّرين اسمه: «إبراهيم خليل أحمد»(٢):

فبعد تعـمُّقه في دراسة الإسلام، وخاصة الـقرآن الكريم، أعلن إسلامه وأشهره رسمياً عام ١٣٨٠هـ. قال عن القرآن العظيم(٣):

«أعتـقد يقيناً أني لو كنت إنـساناً وجودياً، أي لا يؤمن بوجـود خالق لهـذا الكون، ولا برسـالة من الرسـالة السَّمـاوية، وجـاءني نفـر من الناس وحدَّثني بما سـبق به القرآنُ العلمَ الحديثَ في كل مناحيـه لآمنت بربٍّ العزَّة والجبروت، خالقِ السَّماوات والأرض، ولن أُشرك به أحداً. . .».

---

(١) انظر: الدعـوة إلى الله بالقـرآن الـكريم، (ص٣١٤ -٣٣١). بالقـرآن أسلم هـؤلاء، عبـد العزيز الغزَّاوي (ص٦٧-١٦٢). قرآنكم يا مـسلمون، إبراهيم الضبـيعي (ص٥٣-٥٥، ٦٥-٧٠). القرآن الكريم من منظور غـربي، د. عماد الدين خليل (١٧-٢٦، ٤٤ - ٤٩، ٧٢ - ٧٩).

(٢) **إبراهيم خليل أحمد**: قس مُنَصِّر من مواليد الإسكندرية، يحـمل شهادات عالية في علم اللاهوت، من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية، عمل أستاذاً بكلية اللاهوت بأسـيوط، أُرسل عـام (١٩٥٤م) إلى أسوان سكرتيـراً عاماً لـلإرسالية الألمـانية السويسرية، وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام.
لكن تعمـقه في دراسة الإسلام قـاده إلى الإيمان بهذا الدين، وأشهر إسـلامه رسميـاً عام (١٣٨٠هـ)، كتب العديد من المؤلفات، أبرزها: (محـمد في التوراة والإنجيل والقرآن)، وكتاب: (تاريخ بني إسرائيل). «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٤٩)».

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وقال في موضع آخر - وهذا القول يحتاج منَّا إلى التَّأمل والإمعان والتَّفكير، وخاصة من الذين يعيشون شيئاً من الهزيمة النفسية تجاه الأمم التي سبقتنا في العلوم المادية - إذ يقول[1]: «للمسلم أن يعتزَّ بقرآنه، فهو كالماء، فيه حياة لكل مَنْ نهل منه».

وقال أيضاً[2]: «القرآن الكريم يَسْبِقُ العلمَ الحديثَ في كل مناحيه: من طبٍّ، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ، . . . ففي أيامنا هذه استطاع العلمُ أن يرى ما سبق إليه القرآنُ بالبيان والتعريف».

٢- وَمِنَ الذين تأثروا بالقرآن العظيم فأسلموا: «د. جرينيه»[3]:

حيث سُئِلَ عن سبب إسلامه فقال[4]: «إنني تتبَّعت كلَّ الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صِغري وأعلمها جيداً، فوجدتُ هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت؛ لأنني تيقنت أن محمداً أتى بالحقِّ الصُّراح قبل ألف سنة، مِنْ قَبْلِ أن يكون هناك مُعلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلَّم جيداً - كما قارنتُ أنا - لأسلم بلا شك، إنْ كان عاقلاً خالياً من الأغراض».

٣- لقد أثَّرَ القرآنُ العظيم في بعض الأعاجم الذين لا يَعْرِفُون العربية، تأثيراً كبيراً، دفع بعضهم إلى أن يُعلن إسلامه، ويَذكر الأثر الذي أحدثه

---

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، وانظر: بالقرآن أسلم هؤلاء، (ص١٣١-١٣٦).
(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، (ص٤٧ - ٤٨).
(٣) د. جرينيه: طبيب فرنسي شهير، كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي.
(٤) انظر: بالقرآن أسلم هؤلاء (ص٧٦).

القرآن في نفسه، ومن هؤلاء:

المستشرق الفرنسي «إيتين دينيه»[(١)]، الذي أعلن إسلامه وقال[(٢)]: «مِنَ اليسير على المؤمن في كل زمان، وفي كل مكان، أن يرى هذه المعجزة بمجرد التلاوة في كتاب الله، وفي هذه المعجزة نجد التَّعليل الشَّافي للانتشار الهائل الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون، لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلاّ من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة، فضلاً عن أنها غير دقيقة».

وقال في موضع آخر[(٣)]: «إنْ كان سِحْرُ أسلوبِ القرآن وجمالُ معانيه، يُحْدِثُ مثلَ هذا التأثير في نفوس علماء لا يمتُّون إلى العرب، ولا إلى المسلمين بصلة، فماذا ترى أن يكون من قوة الحماسة التي تستهوي عرب الحجاز؟ وهم الذين نزلت الآيات بلغتهم الجميلة... لقد كانوا عند سماعهم للقرآن تمتلك نفوسهم انفعالات هائلة مُباغتة، فيظلون في مكانهم وكأنهم قد سُمِّروا فيه...».

٤- ومن الأمثلة التي تدلُّ على أثر القرآن العظيم في نفوس مستمعيه: ما ذكره القس **«جان باتيست أهونيمو»[(٤)]، حيث يقول عن سبب**

---

(١) إيتين دينيه: (١٨٦١ - ١٩٢٩م) تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة «بوسعادة» نصف السنة من كل عام، وأشهر إسلامَهُ، وتسمى بناصر الدين، وذلك عام (١٩٢٧م)، وحج إلى بيت الله الحرام عام (١٩٢٨م)، وله بعض الآثار العلمية.

«انظر: الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق يوسف الواعي (ص١٩٧-١٩٨). قالوا عن الإسلام، (ص٦٣)».

(٢) انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٦٣-٦٤). الإسلام في العقل العالمي، (ص١٩٧-١٩٨).

(٣) قالوا عن الإسلام، (ص٦٤).

(٤) **القس جان باتيست أهونيمو:** حاصل على ليسانس في علوم اللاهوت، وكان قسيس الكاثوليكية خلال بضع سنوات حتى أسلم في كوناكري عاصمة غينية بتاريخ:=

إسلامه(١): «سبب إسلامي تم خلال وجودي في محاضرة، عبارة عن مجادلة بين مسلم ومسيحي، ولقد اقتنعت أثناء هذه المحاضرة بسورةِ مريم وسورةٍ أُخرى وبأن الإسلام هو دين الحق».

٥- أما «د. أحمد نسيم سوسة»(٢). الذي كان يهودياً قبل أن يُسلم، فيقول(٣): «يرجع ميلي إلى الإسلام حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم، للمرة الأولى فَوَلِعْتُ به ولَعَاً شديداً... وكنت أطرب لتلاوة آياته...».

ويواصل حديثه عن التأثير القرآني فيقول(٤): «لا أظن أن ثَمَّةَ شيئاً يؤثر في المرء الذي أدرك حقيقة الديانة الإسلامية وروحيتها بقدر تأثير تلاوة آيات القرآن المجيد على مشاعره، فيغمره الإحساس الفيَّاض باتصاله الرُّوحاني، وتجتذبه مَهَابةُ الإله جلَّ جلالُهُ، فيقرّ بكل خشوع بعجزه وضعفه

= (٢٢/١١/١٩٩١م)، وأصبح اسمه إبراهيم أهونيمو، وصار داعية للإسلام في مكتب لجنة مسلمي أفريقية في غينية، وقام بجولة للدعوة إلى الإسلام في ساحل العاج وغانه وتوجو والنيجر. «انظر: بالقرآن أسلم هؤلاء، (ص٨٩)».

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) **د. أحمد نسيم سوسة**: باحث ومهندس من العراق، وعضو في المجمع العلمي العراقي، وأحد أبرز المختصين بتاريخ الري في العراق، كان يهودياً فأسلم متأثراً بالقرآن العظيم، تُوفي قبل سنوات قليلة. ترك الكثير من الدراسات في مختلف المجالات وخاصة في تاريخ الري، وفَنَّدَ في عدد منها ادعاءات الصهيونية العالمية من الناحية التاريخية، ومن مؤلفاته الشهيرة: (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، (في طريقي إلى الإسلام). «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٧٠)».

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) في طريقي إلى الإسلام، (١/ ١٨٣ - ١٨٤).

أمام كلام ربه العظيم. . .

وما لـنا في هذا الصدد إلاَّ أن نتـأمَّل الأوضاعَ في كنائس الـغرب. . . ليتسنى لنا المـقارنة بين الروحية الإسلامـية ونفوذها في المشاعر، في فُـرقَانِها المجيد، وبين مبادئ العقائد الأخرى وكتبها».

٦- **ويوجد مثـال لتأثير القرآن العظيم في نفـوس بعض الغربيين الذين حازوا الشهرة والمال،** وجمع متع هذه الحيـاة الدنيا الزائلة، حتى ظنَّ أنه مِنْ أسـعد الناس، إلى أن سـمع القـرآن العظيم، فـعلم أنه لم يعـرف للسَّعـادة طريقاً، ولم يذق لها طعمـاً يقارب السعادة واللذة التي شعر بهـا عند سماعه للقرآن العظيم، فأعلن إسلامه وأصبح من الدعاة إلى هذا الدِّين، **هذا الرجل هو المغني السابق الـبريطاني المشهـور «كات سـتـيفنز»**[1] الذي قال[2]: «في تلك الفتـرة من حيـاتي - يعني: قبل إسـلامه - بدا لي وكأننـي فعلتُ كلَّ شيء، وحـقَّقتُ لنفـسي النجـاح والشهـرة و(نلت) المال والنسـاء. . . وكل شيء، ولكن كنت مـثل القرد أقفـز من شجـرة إلى أخرى، ولـم أكن قـانعاً أبداً، ولكن كانت قراءة القرآن بمثـابة توكيد لكل شيء بداخلي[3]، كنت أراه حقاً، وكان الوضع مثل موجهة شخصيتي الحقيقية».

---

(١) **كات سـتـيفنز:** المغني السابق، الـبريطاني، النمسـاوي الأصل، المشهور في بلاده شـهرة عظيمة، بِيع من اسطواناته مـا يقدر بمليون نسخة، أسلم عـام (١٣٩٦هـ)، بعد أن عرف القرآن العظيم بواسطة شقيقه، يقضي أغلب وقته الآن في الدعوة إلى الله تعالى.

«انظر: قالوا عن الإسلام، (ص٦٨)».

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها، انظر بالقرآن أسلم هؤلاء، (ص٩١-٩٣).

(٣) هذا تأكيد أنَّ القرآن العظيم «مُذَكِّرٌ» بما استقرَّ في الفطرة.

٧- ومن الأمثلة التي تدل على أثر القرآن العظيم في الفكر العربي الإسلامي ما ذكره المفكر الفرنسي «فنساي مونتاي»[(١)]، حيث يقول:

«إنَّ مَثَلَ الفكرِ العربي الإسلامي المُبعد عن التأثير القرآني، كَمَثَلِ رجل أُفْرِغَ مِنْ دَمِه!»[(٢)].

٨- البريطانية «هوني» والتي شغفتها الفلسفة حباً فأتمت دراستها فيها، تتحدث عن تجربتها الذاتية مع القرآن العظيم، فتقول[(٣)]:

«لن أستطيعَ مهما حاولتُ، أن أَصِفَ الأثَرَ الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أَكَدْ انتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، كانت هذه أول صلاة لي في الإسلام».

٩- و «عامر علي داود»[(٤)] النصراني الهندي الذي أسلم أيضاً، يتحدث عن تجربته مع القرآن العظيم، فيقول: «تناولتُ نُسخةً من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، لأنني عرفتُ أن هذا هو الكتاب

---

(١) **فنساي مونتاي:** فرنسيٌّ، رَجُلُ بَحْثٍ وتِرْحَالٍ، اختصَّ بدراسة القضايا الإسلامية والعربية، عن كثب، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق وأفريقيا وآسيا، ونشر عشرات الأبحاث والكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وانتهى الأمر به إلى إعلان إسلامه في صيف عام (١٩٧٧م). «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٨٨)».

(٢) رجال ونساء أسلموا، (٥/ ٥٠-٥١).

(٣) المصدر نفسه: (١/ ٥٩-٦٠).

(٤) **عامر علي داود:** ينحدر من أسرة هندية برهميَّة، تنصَّرت على أيدي المنصِّرين الَّذين قدِموا مع طلائع الاستعمار، كان كثير القراءة للكتب الدِّينية، ولمَّا أُتيح له أنْ يطَّلع على القرآن العظيم كان الجوابُ هو انتماؤه للإسلام. «انظر: قالوا عن الإسلام، (ص ٥٩)».

المقدَّس عند المسلمين، فشرعْتُ في قراءته وتدبر معانيه.

لقد استقطب جُلَّ اهتمامي، وكَمْ كانت دهشتي عظيمة حين وجدت الإجابة المُقنعة عن سؤالي المُحيِّر (الهدف من الخلق) في الصَّفحات الأُولى من القرآن الكريم... لقد قرأتُ الآيات [٣٠-٣٩] من سورة البقرة ... وهي آياتٌ توضِّح الحقيقةَ بِجَلاءٍ لكل دارسٍ مُنصف... أن هذه الآيات تُخبرنا بكل وضوح وجلاء، وبطريقة مقنعة عن قصة الخَلق»[١].

١٠- «براون» وسرُّ البحر العميق

قرأ «براون»[٢] القرآنَ العظيم حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

وفي هذه الآية إشارة إلى البحر العميق الذي اكتشفه العلماء حديثاً حينما استطاعوا الغوص في أعماق كبيرة حيث الظلام التَّام، والظلمات المتراكبة في تلك البحار، والبرودة الشَّديدة.

وهنا سأل براون أحدَ علماء مسلمي الهند:

هل ركب نبيُّكم محمدٌ البحر؟ فقال: لا. فقال براون: فمن الذي علَّمَه علوم البحار؟ فسأله العالمُ المسلمُ: فماذا تريد من سؤالك هذا؟

---

(١) المصدر نفسه، (٨/١٠٩).

(٢) **براون**: أحد رجال البحرية البريطانية.

قال براون: لقد قرأتُ في كتاب الإسلام آيةً لا يعرفُ أعماقَ ما فيها إلاَّ مَنْ أُوتي علماً واسعاً في علوم البحار، ثم قرأ عليه الآية، وقال: فإذا كان محمد [ﷺ] لم يركب البحر، ولم يتلَقَّ علومَ البحار على أيدي أساتذة متخصِّصين، ولم يدرس في جامعة أو معهد، بل كان أُمياً، فَمَنْ الذي علَّمه هذا العلم النافع؟ إلاَّ أن يكون وحياً صادقاً من خالق الكائنات، فإني أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله(١).

١١- عالِم ألماني وبصمات أصابع اليد.

يقول تعالى: **﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** [القيامة: ٣-٤].

هذه الآية تُشير إلى بصمات الأنامل، وقد كانت سبباً في إسلام عالم ألماني - كما يحكي صاحب تفسير الجواهر عن الرَّحالة محمود سامي أن هذا العالم أدركته رحمة الله تعالى فأسلم، وأعلن ذلك على ملأ من العلماء، ولمَّا سُئل عن سبب إسلامه؟ قال: هذه الآية: **﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** فإن الكشف عن أمر بصمات الأنامل لم تعرفه أوروبا فضلاً عن العرب إلاَّ في زماننا هذا؛ إذن هو كلام الله لا كلام البشر(٢).

وبعد ذلك كله: فلن يستطيع أحد أن يدرك جوانب العظمة والتَّأثير للقرآن العظيم ووقعه في النفوس، ولكن هي مشاعر وأحاسيس توهَّجت في

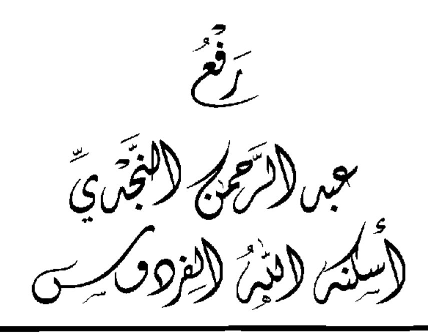
---

(١) انظر: بالإسلام أسلم هؤلاء، (ص١٣٠). تفسير الجواهر، طنطاوي جوهري (٣٠٩/٢٤).

(٢) انظر: مع كتاب الله، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٤٠)، (ربيع الأول ١٣٩٨هـ)، (ص٢٣-٢٧).

نفـوس بعض الذين دخلوا في الإسلام حـديثاً، فـحاولوا التَّـعبـير عنهـا بما يستطيعون، ولـكن أنَّى لهم أن يَصِفُوا حقيقة ذلـك، أو يُدركوا أسرار القرآن وعجائبه، وعظمة تأثيره.





الباب الثاني

عَظمَة فضائِل القرآن

وفيه فصلان

الفصل الأول: عظمة الفضائل العامّة.

الفصل الثاني: عظمة الفضائل المفصّلة.

تمهيد

معنى «فضائل القرآن»:

جاءت لفظة «الفضيلة» في اللُّغة لعدَّة معانٍ، نأخذ منها ما يدلُّ على المقصود:

* الفضيلةُ: ضِدُّ النَّقِيصة. وهي كذلك الدَّرجةُ الرفيعة في الفَضْل[(١)].

* «وفَضيلةُ الشيءِ: مزيتّه أو وظيفَتُه التي قُصِدَتْ منه.

يُقال: فضيلةُ السَّيفِ إحكامُ القَطْعِ، وفضيلةُ العَقْلِ إِحكامُ الفِكْرِ.

والجَمعُ فضائل»[(٢)].

* والفضائل: هي المزايا غير المتعدِّية[(٣)].

* وجاء في الدُّعاء عند النِّداء قوله ﷺ: «**آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ**» الحديث[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث:[(٥)] « (والفضيلة)

---

(١) انظر: لسان العرب، (١١/ ٥٢٤)، مادة: «فضل».

(٢) المعجم الوسيط، (ص ٦٩٣)، مادة: «فضل».

(٣) انظر: فضائل القرآن للنسائي، تحقيق: سمير الخولي، (ص١١). قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية، تحقيق: د. سليمان القرعاوي، (ص ٨-١٠).

(٤) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدُّعاء عند النداء، (١/ ١٩٩)، (ح ٦١٤).

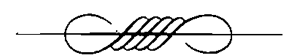
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢/ ١٢٥).

أي: المرتبة الزَّائدة على سائر الخلائق، ويحتمل: أن تكون منزلة أخرى أو تفسيراً للوسيلة».

وإن المتتبِّع لغالب المعاجم اللغوية في معنى كلمة «فضائل» أو «فضيلة». يجد نوعاً من الاضطراب في المعنى أحياناً، أو نُدرةً في بيان المقصود والإفصاح عنه، أو استطراداً يُشتِّت الذِّهن ولا يفي بالغرض المطلوب، وهذا هو السَّبب الرَّئيس في الاقتصار على ما ذُكر في التَّعريف اللغوي لكلمة «فضائل».

ومع هذا يمكن أن نخلص إلى تعريف لـ «فضائل القرآن» بأنها: «المزايا التي جاءت في ثواب تلاوة القرآن وتعلُّمه وتعليمه وحفظه وتدبُّره والعمل به عموماً، أو المزايا التي جاءت في بعض السُّوَر والآيات، أو ما يحصل لقارئه من الأثر المترتِّب على ذلك في الدُّنيا والآخرة»[1].

أو نُعَرِّفَ «فضائل القرآن» بعبارة أدق وأوجز بأنها: «المزايا التي خُصَّتْ بها بعضُ السُّوَر أو الآيات مِنَ الأَجْرِ والأَثَرِ العاجلِ أو الآجِلِ».



(١) انظر: قاعدة في فضائل القرآن، لابن تيمية، تحقيق: د. سليمان القرعاوي، (ص ٨-١٠).



الفصل الأول
عَظمَة الفضائِل العامَّة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الآيات الدَّالة على عظمة فضائل القرآن.

المبحث الثاني: الأحاديث الدَّالة على عظمة فضائل القرآن.

المبحث الثالث: آثارُ السَّلَفِ المبينة لعظمة فضائل القرآن.

المبحث الأول
الآيات الدَّالة على عظمة فضائل القرآن

وفيه عشرة مطالب

المطلب الأول: القرآن كَلامُ اللَّه المُنزَّل.

المطلب الثاني: القرآن شرفٌ للعرب خاصةً وللأُمَّةِ عامةً.

المطلب الثالث: القرآن يهدي للتي هي أقوم.

المطلب الرابع: القرآن كتابٌ مُبارك.

المطلب الخامس: القرآن تبيانٌ لكل شيءٍ.

المطلب السادس: القرآن فَضْلُ اللَّهِ المُفْرِح لعباده.

المطلب السابع: القرآن هدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

المطلب الثامن: القرآن بصائر للمؤمنين.

المطلب التاسع: القرآن نور.

المطلب العاشر: القرآن حياةٌ للمستجيبين له.

تمهيد

القرآن العظيم هو كتاب الله المبين، والتنزيل الحكيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلقد أُحكمت آياته ثم فصِّلت من لدن حكيم خبير؛ ليُخرج الله بها الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صرط مستقيم، وهو الحقُّ القاطع والنور الساطع المستقيم، والمنهج القويم الذي فرض الله على العباد أن يؤمنوا به، ويهتدوا بهديه، وينتهجوا سبيله، ويلزموا طريقه في الأقوال والأعمال، وسائر الشؤون والأحوال، ولم ينزل ليكون سِفراً في التاريخ أو العلوم أو الأدب أوغيرها من المعارف الإنسانية، وإنما نزل لهداية البشرية جمعاء، ويُعد أدق وثيقة سماوية بين يدي المجتمع البشري.

وبهذا يفضل القرآنُ سواه من الكتب السَّماوية، ويتقدَّم على غيره من الكتب المُنزَّلة، فله فضائله التي أبرزت عظمتَه ومكانتَه وقدرَه، وهذا ما سنتناوله في هذه المطالب:

المطلب الأول
القرآن كلام اللَّه المُنزَّل

كفى بالقرآن العظيم فضلاً وشرفاً أنه كلام العليم الحكيم تبارك وتعالى منه بدأ وإليه يعود، قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٦]. تفيد هذه الآية الكريمة أن القرآن المتلوَّ

المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة، وليس هو حكاية لكلام الله.

وإضافته إلى الله عزَّ وجلَّ تدلُّ على أنه صفةٌ له قائمةٌ به، وليست كإضافة البيت أوالناقة؛ فإنها إضافة معنى إلى الذَّات.

ودلَّت هذه الآية أيضاً على أن القرآن منَّزلٌ من عند الله، بمعنى أن الله تكلَّم به، وقد تلقَّاه جبريل عليه السَّلام، فنزل به، وأدَّاه إلى رسول الله ﷺ كما تلقَّاه من الربِّ جلَّ شأنه[١].

وفي هذه الآية الكريمة كذلك «حُجَّةٌ صريحة، لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافهُ إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها»[٢].

فمن فضل القرآن أنه كلام ربِّ العالمين غير مخلوق، كلامُ مَنْ ليس كمثله شيء، وصفةُ مَنْ ليس له شبيه ولا ند، ولولا أن الله تعالى جعل في قلوب عباده من القوة ما مكَّنها من حمله لتتدبَّره وتعتبر به وتتذكَّر ما فيه من طاعته، وعبادته، وأداء حقوقه وفرائضه، لعجزت القلوب عن حمله، بل لتضعضعت منه، وأنى لها أن تُطيقه والله تعالى يقول: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ [الحشر: ٢١] فأين قوة القلوب من قوة الجبال؟ ولكن الله رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلاً منه ورحمة[٣].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس (ص١٥٣-١٥٤).

(٢) تفسير السعدي (٢/ ٢٢٦).

(٣) انظر: التذكار في أفضل الأذكار، (ص٤٥).

المطلب الثـــاني
القرآن شَرَفٌ للعرب خاصةً وللأُمَّة عامةً

لقد كان العـرب يعيشون في جاهليـة جهلاء، حيث عمَّـهم الفساد من نواحٍ شتى في العقيدة والعبادة والأحكام والسُّلوك والنُّظُـم الاجتماعية، فانتقل بهم القرآن من أمة بلغت مِنَ التَّخلف والجـهل والسُّوء أقصاه إلى أمة تسنَّمت ذروة المجد والكمـال فكانت خير أمة أخـرجت للنـاس فاعتـزُّوا وسادوا على جميع الأمم.

فللقرآن العظيم أكبـر الفضل على العرب خاصـة، في نيل هذه المَنْقَبة، وبلوغ هذه المرتبـة، فقد حَـفظَ كيانهم ووجـودهم حين حفظ لغـتهم، **ولولا فَضْلُ اللَّه تعالى على العرب بالقرآن لبادوا كما بادت أمم كثيرة.**

بل مَـدَّ القرآنُ العظيم سلطانَ العـربيـة إلى حيث بلغ في مناطق الدُّنـيا كآسيا وأفريقيا وأوروبا (الأندلس) وغيرها فأصبحت اللغة العربية لغة الحضارة والمدنيَّة، وأصبح كلُّ مسلم يشعر أن العربية لغته إذْ إنَّ القرآن قد نزل بها.

فالقرآن الكريم إذاً هو أعظم وسيلة لتعريب الشُّعوب الأعجمية، ولنشر أفكار المسلمين وثقافتهم بين مئات الملايين من الناس غير العرب.

والمسلمون - ولاسيما العربُ منهم - مدعوون في الوقت الحاضر لإنقاذ العالم بقرآنهم العظيم من تكالب الأحزاب المادية المتـصارعة لاستذلاله ونهب خيراته، كما أنقذوه بالأمس من سيطرة الإمبراطوريات الطَّبقية[١].

---

(١) انظر: من أسرار عظمة القرآن، د. سليمان بن محمد الصغير (ص١١-١٣).

وقد وردت ثلاث آيات تدلُّ صراحةً على أنَّ القرآن شرف وفخر للعرب خاصَّة وللأمة عامة، وهي على النحو التالي:

١- قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

قال القرطبي رحمه الله:(١) «يعني القرآن شرفٌ لك ولقومك من قريش، إذْ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم؛ نظيره: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم. فالقرآن نزل بلسان قريش وإيَّاهم خاطب؛ فاحتاج أهل اللُّغات كلها إلى لسانهم، كُلُّ مَنْ آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم؛ لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشرُفُوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سُمِّي عربياً».

ونصُّ الآية - كما ذكر المفسِّرون - يحتمل أحد مدلولين:

١- أن القرآن تذكير للنَّبي ﷺ ولقومه وسيُسألون عنه يوم القيامة، فلا حجَّة لهم بعد التذكير.

٢- أن القرآن يرفع ذِكْرَكَ وذِكْرَ قومك. وهذا ما حدث حقاً.

فأمَّا رَفْعُه لذكره ﷺ فإن مئات الملايين من أَلْسن المؤمنين تلهج بالصلاة والسَّلام عليه، وتذكره ذكر المحبِّ المشتاق آناء الليل وأطراف النهار منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ومئات الملايين من القلوب تخفق بحبِّه منذ ذلك الزمن البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١٦/ ٩٣).

وأمَّا رَفْعُه لذكر قومه فقد جاءهم هذا القرآن والناس لا يعبؤون بهم بل يزدرونهم ويعدونهم من سقط المتاع، فجعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ هذه البشرية، فقد واجهوا به الدُّنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال الزمن الذي استمسكوا فيه به[١].

٢- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

فقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، أي شرفكم، وفخركم، وارتفاعكم، فإذا امتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم.

فإن المؤمنين بالرسول ﷺ، والذين تذكَّروا بالقرآن، من الصحابة فَمَنْ بعدهم، حصل لهم منه الرفعة والعلو الباهر، والصِّيت العظيم، والشَّرف على الملوك، ما هو معلوم لكل أحد[٢].

ولقد كان ذكر العرب ومجدهم بالقرآن حين حملوا رسالته فشرَّقوا به وغرَّبوا، فلم يكن لهم ذكر قبله.

ولا يملك العربُ من زاد يقدمونه للبشرية سوى هذا الزاد، ولا يملكون من منهج يقدمونه للإنسانية سوى هذا المنهج، فالبشرية لم تعرفهم إلاَّ بكتابهم وعقيدتهم وسلوكهم المستمد من ذلك الكتاب وهذه العقيدة، لم تعرفهم لأنهم عرب فحسب. فذلك لا يساوي شيئاً في تاريخ البشرية[٣].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٦/ ٣١٩١).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٣/ ٢٦٩).

(٣) انظر: المصدر السابق، (٤/ ٢٣٧٠).

٣- قوله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ [سورة ص: ١].

قال السعدي رحمه الله:[١] «أي: **ذي القَدْر العظيم، والشَّرف**، المُذَكِّرِ للعبـاد، كل ما يحتاجـون إليه من العلم، بأسماء الله وأفـعاله، ومن العلم، بأحكام الله الشرعية، ومن العلم، بأحكام المعاد والجزاء. فهو مُذكِّر لهم، في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يُحتاج إلى ذكـر المُقسَم عليه، فإنَّ حقيقـة الأمر، أنَّ المقسـم به وعليه شيء واحد، وهو: هذا القرآن، المـوصوف بهذا الوصف الجليل. فإذا كان القرآن بهذا الوصف، عُلِمَ أن ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة...».

بعد هذا كله فمـاذا عسانا أن نقول في فضل كتـاب أنقذ الله به أمةً من جاهلية جـهلاء، وضلالةٍ عمياء، دأبهم السَّلب والنَّهب، ومـعبودهم الأوثان والحجـارة، وديدنهم توارث العداوات والأحـقاد، فجـعلهم الله به خيـر أُمَّة أُخرجت للناس.



(١) تفسير السعدي، (٤/ ٢٧٩).

المطلب الثالث
القرآن يهدي للتي هي أقوم

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

«ذَكَرَ جَلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنَّ هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السَّماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً بربِّ العالمين جلَّ وعلا، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي يهدي للطَّريقة التي هي أسدُّ وأعدل وأصوب، . . .

وهذه الآية العظيمة أجمل اللَّه جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبَّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة»[١].

والقرآن «يهدي للتي هي أقوم من هُدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٢].

ففيه إيماءٌ إلى ضمان سلامة أُمَّة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم»[٢].

فكلُّ حال هي أقوم في العقائد والأخلاق والأعمال، والسِّياسات، والصِّناعات، والأعمال الدِّينية والدُّنيوية، فإن القرآن العظيم يهدي إليها ويأمر بها ويحثُّ عليها.

---

(١) أضواء البيان، (٣/ ٣٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، (١٤/ ٣٣).

فأمَّا العـقائد: فإن عقائد القـرآن هي العقائد النافعة التي فـيها إصلاح القلوب وغذاؤها وكـمالهـا؛ لأنها تملأ القلوب محـبةً لله وتعظيـماً له وإنابة إليه.

وأمَّا الأخلاق: فإنه يدعـو إلى التَّحلِّي بكل خلق جميل، من الـصَّبر والحلم والعفـو، وحسن الخلق، والآداب، وجمـيع مكارم الأخلاق، ويحث عليها بكل طريق، ويرشد إليها بكل وسيلة.

وأمَّا الأعمـال الدِّينية: فإنه يهدي إلـى أحسنها من القيـام بحقوق الله وحقوق العباد، على أكمل الحالات وأجلِّها، وأسهلها وأوصلها إلى المقاصد.

وأمَّا السِّياسـات الدِّينية والدُّنيوية: فهو يرشد إلى سلوك الطُّرق النافعة في تحصيـل المصالح الكلية ودفع المفاسـد، ويأمر بالتَّشاور على مـالم تتَّضح مصلحته، والعمل بما تقـتضيه المصلحة في كلِّ وقت، بما يناسب ذلك الوقت والحال، حتى في سياسة العبد مع أولاده وأهله وأصحابه ومعامليه.

فلا يمكن أن توجد حالة يتفق العقلاء أنها أقوم من غيرها وأصلح، إلاَّ والقـرآن يُرشـد إليهـا نصـاً أو ظاهراً أو دخـولاً تحت قـاعدة مـن قواعـده الكلية[1].

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم هدايته إلى حلِّ المشكلات العالمية بأقوم الطُّرق وأعدلها[2].



(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص ١٤٦-١٤٧).
(٢) انظر: أضواء البيان، (٣/ ٤١٢).

المطلب الرابع
القرآن كتاب مبارك

وَصَفَ اللَّه تعالى كتابه العظيم بأنه مبارك في أربعة مواضع، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٢- وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٣- وقوله ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٤- وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

والبركة هي ثبوت الخير ودوامه، وكثرته وزيادته، وهذا شأن القرآن العظيم(١).

وهذا ما أكَّده العلاَّمة ابن القيم رحمه الله بقوله:(٢) «وهو [القرآن] أحقُّ أن يُسمَّى مباركاً من كلِّ شيء؛ لكثرة خيره ومنافعه، ووجوه البركة فيه». ولأنه اشتمل على منافع الدَّارين، وعلوم الأوَّلين والآخرين(٣).

---

(١) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع (ص٤٥ -٤٦).

(٢) جلاء الأفهام، (ص١٧٨).

(٣) انظر: روح المعاني، (٧/ ٢٢١).

بل «فيه كُلُّ هدى من ضلالة وشفاءٌ من كل داء، ونور يستضاء به في الظلمات. وفيه كلُّ حُكم يحتاج إليه المكلَّفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طَرَقَ العالَمَ، منذ أنشأه الله»[(١)].

فالقرآن مباركٌ في أصله لأنه كلام الله، ومبارك في حامله - جبريل عليه السَّلام - ومبارك في محلِّه - قلبِ رسول الله ﷺ - ومبارك في حجمه ومحتواه، فإنْ هو إلاَّ صفحات قلائل بالنسبة لضخامة الكتب التي يكتبها البشر، لكنه يحتوي في كلِّ آية منه ما لا تحتويه عشرات من هذه الكتب الضِّخام، ومبارك في تلاوته، ومبارك في علومه ومعارفه، ومبارك في معانيه ودلالاته، ومبارك في آثاره، ومبارك في أهدافه الواقعية[(٢)].

وهذا ما أكَّده أيضاً العلاَّمة ابن عاشور رحمه الله بقوله:[(٣)] «وَوَصْفُ القرآن بالمبارك يعمُّ نواحي الخير كلها لأن البركة زيادة الخير؛ فالقرآن كلُّه خير من جهة بلاغة ألفاظه وحُسنها، وسرعة حفظه، وسهولة تلاوته، وهو أيضاً خير لما اشتمل عليه من أفنان الكلام والحكمة والشَّريعة واللطائف البلاغية، . . . وبذلك اهتدت به أمم كثيرة في جميع الأزمان، وانتفع به مَنْ آمنوا به وفريق ممن حُرِموا الإيمان.

فكان وَصْفه بأنه مبارك وافياً على وصف كتاب موسى عليه السَّلام بأنه فرقان وضياء».

---

(١) تفسير السعدي، (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ١١٤٧)، لطائف قرانية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص١٥-١٦).

(٣) التحرير والتنوير، (١٧/ ٦٦ - ٦٧).

وحينما نُوازن بين القرآن والتَّوراة في الحجم نجده أصغر منها، ولكن إذا تأمَّلنا البركةَ التي في القرآن فسنجدها بركةً لا تنتهي؛ فكلُّ يوم يُعطي القرآنُ المباركُ عطاءً جديداً، ولا تنقضي عجائبه، ويقرأه النـاس فيفهم هذا منه معنى، وآخَرُ يفهم معنى جديداً. وهذا دليلٌ على أنَّ قائله تعالى حكيم، وَضَعَ في الشَّيء القليل الفائدةَ الكثيرة. فهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ**﴾ [ص: ٢٩]. وكلُّ كتاب سَبَقَ هذا الكتاب المبارك له زمن محدود، وعصر محدود، وأُمَّة محدودة، أمَّا القرآن فهو يُواجِه - منذ أن أنزله الله تعالى إلى قيام الساعة - قضايا متجدِّدة يَضَعُ لها حلولاً مناسبة.

وقد جاء القرآن المبارك متوافقاً مع طموح البشرية، وحضارتها وارتقائها في العقول، لذلك كان له السَّبْق دائماً في مواجهة هذه الأمور التي يحتاجها البشر في كل مكان وزمان ولا يكون ذلك إلاَّ إذا كان مباركاً[(١)].

فنرجوا اللهَ تعالى القريبَ المجيبَ أن تغمرنا بركات هذا الكتاب العظيم المبارك في الدُّنيا والآخرة، إنه سميع عليم.



المطلب الخامس
القرآن تبيانٌ لكل شيء

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

«قال ابن مسعود رضي الله عنه: وقد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (٧/ ٤٠٠٨ - ٤٠٠٩).

شيء. وقال مجاهد رحمه الله: كل حلال وحرام.

وقول ابن مسعود أعمُّ وأشمل؛ فإنَّ القرآن اشتمل على كلِّ علم نافع مِنْ خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحُكْمِ كلِّ حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم»[1].

فالقرآن حوى كثيراً من علوم الدنيا - مصداقاً لقول ابن مسعود رضي الله عنه - **تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارة، أو إيماءً**. ولا يزال البحث العلمي في علوم الإنسان، والحيوان، والنبات والثمار، والأرض، والبحار، والفضاء، والأفلاك، والظَّواهر الكونية والأرضية يتوصَّل إلى معلومات حديثة مهمة، ذَكَرَها القرآن العظيم قبل قرون طويلة، مما جعل كثيراً من الباحثين الكفار يؤمنون ويهتدون. فكلُّ ما يحتاج إليه البشر لإصلاح حالهم ومعادهم موجود في القرآن[*].

بيَّن ذلك ابن عاشور رحمه الله بقوله:[2] «و ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يفيد العموم؛ إلاَّ أنه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشَّرائع: من إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدنيّ، وتبيُّن الحقوق، وما تتوقَّف عليه الدَّعوة من الاستدلال على الوحدانية، وصِدْقِ الرسول ﷺ، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدَّقائق الكونية، ووَصْفِ أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤/ ١٠٦).

(*) ولا يعني ذلك الاكتفاء بالقرآن عن السنة النبوية؛ لأن مَنْ اتَّبع القرآن، وعمل بما فيه لابد أن يأخذ السنة، ويعمل بما فيها؛ ذلك أن القرآن أحال على السنة في كثير من المواضع، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

(٢) التحرير والتنوير، (١٣/ ٢٠٣-٢٠٤).

التاريخ، وما يتخلّل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم.

وفي خلال ذلك كله أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأنْ تكون بياناً لكل شيء على وجه العموم الحقيقي إن سُلِكَ في بيانها طريق التفصيل واستُنير فيها بما شرح الرسول ﷺ وما قفَّاه به أصحابه وعلماء أمَّته، ثم ما يعود إلى الترغيب والترهيب من وَصْف ما أُعدَّ للطائعين وما أعدَّ للمعرضين، ووصف عالم الغيب والحياة الآخرة.

ففي كل ذلك بيان لكل شيء يقصد بيانه للتَّبصُّر بهذا الغرض الجليل، فيؤول ذلك العموم العرفي بصريحه إلى عموم حقيقي بضمنه ولوازمه. وهذا من أبدع الإعجاز»(*).



المطلب السادس
القرآن فَضْلُ اللَّه المُفْرِح لعباده

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «فَضْلُ الله»: القرآن «ورحمتُه» أن جعلكم من أهله.

(*) للاستزادة في هذا الموضوع راجع: أضواء البيان، (٣/٣٠٦ - ٣١٥)، فقد ذكر مبحثاً طويلاً منقولاً من الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، يتضمن أن في القرآن كل شيء يحتاج إليه الخلق، ثم ذكر نماذج أخرى في هذا الشأن.

وقال قتادة رحمه الله: «فَضْلُ الله» القرآن. «ورحمتُه»: الإسلام.

فقد ندب الله تعالى للفرح بهذا القرآن الذي جاءهم بالهدى ودين الحق، وهو أعظم نعمة ومنة تفضَّل الله بها على عباده ﴿**هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ من متاع الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة.

وقد فقه الصَّحابة ﷺ هذه الآية كلَّ الفقه ولم تغرُّهم الدنيا ومتاعها الفاني «لمَّا قُدِّمَ خَرَاجُ العراق إلى عمر ﷺ، خرج عُمَرُ ومولى له فجعل عمر يعد الإبل، فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى، ويقول مولاه: هذا والله من فضل الله ورحمته. فقال عمر: كذبتَ. ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ وهذا مما يجمعون»[(١)].

ذاك هو فقه الصَّحابة ﷺ في النظر إلى الأشياء وتحديد قيمتها، لقد أنار القرآنُ العظيم حياتَهم وجعلهم يؤثرون ما يبقى على ما يفنى، فاختاروا ما رَضِيَهُ الله لهم.

كانوا يعدُّون الفَضْلَ الأوَّل والرَّحمة الأُولى، هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى. فأمَّا المال والثراء الذي يأتيهم من الله تعالى فهو تابع لذلك.

فالأرزاق الدنيوية، والقيم المادية، ليست هي التي تحدد مكان الناس في الحياة الدنيا فضلاً عن مكانهم في الحياة الأخرى، فهذه الأرزاق الدُّنيوية يمكن أن تصبح من أسباب شقوة البشرية - لا في الآخرة المؤجلة فحسب، ولكن في هذه الحياة الواقعة - كما نشاهده اليوم في حضارة المادة الكالحة!

فبهذا الفضل الذي آتاه الله عباده، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم،

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤/ ٢٨٩).

فبذلك وحده فليفرحوا فهذا هو الذي يستحق الفرح[١].

«وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته؛ لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى وقوتها، وشدَّة الرغبة في العلم والإيمان، الدَّاعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود.

بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم.

كما قال تعالى عن قوم قارون له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

وكما قال تعالى، في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل، المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]»[٢].



المطلب السابع
القرآن هدى ورحمة وبشرى للمسلمين

قال تعالى عن القرآن أنه: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

«وخَصَّ بالذِّكر الهدى والرَّحمة والبُشرى لأهميتها:

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٣/ ١٧٩٩ - ١٨٠١).

(٢) تفسير السعدي، (٢/ ٣٢٧).

فالهدى: مايرجع من التِّبيان إلى تقويم العقائد والأفهام والإنقاذ من الضلال.

والرَّحمة: ما يرجع منه إلى سعادة الحياتين الدُّنيا والأخرى.

والبُشرى: ما فيه من الوعد بالحُسنيين الدُّنيوية والأُخروية .

وكل ذلك للمسلمين دون غيرهم؛ لأنَّ غيرهم لَـمَّا أعرضوا عنه حَرموا أنفسهم الانتفاع بخواصِّه كلِّها»[١].

وهذا ما أكَّده العلاَّمة الشنقيطي رحمه الله بقوله[٢]: «**وَيُفْهَمُ من دليل خطاب هذه الآية الكريمة - أي مفهوم مخالفتها : أنَّ غير المسلمين ليسوا كذلك.**

وهذا المفهوم من هذه الآية صرَّح به جلَّ وعلا في مواضع أُخر، كقوله: **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾** [فصلت: ٤٤].

وقوله: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾** [الإسراء: ٨٢] . . . إلخ».

«فللَّه الحمد والشُّكر والثَّناء، على أنْ جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونوراً، وتبصرة وتذكرة، وعبرة وبركة، وهدى وبشرى للمسلمين.

فإذا عُلِمَ هذا، علم افتقار كل مُكلَّف لمعرفة معانيه والاهتداء بها.

---

(١) التحرير والتنوير، (١٣/ ٢٠٤).

(٢) أضواء البيان، (٣/ ٣١٥).

وكان حقيقاً بالعبد أن يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في تعلُّمه وتفهُّمه بأقرب الطُّرق الموصلة إلى ذلك»[(١)].



المطلب الثامن
القرآن بصائر للمؤمنين

قال الله تعالى عن القرآن: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

البصائر: جمع بصيرة وهي التي يظهر بها الحق، **والآية فيها تنويه بشأن القرآن، وأنه خير من الآيات التي يسألونها**[(٢)].

لأنه يجمع بين الدَّلالة على صِدْق الرسول بواسطة دلالة الإعجاز وصدوره عن الأمي، وبين الهداية والتعليم والإرشاد، والبقاء على مَرِّ العصور.

وإنما جمع «البصائر»؛ لأنَّ القرآن أنواع من الهدى على حسب النواحي التي يهدي إليها، من تنوير العقل في إصلاح الاعتقاد، وتسديد الفهم في الدين، ووضع القوانين للمعاملات والمعاشرة بين الناس، والدَّلالة على طرق

---

(١) تفسير السعدي، (١/ ١٢).

(٢) كان أهلُ مكَّةَ يسألون النَّبيَّ ﷺ الآياتِ تعنُّتاً، فإذا تأخَّرتْ اتَّهموه وقالوا: لولا اجْتَبَيْتَها؟ أي: هلاَّ أحدثْتَها وأنشأْتَها من عندك؟ وهو الذي ذَكَرَهُ اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

«انظر: تفسير البغوي، (٢/ ٢٢٥)».

النَّجاح والنَّجاة في الدُّنيا، والتَّحذير من مهاوي الخسران.

وأفرد الهدى والرحمة: لأنهما جنسان عامان يشملان أنواع البصائر، فالهدى يقارن البصائر، والرَّحمة غاية للبصائر، **والمراد بالرحمة**: ما يشمل رحمة الدنيا - وهي استقامة أحوال الجماعة وانتظام المدنيَّة - ورحمة الآخرة - وهي الفوز بالنعيم الدَّائم - كقوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

وفي الآية تعريضٌ بأنَّ غير المؤمنين ليسوا أهلاً للانتفاع بالقرآن[١].

وهناك فرق بين البصر والبصائر:

فالبصر من الأمور الحسية وهو مهمة العين، لكن هناك أموراً معنوية لا تكشفها إلاَّ البصيرة، وجمعها بصائر، ويسمَّى صاحب هذه الرؤية المعنوية: صاحب بصيرة؛ لأنها تضيء القلب بالنور حتى يستكشف تلك الأمور المعنوية، ولا يمتلك القلبُ البصيرةَ حتى يكون مشحوناً باليقين الإيماني.

والقرآن العظيم بصائر؛ لأنه يعطي ويمنح مَنْ يؤمن به ويتأمَّله بصائر ليَجدَ الأمور المعنوية وقد صارت مُبْصَرَةً، وكأنه قادر على رؤيتها ومشاهدتها وكأنها عينُ اليقين.

فالخلاصة: إن القرآن رحمةٌ لكلِّ الناس، **وهدًى** لمن يسأل عن الدَّليل، **وبصائرُ** لمن تيقَّن أصولَ الإيمان[٢].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٨/ ٤٠٩ - ٤١٠).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، (٨/ ٤٥٤١).

المطلب التاسع
القـــرآن نـــور

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

سُمِّي القرآن نوراً؛ لأنه يُضيء الحقَّ ويُحيل ظلمات الجهل والشك والشرك والكفر والأخلاق السَّيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة.

قال ابن عاشور رحمه الله:[(١)] «و (الظلمات والنور) استعارة للكفر والإيمان؛ لأن الكفر يجعل صاحبه في حيرة فهو كالظلمة في ذلك، والإيمان يرشد إلى الحق فهو كالنور في إيضاح السبيل. وقد يستخلص السَّامع من ذلك تمثيل حال المنغمس في الكفر بالمتحير في ظلمة، وحال انتقاله إلى الإيمان بحال الخارج من ظلمة إلى مكان نيِّر».

إذاً فالغاية التي أُنزل من أجلها القرآن العظيم، هي إخراج هذه البشرية من ظلمات الوهم والخرافة والتَّقاليد الجاهلية وظلمات الحيرة إلى نور التوحيد والحق والثبات، ولا تسل عمَّا يكون في دنيا الناس من فسادٍ ودمارٍ إذا حكمتهم أهواؤهم وضلوا السبيل.

ومن أجل إنقاذ الناس وهدايتهم قد جاءهم من الله نور وكتاب مبين؛

---

(١) التحرير والتنوير، (١٢/٢١٦).

لمصلحتهم في الدنيا والآخرة والله غني عن العالمين، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وَنُوْرُ القرآنِ العظيم جاء مِنْ أمْرٍ حسِّي؛ لأن النور يمنع الإنسان مِنْ أنْ يتعثَّرَ في مشيه أو يخطئَ الطَّريق أو أن يصطدم بالأشياء فيؤذيها وتؤذيه.

فالنور الموجود في القرآن هو حقائق القيم(١).



المطلب العاشر
القرآن حياةٌ للمستجيبين له

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالحياة النافعة تحصل بالاستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وإن كانت له حياة بهيمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

قال قتادة رحمه الله في قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ هو هذا القرآن، فيه الحياة والثِّقة والنَّجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

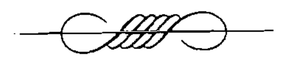
---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (٥/٢٨٧٦).

فالحيـاة الحقيقية الطَّيـبة إذاً هي حياة مَنْ استـجاب لله والرسول ظاهراً وباطناً. هؤلاء هم الأحـيـاء وإن ماتوا، وغـيرهم أمـوات وإن كـانوا أحيـاء الأبدان. ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فأكمل الناس حيـاة أكملهم استجابة لهذا القرآن، ففـيه الحياة الكاملة، ومَنْ فاته جـزء من الاستـجابة للقـرآن فقد فـاته جزء من الحـياة الحقـيقـية الكاملة(١).

فهذه بعض فضائل القرآن عند مُنزِّله سـبحانه وتعالى، أما فضائله التي جاءت على لسـان مُبلِّغه ﷺ فكثيـرة جداً، وسيكون الحديث عن بعـضها بإيجاز في المبحث الثاني بعون الله تعالى.



(١) انظر: الفوائد، (ص٨٨).

المبحث الثاني
الأحاديث الدَّالة على عظمة فضائل القرآن

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: فَضْلُ القرآن على سائر الكلام.

المطلب الثاني: المُتَمَسِّكُ بالقرآنَ لن يَضِلَّ ولن يَهْلَكَ أبداً.

المطلب الثالث: القرآن حَبْلُ اللَّه الممدود من السَّماء إلى الأرض.

المطلب الرابع: شفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة.

جاءت أحاديث كثيرة عن المصطفى ﷺ تتحدَّث عن فضائل القرآن الكريم، وسيكون الكلام عن بعض الأحاديث النبوية المباركة التي بيَّنت فضائل القرآن العظيم بصورة إجمالية، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول
فَضْلُ القرآن على سائر الكلام

إنَّ فضل القرآن العظيم على سائر ما أنزل الله تعالى من الكتب السابقة وما أوحى إلى أنبيائه أجمعين منذ آدم عليه السَّلام إلى خاتم النبيين ﷺ هو فَضْلٌ لا يُقَدَّرُ ولا يُقاس.

نجد ذلك في قوله ﷺ «**إنَّ فَضْلَ كَلامِ اللَّهِ على سائرِ الكلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ على خَلْقِه**»(١).

«وذلك لأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو صفة من صفاته تعالى، وصفاتُه تعالى كما يليق بكماله وعظمته لا تُشبه صفات البشر، فلذلك كان التَّقرب إليه بكلامه الذي هو صفة لازمة له من أعظم القربات والله أعلم»(٢).

وما دام القرآن كلام الله تعالى فهو أفضل من كلِّ شيء، وأعظم من كلِّ شيء، وأحبُّ إلى الله تعالى من كل شيء، فإنَّ المشتغل به - تلاوةً وتدبراً وعملاً - في دائرة الرِّضى والقرب من الله تعالى.

---

(١) أخرجه ابن كثير في: «فضائل القرآن»، (ص٢٠٢).
وحسَّنه مُحقِّقه: (أبو إسحاق الحويني) بعدد مِنَ الشواهد.
(٢) فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة، لمحمد موسى نصر (ص٩٢).

فلا أحد يقدر على إحصاء الأفضال العظمى، والمنن الكبرى التي امتن الله بها على خلقه، بإنزال هذا الكتاب الذي امتاز على سائر ما أنزل الله عزَّ وجلَّ من الكلام أو ما أوحى به.

فما بالك إذا قيس بسائر الكلام من كلام المخلوقين مما ليس بوحي؟![(١)].

المطلب الثاني
المُتَمَسِّكُ بالقرآن لن يَضِلَّ ولن يَهْلَكَ أبداً

عن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ هذا القرآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيديكُم، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلَكوا، وَلَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً**»[(٢)].

فهذه بُشرى عظيمة مِنَ البشير النَّذير ﷺ لِمَنْ تَمسَّك بالقرآن العظيم تلاوةً وتدبراً وعملاً واستشفاءً وتحاكماً إليه، يُبَشِّرُ فيها ﷺ بالنَّجاة في الآخرة، وعدم الهلاك مع مَنْ هلك، بسبب كفره الأكبر لتركه الإيمان بالقرآن، أو كفره الأصغر لتركه العمل بالقرآن مع إيمانه به.

ويُبَشِّرُ فيها كذلك بالاستقامة والثبات على دين الله في الدنيا، وعدم الضلال مع مَنْ ضَلَّ، بسبب عدم الإيمان بالقرآن، أو ترك العمل به.

---

(١) انظر: أنوار القرآن، (ص٥٠-٥٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، (١/٣٢٩). (ح ١٢٢). والطبراني في الكبير، (٢/١٢٦)، (ح ١٥٣٩) عن جبير، و (٢٢/١٨٨)، (ح ٤٩١) عن أبي شريح الخزاعي.
وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/٦٩)، (ح ٣٤).

فالْمُتَمَسِّكُونَ بالقرآن العظيم مَـوصُولون بالله تعالى؛ لأن طرف القرآن بيد الله تعالى وطرفه الآخر بأيديهم، وبِقَـدْرِ تمسكهم بالقرآن العظيم تكون نجاتهم وعدم هلاكهم في الآخـرة، واستقامتهم وعـدم ضلالهم في الدنيا، والعكس بالعكس.

فالمقصود الأعظم من التَّمسك بالقرآن هو العمل به، واتِّباع كلِّ ما أمر به والانتهاء عَمَّا نهى عنه، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه.

ومِنْ هنا فإن العـمل بالقرآن العظيم هو الأصل والهـدف وهو الغاية من تنزيله.



المطلب الثالث
القرآنُ حَبْلُ اللَّهِ الممدود من السَّماءِ إلى الأرض

١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قـال: «**ألاَ وإني تَاركٌ فـيكُمْ ثَقَلَيْن: أَحَدُهُما كتَابُ اللَّه عَزَّ وَجلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّه، مَنْ اتَّبَعَهُ كان علىَ الهُدى، وَمَنْ تَرَكَهُ كان علىَ ضَلالَةٍ**»[(١)].

* **وسبب تسمية الكتاب والسنة ثَقَلَيْن:**
* لعظمهما، وكبر شأنهما.
* وقيل: لثقل العمل بهما[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في صحـيحه، كتـاب فضائل الصحابة، باب من فـضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، (٤/ ١٨٧٤)، (ح ٢٤٠٨).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ١٧٥).

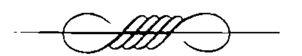
٢- وقال أيضاً ﷺ : «أَمَّا بَعْدُ، أَلاَ يا أَيُّها النَّاسُ، إِنَّما أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَأُجِيبُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتابُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فيه الهُدَى والنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّه تعالى، واسْتَمْسِكُوا بِهِ»[(١)]. فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه.

٣- وقال أيضاً ﷺ : «كِتَابُ اللَّهِ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ»[(٢)].

ومعنى «حبل اللَّه الممدود»:

* قيل: عهده.
* وقيل: السَّبب الموصل إلى رضاه، ورحمته.
* وقيل: هو نوره الذي يهدي به[(٣)].

فالقرآن العظيم إذاً هو حبل معنوي متين ممدود من السَّماء إلى الأرض، وهو أوثق عُرى من الحبل المادِّي والحسِّي؛ لأنَّـه نور الله تعالى، يُوصل عباده المتمسكين به إلى رضاه ورحمته. نسأل الله تعالى أن نكون منهم.



(١) رواه أحمد في المسند (٣٢/ ١١)، (ح ١٩٢٦٥)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم». وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢١٥). والدارمي (٣٣١٦). وعبد بن حميد عن زيد بن أرقم. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١/ ٢٨٦)، (ح ١٣٥١).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٤). وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٧٦)، (ح٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٢٨٦)، (ح ٤٤٧٣). والسلسلة الصحيحة: (٢٠٢٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ١٧٦).

المطلب الرابع
شفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة

هذا القرآن العظيم الذي صحبه المسلم في الدُّنيا تلاوةً وتدبراً وتأثُّراً وعملاً فقام به الليالي وأنفق فيه زهرة عمره وجعله شغله الشَّاغل وهمَّه الدَّائب، واتَّخذ منه الصَّاحب والمأنس والملجأ، لا يتخلَّى عمَّن صحبه في الدنيا فيشفع له عند ربِّه تعالى.

١- **القرآن والصِّيام يشفعان:** عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «**الصِّيَامُ والقُرآنُ يَشْفَعَانِ للعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَة، يَقُولُ الصِّيامُ: أَيْ رَبِّ، منعتهُ الطَّعامَ والشَّهوات بالنَّهار، فَشَفِّعْنِي فيه، ويَقُولُ القرآنُ رَبِّ مَنَعْتهُ النَّومَ بِاللَّيلِ فَشَفِّعْنِي فِيْه، فَيُشَفَّعَانِ**»[(١)].

٢- **بل القرآن ينهض وحده شفيعاً:** عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَؤوا القُرآنَ، فَإِنَّهُ يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِه**»[(٢)].

فالله تبارك وتعالى بفضله وكرمه يأذن للقرآن أن يشفع يوم القيامة لأصحابه الذين كانوا يُكثرون من تلاوته وتعلُّمه والعمل به في الدنيا، كما يأذن للصِّيام بالشَّفاعة للصائمين الصادقين.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٤). والطبراني في الكبير (٣/ ١٨١ مجمع). والحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٤) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي. والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩٩٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٧٢٠)، (ح٣٨٨٢). والمشكاة: (١٩٦٣). وصحيح الترغيب: (٩٧٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (١/ ٥٥٣)، (ح٨٠٤).

٣- أبعاد الشَّفاعة: وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ: «**القرآنُ شَافعٌ مُشَفَّعٌ**[(١)] **وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ**[(٢)]، **مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إلى الجَنَّة، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إلى النَّارِ**»[(٣)].

فالمراد بقوله ﷺ: «**مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ**» أي بالعمل به «**قَادَهُ إلى الجَنَّة**»، «**ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ**» بترك العمل به «**سَاقَهُ إلى النَّارِ**» والعياذ بالله[(٤)].

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشاطبي[(٥)] رحمه الله:[(٦)]

---

(١) تكرَّر ذِكر الشَّفاعة في الحديث، وهي السُّؤال في التَّجاوز عن الذُّنوب، يقال: شفع يشفع شفاعةً فهو شافع وشفيع، والمُشَفِّعُ: الذي يَقْبَلُ الشَّفاعةَ، والمُشَفَّعُ: الذي تُقْبَلُ شفاعتُه.
«انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: «شفع»، (٢/ ٤٨٥)».

(٢) «ماحل مُصَدَّق» أي: خصم مجادل مصدق. وقيل: ساع مصدق، مِنْ قولهم: محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان. والمعنى: أنَّ مَنْ اتَّبع القرآن وعمل بما فيه فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به.
«انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: «محل»، (٤/ ٣٠٣)».

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ١٦٧ إحسان). والبيهقي في الشعب (٢/ ٢٠١٠) عن جابر. والطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٨)، (ح ١٠٤٥٠). وأبونعيم في الحلية (٤/ ١٠٨). وابن عدي في الكامل (٣/ ١٢٧) عن ابن مسعود.
وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٨١٨)، (ح٤٤٤٣). والصحيحة: (٢٠١٩).

(٤) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم، (ص٨٩ - ٩٠).

(٥) هو القاسم بن فِيُّرُه - ومعناه بلغة عَجَمَ الأندلس: الحديد - بن خلف بن أحمد الشَّاطبي الرُّعيني الأندلسي، ولد ضريراً سنة (٥٤٨هـ) بشاطبة، من الأندلس، كان أُعجوبةً في الذَّكاء، كثيرَ الفنون، غايةً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، شافعي المذهب. قال ابن خِلِّكان: «كان إذا قُرِئَ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تُصحَّح النُّسخ من حِفْظِه». توفي بمصر سنة (٥٩٠هـ).
«انظر ترجمته بتوسع في مقدمة كتابه: حرز الأماني ووجه التَّهاني في القراءات السبع، (ص ٣ - ١٠)».

(٦) حِرْزُ الأماني ووجه التَّهاني في القراءات السبع، (ص١٢).

«وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وأَغْنَى غَنَاءً وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدادُ فِيهِ تَجَمُّلا
وَحَيْثُ الفَتَى يَرْتَاعُ في ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ القَبْرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاَ
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً ... وَمِنْ أَجْلِهِ في ذِرْوَةِ العِزِّ يُجْتَلاَ».

وإذا كان كلُّ تاجر قد ربح من وراء تجارته؛ فإنَّ صاحب القرآن من وراء كلِّ تجارة رابحة؛ ذلك لأنَّ القرآن العظيم سيأخذ بيده إلى الجنة، ويحجزه عن النار ويدافع دونه عند ربِّ العالمين، ويرفعه في عليِّين، اللهم اجعل القرآن شفيعاً لنا يوم نلقاك يا أرحم الراحمين.

وبعد ما تقدَّم ذكره فماذا نقول في فَضْلِ كتاب ختَمَ الله به الكتب، وَجَثَتْ له الركب، ونهل منه العلماء، وارتوى من مشربه الأدباء، وذلَّت له القلوب.

ذلكم القرآن الكريم: كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، ناط به كلَّ سعادة؛ لأنه رسالته الخالدة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السَّابغة، ومعجزته الدَّائمة.

ولا يمكن لأحد من البشر أن يستقصي فَضْلَ القرآن وفضائله، ولو فَعَلَ ما استطاع، ولو قُدِّرَ أَنْ يستطيعَ ما اتَّسعت لذلك صُحُفُ الأرض كلِّها، ولفنيت الأقلام دونه، وعجزت العقول ولو اجتمعت عن الإحاطة بذلك، فتكتفي منه بما يقوم بأودها كما يكتفي الرَّضيع ويشبع من بضع رضعات، والله المستعان وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلاَّ به[(١)].

---

(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص١٢٤- ١٢٥).

المبحث الثالث
آثار السَّلف المبينة لعظمة فضائل القرآن

وفيه

ذِكْرٌ لبعض الآثار المنقولة عن السَّلف الصَّالح
في فضائل القرآن.

تمهيـــــد

إنَّ فضائل هذا الكتاب العظيم ودلائل عظمته تفوق الحصر، ومهما قال الصَّحـابة أو التَّابعـون أو حاول العلماء أن يُظهـروا من فضـائل هذا الكتاب العزيز، وبيان عظمته، فلن يأتوا إلاَّ بالقليل.

وهذه بعض الآثار المنقـولة عن السَّلف الصَّالـح تبين شيـئاً من فضـائل القرآن العامـة وعظمته. **سأذكـرها تحت عنوان تدلُّ عليه اجتـهاداً منِّي، ودُون تعليق عليهـا؛ لأنها من الوضوح بمكان، إلاَّ ما اقـتضى الحال بيانه أو أهمـيَّته،** وهي على النحو الآتي:

١- القرآنُ مأْدُبَةُ اللَّهِ عزَّوجَلَّ.

* عَنْ عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «إنَّ هذا القُرآنَ مَأْدُبَةُ الله فتعلَّموا منْ مـأْدُبَته مـا استَطعـتُمْ، إنَّ هذا القـرآنَ هو حَبْلُ الله، هو النُّورُ الشَّـافي، وعِصْمةٌ لمنْ تَمسَّـكَ به، ونَجاةٌ لِمَنْ تَبعَهُ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ولا يَزيغُ فـيُسْتَعْتَبُ ولاَ تَنْقَضِي عَجائِبُهُ، ولا يَخْلَقُ منْ كَـثْرةِ الرَّدِّ، فاتْلُوهُ فإنَّ الله تعالى يأْجُرُكُمْ على تِلاَوتِه بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إنِّي لا أَقُولُ (ألم) ولكن (أَلِفٌ) و

(لامٌ) و (ميمٌ)»[١].

قال القرطبي رحمه الله:[٢] «يقال: مَأْدُبَة ومَأْدَبَة. فَمَنْ قال: مَأْدُبَة أراد الصَّنِيعَ يصنعه الإنسانُ فيدعو إليه الناس، ومَنْ قال: مَأْدَبَة فإنه يذهب به إلى الأدب بجعله مَفْعَلَة... وكان الأحمر يجعلهما لُغتين بمعنى واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره. **والتفسير الأول أَعْجَبُ إليَّ**».

* وقال ابنُ مَسْعُود ﷺ أيضاً: « لَيْسَ مِنْ مُؤَدِّبٍ إلاَّ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى أَدَبُهُ، وَإِنَّ أَدَبَ اللهِ الْقُرْآنُ»[٣].

* وعن أبي الأَحْوَصِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ»[٤].

«يعني مَدْعاتَه، شَبَّه القرآنَ بِصَنِيع صَنَعَهُ الله للناسِ لهم فيه خَيرٌ ومنافعُ»[٥].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، (١/ ٧٤١)، (رقم ٢٠٤٠) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». والطبراني في المعجم الكبير، (٩/ ١٣٠)، (رقم ٨٦٤٦). وعبد الرزاق في مصنفه، (٣/ ٣٧٥)، (رقم ٦٠١٧). وابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ١٢٥)، (رقم ٣٠٠٠٨). والفريابي في فضائل القرآن، (ص١٥٣)، (رقم ٤١). والدارمي في سننه، (٢/ ٣٠٥)، (رقم ٣٣١٥).

(٢) التذكار في أفضل الأذكار، (ص٤٧). والأحمر: هو الأحمر الباهلي، من علماء اللغة.

(٣) رواه الدَّارَمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَنْ قرأ القرآن، (٢/ ٣٠٦)، (رقم ٣٣٢١). وأبو عبيد في فضائل القرآن، (ص٥١).

(٤) رواه الدارمي في سننه، الكتاب نفسه، والباب نفسه، (٢/ ٣٠٦)، (رقم ٣٣٢٢). والفريابي في فضائل القرآن، (ص١٦٦)، (رقم ٥٩).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٣٠).

٢- البشارة لمن يُحِبُّ القرآن.

عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ القُرْآنَ فَلْيَبْشِرْ»[١].

٣- القرآن لا يَضِلُّ ولا يَشْقَى مَنْ اتَّبَعَهُ.

عن ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال: «ضَمِنَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ لا يَضِلُّ في الدُّنْيَا ولا يَشْقَى في الآخِرَةِ، ثُمَّ قَرأَ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»[٢].

فهو في أمان من الضَّلال والشَّقاء باتباع هدى الله، والشَّقاء ثمرة الضَّلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة في الدُّنيا وشقوة في الآخرة، وما مِنْ متاع حرام إلاَّ وله غصَّة تعقبه وحسرة تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله إلاَّ ويتخبط في القلق والحيرة[٣].

٤- استِدْراجُ النُّبُوَّةِ في أهلِ القرآن.

عن عَبْدِ الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: «مَنْ جَمَعَ القُرآنَ فَقَدْ حَمَلَ أمْراً عظيماً، لقَدْ أُدْرِجَت النُّبُوَّةُ بين كَتِفَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحى إليه.

---

(١) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، (٢/٣٠٦)، (رقم ٣٣٢٣، ٣٣٢٤).

(٢) رواه الرازي في كتاب فضائل القرآن وتلاوته، بابٌ في أنَّ القرآن لا يضل ولا يشقى من اتبعه، (ص١١٩)، (رقم ٨٤) وقال محققه (د. عامر حسن صبري): «إسناده حسن».
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٧/١٣٦)، (رقم ٣٤٧٨١). والحاكم في المستدرك، (٢/٤١٣)، (رقم ٣٤٣٨) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٣٥٥).

ولاَ يَنْبَـغي لِحَـامِلِ القُرْآن أن يَجِـدَ مَعَ مَنْ يَجِـدُ، ولا يَجْـهَلَ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ، لأَنَّ القُرآنَ في جَوْفِهِ»[(١)].

٥- أهلُ القرآن غَبَطَهم الأنبياءُ.

عن الأعمشِ عن خَيْثَمَةَ بنِ عبدِ الرحمن قال: « مَرَّتْ امرأةٌ بعيسى ابن مريمَ عليهما السَّلامُ فَقالتْ: طُوبَى لِحجْرٍ حَمَلَكَ ولِثَـدي رَضَعْتَ منه، فقالَ عيسى ابن مريمَ صلواتُ الله عليه: طُوبَى لِمَنْ قَرأَ القُرْآنَ ثُمَّ عَمِلَ بِه»[(٢)].

٦- لا يُتَقَرَّبُ إلى اللَّه بشيءٍ أحبَّ إليه مِنْ كَلامِه.

عن خَبَّـابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ قال: «إنِ اسْـتَطَعْتَ أَنْ تَتَـقَرَّبَ إِلى الله،

---

(١) رواه الرازي في كتاب فـضائل القرآن وتلاوته، بابٌ في استـدراج النبوة في أهل القرآن، (ص٩٢)، (رقم ٥٢) وقـال محـقـقه: «إسناده حـسن». ورواه الحـاكم في المستـدرك، (١/ ٧٣٨)، (رقم ٢٠٢٨) وقال: «صـحيح الإسناد ولم يخرجـاه» وأقره الذهبي. ورواه ابن أبي شـيبة في مـصنفه، (٦/ ١٢٠)، (رقـم ٢٩٩٥٣). والآجُرِّي في أخلاق حـملة القرآن، (ص٢٦)، (رقم ١٠).

(٢) رواه الرازي في كتـاب فضائل القـرآن وتلاوته، بابٌ في أن أهل القرآن غَبَطَهم الأنبـياء، (ص٩٤)، (رقم ٥٥، ٥٦) وقال محققه: «إسناده صحيح إلى خيثمة بن عبد الرحمن».
وقال أيضاً : «وله شاهدان صحيحان:
الأول: رواه أبو عبيد في فضائل القرآن، (ص٢٤) بإسناده إلى إبراهيم النخعي.
والثاني: رواه البيهقي في شعب الإيمان، (٤/ ٥٩٦) بإسناده إلى عبد الله بن مسعود».
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ٣٤٠)، (رقم ٣١٨٧٨) والآجُرِّي في أخلاق حملة القرآن، (ص٤٠)، (رقم ١٩).

فَإِنَّكَ لا تَتَقَّربُ إليه بشيءٍ أَحَبَّ إليه مِنْ كَلامه»[١].

٧- القرآنُ حَبْلُ اللَّه تعالى.

عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. قال: «حَبْلُ الله: القُرْآنُ»[٢].

وقال أيضاً: «إِنَّ هَذَا الصِّرَاطَ مُحْتَضَرٌ، تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، يُنَادُونَ: يَا عَبْدَ الله هَذَا الطَّرِيقُ! فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ؛ فَإِنَّ حَبْلَ اللهِ القُرْآنُ»[٣].

٨- القرآنُ فيه زيادةُ الأجرِ والإيمان.

عن قتادة رحمه الله قال: «ما جَالَسَ القُرْآنَ أحدٌ فَقَامَ عَنْهُ إلاَّ بِزِيَادَةٍ أو

---

(١) رواه الرازي في كتاب فضائل القرآن وتلاوته، بابٌ في ألاَّ يتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه، (ص١٠٩)، (رقم ٧٣) وقال محقِّقه: «إسناده حسن».
ورواه الحاكم في المستدرك، (٢/٤٧٩)، (رقم ٣٦٥٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/١٣٥)، (رقم ٣٠٠٩٨). والبخاري في خلق أفعال العباد، (١/٤١)، (رقم ٧٨). وأبوعبيد في فضائل القرآن، (ص٣٢).

(٢) رواه الرازي في فضائل القرآن وتلاوته، باب في أن القرآن حبل الله، (ص٧٢)، (رقم ٢٩). وقال محقِّقه: «إسناده صحيح». ورواه الطبراني في المعجم الكبير، (٩/٢١٢)، (رقم ٩٠٣٢). والسيوطي في الدر المنثور، (٢/٢٨٤) وعزاه إلى: سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر والطبراني.

(٣) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، (٢/٣٠٥)، (رقم ٣٣١٧).

نُقْصَانٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] (١).

٩- مَنْ أَحَبَّ القرآنَ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّه ورسولَه.

عن ابنِ مَسْعُود رضي الله عنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَه فلْيَنْظُرْ، فَإِنْ كان يُحِبُّ القُرآنَ، فَهُوَ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَه ﷺ» (٢).

١٠- في القرآن خَبَرُ الأَوَّلين والآخرين.

عن عبدِ الله بنِ مَسْعُود رضي الله عنه قال: «إذا أَرَدْتُمْ العِلْمَ فَأَثِيرُوا (٣) القُرآنَ، فَإِنَّ فيه خَبَرَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ» (٤).

١١- نِعْمَ الشَّفيعُ القرآن.

عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «اقْرَؤوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ نِعْمَ الشَّفِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّهُ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا رَبِّ، حَلِّهِ حِلْيَةَ الْكَرَامَةِ،

---

(١) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن، (٢/ ٣١١)، (رقم ٣٣٤٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (٩/ ١٣٢)، (رقم ٨٦٥٧). وأبو عبيد في فضائل القرآن، (ص٢١-٢٢). وابن كثير في فضائل القرآن (ص ٤٨) وقال محققه (أبوإسحاق الحويني): «سنده صحيح». وقال الهيثمي في المجمع، (٧/ ١٦٥): «رجاله ثقات».

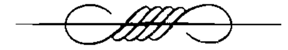
(٣) أي: لينقر عنه وليفكر في معانيه.

(٤) رواه أبوعبيد في فضائل القرآن، باب فضل علم القرآن والسعي في طلبه، (ص ٩٦).
والهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ١٦٥) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح».

فَيُحَلَّى حِلْيَةَ الْكَرَامَة، يَا رَبِّ، اكْسُهُ كِسْوَةَ الْكَرَامَة، فَيُكْسَى كِسْوَةَ الْكَرَامَة يَا رَبِّ، أَلْبِسْهُ تَاجَ الْكَرَامَة، يَا رَبِّ، ارْضَ عَنْهُ، فَلَيْسَ بَعْدَ رِضَاكَ شَيْءٌ»(١).

١٢- القرآنُ مِيراثُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

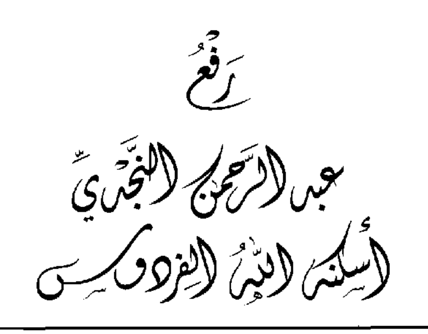
عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مَرَّ بسوقِ المدينةِ فوقف عليها فقال: «يا أهلَ السوق! ما أعجزَكم!» قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: «ذاك ميراثُ رسولِ الله ﷺ يُقْسَم، وأنتم ها هنا؛ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟» قالوا: وأين هو؟ قال: «في المسجد»، فخرجوا سراعاً، ووقف أبوهريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: «ما لكم؟» فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجدَ فدخلنا فيه، فلم نَرَ فيه شيئاً يُقسم! فقال لهم أبوهريرة: «وما رأيتم في المسجد أحداً؟» قالوا: بلى؛ رأينا قوماً يُصَلُّون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلالَ والحرامَ، فقال لهم أبو هريرة: «ويحكم! فذاكَ ميراثُ محمدٍ ﷺ»(٢).



(١) رواه الدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، (٢/ ٣٠٣)، (رقم ٣٣١١). وأبو عبيد في فضائل القرآن، (ص٨٣). وابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ١٣٠)، (رقم ٣٠٠٤٧)، والترمذي، (٥/ ١٧٨)، (رقم ٢٩١٥) وصححه.

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط »، (٢/ ١١٤)، (رقم ١٤٢٩). والمنذري في الترغيب والترهيب، كتاب العلم، باب الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه، (رقم ١٧) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن».

وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١/ ١٤٤)، (رقم ٨٣): «حسن موقوف».



الفصل الثـــاني
عظمة الفضائل المفصَّلة

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: فضائل استماع القرآن.

المبحث الثاني: فضائل تعلُّم القرآن وتعلُيمه.

المبحث الثالث: فضائل تلاوة القرآن.

المبحث الرابع: فضائل حفظ القرآن.

المبحث الخامس: فضائل العمل بالقرآن.

المبحث الأول
فضائل استماع القرآن

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: استماع القرآن سبب لرحمة اللَّه عزَّ وجلَّ.

المطلب الثاني: استماع القرآن سبب لهداية الإنس والجن.

المطلب الثالث: استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين.

المطلب الرابع: استماع القرآن سبب لزيادة الإيمان.

تمهيد

إذا كان القرآن العظيم يُتعبَّد بتلاوته، فإنه أيضاً يُتعبَّد بسماعه، وكان رسول اللَّه ﷺ يُحب أن يَسمع القرآن من غيره، وأمر عبدَ الله بن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن وهو يستمع له، فخشع لسماع القرآن منه، حتى ذرفت عيناه الشَّريفتان ﷺ كما سيأتي معنا لاحقاً.

وطَلَبُ استماع القراءة من القارئ حَسَنِ الصَّوت الذي يجيد التِّلاوة أمر متفق على استحبابه، وهو عادة الأخيار، والصالحين من سلف هذه الأمة، فللتلاوة المُتقَنَة أكبر الأثر في فهم معاني القرآن، لكن لابد من تقييد ذلك بهدي رسول الله ﷺ عند الاستماع من الإنصات، والاستجابة لها ثم التدبر الذي يزيل الغشاوة، ويحرك القلوب للعمل .

أما ما يفعله بعض الناس عند سماعهم للقرآن من رفع الأصوات وقولهم: «الله» أو ما أشبه ذلك مما هو معلوم، فهو بدعة منكرة وصارفة عن فهم وتدبر القرآن العظيم والانتفاع بمواعظه[١].

وفضائل استماع القرآن العظيم كثيرة ومتنوعة، سيكون الحديث عن أهمها من خلال المطالب الآتية:

---

(١) انظر: فقه قراءة القرآن الكريم، لسعيد يوسف، (ص٤٩).

المطلب الأول
استماع القرآن سبب لرحمة الله عزَّ وجلَّ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

لقد أمر الله سبحانه عباده بالاستماع للقرآن والإنصات له لينتفعوا به ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح وليتوصلوا بذلك إلى رحمة الله تعالى.

«قال الليث: يقال: **ما الرَّحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛** لقول الله جَلَّ ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. و «لَعَلَّ» - من اللَّه - واجبة»(١).

أي: لعلكم تنالون الرحمة وتفوزون بها بامتثال أمر الله تعالى.

«**والفرق بين الاستماع والإنصات:** أن الإنصات في الظاهر، بترك التَّحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يُلقي سمعَه، ويُحضر قلبَه، ويتدبر ما يسمع.

فإنَّ مَنْ لازَمَ على هذين الأمرين، حين يُتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه. ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما.

فدلَّ ذلك، على أن مَنْ تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يَسْمَع له ولم يُنصِت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير»(٢).

---

(١) تفسير القرطبي، (١/ ٢٣).

(٢) تفسير السعدي، (٢/ ١٨٥).

وليس هناك سبب نزول يُخَصِّصُ الآيَةَ بالصلاة المكتوبة وغير المكتوبة، ذلك أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب. والأقرب أن يكون ذلك عاماً لا يُخَصِّصه شيء، فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له - حيثما قُرِئ - هو الأليق بكتاب الله العظيم، وبجلال قائله سبحانه.

وإذا قال اللهُ تعالى، أفلا يستمع الناس وينصتون؟! ثم رجاء الرحمة لهم: ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ فما الذي يُخَصِّصه بالصلاة؟ وحَيْثُما قُرِئَ القرآن، واستمعتْ له النفس وأنصتت، كان ذلك أرجى لأن تعي وتتأثر وتستجيب؛ فكان ذلك أرجى أن تُرْحَمَ في الدنيا والآخرة جميعاً.

والناس يخسرون الخسارة التي لا يعارضها شيء بالانصراف عن هذا القرآن العظيم، وإنَّ الآيَةَ الواحدة لتصنع أحياناً في النفس - حين تسمع لها وتُنصت - أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والطمأنينة والراحة، والنقلة البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة، مما لا يدركه إلاَّ مَنْ ذاقه وعَرَفَه[1].

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الاجتماع للقرآن وتدارسه واستماعه له فوائد عظيمة وجليلة، منها حصولهم على رحمة الله تعالى، في قوله ﷺ: **«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْت منْ بُيُوت اللَّه، يَتْلُونَ كتَابَ اللَّه، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ المَلائكَةُ، وَذَكَرَهُم اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**[2].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٣/ ١٤٢٥ - ١٤٢٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (٤/ ٢٠٧٤)، (ح ٢٦٩٩).

المطلب الثاني
استماع القرآن سبب لهداية الإنس والجن

لقد بَيَّنَ الله تعالى أن القرآن العظيم مصدر الهداية في الدنيا والآخرة، ومن تمسك به تلاوةً واستماعاً وتدبراً وعملاً فلن يضل ولا يشقى، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٩].

واستماع القرآن خاصة من الأعمال الصالحة الجليلة التي بَشَّرَ القرآنُ أصحابَها بالهداية، ووَصَفَهم بأنهم أصحاب عقول سليمة وراشدة، في قوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

هذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسن الأقوال، و ﴿**الْقَوْلَ**﴾ في الآية جنس، يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول، ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره، مما ينبغي اجتنابه.

ولا شَكَّ أَنَّ أحسن القول على الإطلاق هو كلام الله تعالى، ثم كلام رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا**﴾ [الزمر: ٢٢]. وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله تعالى هذا القرآن العظيم.

وهنا فائدة مهمة وهي: أنه تعالى لَـمَّا أخبر عن هؤلاء الممدوحين، أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنَّ سائلاً يسأل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه، حتى نَتَّصِفَ بصفات أُولي الألباب، وحتى نعرف أَنَّ مَنْ آثَرَهُ على غيره فهو مِنْ أولي الألباب؟

قيل له: نعم، أَحْسَنُه ما نَـصَّ اللهُ تعالى عليه بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ الآية.

فهؤلاء الذين يستمعون القرآن العظيم ويتَّبعونه هم الذين هداهم اللَّه تعالى لأحسن الأخلاق والأعمال الظاهرة والباطنة، وهؤلاء هم أُولوا العقول الزكيـة. ومِنْ لُبِّهم وحزمـهم، أنهم عرفوا الحَسَنَ وغيرَه، وآثروا مـا ينبغي إيثاره على ما سواه.

وهذا علامـة العقل، بل لا علامـة للعقل، سـوى ذلك، فإن الذي لا يُميز بين حَسَنِ الأقوالِ وقبيحـها، ليس من أهل العقول الصحيحة. أو الذي يُميز، لـكن غلبت شهوتُه عَقْلَه، فـبقى عقلُه تابعاً لهـا، فلم يؤثر الأحسن، كان ناقِصَ العقل(١).

ولذلك جعل اللَّه تعـالى سماع القرآن العظيم من أسـباب هداية الكفار ودخولهم في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وكذلك جعل اللَّه تعالى استماع الـقرآن سبباً لهداية الجن ودخولهم في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِـيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَـعَ نَفَـرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَـالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْـدِي إِلَى الرُّشْـدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

فهـؤلاء نفر من الجن أراد الله تعـالى لهم الخير فـصرفـهم إلى رسوله ﷺ، لسماع القـرآن الكريم، ولتقوم عليهم الحجة، وتتم عليـهم النعمة،

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٣١٥).

ويكونوا منذرين لقومهم. وذلك: أنهم لمَّا حضروه قالوا: أنصتوا. فلما أنصتوا، فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين ومبشرين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الأحقاف: ٢٩-٣٠].



المطلب الثالث
استماع القرآن سبب لخشوع القلب وبكاء العين

المؤمنون عند تلاوتهم لكتاب الله تعالى أو استماعهم له تخشع قلوبهم وتذرف عيونهم، يُقبلون على ربهم راغبين راهبين، ومن ذنوبهم مستغفرين، وفي رضاه طامعين، ومن غضبه وعقابه وَجِلين.

ذلك كان شأن الصحابة -ﷺ- عند استماعهم وتلاوتهم للقرآن العظيم وقدوتهم في ذلك نبينا محمد ﷺ إمام الخاشعين الذي قال عنه ابن مسعود ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ

شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]. قالَ لِي: «كُفَّ، أَوْ أَمْسِكْ» فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ[(١)].

وعند مُسلم: قـال ابنُ مسعود رضي الله عنه: رَفَعْتُ رَأْسِـي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ. وفي رواية: فَبَكَى[(٢)].

«قال ابن بطَّال[(٣)]: **يحتـمل أَنْ يكون أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَه من غـيره ليكون عَرْضُ القرآن سُنَّةً**، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونَفْسُه أخلى وأنشط لذلك من القـارئ؛ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها»[(٤)].

ومن الفـوائد التي ذكـرها النووي[(٥)] رحـمـه الله عند شرحـه لهـذا الحديث: «**اسـتحـبـابُ استـمـاعِ القراءة، والإصـغـاءِ لهـا، والبكاء عندها،**

---

(١) رواه البخـاري في صحـيحـه، كتاب فـضائل القـرآن، باب: البكاء عند قـراءة القرآن، (٣/ ١٦٢٧)، (ح ٥٠٥٥). وباب: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمِعَ القـرآن مِنْ غَيره، (٣/ ١٦٢٥)، (ح٥٠٤٩).

(٢) رواه مسلم في صـحيحه، كـتاب صلاة المسـافرين وقصرهـا، باب فضل استمـاع القرآن وطلب القراءة مِنْ حافظ للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبر، (١/ ٥٥١)، (ح ٨٠٠).

(٣) هو عليُّ بن خلف بـن عبـد الملك بن بطَّال الـبكري، القـرطبي، المالكي، ويُعـرف بابن اللجام (أبو الحسـن). محدِّث، فقيـه، استقضي بحصن لورقـة، وتوفي في آخر يوم من صفر سـنة (٤٤٩هـ). من آثـاره: «شرح الجامع الصـحيح للبخاري» في عدة أسفـار، و «الاعتـصام في الحديث». «انظر: سيـر أعلام النبلاء، (١١/ ١٥٩). مـعجم المؤلفين، (٢/ ٤٣٨)».

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ١١٧).

(٥) هو يحيى بن شـرف بن مري بن حسن (أبو زكـريا)، الفقيه الـشافعي الدِّمشـقي الحافظ الزَّاهد القدوة، ولد سنة (٦٣١هـ)، كـان يقرأ في كل يوم اثني عشر درسـاً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، من تصانيـفه: «شرح صحيح مسـلم»، و «المجمـوع شرح المهـذب»، و «الأذكار»، و «رياض الصالحين»، و «الـتقريب والتيسـير» في مختـصر الإرشاد، توفي سنة (٦٧٦هـ). «انظر: شذرات الذهب، (٥/ ٣٥٤)».

وتدبُّرِها، واستحبابُ طلبِ القراءةِ من غيرِه ليستَمِعَ له، وهو أبلغُ في التفهم، والتدبر من قراءته بِنَفْسِه، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم»[1].

وهذه هي سنة الأنبياء وطريقتهم جميعاً عليهم السلام عند استماعهم لكلام الله تعالى وآياته تفيض أعينهم بالدموع، وتخضع وتخشع قلوبهم وتتأثر من كلام الرحمن جلَّ جلالُه، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

فهؤلاء الأنبياء العظماء من أبرز صفاتهم أنهم إذا سمعوا آيات الله تعالى تتلى عليهم تأثروا تأثراً عظيماً، يحصل منه لبعضهم البكاء والسجود، ولبعضهم قشعريرة الجلود ولين القلوب والجلود كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. و ﴿بُكِيًّا﴾ جمع باك[2].

عن أبي مَعْمَرٍ قال: قَرَأَ عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه سورة مريم، فَسَجَدَ، وقال: هذا السُّجودُ، فأين البُكِيُّ؟ يريد البكاء[3].

فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام وَمَنْ معهم مِمَّنْ هدى الله تعالى واجتبى من الصالحين من ذريتهم، صفتهم البارزة إذا استمعوا لآيات الرحمن تتلى

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٣٢٩).

(٢) انظر: أضواء البيان، (٤/ ٣٣٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٣ -٧٤)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٧)، ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في الشعب عن عمر رضي الله عنه.

عليهم ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ لأنهم أتقياء أصحاب قلوب حية، ترتعش قلوبهم لذلك، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عَمَّا يُخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض أعينهم بالدموع ويخرون لعظمة الله وكلامه سجداً وبكياً [(١)].

وهذه هي صفة أهل العلم كذلك، أنهم إذا استمعوا لكلام الله تعالى تأثروا فبكوا وزادهم ذلك خشوعاً وعلماً ويقيناً، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

قال القرطبي رحمه الله: [(٢)] «هذه مبالغةٌ في صفتهم ومَدْحٌ لهم وَحُقَّ **لكل من تَوَسَّمَ بالعلم وحَصَّل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويَذِل**. وفي مسند الدَّارمي أبي محمد عن التَّيْمِيِّ قال: مَنْ أُوتي من العلم مالم يُبْكِه لَخَلِيقٌ ألاَّ يكون أوتي علماً [ينفعه]؛ لأن الله تعالى نَعَتَ العلماءَ، ثم تلا هذه الآية[(٣)]. ذكره الطبري[(٤)] أيضاً[(٥)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/ ٢٣١٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١٠/ ٣٤٧ - ٣٤٨). وانظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٤٧١)، وابن كثير (٥/ ١٣٤).

(٣) رواه الدَّارمي في سننه، كتاب المقدمة، باب مَنْ قال: العلمُ الخشيةُ وتقوى الله، (١/ ٨٥)، (رقم ٢٩١).

(٤) هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطَّبري، الإمام العلاَّمة القارئ، المحدِّث، المفسِّر، المؤرِّخ، الفقيه صالح التَّصانيف، ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ)، أَلَّف كتُباً لم يُصنَّف مثلها ومنها: «تفسيره جامع البيان»، و «تهذيب الآثار»، و «تاريخ الأمم والملوك»، توفي ببغداد سنة (٣١٠هـ). «انظر: طبقات المفسرين، (٢/ ١١٠)».

(٥) في جامع البيان، (١٥/ ١٢١).

والأذقان جمع ذَقْن، وهو مجتمع اللَّحْيين. وقال الحسن: الأذقان عبارة عن اللِّحى، أي يضعونها على الأرض في حال السجود، وهو غاية التواضع».



المطلب الرابع
استماع القرآن سبب لزيادة الإيمان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢].

«ووجه ذلك: أنهم يُلقون له السَّمع، ويُحضرون قلوبَهم لتدبره فعند ذلك، يزيد إيمانهم»(١). فهؤلاء المؤمنون عند استماعهم لآيات القرآن العظيم يُلقون إليها الأسماع في إصغاء وخشوع، وأدب وخضوع، وتفكر واعتبار.

فسماع القرآن العظيم «حاد يَحدُو القُلوبَ، إلى جوار عَلاَّمِ الغَيوب، وسائقٌ يَسوقُ الأرواحَ إلى ديار الأفراحِ، ومحرِّكٌ يُثيرُ ساكنَ العَزَمَات، إلى أعلى المَقامات وأرفَعِ الدَّرَجات، ومُنَادٍ يُنادي للإيمان، ودَليلٌ يَسيرُ بالرَّكبِ في طريقِ الجِنَان، وداعٍ يَدعُو القُلُوبَ بالمساءِ والصَّباحِ، من قِبَل فَالقِ الإصباحِ: حَيَّ عَلى الفَلاحِ، حَيَّ على الفَلاحِ.

فَلَم يَعدم من اختارَ هذا السَّماعَ إرشاداً لحُجَّة، وتَبصرةً لعبرة، وتذكرةً لمعرفة، وفكرةً في آية، ودلالةً على رشد، ورَدّاً على ضَلالة، وإرشاداً من غَيٍّ، وبَصيرةً من عمىً، وأمراً بمصلحةٍ، ونَهْياً عن مَضَرَّةٍ ومَفسَدةٍ، وهِدَايةً

---

(١) تفسير السعدي، (٢/ ١٨٨).

إلى نُورٍ، وإخراجاً من ظُلمَةٍ، وزَجراً عَن هوىً، وحَثّاً على تُقىً، وجَلاءً لبصيرةٍ، وحياةً لقَلبٍ، وغذاءً ودَواءً وشفاءً، وعصمةً ونَجاةً، وكَشفَ شُبهَةٍ، وإيضاحَ بُرهانٍ، وتَحقيقَ حقٍّ، وإبطالَ باطلٍ.

فمن قُرِئَ عليه القرآنُ، فَليُقدِّر نَفسَه كأنَّما يَسمَعُه من اللَّه يُخاطبُه به، وعندئذ تَزدَحمُ معاني المسموعِ ولطائفُه وعَجَائبُه علَى قلبِه، فَما شِئتَ مِن عِلمٍ وحِكمة، وبَصيرةٍ وهدايةٍ، فيزدادُ حَثّاً لنَفْسه، وسَفراً إلى الغاية المقصودة بالمسموعِ الَّذي جُعل وسيلةً إليها، وهو الحقُّ سبحانه، فإنَّه غايةُ كُلِّ مَطلَب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، ولَيسَ وراءَ الله مَرمىً، ولا دونَه مستقرٌّ، ولا تَقرُّ العينُ بغيره ألبَتَّةَ، وكُلُّ مَطلوب سواهُ، فَظِلٌّ زائلٌ، وخَيالٌ مُفارِقٌ مائلٌ، وإن تَمَتَّعَ به صاحِبُه، فمتَاعُ الغُرُورِ»[1].

وأما الكافر بخلاف المؤمن، فإنه إذا سمع كلام اللَّه تعالى لا يؤثر فيه، ولا يتغيَّر حالُه، بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله إلاَّ مَنْ أراد له الله تعالى السعادة في الدنيا والآخرة واستجاب للقرآن وقليلٌ ماهم، قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾** [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥][2].



(١) مدارج السالكين، لابن القيم، (١/ ٤٨٥).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٦/ ١٤٣).

المبحث الثاني
فضائل تعلُّم القرآن وتعليمُه

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: مُعَلِّمُ القرآنِ وَمُتَعَلِّمُه مُتَشَبِّهٌ بالملائكة والرسل.

المطلب الثاني: خيرُ الناس وأفضلُهم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه.

المطلب الثالث: تعلُّمُ القرآنِ وتَعْلِيمُه خَيرٌ من كنوز الدنيا.

المطلب الرابع: مَنْ علَّم آيةً كان له ثوابُها ما تُليت.

المطلب الخامس: ثَوابُ مَنْ يُعَلِّمُ أَولادَه القرآن.

تمهيد

لقد رغَّبَ الإسلامُ في تعليم العلم عامة، وجعل ذلك من أفضل العبادات التي يتقرب بها المرء إلى ربه جلَّ جلالُه ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً»[(١)].

وثواب العلم يصل إلى الإنسان بعد موته مادام يُنْتَفَعُ به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله:[(٣)] «وهذا من أعظم الأدلَّة على شرف العلم وفضله وعظَم ثَمَرته؛ فإنَّ ثوابَهُ يَصلُ إلى الرَّجلِ بعدَ موته مادامَ يُنتفَعُ به، فكأَنَّهُ حيٌّ لم ينقطع عملُهُ معَ ما لَهُ من حياةِ الذِّكرِ والثَّناءِ، فَجَرَيانُ أجرِه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (٤/ ٢٠٦٠)، (ح ٢٦٧٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٣/ ١٢٥٥)، (ح١٦٣١).

(٣) مفتاح دار السعادة، (١/ ١٧٥).

عليه إذا انقَطَعَ عن النَّاسِ ثوابُ أعمالهم حياةٌ ثانيةٌ».

وتتفاوت درجات العلم ومنازله بحسب الموضوع الذي تتناوله، ولا شك أنَّ أشرفَ العلوم وأجلَّها هو كتاب الله تعالى، فيكون مَنْ تَعلَّمه وعَلَّمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن، وإنْ عَلَّمه.

وقد حرص سلف الأمة الصالح رضي الله عنهم على تعلم القرآن وتعليمه، وَعُرِفَ هذا الحرص في سلوك خيارهم وأصفيائهم، وقدوتُهم في ذلك مُعلِّم البشرية وهادي الإنسانية، رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أُنزل عليه القرآن، وهو أعرف الناس بمنزلته.

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه حرص على تعليم أصحابه القرآن، إما بنفسه، وإما بتوكيل أصحابه للقيام بهذه المهمة العظيمة.

ومن النوع الأول ما ورد عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «**كان رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمنا القرآنَ، فإذا مَرَّ بِسجُودِ القُرآنِ سَجَدَ وسَجَدْنَا مَعَهُ**»[1].

ولاشتهار هذا الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار أصلاً يُقاس عليه غيره، ومن هذا القبيل قَولُ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما: «**كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرآنِ**»[2].

فإذا طَرَأَ ما يمنع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من مباشرة ذلك بِنَفْسِه وَكَّلَ بعضَ

---

(١) رواه أحمد في المسند، (٢/١٥٧)، (ح ٦٤٦١)، وقال محققو المسند، (١٠/٤٨٧)، (ح٦٤٦١): «حديث صحيح». ورواه مسلم بنحوه في: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة، (١/٤٠٥)، (ح ٥٧٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى، (١/٣٤٦)، (ح١١٦٢).

أصحابه للقيام بمهمة تعليم القرآن - **وهذا من النوع الثاني** .

ومنه ماورد عن عُبادَةَ بنِ الصَّامت رضي الله عنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُشْغَلُ، فَإذا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ على رَسُولِ اللَّه ﷺ دَفَعَهُ إلى رَجُلٍ منَّا يُعَلِّمُهُ القُرآنَ**»(١) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه : «**أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ مُعاذاً وأبا مُوسَى إلى اليَمَنِ، فَأَمَرَهُمَا أَنْ يُعَلِّما النَّاسَ القُرآنَ**»(٢) .

وعلى هذا النَّهْجِ سار السلف الصالح بعد رسول الله ﷺ ، بحيث لم يَخْلُ عصر من مُعَلِّمِي القرآن الحريصين على تبليغه للناس، وقد أثمرت جهود هؤلاء الأخيار وأدَّت إلى تواتر القرآن جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا - بحمد الله تعالى - غَضاً طرياً(٣) .

والحديث عن فضائل تعلُّم القرآن العظيم وتعليمه يتمثَّل في المطالب الآتية:

---

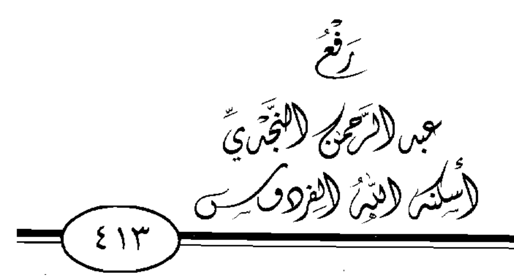
(١) رواه أحمد في المسند، (٥/ ٣٢٤)، (ح٢٢٨١٨)، وقال محققو المسند، (٣٧/ ٤٢٦)، (ح٢٢٧٦٦): «إسناده حسن».

والحاكم في المستدرك، (٣/ ٤٠١)، (ح٥٥٢٧)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

والطبراني في مسند الشاميين، (ح٢٢٣٧)، والبخاري في تاريخه الكبير، (١/ ٤٤٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، (٤/ ٣٩٧)، (ح ١٩٥٦٢)، وقال محققو المسند، (٣٢/ ٣١٥)، (ح١٩٥٤٤): «إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير طلحة بن يحيى - وهو ابن طلحة بن عبيد الله التيمي - فمن رجال مسلم ».

(٣) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم، د. إبراهيم علي السيد، (ص٢٤ -٢٦).



المطلـــب الأول
مُعَلِّم القرآن وَمُتَعَلِّمُـهُ مُتَشَبِّهٌ بالملائكة والرُّسُل

كفى معلِّمُ القرآن ومُتعلِّمُه شرفـاً وفخراً أنهم متشبهون بالملائكة والرسل الكرام، فقد بعث الله تعالى جبـريلَ عليه السَّلام ليعلِّمَ النبيَّ ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

فها هو معلِّمُ الرسول الأول جـبريلُ عليه السلام، أفضلُ الملائكة الكرام وأقـواهم وأكملُهم، نزل بالوحي عـلى النبيِّ ﷺ، وجبـريلُ عليه السـلام شديد القوى الظاهرة والباطنة. فهو قويٌّ على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قويٌّ على إيصـال الوحي إلى النبيِّ ﷺ وتـعليـمه إياه، ومنـعه من اختـلاس الشياطين له، أو زيادتهم فـيه ما ليس منه، وهذا منْ حفْظِ الله تعـالى لوحيه من جهـة، ومن عناية الله تعالى برسوله مـحمد ﷺ من جهـة أُخرى، أنْ أَرْسَلَ إليه مُعلِّماً كريماً قوياً أميناً [(١)].

ومَدْحُ المُعَلِّـم مدحٌ للمتـعلِّم فلو قال علَّمـه جبـريل، ولم يَصِفْـه بهذه الصـفات الحـمـيدة العـظيمـة مـا كان يحـصل للنبيِّ ﷺ هذه الـفضـيلة الظاهرة[(٢)].

«**وهذه الآية الكريمة قد تضمَّنت أمرين:**

أحدهـما: أن هذا الوحي الذي من أعظمـه هذا القرآن العظيم، عـلَّمه

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (٥/ ١٢٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٢٨ / ٢٤٥).

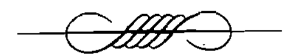
جبريلُ النبيَّ ﷺ بأمرٍ من الله.

والثاني: أن جبريل شديد القوة.

وهذان الأمران جاءا مُوَضَّحين في غير هذا الموضع.

أما الأوَّل منهما: وهو كون جبريل نزل عليه بهذا الوحي وعلَّمه إياه، فقد جاء موضَّحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

... وأما الأمر الثاني: وهو شدَّة قوة جبريل النازل بهذا الوحي، فقد ذَكَرَه في قوله: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٠]»(١).



المطلب الثاني
خَيرُ الناس وأفضلُهم مَنْ تَعَلَّم القرآنَ وعلَّمه

إن تعلم القرآن العظيم والقيام بتعليمه وبيان معانيه وأحكامه للناس من أفضل الأعمال وأجلِّ القرب، يحظى متعلِّمه ومعلِّمه بالخير والفضل في الدنيا والآخرة، **وقد وردت أحاديث كثيرة تحض على تعلم القرآن وتعليمه،**

---

(١) أضواء البيان، (٧/ ٧٠٣).

لأنه كلام اللَّه تعالى، فكان خير الناس بعد الأنبياء مَنْ اشتغل به.

١- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ**»[1].

٢- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2].

«وقد سُئِلَ الثوري[3] عن الجهادِ وإقراءِ القرآن[4]، فرجَّحَ الثاني واحْتَجَّ بهذا الحديث»[5] [*].

فهذه شهادةٌ حَقٌّ لأهل القرآن بأنهم خيرُ النَّاس وأفضلُهم، فلم يقل خيركم أو أفضلكم أكثركم مالاً أو أولاداً، ولا أوسعكم عقاراً أو نحو ذلك من حطام الدنيا الزائل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٣/ ١٦٢٠)، (ح٥٠٢٧). وأبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن، (٢/ ٧٠)، (ح١٤٥٢). وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٣/ ١٦٢٠)، (ح ٥٠٢٨).

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، نسبةً إلى (ثور) أحد أجداده، ولد سنة (٩٧هـ)، وكان إماماً من أئمة المسلمين في العلم والفقه والحديث، ثقةً، حُجَّةً، ثبتاً، حتى قال عنه ابن معين وغيره: «أمير المؤمنين في الحديث»، توفي بالبصرة سنة (١٦١هـ). «انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٦/ ٣٧١-٣٧٤). البداية والنهاية، (١٠/ ١٣٤)».

(٤) أي: تعليمه للناس.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ٩٧).

(*) كلام الإمام سفيان الثوري رحمه الله ينسحب على الجهاد غير المُتَعَيِّن، أما إذا انتهكت حرمات المسلمين وتَعَيَّنَ الجهادُ قُدِّم على إقراءِ القرآن.

وهذه هي صفات المؤمنين الصادقين المُتَّبعين للرسول ﷺ، فهم يحرصون على تعلم القرآن وتزكية نفوسهم به، كما يحرصون على تعليم الآخرين وإرشادهم لهديه والدعوة إليه فيكون نفعاً متعدياً.

«ولاشكَّ أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكمِّل لنفسه ولغيره، جامع بين النَّفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة مَنْ عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣]. والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٥٧]»[(١)].

وخير الناس وأفضلهم مَنْ تعلَّم القرآن حقَّ تعلُّمه، وعلَّمه حقَّ تعليمه، ولا يُتَمَكَّنُ من هذا إلاَّ بالإحاطة بالعلوم الشرعية أصولها وفروعها، ومِثْلُ هذا الإنسان يُعَدُّ كاملاً لنفسه مكمِّلاً لغيره فهو أفضل المؤمنين مطلقاً، وقد ورد عن عيسى عليه الصلاة والسَّلام: «من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ يُدعى في الملكوت عظيماً» والفرد الأكمل من هذا الجنس هو النبيُّ ﷺ، ثم الأشبه فالأشبه[(٢)].

قال القرطبي رحمه الله:[(٣)] «قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانةً على الدِّين، فهو كتلقين الكافر الشَّهادةَ لِيُسْلِمَ».

وبعض أهل العلم حَمَلَ الحديثين بخير الناس وأفضلهم باعتبار التَّعلم

---

(١) المصدر نفسه، (٩/ ٩٦).

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٢٩).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار، (ص١٤٤).

والتَّعليم: قال الطِّيبي(١): «أي خير النـاس باعتبار التـعلم والتعليم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه».

معنى التَّعلُّم والتَّعليم:

«تعلَّمُ القـرآن وتعليمُـهُ يتناولُ تعلُّمَ حـروفه وتعلـيمَـها، وتعلُّمَ مـعانيـه وتعليمَها، وهو أشرَفُ قسْمَيْ تعلُّمـه وتعليمه؛ فإنَّ المعنى هو المقصودُ، واللفظُ وسيلةٌ إليه، فتعلُّمُ المعنَى وتعليـمُهُ تَعَلُّمُ الغايَةِ وتَعليمـها، وتعلُّمُ اللفظ المُجَرَّدِ وتعليمُهُ تعلُّمُ الوسائلِ وتعليمُها، وبينهما كما بينَ الغاياتِ والوسائلِ»(٢).

* **وهنا مسألتان من الأهمية بمكان** أَوْرَدَهُما الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث، وأجاب عليهما:

(المسألة الأولى): «فإن قيل: **فيلزم على هذا أن يكون المُقرئ أفضلَ من الفقيه.**

قلنا: لا، لأن المخاطبـين بذلك كانوا فقـهاءَ النفوس لأنـهم كانوا أهل اللِّســان، فكانوا يدرون معــاني القرآن بالسَّليقـة أكثـر مما يدريها مَنْ بعـدهم بالاكتسـاب، فكان الفقهُ لهم سجيـة، فَمَنْ كان في مثل شـأنهم شاركهم في ذلك، لا مَنْ كان قارئاً أو مُقـرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من مـعاني ما يَقرؤه أو يُقرئه»(٣).

(المسألة الثانية): «فإن قيل: **فليزم أن يكون المقرئ أفضلَ ممن هو أعظم غناءً في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً.**

قلنا: حرفُ المسـألةِ يدور على النفع المتعـدي، فَمَنْ كان حـصوله عنده

---

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) مفتاح دار السعادة، (١/ ٧٤).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ٩٦).

أكثر كان أفضل، فلعل «مِنْ» مُضمرة في الخبر، ولابد مع ذلك مِنْ مراعاة الإخلاص في كل صنف منهم. ويحتمل أن تكون الخيرية وإن أُطلقت لكنها مقيَّدة بناس مخصوصين خُوطبوا بذلك كان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد خير المتعلِّمين مَنْ يُعلِّم غيرَه لا مَنْ يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية لأن القرآن خير الكلام فمتعلِّمه خَيرٌ مِنْ مُتعلِّم غيره بالنسبة إلى خَيريَّة القرآن، وكَيْفَمَا كان فهو مخصوص بِمَنْ عَلَّم وتَعلَّم بحيث يكون قد عَلِمَ ما يجبُ عليه عَيْناً»[١].

*** وقد أدرك السَّلف الصَّالح هذه الخيرية والأفضلية التي يتميز بها معلِّم القرآن ومتعلِّمه، فحرصوا على بلوغها:**

٣- عن سَعْد بن عُبَيْدَةَ قال: **وَأَقْرَأَ أبو عَبْد الرَّحْمَن[٢] في إمْرَة عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ[٣]**، قالَ أبو عَبْدِ الرحمنِ السُّلَمِي: **وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا[٤]**.

(أبو عبد الرحمن عبد اللّه بن حبيب السُّلَمي)، عَلَّمَ الناسَ القرآنَ في

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) هو أبو عبد الرحمن السُّلَميّ الكوفي، عبد الله بن حبيب بن ربيعة، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، محدثٌ، ثقةٌ، وقارئ مجوِّدٌ ماهرٌ، وقد كان ثَبْتاً في القراءة وفي الحديث، حديثه مُخَرَّجٌ في الكتب الستة. توفي في سنة (٧٤هـ).
«انظر: طبقات ابن سعد، (٦/ ١٧٢). حلية الأولياء، (٤/ ١٩١). سير أعلام النبلاء، (٤/ ٢٦٧)».

(٣) هو الحجَّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب بن قسي - وهو ثقيف - الثقفي، عاملُ عبدِ الملك بن مروان على العراق وخراسان، كان حازماً قوياً ظالماً، وأُمُّه: الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثَّقفي، مات مريضاً مُسلَّطاً عليه الزَّمهرير سنة (٩٥هـ)، وشهد مرضَه الحسنُ البصريُّ، وله: (٥٤ سنة).
«انظر: وفيات الأعيان، (١/ ٢٩ - ٥٤). سير أعلام النبلاء، (٤/ ٣٤٣)».

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٣/ ١٦٢٠)، (ح٥٠٢٧).

مسجد الكوفة أربعين سنة، فقد بدأ يعلم القرآن في خلافة عثمان بن عفان ﷺ إلى أيام الحجَّاج، وهو الذي روى عن عثمان حديث: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ**»[(١)].

ومعنى قول أبي عبدالرحمن السُّلَمي: «**وذَاكَ الذي أَقْعَدَني مَقْعَدي هذا**». «أي: أنَّ الحديثَ الذي حَدَّثَ به عثمانُ في أفضلية مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه حمل أبا عبدالرحمن أَنْ قَعَدَ يُعلِّمُ الناسَ القرآنَ لتحصيل تلك الفضيلة»[(٢)].

ومن أجل ذلك أثنى عليه الحافظ ابن كثير ودعا له بالخير فقال:[(٣)] «رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طَلَبَه ورامَهُ، آمين».

وَمِثلُه أيضاً: (**الإمام المُقرئ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم المدني**)[(٤)] أحد القراء السَّبعة، **فقد أقرأ الناسَ دهراً طويلاً يزيد عن سبعين سنة**؛ لأنه ممن طال عمره[(٥)].

وكذلك: (**الإمام أبو منصور الخَيَّاط البغدادي**)[(٦)] تخرَّج على يديه عدد

---

(١) مضى تخريجه قريباً.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/ ٩٧).

(٣) فضائل القرآن، (ص٢٠٧).

(٤) هو الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الأصبهاني، مولى جَعونة بن شعوب الشَّجعي. من مشايخه: الأعرج، وأبو الزناد، وأخذ القراءةَ عن أبي جعفر القعقاع وغيرهم. ومن تلامذته: القعنبي، وإسماعيل بن أبي أويس، وقرأ عليه: قالون، ومالك بن أنس وغيرهم. قال قالون: «كان نافع من أطهر الناس خُلُقاً، ومن أحسن الناس قراءةً، وكان زاهداً جواداً، صلَّى في مسجد رسول الله ﷺ ستين سنة». وقال مالك: «نافع إمام الناس في القراءة». وقال: «قراءةُ نافعٍ سُنَّة». مات سنة (١٦٩هـ).
«انظر: معرفة القراء، (١/ ١٠٧). تهذيب الكمال، (٢٩/ ٢٨١). الأعلام، (٨/ ٥). الثقات، لابن حبان (٧/ ٥٣٢)».

(٥) انظر: معرفة القراء الكبار، للذهبي (ص٦٤).

(٦) هو الإمامُ القُدوةُ المُقرئ، (أبو منصور) محمد بن أحمد بن علي البغداديُّ الخياطُ=

كبير من قُرَّاء القرآن، وقد وصفه الإمام الذهبي[(١)] رحمه الله بقوله: «**جلس لتعليم كتاب اللَّه دهراً، وتلا عليه أمم**»[(٢)].

وقد لَقَّنَ العميانَ دهراً لله، وكان يُنفق عليهم، **حتى بلغ عدد مَنْ أقرأهم منَ العميان سبعين نَفْساً**. قال الإمام الذهبي: «ومَنْ لَقَّنَ القرآنَ لسبعين ضريراً، فقد عمل خيراً كثيراً»[(٣)].

«قال السَّمعاني[(٤)]: رُؤيَ بعدَ مَوته، فقال: غَفَرَ اللهُ لي بتعليمي الصِّبيانَ الفاتحةَ»[(٥)].

= الزاهد. قال السَّمعاني: «صالحٌ، ثقةٌ، عابدٌ، مُلَقِّن، له ورْدٌ بين العشاءين بسُبْعٍ، وكان صاحبَ كرامات». توفي سنة (٤٩٩هـ).

«انظر: سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢٢٢-٢٢٤)».

(١) هو الإمام محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التُّركماني الأصل، الفارقي، ثم الدِّمشقي، الذَّهبي، الشَّافعي (أبو عبد الله) مُحدِّث، مُؤرِّخ، ولد بدمشق سنة (٧٥٩هـ)، وسمع بها وبحلب وبنابلس وبمكة وبمصر، وسمع منه خَلْقٌ كثير، كان إماماً في الحفظ، والجرح والتَّعديل، توفي بدمشق سنة (٨١٩هـ) ودفن بمقبرة الباب الصغير. وله تصانيف كثيرة منها: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، و «طبقات الحفاظ»، و «الإعلام بوفيات الأعلام»، و «تجريد أسماء الصحابة»، و «سير أعلام النبلاء».

«انظر: معجم المؤلفين، (٣/ ٨٠)».

(٢) سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢٢٢).

(٣) المصدر نفسه، (١٩/ ٢٢٣).

(٤) هو منصور بن محمد بن عبد الجبَّار التَّميمي، المروزي، المعروف بابن السَّمعاني (أبو المظفَّر) مفسِّر، محدِّث، متكلِّم، فقيه، أصولي، ولد سنة (٤٢٦هـ)، وتفقَّه على مذهب أبي حنيفة، ثم ورد بغداد وانتقل إلى المذهب الشَّافعي، ورجع إلى بلده فلم يقبلوه، وقام عليه العوامُّ فخرج إلى طوس، ثم قصد نيسابور، وتوفي بمرو سنة (٤٨٩هـ). من تصانيفه: «منهاج أهل السنة»، و «القواطع في أصول الفقه»، و «تفسير القرآن»، و «الانتصار في الحديث».

«انظر: طبقات الشافعية، (٤/ ٢١ - ٢٦). معجم المؤلفين، (٣/ ٩١٩)».

(٥) سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٢٢٤).

المطلب الثالث
تعلمُ القرآن وتَعْلِيمُه خَيرٌ من كنوز الدنيا

١- عَنْ عُقْبَـةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَـرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ(١). فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ(٢) كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ(٣) أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ(٤) فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ(٥)، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟**» فَقُلْنَا: يَارَسُولَ الله! نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «**أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ**

---

(١) (**الصُّفَّة**): موضعٌ مُظَلَّل من المسجد النَّبوي الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه، وهم المسمَّون بأصحاب الصفة، وكانوا أضياف الإسلام.
«انظر: لسان العرب، (٤/ ٢٤٦٤)، مادة: (صفف)».

(٢) (**يغدو**): أي يذهب في الغَدوة وهي أول النهار.

(٣) (**بطحان**): بضم الباء وسكون الطاء، وقيل: بالفتح والسكون، وقيل بالفتح والكسر. وهو أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي: بطحان والعقيق وقناة.
«انظر: معجم البلدان، (١/ ٥٢٩)».
وسمِّي بطحان بذلك: لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط.
«انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٣١)».

(٤) (**العقيق**): قيل أراد العقيقَ الأصغر، وهو على ثلاثة أميال أو ميلين من المدينة، وخَصَّهما بالذِّكر: لأنهما أقرب المواضع التي يقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة، والظَّاهر أنَّ (أو) للتنويع.
«انظر: عون المعبود، (٤/ ٢٣١)».

(٥) (**كَوماوين**): مثنى كوماء، فَقُلبت الهمزةُ في التثنية واواً، وناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته. وأصل الكوم العلو، أي: فَيُحَصِّلُ ناقتين عظيمتي السنام، وهي من خيار مال العرب.
«انظر: لسان العرب، (٥/ ٣٩٥٨)، مادة: «كوم». عون المعبود، (٤/ ٢٣١)».

أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ. وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ؟»(١).

٢- وعند أبي داود بلفظ:

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ، أو الْعَقِيقِ، فَيَأْخُذَ نَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ(٢) بِغَيْرِ إِثْمٍ(٣) بِاللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ولا قَطْعِ رَحِمٍ(٤)؟».

قالُوا: كُلُّنَا يَارَسُولَ الله، قال: «فَلأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى المَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَإِنْ ثَلاثٌ فَثَلاثٌ مِثْلَ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»(٥).

لقد ضَرَبَ النبيُّ ﷺ هذا المثلَ بصورة عجيبة معبِّرة في الحث على تعلم القرآن العظيم والحث على قصد بيوت الله تعالى لتعلم القرآن؛ لما فيها من السكينة والطمأنينة، ولقطع علائق القلب عن شواغل الدنيا، وبيَّن أنَّ آيةً واحدة يتعلمها المسلم خير من الدنيا وما فيها.

«والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم من الفانيات

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، (١/ ٥٥٢)، (ح٨٠٣). وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب الحث على تعليم كتاب الله، (١/ ٣٢١)، (ح١١٥).

(٢) (زهراوين): أي سمينتين مائلتين إلى البياض من كثرة السِّمَن.

(٣) (بغير إثم): كسرقة وغَصْبٍ، سمى موجب الإثم إثماً مجازاً.

(٤) (ولا قطع رحم): أي: بغير ما يوجبه، وهو تخصيص بعد تعميم. «عون المعبود، (٤/ ٢٣١)».

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن، (٢/ ٧١)، (ح١٤٥٦). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١/ ٢٧٣)، (ح ١٢٩٢): «صحيح».

فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلاَّ فجميع الدنيا أحقر من أن يُقابَلَ بمعرفة آية من كتاب الله تعالى، أو بثوابها من الدَّرجات العُلى»[(١)].

وسببُ التَّمثيل بالإبل أنها كانت أعزَّ وأثمنَ أموال العرب في صدر الإسلام، لا يملكها إلاَّ الأغنياء منهم، فرغَّبَ النبيُّ ﷺ أصحابه إلى ما هو أفضل من ذلك، بأن يكون لهم رصيد من الحسنات عند الله عزَّ وجلَّ أعظم من الإبل عند أصحابها في الدنيا، وذلك بأن يتعلَّموا كلامَ الله تعالى، فكل آية يتعلَّمُها المسلم هي في ميزان حسناته أفضل من ناقةٍ عظيمة السنام، سالمة من العيوب لو تَصدَّق بها[(٢)].

قال ابن حبان[(٣)] رحمه الله - بعد أَنْ أَوْرَدَ هذا الحديث في صحيحه: «**هذا الحديث أُضْمِرَ فيه كلمة، وهي: (لو تَصَدَّقَ بها)** يريد بقوله: فيتعلم آيتين من كتاب الله خير من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث لو تَصدَّق بها؛ لأن فضل تعلم آيتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وثلاث وأعدادهن من الإبل لو تصدق بها؛ **إذ محال أَنْ يُشَبَّه مَنْ تعلَّم آيتين من كتاب اللَّه في**

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٣١).

(٢) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن، (ص٣١ -٣٢).

(٣) هو الإمام الحافظ المُجوِّد، شيخ خراسان، أبو حاتم محمد بن حبَّان بن أحمد بن حبان التَّميمي الدَّارمي البُستي، ولد نحو (٢٧٠هـ)، كان من فقهاء الدِّين، وحفَّاظ الآثار، عالماً بالطِّب والنُّجوم، ومن أشهر تلاميذه: الحاكم صاحب المستدرك. توفي بسجستان بمدينة بُست سنة (٣٥٤هـ).

«انظر: سير أعلام النبلاء، (١٦/ ٩٢). مقدمة الترغيب والترهيب، تعليق: مصطفى محمد عمارة (١/ ٢٠-٢٣)».

الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا»[(١)].

وهذا الذي ذَكَرَه ابنُ حبان هنا حَسَنٌ وجميل، يُذَكِّرنا بأجر التَّبكير إلى صلاة الجمعة، وفيه قال النبيُّ ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً» الحديث[(٢)].

ولاشكَّ أن أجر تعلُّم آية من كتاب الله تعالى عظيم كبير إذا قِسناه على ما جاء في الحديث الآنف الذكر من أن المسلم إذا حضر صلاة الجمعة في الساعة الأولى فكأنما تَصَدَّق ببدنة، أي: بناقة.

وفي حديث تعلُّم كتاب الله عزَّ وجلَّ وُصِفَتْ الناقة بأنها كوماء زهراء، أي: عظيمة السنام، كثيرة اللحم، مائلة إلى البياض من كثرة السِّمَن، هي مِنْ خيار أموال العرب آنذاك. وهذا أفضل من التصدق بمجرد ناقة، كما جاء في حديث التبكير إلى صلاة الجمعة، والله تعالى أعلم.

وقد رغَّب النبيُّ ﷺ في تعلُّم الخير وتعليمه للناس، وعَدَّه كأجر حاجٍّ، تاماً حَجَّتُه في قوله: «مَنْ غدا إلى المَسْجِدِ لا يُرِيْدُ إلاَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْراً أَوْ يُعَلِّمَهُ، كان له كَأَجْرِ حَاجٍّ، تاماً حَجَّتُهُ»[(٣)].

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، (١/ ٣٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب: فضل الجمعة، (١/ ٢٦٤)، (ح٨٨١).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير»، (٨/ ٩٤)، (ح ٧٤٧٣). والمنذري في الترغيب والترهيب، كتاب العلم، باب الترغيب في الرحلة في طلب العلم، (ح٣)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به». وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١/ ١٤٥)، (ح٨٦): «حسن صحيح». والحاكم في المستدرك، (١/ ١٦٩)، (ح ٣١١) بلفظ: «... أجر معتمر تام العمرة» وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

ولاريبَ أن تعلُّمَ القرآن وتعليمَه يأتي في مُقدِّمة الخير الذي يُعَلَّم أو يُتَعَلَّم؛ ذلك أنه كلام الله جلَّ جلالُه.

وفي حديث آخَرَ أَخْبَرَ النبيُّ ﷺ أَنَّ متعلِّم الخير ومُعلِّمه بمنزلة المجاهد في سبيل اللَّه تعالى بقوله: «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذا، لَمْ يَأْتِه إلاَّ لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَو يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِد في سَبِيلِ اللَّه. وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلى مَتَاعِ غَيْرِه»[١].

وأَجْدِرْ بِمُتعلِّم القرآن ومعلِّمه أن يُنَزَّلَ منزلة المجاهد في سبيل الله تعالى؛ ذلك أنه جاهد نفسَه وهواها، وجاهد الشيطانَ، وصبر وصابر ورابط في هذه الحِلَقِ المباركة، وترك الدنيا وزينتها، فاستحق هذا الشرف العظيم جزءاً وفاقاً.

وكان الصَّحابة وتابعوهم أحرصَ الناس على تعلم وتعليم كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ وحَثِّ الناس وتشجيعهم على احتساب الأجر في ذلك، وفيما يأتي طائفة من أخبارهم المباركة:

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لو جُعِلَ لأحد خَمْسُ قَلائص[٢]؛ إنْ صلى الغداةَ بالقرية لَبَاتَ يَقُولُ لأَهْلِه: لَقَدْ آنَ لي أَنْ أَنْطَلِقَ. واللهِ لا يَقْعُدُ أحدُكم فَيَتَعَلَّمَ خَمْسَ آياتٍ مِنْ كِتَابِ الله، فَلَهُنَّ خَيرٌ له مِنْ خَمْسِ قَلائِصَ وخَمْسِ قَلائِصَ»[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه، في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/ ٨٢)، (ح٢٢٧)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه، (١/ ٤٤)، (ح ١٨٦): «صحيح».

(٢) **(القلائص)**: جَمْعُ قَلوص، وهي الناقة الشابَّة، وتُجْمَعُ على قِلاص وقُلُص أيضاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/ ١٠٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ١٣٣)، (رقم ٣٠٠٧٥).

٢- عن أبي عبيدة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أنه كان يُقْرِئ القرآنَ، فَيَمُرُّ بالآية، فيقول للرَّجُلِ: خُذْها، فَوَاللهِ لَهِيَ خَيْرٌ مِمَّا على الأرض مِنْ شَيءٍ»(١).

٣- وعن الأعمش قال: مَرَّ أعرابيٌّ بِعَبْدِ الله بن مسعود، وهو يُقْرِئ قوماً القرآن، أو قال: وعنده قوم يَتَعَلَّمون القرآنَ، فقال: ما يَصْنَع هؤلاء؟ فقال ابنُ مسعود: «يَقْتَسِمُونَ مِيراثَ محمدٍ ﷺ»(٢).

وأجْرُ تعلُّمِ وتعليمِ القرآن العظيم ليس حكْراً على الصحابة الكرام وتابعيهم، وإنما هو لكل مَنْ يحذو حذوهم ويسير على خُطاهم المباركة في تعلم كتاب الله تعالى إلى يوم الدِّين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واللهُ ذو الفضل العظيم، نسألُ اللهَ تعالى من فضله ومَنِّه وكَرَمِه، إنه جوادٌ كريم.



---

(١) رواه أبو عبيد القاسم في فضائل القرآن (ص٥٢)، وانظر: فضائل القرآن، لابن الضريس (ص ٤٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ١٦٦): «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) رواه أبو عبيد القاسم في فضائل القرآن (ص ٥١)، وأورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، (١/ ١٢٣ - ١٢٤)، باب فضل العالم والمتعلم، من رواية الطبراني في «الأوسط» وقال: «إسناده حسن».

وانظر: جامع الأصول، (١/ ٢٩١-٢٩٢)، وهو فيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الرابع
مَنْ علَّم آيةً كان له ثوابُها ما تُليت

لاريب أنَّ تعليم الناس القرآن العظيم مِنَ النَّفْع المُتعدِّي، وهو مما يَلْحَقُ المُعَلِّم مِنْ عَمَلِه الصَّالح وحسناته بعد موته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤمنَ مِنْ عَمَلِه وَحَسَنَاته بَعْدَ موته، عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ. وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لابْنِ السَّبِيل بَنَاهُ، أو نَهَراً أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِه فِي صِحَّتِه وَحَيَاتِه. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوته»[1].

وتعليم الناس القرآن العظيم داخل في عموم الدلالة على الخير.

لقوله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِله»[2].

قال النووي رحمه الله:[3] «فيه فضيلةُ الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها مِنَ المُتَعَبِّدين وغيرهم. والمراد بـ (مثل أجر فاعله) أَنَّ له ثواباً بذلك الفِعْلِ كما أَنَّ لفاعِله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قَدْرُ ثوابِهِما سواء».

---

(١) رواه ابن ماجه واللفظ له، في المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير، (١/ ٨٨)، (ح٢٤٢). وابن خزيمة في صحيحه، (٤/ ١٢١)، (ح٢٤٩٠). وحسَّنه المُناوي في فيض القدير، (٢/ ٥٤٠)، (ح٢٤٩٧). ووافقه الألباني في: صحيح ابن ماجه، (١/ ٤٦)، (ح١٩٨)، وصحيح الجامع (ح ٢٢٣١)، وأحكام الجنائز (١٧٦)، والإرواء (١٠٧٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، (٣/ ١٥٠٦)، (ح ١٨٩٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٣/ ٤١ -٤٢).

«وذهب بَعْضُ الأئمــة إلى أن المثل المذكور في هذا الحـديث ونحوه إنما هو بغير تضعيف.

وقال القرطبي: إنه مثله سواء في القـدر والتضعيف؛ لأن الثواب على الأعـمال إنما هو بفَـضْلٍ من الله يهـبه لمن يشـاء على أيِّ شيءٍ صَـدَرَ منه، خصوصاً إذا صَـحَّت النية التي هي أصل الأعمال في طاعةٍ عَجَـزَ عن فِعْلِها لِمَانِعٍ مَنَعَ منها، فلا بُعْـدَ في مساواة أجر ذلك العاجز لأجـر القادر والفاعل، أو يزيد عليه»[(١)].

فكيف إذا جـاء أجر تعـليم القرآن منصـوصـاً عليه حـتى لو كـانت آيةً واحدةً في قوله ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ آيةً مِنْ كتابِ اللَّه عَـزَّ وَجَلَّ، كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا ما تُلِيَتْ»[(٢)].

وهذا من الآثار الحـسنة التي تُكتب في ميـزان معلِّم القـرآن؛ لأنه كان السبب المباشر في تعليمها.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

«فالمراد بـ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ ما عَـملوا من الأعمـال قبل الموت؛ شُـبِّهَتْ أعمالُهم في الحياة الـدنيا بأشياء يُقَدِّمونها إلى الدار الآخرة كـما يُقَدِّم المسافرُ ثَقْلَه وأَحْمالَه.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (١٤/ ٢٦ -٢٧).

(٢) صححه الألبـاني في السلسلة الصحيحة، (٣/ ٣٢٣)، (ح١٣٣٥) وقـال: «أخرجه سهل القطان في: «حديثه عن شيوخه» (٤/ ٢٤٣/ ٢)».

ثم ساق رجـالَ الإسناد وقال: «وهذا إسناد جيـد عزيز، رجال ثقـات رجال مسلم غـير مـحمـد بن الجهم وهو ابن هارون الكاتـب السمـري ترجمَـهُ الخطيب (٢/ ١٦١) برواية جماعة من الثقات عنه، وقال: (وقال الدارقطني: ثقة صدوق)».

وأما الآثار فهي آثار الأعمال وليست عَيْنَ الأعمال بقرينة مقابلته بـ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ مثل ما يتركون من خير أو يثير بين الناس وفي النفوس»[١].

وهناك قولان للمفسِّرين في قوله: ﴿وَآثَارَهُمْ﴾:

القـول الأول: تُكتب أعـمالهم التي بـاشروها بأنفسـهم، وآثارهم التي أثروها مِنْ بعدهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ويشهد له قوله ﷺ: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْـدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّـئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْـدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**[٢].

«فكُلُّ خَيرٍ عَـمِلَ به أحدٌ من الناس، بسبب عِلْمِ العبـد، وتعليمه، أو نُصحه، أو أَمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر، أو علمٍ أودَعَه عند المتعلمين، أو في كُتب يُنتفع بهـا في حياته وبعد موته، أو عَمِل خـيراً، مِنْ صلاة، أو زكاة، أو صدقة، أو إحسـان، فاقتدى به غيره، أو عَمِلَ مـسجداً، أو محلاً من المحـال، التي يرتفق بها الناس، ومـا أشبـه ذلك، فإنهـا من آثاره، التي تُكْتَبُ له، وكذلك عَمَلُ الشرِّ»[٣].

القول الثاني: إنَّ المرادَ بذلك آثارُ خُطاهُم **إلى الطاعة أو المعصية.**

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٢/ ٢٠٤).

(٢) رواه مسلم في صحـيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصـدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، (٢/ ٧٠٥)، (ح١٠١٧).

(٣) تفسير السعدي، (٤/ ٢٣٠).

ويشهد له قولُ جابرِ بن عبدِ الله رضي الله عنهما، قالَ: خَلَت البِقَاعُ حَولَ المَسْجِد. فأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قربِ المَسْجِد. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ. فَقَالَ لَهُمْ: **«إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِد»** قَالُوا: نَعَمْ. يَارَسُولَ الله! قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ **«يَابَنِي سَلِمَةَ! دِيَارَكُمْ. تُكْتَبْ آثَارُكُمْ[١]. دِيَارَكُمْ. تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»**[٢].

قال ابن كثير رحمه الله:[٣] «وهذا القول لا تَنَافي بينه وبين الأوَّل، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكْتَب، فَلأَنْ تُكْتَبَ تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى».



المطلب الخامس
ثَوَابُ مَنْ يُعَلِّمُ أولادَه القرآن

تعليم القرآن العظيم للأولاد الصِّغار سُنَّة مُتَّبَعة عند سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين:

---

(١) (ديارَكم. تُكْتَبْ آثارُكم): معناه الْزَموا دياركم، فإنكم إذا لزمتموها كُتِبَتْ آثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد. «صحيح مسلم بشرح النووي، (٥/ ١٦٩)».

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد (١/ ٤٦٢)، (ح ٦٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير، (٦/ ٥٩١).

١- عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ(١) قال: إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ المُفَصَّلَ هُوَ المُحْكَمُ.

قالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ(٢).

٢- وعَنْ سَعِيدِ بن جُبَيرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: جَمَعْتُ المُحْكَمَ في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا المُحْكَمُ؟ قَالَ: المُفَصَّلُ(٣).

قال ابن كثير رحمه الله:(٤) «فيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصِّبَا، وهو ظاهر، بل قد يكون مُستحبّاً أو واجباً؛ لأنَّ الصَّبيَّ إذا تعلَّم القرآنَ بلغ وهو يعرف ما يُصلِّي به، وحِفظُه في الصِّغر أولى من حِفْظِه كبيراً، وأشدُّ عُلوقاً بخاطره، وأرسخُ وأثبتُ، كما هو المعهود من حال الناس».

أمَّا أجر الوالدين اللَّذين يعلِّمان أولادَهما كتابَ اللَّه عزَّ وجلَّ ويصبران على ذلك، فهو أجر عظيم يتناسب وتعبهما وصبرهما وتحملهما المشقة في ذلك، بِأَنْ يُكْسَيا حُلَّتَين لا يقومُ لهما أَهْلُ الدنيا:

---

(١) هو سعيد بن جُبير بن هشام الأسدي، مولاهم، الكوفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، من أئمة السلف، من الطَّبقة الثَّالثة، ومن الفقهاء والعلماء الصَّالحين الثِّقات، وكان عابداً فاضلاً ورعاً، خرج مع ابن الأشعث على الحجَّاج والي بني أمية، فلمَّا تمكَّن منه الحجَّاج قتله، وذلك سنة (٩٥هـ)، وعمره (٤٩)، وقيل (٤٧) سنة.

«انظر: تهذيب التهذيب، (٤/ ١١-١٤)، ترجمة (١٤)».

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: تعليمِ الصِّبيانِ القرآنَ، (٣/ ١٦٢٢)، (رقم ٥٠٣٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، الكتاب نفسه، والباب نفسه، (٣/ ١٦٢٢)، (رقم ٥٠٣٦).

(٤) فضائل القرآن، (ص٢٢٦).

عن بُريدَةَ بن الحُصَيب رضي الله عنه قال: كُنْتُ عند رَسُول الله ﷺ فَسَمعتُهُ يَقُولُ: «إن القُرآنَ يَلْقَى صَاحِبَه يومَ القيَامة حينَ يَنشَقُّ عنه قَبْرُهُ كالرَّجُل الشَّاحب[(١)]، فيقولُ له: هَلْ تَعْرفُني؟ فَيَقُولُ: ما أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنا صَاحِبُكَ القُرآنُ الذي أَظمأْتُكَ في الهَواجر[(٢)]، وأَسهَرْتُ لَيْلَكَ، وإنَّ كُلَّ تاجر من وَرَاء تجَارَته، وإنَّكَ اليومَ منْ وَرَاء كلِّ تجَارَة، فيُعْطَى المُلْكَ بيَمينه، والخُلْدَ بشماله، ويُوضَعُ على رأسه تَاجُ الوَقَار، ويُكْسَى وَالداهُ حُلَّتَين لا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنيا، فَيَقُولان: بِمَ كُسينَا هذا؟ فَيُقَالُ: بأَخْذ وَلَدكُمَا القُرآنَ.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأ، واصْعَدْ في دَرَجِ الجَنَّة وغُرَفها، فَهُوَ في صُعُود مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذّاً[(٣)] كانَ، أَو تَرْتيلاً[(٤)]»[(٥)].

---

(١) (الشَّاحب): هو المتغيِّر اللون لعارضٍ من مرض أو سفر أو نحوهما.

«النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/٤٤٨)، مادة: شحب».

(٢) (الهَوَاجر): جَمْعُ هاجرة، وهو نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، عند اشتداد الحر.

«انظر: النهاية في غريب الحديث، (٥/٢٤٤)، مادة: هجر».

(٣) (هَذّاً): الهَذُّ والهَذَذُ بفتح الهاء: هو سرعة القراءة وسرعة القطع، يقال: هَذَّ القرآنَ يَهُذُّه هَذّاً: إذا أسرع في قراءته وسَرْده.

«انظر: لسان العرب، (٦/٤٦٤٣)، مادة: هذذ».

(٤) (ترتيلاً): ترتيل القراءة: هو التَّأني فيها والتَّمهل وتبيين الحروف والحركات.

«النهاية في غريب الحديث، (٢/١٩٤)، مادة: رتل».

(٥) رواه مُطوَّلاً أحمد في المسند، (٥/٢٣٨)، (ح٢٣٠٠٠) وقال محققو المسند، (٣٨/٤٢)، (ح٢٢٩٥٠): «إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في تفسيره، (١/٦٢)، ولبعضه شواهد يَصِحُّ بها».

وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٢٩)، (ح٣٠٠٤٥). وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٧٤)، (ح٦٠١٤).=

وفي حـديث أبي هريرة ﷺ مـرفـوعـاً إلى النبيِّ ﷺ قـال: «... وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَين، لا تَقُومُ لَهُمْ الدُّنيـا وما فيها، فَـيَقُولان: يارَبِّ! أَنَّى لَنَا هذا؟ فَيُقَالُ: بِتَعْلِيمِ وَلَدِكُما القُرآنَ...» الحديث[١].

وَحُقَّ لهذين الوالِدين أن يَعْـجَبا ويَدْهَشـا منْ هذا الإنعام العظيم الذي حَصَـلا عليه من حـيث لا يحتـسبـان، فعندمـا يُكْسَى هذان الوالدان حُلَّتَين عظيمتين من حُلَلِ الجنة أغلى وأثمن من الدنيا ومافيها، يتساءلان في دهشة: منْ أين لنا مِثْلُ هاتين الحلتين وليس لنا - فيـما نعلم - من العمل والطاعات ما يؤهِّلُنا للفوز بهذه الكرامة العظيمة؟

فَيُجابان: بتـعليم ولدكما القرآن وصبركمـا عليه وإخلاص النُّصح له. وهكذا فـإنَّ صاحب القـرآن مِنْ أَبَرِّ الناسِ بوالديه، ولو عَلِمَ كُلُّ والِدين مـا يحصل لهما عند الله تعالى من الكرامة والـرِّفعة بأخذ ولدهما للقرآن العظيم لبادرا إلى دفع أولادهما دفعاً، وحـثِّهم حثاً على تعلُّمِ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره[٢].

= وذكره البـوصيـري في مصبـاح الزجاجـة، (٣/ ١٨٧)، (ح١٣٢١) وقال: «هذا إسناد رجاله ثقات». وذكـره الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ١٥٩)، وقـال: «روى ابن ماجه منه طرفاً، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

ورواه مُخْتَـصَراً الحاكم في المسـتدرك، (١/ ٧٤٢)، (ح ٢٠٤٣) وقال: «حديث صـحيح الإسناد على شـرط مسـلم ولم يخرجـاه»، وأقـره الذهبي. وابن ماجـه، (٢/ ١٢٤٢)، (ح٣٧٨١). وأحمد في المسند، (٥/ ٣٥٢)، (ح ٢٣٠٢٦).

(١) رواه الطبـــراني في «الأوسط»، (٦/ ٥١)، (ح ٥٧٦٤). وأورده الألبـــاني في الســلسلة الصحيـحة، (٦/ ٧٩٢)، (ح ٢٨٢٩) وقال: «الحديث حسن أو صـحيح؛ لأن له شاهداً من حديث بريدة بن الحصيب مرفوعاً بتمامه».

(٢) انظر: أنوار القرآن، لمصطفى الحمصي، (ص ١٨١ - ١٨٢).

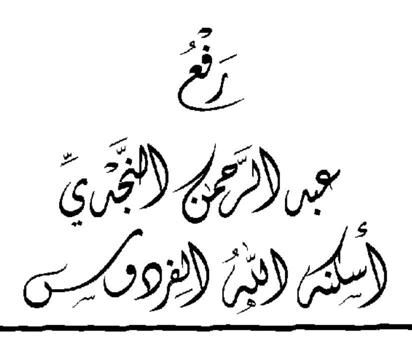
وقد أحسن الشَّاطبيُّ رحمه الله حينما قال:

فَيَا أَيُّهَا القَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً ... مُجِلاً لَهُ في كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ
هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ... مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلاَ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ ... أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ المَلاَ(١)

وهذا منَ الآثار الحسنة التي تُكتب في ميزان الوالدين، لأنهما السَّبب المباشر في تعليم هذا الولد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. كما مرَّ بنا في المطلب الرابع من هذا المبحث.



(١) انظر: حِرزُ الأماني ووجهُ التَّهاني في القراءات السبع، (ص ١٢ - ١٣).



المبحث الثالث
فضائل تلاوة القرآن

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: التِّلاوة تجارة رابحة.

المطلب الثاني: تَنَزُّل السَّكينة والرَّحمة والملائكة للتِّلاوة.

المطلب الثالث: اغتباط صاحب التِّلاوة.

المطلب الرابع: التِّلاوة حلية لأهل الإيمان.

المطلب الخامس: التِّلاوة كلُّها خير.

تمهيـــــد

كان رسولُ الله ﷺ يكثر من تلاوة القرآن العظيم، فكان يقرؤه قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومُحْدِثاً، وفي سيره وركوبه، وسائر أحواله.

فَعَنْ عَبْد الله بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قال: «**رأيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَته سُورَةَ الْفَتْحِ**»[(١)].

وهي سُنَّةٌ لابد منْ إحيائها في ركوبنا لمختلف وسائل التنقل المريحة في هذا الزمان خصوصاً أنَّ بعض رحلات التَّنقل البريَّة أو الجويَّة أو البحريَّة تستغرق السَّاعات الطِّوال ورُبَّما الأيام المتتابعة.

وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّكِئُ في حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرآنَ**»[(٢)].

وهذه من الأفعال التي كان يعملها رسولُ اللَّه ﷺ أحياناً لبيان جوازها، ولكن يُؤخَذُ منها أنه ﷺ كان يقرأ القرآن في سائر أحواله.

«وأما القراءة في الطَّريق: فالمُخْتَارُ أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يَلْتَه صاحبها، فإن الْتهى صاحبها عنها كُرهت، كما كَرِهَ النبيُّ ﷺ القراءةَ للناعس مخافة الغلط»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: القراءة على الدَّابَّة، (٣/ ١٦٢١)، (ح ٥٠٣٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، (١/ ٢٤٦)، (ح ٣٠١).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص ١٠٢).

والمُستحبُّ للقارئ في غير الصلاة أنْ يستقبل القبلة، ويجلس متخشِّعاً بسكينة ووقار، فهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً، أو مضطجعاً أو في فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأوَّل[(١)].

وقد ثَبَتَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: «إنِّي لأَقْرأُ حِزْبي[(٢)] وأنَا مُضْطَّجِعَةٌ على سَرِيري»[(٣)].

وقراءةُ القرآن محبوبةٌ على الإطلاق، إلاَّ في أحوال مخصوصة جاء الشَّرع بالنَّهي عن القراءة فيها، كالقراءة حال الركوع، والسُّجود، والتَّشهد، وغيرها من أحوال الصَّلاة سوى القيام، وتُكره القراءة حال القعود على الخلاء، وفي حال النُّعاس، وكذا إذا استَعْجَمَ عليه القرآن فلم يَدْرِ ما يقول، وكذا في حال الخُطبة لمن يسمعها[(٤)].

وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ أصحابَه إلى قراءة القرآن بصفة فردية أو جماعية، وفي البيوت، وفي المساجد.

وكان رسول الله ﷺ يدعو أصحابه إلى قراءة القرآن في الطُّرقات بلسان حاله، فنلحظ أنَّ آيات كثيرة نزلت عليه ﷺ في طريق سفره فكان يقرأ بها، وهي دعوةٌ غير مباشرة منه ﷺ إلى الاقتداء به في القراءة حتى في الطريق.

وأمَّا دعوتُه ﷺ إلى القراءة بورْد يومي، فنجدها في قوله ﷺ: **«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ**

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص ١٠٣ - ١٠٤).

(٢) هو مقدار معلوم من القرآن تُواظب عليه فتقرؤه يومياً رضي الله عنها.

(٣) رواه الفريابي في «فضائل القرآن»، (ص ٢٣٠)، (رقم ١٥٤). وأبو عبيد في «فضائل القرآن»، (ص ١١٩)، (رقم ١٩١، ١٩٢).

(٤) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، (ص ١٥٢ - ١٥٣).

الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»[١].

وفي هذا دعـوةٌ منه ﷺ إلى ملازمة الـوِرْدِ اليومي في قـراءة القرآن العظيم.

وَكُلُّ هذا يريد به ﷺ حَثَّ أُمَّته على الإكثار من قراءة القرآن الكريم؛ ليعيش معهم في كل شؤون حياتهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[٢].

وفضائلُ تلاوة القرآن العظيم كثيرة ومبـاركة، تعود بالخير على صاحبها في الدنيا والآخرة، ولو يعلم المسلمون مـا في التلاوة من الفضائل والمغانم لما تركـوا كتـابَ الله تعالى مـن بين أيديهم، يتلونه آناء الليل وأطراف النهـار، والحديثُ عن أَهَمِّ هذه الفضائل نجده في المطالب الآتية:

المطلب الأول
التلاوة تجارة رابحة

١- يقول الله تـعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]. فهذا ثناءٌ مِنَ اللهِ تعالى على قُرَّاء القرآن العظيم.

قال القرطبي رحمه الله:[٣] «**هذه هي آية القُرَّاءِ العامِلين العالِمين**». فقد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، (١/ ٥١٥)، (ح ٧٤٧).

(٢) انظر: يعلمهم الكتاب التعامل مع القرآن الكريم، (ص ٤٢ - ٤٣).

(٣) تفسير القرطبي، (١٤/ ٣٤٥).

أخبر الله تبارك وتعالى عن عباده المؤمنين الذي يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، مِنْ إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً أنهم يرجون عند الله تعالى ثواباً لابد من حصوله.

وكان مُطَرِّفُ بْنُ عبد الله[(١)] رحمه الله، إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القرَّاء[(٢)].

ومعنى: ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم، حتى صارت سِمَةً لهم وعنواناً[(٣)].

فهذا ثناءٌ من الله تعالى على قُرَّاءِ القرآن العظيم أنهم يستمرون على تلاوته ويداومون عليها، فهم يتلون ألفاظه بدراسته، ومعانيه بتتبعها واستخراجها[(٤)].

فهؤلاء الصَّالحون، يرجون بأفعالهم الصالحة: ﴿تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسدَ ولن تهلكَ.

يقال: بارت السوقُ إذا كَسَدَت، وبارَ الطَّعامُ إذا فَسَدَ[(٥)].

وجاءت صفة هذه التِّجارة الرَّابحة بأنها: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تهلك بالخسران أصلاً، للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدنيوية الدائرة بين

---

(١) هو مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّير (أبو عبد الله) الحرشيّ العامريّ البصريّ، أحد أئمة التَّابعين، فقيهٌ، عابدٌ، مُجاب الدَّعوة، له فضل وورع وعقل وأدب، قال العجلي: «كان ثقةً لم يَنْجُ بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلاَّ هو وابن سيرين». توفي سنة (٩٥هـ). «انظر: سير أعلام النبلاء، (٤/ ١٨٧-١٩٥)».

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٦/ ٥٦٧).

(٣) انظر: الكشاف، (٣/ ٦٢١). تفسير أبي السعود، (٧/ ١٥١).

(٤) انظر: فتح القدير، (٤/ ٣٤٨). تفسير السعدي، (٤/ ٢١٦).

(٥) انظر: تفسير الطبري، (٢٢/ ١٣٢). تفسير السمرقندي، (٢/ ٥٣٢).

الربح والخسران؛ لأنه اشتراءُ باقٍ بفان، والإخبار بأنهم يرجون ذلك من أكرم الأكرمين، وَعْدٌ مقطوع ومضمون بحصول مَرْجُوِّهم[١].

فهذه تجارة مِنْ أَجَلِّ التجارات، وأعلاها، وأفضلها، ألآ وهي رضا الرحمن جلَّ جلالُه، والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه[٢].

فهل مِنْ مُشَمِّرٍ إلى الجنة بالإكثار من تلاوة القرآن؛ فإنها تجارة رابحة ومضمونة عند أكرم الأكرمين القائل في كتابه العزيز: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾** [النساء: ١٢٢].

«ولهذا قال تعالى: **﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾**، أي: ليوفِّيَهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تَخْطُرْ لهم، **﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾**، أي: لذنوبهم، **﴿شَكُورٌ﴾** للقليل من أعمالهم»[٣].

فالله سبحانه وَعَدَ أهلَ القرآن العاملين به بعظيم الأجر وأن يزيدهم من لدنه تفضُّلاً وتكرُّماً، وهذه الزيادة لا يعلم مقدارها إلاَّ اللهُ ذو الفضل العظيم.

٢- عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ ﴿الم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[٤].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود، (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٢١٧).

(٣) تفسير ابن كثير، (٦/ ٥٦٧).

(٤) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، (٥/ ١٧٥)، (ح ٢٩١٠) وقال: «حسن صحيح غريب» وصححه الحاكم، وأقره الذهبي. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/ ٩)، (ح ٢٣٢٧). وصحيح الجامع: (٢/ ١١٠٣)، (ح ٦٤٦٩).

وعن عَبْدِ الله بن مَسْعُود ﵁ قال: «تَعَلَّمُوا هَذَا القُرْآنَ؛ فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ بتلاوَته بكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أمَا إنِّي لاَ أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ وَلَكِنْ أَلِفٌ ولاَمٌ وَمِيمٌ».

وفي روايةٍ أُخرى أنه قال: «أَلِفٌ ولاَمٌ وَمِيمٌ ثَلاثُونَ حَسَنَةً»(١).

قال المباركفوري(٢) رحمه الله: «والحرفُ يُطْلَقُ على حَرْفِ الهجاء، والمعاني، والجملة المفيدة، والكلمة المختلف في قراءتها، وعلى مُطلق الكلمة»(٣).

ويشير هذا الحديث العظيم إلى عدَّة أمور:

أولاً: أنَّ في تلاوة كلِّ حرف من كتاب اللَّه عزَّ وجَلَّ عَشْرَ حسنات،

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن»، باب فضل قراءة القرآن والاستماع إليه، (ص ٢٥)، والدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، (٢/ ٣٠٢)، (رقم ٣٣٠٨). والطبراني في «المعجم الكبير»، (٩/ ١٤٠)، (رقم ٨٦٥٨). والفريابي في «فضائل القرآن»، (ص ١٦٩)، (رقم ٦٣). وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب ثواب من قرأ حروف القرآن، (١٠/ ٤٦٢)، (رقم ٩٩٨٣).

وأورده الألباني في: «السلسلة الصحيحة»، (٢/ ٢٦٧)، (رقم ٦٦٠).

وقال: د. إبراهيم علي السيد في كتابه «الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم» (ص ٤٠): «إسناده حسن، فيه عمر بن عبيد صدوق، وبقية رجاله ثقات».

(٢) هو محمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم بهادر المباركفوري، مُحدِّث ولد بقرية مباركفور - من توابع أعظم كدة - بالهند سنة (١٢٨٣هـ)، وقرأ بالعربية وبالفارسية وبالأُردية، ورحل إلى البلاد القريبة منه، وقرأ على جماعة، كان ورعاً، إماماً في السُّنَّة، أُوذي في الله كثيراً فصبر، وقد أسَّس عدَّة مدارس، درَّس فيها بنفسه، ثم اعتزل في بيته، وانقطع للتَّأليف، وانتفع به خَلْق كثير. ومن آثاره: «تُحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي»، وغيره من المؤلفات. توفي في موطنه مباركفور سنة (١٣٥٣هـ).

«انظر: معجم المؤلفين، (٣/ ٣٩٤). راجع ترجمته بتوسع في: مقدمة تحفة الأحوذي، (ص ٦١٥-٦٣٤)».

(٣) تحفة الأحوذي، (٨/ ١٨٢).

وهذا هو أقل التَّضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ولاشَكَّ أَنَّ زيادة الأجر ومضاعفته تتناسب وحال القارئ من الإخلاص والخشوع والتدبر والتَّأدب مع كتاب الله تعالى.

ولذا قال أبو ذَر رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بالحَسَنَة، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَة، فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مثْلِهَا. أَوْ أَغْفِرُ»[١].

قال النووي رحمه الله:[٢] «معناه أَنَّ التضعيفَ بعشرة أَمْثَالها لابد منه بِفَضلِ الله، ورحمته، ووعده الذي لا يُخْلَف، والزيادة بعدُ بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة، يَحْصُلُ لبعض الناس دون بعض على حَسَبِ مَشيئَته سبحانه وتعالى».

ولا نكاد نجد ذكْراً ينال صاحبُه مثَل هذا الأجر به كما ينال مَنْ يتلو القرآن، فمن قرأ سطراً أو وجهاً أو جزءاً كم سيحصل عليه من الحسنات؟

وإذا عَلمنا أن الناس يتنازعون يوم القيامة على حسنة واحدة يُثْقِلُون بها موازينهم أدركنا عظمة هذا الأجر الذي ينتظر مَنْ يتلون كتاب الله حَقَّ تلاوته.

وإذا تأَمَّلنا حال الطَّالب الذي يستغرق في دراسة كتاب مقرر عليه عشرات السَّاعات، وربما العديد من الأيام والأسابيع، ثم يُعيده ويُلخِّصه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء، والتقرب إلى الله، (٤/ ٢٠٦٨)، (ح ٢٦٨٧).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧/ ١٤).

ويراجعه، وقد يحفظ مُعْظَمَهُ غَيباً أو شبه غيب؛ ليحصل على الدرجة الكاملة يحقق بها جزءاً من النجاح في أمر دنيوي، وقد لا ينجح في مسعاه، أليس من الجهل وعمى البصيرة أن ينصرف المسلم عن تلاوة القرآن العظيم، وفيه من الخيرات والبركات الدُّنيوية والأُخروية ما فيه؟ وهي مضمونةٌ ومكتوبة له عند ربٍّ العالمين.

ثانياً: يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]. ويقول في التَّائبين العاملين: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾ [الفرقان: ٧٠]. **فبفضل ما يتلوه المسلم من كتاب اللَّه تعالى،** وبما يكتسبه من حسنات مضاعفة، **قد يمحو اللَّهُ ما اكتسب من أوزار ومعاصٍ.**

فكلُّ ابن آدم خَطَّاء، ولا أَحَدَ ينجو من ارتكاب سيئة أو سيئات، أو الوقوع في ذنب صغير أو كبير، فالمسلم بحاجة دائمة ليكفِّر عن ذنبه، بل ويبَدِّلُ اللهُ الكريمُ سيئاته حسنات، خاصة إذا توافرت منه شروط التوبة مِنْ جهةٍ، وشروط التلاوة المطلوبة مِنْ جهةٍ أخرى.

ثالثاً: كلَّما ازداد المؤمن استكثاراً من التِّلاوة ازداد رُقيّاً عند اللَّه عزَّ وجَلَّ. وتحَوَّل من صفة ومنزلة إلى منزلة أعلى وأعظم:

فعن تَميمٍ الدَّاري ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِمائَةِ آيَةٍ في لَيْلَةٍ كُتِبَ له قُنوتُ لَيْلَةٍ**»(١).

---

(١) رواه أحمد في المسند، (٤/١٠٣)، (ح ١٦٥٥٥). والدارمي في سننه، (٢/٣٣٧)، (ح ٣٤٥٠). والنسائي في «الكبرى»، (١٠٥٥٣) - وهو في عمل اليوم والليلة (٧١٧) -. وقال الألباني في صحيح الجامع (٢/١١٠٣)، (ح ٦٤٦٨): «صحيح».

قال المُناوي[١] رحمه الله: «أي: عبادتُها»[٢].

وعَنْ عَبْد الله بن عَمْرو بن العَاص رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَامَ بعَشْر آيَات لَمْ يُكْتَبْ منَ الْغَافلينَ، وَمَنْ قَامَ بمائَة آيَة كُتبَ منَ الْقَانتينَ، وَمَنْ قَامَ بأَلْف آيَة كُتبَ منَ الْمُقَنْطرينَ»[٣].

ومعنى: «كُتبَ منَ القانتين» أي من الطائعين الخاشعين المصلِّين.

ومعنى: «كُتبَ من المقنطرين» أي المالكين مالاً كثيراً، والمراد كثرة الأجر. وقيل: ممن أُعْطِي أجراً عظيماً[٤].

وقد يبدو لأوَّل وهلة أنَّ قراءةَ أَلْفِ آية في اليوم من الأمور الصَّعبة،

---

(١) هو عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين بن يحيى بن محمد الحدادي ثم المُناوي، القاهري، الشَّافعي، ولد سنة (٩٥٣هـ)، وتوفي سنة (١٠٢١هـ)، كان زاهداً كثير العبادة أحرز العلوم والمعارف، نشأ في حجر والده وقرأ عليه وعلى كثيرين غيره، نبغ في العربية والتَّفسير والحديث والأدب، ولي تدريس المدرسة الصَّالحية فأخذ عنه كثيرون، ثم انقطع إلى التأليف، وقد استولى عليه مرض أقعده. قيل: إنَّ بعض الحاسدين دسَّ له سُمّاً فكان يُملي تأليفه على ابنه محمد، وقد خلط بعضهم بينه وبين ابنه محمد بن عبد الرؤوف المتوفى سنة (١٠٢٢هـ)، ولابنه هذا شرح على التائية الكبرى للفارضي. ولعبد الرؤوف المُناوي تصانيف كثيرة منها: «الجامع الأزهر من حديث النبيِّ الأنور»، و «إتحاف النَّاسك بأحكام المناسك»، و «الجواهر المضية في الأحكام السُّلطانية» وغيرها.

«انظر: مقدمة فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمُناوي (١/ ٩-١٠)».

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، (١١/ ٥٩٥١).

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه، (٢/ ١٨١)، (ح ١١٤٤). وابن حبان في صحيحه، (٦/ ٣١٠)، (ح ٢٥٧٢). وأبو داود في سننه، (٢/ ٥٧)، (ح ١٣٩٨). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١/ ٢٦٣)، (ح ١٢٤٦): «صحيح».

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ١٩٢).

ولكن عندما نعلم أن تلاوتها لا تستغرق من أحدنا أكثر من ساعة ونصف تقريباً، بتلاوةٍ مُتأنِّيَةٍ ندرك أن ذلك ليس من الصُّعوبة في شيء.

فآخرُ جزءين في القرآن الكريم: (تبارك. وعمَّ) قُرابة ألف آية[١].

رابعاً: إنَّ تلاوة القرآن العظيم تزداد وتعظم إذا كانت في الصلاة، كما مَرَّ بنا في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الآنف الذِّكر.

ذلك أَنَّ التالي في الصلاة يجمع أكثر من أجر في وقت واحد، فله أجر الصلاة، وأجر الذِّكر، وأجر التلاوة، ويتضاعف ذلك مع التَّدبر والخشوع وحضور القلب.

وقد بيَّنَ رسولُ الله ﷺ الأجرَ الكبير الذي يفوز به القارئ في صلاته بمِثَالٍ جميلٍ مُعَبِّر:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِه أَنْ يَجِدَ فيه ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[٢] عظَامٍ سِمَانٍ؟**». **قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ:** «**فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِه، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ**»[٣].

---

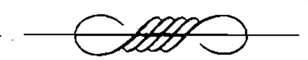
(١) بلغ عدد آيات جزءي «تبارك، وعمَّ» برواية حفص عن عاصم الكوفي رحمه الله: (٩٩٥)، فإذا أضفنا عدد آيات سورة الفاتحة - وهي ركن في الصلاة - تجاوز العدد (١٠٠٠) آية.

ولا يعني ذلك أن يقتصر المسلم على تلاوتهما في صلاته دون غيرهما.

(٢) (**خَلِفَات**): الخَلِفَاتُ الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها. ثم هي عشار. والواحدة خَلِفَة وعشراء. «انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٩)».

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة، (١/ ٥٥٢)، (ح ٨٠٢).

فَلأَنْ يقرأ المسلمُ آيةً من كتاب الله في صلاته خير له من أن يتصدَّق بناقة حامل عظيمة سمينة، وآيتين خير له من ناقتين، وثلاثاً خير له من ثلاث. وكأنما تلد الحسناتُ الحسنات، واللهُ يُضاعفُ لمن يشاء، واللهُ واسع عليم. نسأل اللهَ الكريم من فضله وجوده وكرمه(١).



المطلب الثاني
تَنَزُّل السكينة والرحمة والملائكة للتلاوة

مِمَّا ورد في فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وتعلمه ومدارسته، وبخاصة إذا كان ذلك في المسجد الذي هو مهوى أفئدة المؤمنين، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْت مِنْ بُيُوت اللَّه، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّه، وَيَتَدَارَسُونَه(٢) بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ(٣)، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ(٤) وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئكَةُ(٥)، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ**

---

(١) انظر: أنوار القرآن، (ص ٧٩ - ٨٤).

(٢) (**يتدارسونه**): يقرؤونه ويتعهَّدون تلاوته. وقيل: التَّدارسُ قِراءةُ بعضهم على بَعْضٍ تَصْحيحاً لألفاظه، أو كشفاً لمعانيه. «انظر: تحفة الأحوذي، (٨/ ٢٦٨). النهاية في غريب الحديث، (٢/ ١١٣)، مادة: (درس)».

(٣) (**السَّكينة**): الوقار والتَّأني والسُّكون. وقيل: الرَّحمة. وقيل: خَلْقٌ رقيق كالرِّيح والهواء. «النهاية في غريب الحديث، (٢/ ٣٨٦)، مادة: (سكن)».

(٤) (**غشيتهم الرَّحمة**): أي غطَّتهم الرَّحمة. وغشاه تغشيةً إذا غطاه، وغشي الشيءَ إذا لابسه. «النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٣٦٩)، مادة: (غشي)».

(٥) (**حفَّتهم الملائكة**): أي دارت حولهم.
«النهاية في غريب الحديث، (١/ ٤٠٨)، مادة: (حفف)».

فِيمَنْ عِنْدَهُ»[١].

هذا الحديث من أعظم البشارات التي يُبشر بها النبيُّ ﷺ المجتمعين لتلاوة القرآن وتدارسه، فقد رَغَّبهم في مدارسته وحثهم على ذلك لما فيه من عزهم وشرفهم، وصلاح أحوالهم، ولما فيه من الأجر العظيم عند الله تعالى، سواء كان اجتماعهم في المسجد أم في غيره من المدارس أو البيوت.

قال النَّووي رحمه الله:[٢] «وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد. وهو مذهبنا، ومذهب الجمهور،... ويُلحق بالمسجد في تحصيل الفضيلة الاجتماع في مدرسة، ورباط، ونحوها إن شاء الله تعالى».

ويدلُّ عليه حديثُ أبي هُريرَة وأبي سَعيد الخدريِّ رضي الله عنهما: «أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[٣].

وما أَظُنُّ مجلساً من مجالس الخير تتكاثر فيه البركات، وتنهل منه الرحمات، ويعود على المسلمين بالأجر الجزيل، والفضل العظيم، كمجلس قُرآنٍ فيه تَدارُسٌ وتعاهُدٌ وتعلُّم وتعليم، **وَمَنْ حضره نال أربع جوائز عظيمة،** وهي كالآتي:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (٤/ ٢٠٧٤)، (ح ٢٦٩٩).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧/ ٢٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، (٤/ ٢٠٧٤)، (ح ٢٧٠٠).

الجائزة الأولى: نزلت عليهم السَّكينة.

إن أول ما يُتْحَفُ به هؤلاء المجتمعون على تلاوة القرآن وتدبره، نزول السكينة عليهم، وهي الطمأنينة والراحة النفسية، فلا يصيبهم ما يملأ قلوب الآخرين من قلق واضطراب وأمراض نَفْسِيَّةٍ وعُقَدٍ ومَخَاوِفَ جَعَلت حياة هؤلاء جحيماً لا يُطاق(١).

ومعنى السَّكينة: السُّكون والطمأنينة التي يطمئن إليها القلبُ ويسكن بها عن الرُّعب. وقيل: هي الرحمة. وقيل: الوقار. وقيل: هي ملائكة الرحمة(٢).

قال ابن حجر رحمه الله:(٣) «والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به».

وقال النَّووي رحمه الله:(٤) «المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة».

وقد تنزلت السَّكينة لأحد الصحابة وهو يقرأ القرآن:

فعن الْبَرَاء بن عَازِب رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ(٥)، فَتَغَشَّتْهُ(٦) سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وتَدْنُو،

---

(١) انظر: ورتل القرآن ترتيلاً، (ص ١٥).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، (٨/ ١٥٦).

(٣) فتح الباري، (٩/ ٥٧).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٢).

(٥) (شَطَنَيْن): بفتح الشين المعجمة والطاء، تثنية شطن، وهو الحبل الطويل. وإنما شَدَّه بشطنين لقوته وشدَّته. [النهاية في غريب الحديث، (٢/ ٤٧٥)، مادة: «شطن»].

(٦) (تَغَشَّتْهُ): أي عَلَته وقربت منه. [النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٣٦٩)، مادة: «غشا»].

وَجَعَلَ فَرسُهُ يَنفِرُ[١]، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرآنِ**»[٢].

وفي لفظ قال البَراءُ بْنُ عَازِب ﷺ: قَرأَ رَجُلٌ الكَهْفَ، وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ فإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ. قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «**اقْرَأْ، فُلَانُ! فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ القُرآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرآنِ**»[٣].

«قال الطِّيبي: فإن المؤمن تزداد طمأنينته بأمثال هذه الآيات إذا كوشف بها»[٤].

وهذا الرَّجل الذي كان يقرأ القرآن قيل هو أُسَيدُ بْنُ حُضَيرٍ ﷺ، كما سيأتي حديثه قريباً أنه كان يقرأ سورةَ البقرة، وفي هذا الحديث كان يقرأ سورةَ الكهف، وهذا يدل على تعدُّد القصَّة[٥].

وكثيراً ما يمتَنُّ الله جلَّ جلالُه على رسوله ﷺ وعلى عباده المؤمنين بتنزل السكينة عليهم؛ لأنها فضلٌ عظيم من الله تعالى، وراحةٌ عظيمة للمؤمن، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ [الفتح: ٤].

---

(١) (يَنْفِرُ): أي يثب ويجول. «صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٢)».

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، (٣/ ١٦١٥)، (ح ٥٠١١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، (١/ ٥٤٨)، (ح ٧٩٥).

(٤) تحفة الأحوذي، (٨/ ١٥٦).

(٥) انظر: فتح الباري، (٩/ ٥٧).

فقد امتنَّ اللهُ تعالى على عباده المؤمنين بإنزال السَّكينة في قلوبهم.

وهي: السُّكون والطمأنينة، والثَّبات عند نزول المِحَن المُقْلِقَة، التي تُشوِّش القلوب، وتُضْعِفُ النفوس. فَمِنْ نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يُثبِّته، ويربطَ على قلبه، وينزل عليه السكينة، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه.

فالصحابة ﷺ، لمَّا جرى بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، من تلك الشروط، التي ظاهرها، أنها غضاضَةٌ عليهم، وحَطٌّ من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس.

فلمَّا صَبَرُوا عليها، ووطَّنوا أَنْفُسَهم لها، ازدادوا بذلك، إيماناً مع إيمانهم[1].

والقلوب كثيراً ما تمتلئ بالهموم والأحزان والاضطرابات، فإذا ما جلس المؤمن مع إخوته يتحلَّقون حول كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم زال كل ذلك عنهم ونزلت عليهم السكينة.

فأين أولئك الذين يلتجئون إلى العيادات النَّفْسيَّة ليتخلصوا من همومهم وآلامهم النَّفْسية التي تُحاصرهم، **أين هم من المجالس التي تنزل على أصحابها السكينة**، فليفروا من مجالس المعاصي والآثام والموبقات إلى مجالس النور والسكينة؛ ليغسلوا قلوبهم، ويُطهِّروا أنفسهم، ويرتاحوا من آلامهم[2].

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (٥/ ٤٤).

(٢) انظر: أنوار القرآن، (ص ١٠٧ - ١٠٨).

الجائزة الثانية: غشيتهم الرَّحمة.

الرحمة قريبة من أهل القرآن، بل تغشاهم في مجالسهم، وأهل هذا المجلس هم من المحسنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وجزاء أهل الإحسان عند الله عظيم، فإنَّ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤]. ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤٤].

واللهُ تعالى يُحِبُّهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ورحمة الله تعالى خير لهم مما يجمعه أهل الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. عند ذلك نعلم يقيناً أن ما يجنيه أهل مجلس التلاوة والمدارسة من الخير العظيم لا يوازيه كل شيء يجمعه أهل الدنيا من الحطام الزائل.

وقد سَمَّى الله تعالى وحيه إلى أنبيائه بالرحمة، كما قال تعالى مُخبراً عن نوح عليه السَّلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: ٢٩]. يشير إلى ما اختصَّه الله تعالى من الوحي والعلم والحكمة.

وكذلك قال صالح عليه السَّلام: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣].

ومن باب أولى أن يُسَمَّى القرآن العظيم بالرحمة، فقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩](١).

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، (١/ ٧٨).

وإذا كانت رحمةُ اللَّه قد وسعت كُلَّ شيء، وأحاطت بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. **فهي بِأَنْ تَسَعَ أهلَ القرآن وتُلاته أحقُّ وأجدر**[١].

الجائزة الثالثة: حَفَّتْهم الملائكة.

فتحفُّهم الملائكة الكرام بأجنحتها تشريفاً وتعظيماً لهم، ولِمَا اجتمعوا عليه.

وقد تنزَّلت الملائكة الكرام ودنت من الصَّحابيِّ الجليل أُسيد بن حُضير ﷺ **وهو يقرأ القرآن الكريم**: فعن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ قالَ: بَيْنَما هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ، إذْ جَالَت الفَرَسُ، فَسكَتَ فَسكَتَتْ، فَقَرأَ فَجَالَت الْفَرَسُ[٢]، فَسكَتَ وَسكَتَ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرأَ فَجَالَت الفَرَسُ، فَانْصَرَفَ، وكَانَ ابْنُهُ يَحْيى قَرِيباً مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أنْ تُصيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ[٣] رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ حَتَّى ما يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «**اقْرَأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ**». قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ الله أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وكَانَ مِنْهَا قَرِيباً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إلَيْه، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ[٤] فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «**وتَدْرِي مَا ذَاكَ**». قَالَ: لاَ، قَالَ: «**تِلْكَ المَلائِكَةُ دَنَتْ**

---

(١) انظر: المصدر السابق، (ص ١٠٩ - ١١٠).

(٢) (**جَالَت الفَرَسُ**): أي وثَبَتْ واضطربت. قال في هذه الرواية: «جالت» فأنَّثَ الفرس وهو صحيح؛ لأن الفرس يطلق على الذكر والأنثى.
«انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٣)».

(٣) (**فَلَمَّا اجْتَرَّهُ**): بجيم ومثناة وراء ثقيلة، والضمير لولده، أي: اجترَّ ولَدَه من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس. «انظر: فتح الباري، (٩/ ٦٤)».

(٤) (**الظُّلَّةِ**): هي ما يقي من الشمس. كسحاب، أو سقف بيت.
«صحيح مسلم، (١/ ٥٤٨)».

لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»[(١)].

قال ابن حجر رحمه الله:[(٢)] «قال النَّووي: في هذا الحديث جوازُ رؤية آحاد الأمة للملائكة، كذا أطلق، وهو صحيح، لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحَسَن الصوت، قال: وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة. قلت: الحُكْمُ المذكورُ أعَمُّ من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يُذكر، وإلاَّ لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ».

وتنزَّلت الملائكة كذلك في مواقف الرسول ﷺ والمؤمنين في قتال الكافرين، وهي من أكرم المواقف عند الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وكذلك تتنزَّل في ليلة القدر، أعظم الليالي عند الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٥].

وهي كذلك تتنزَّل لتحف المؤمنين، وهم يتلون القرآن العظيم ويتدارسونه فيما بينهم، وتنزل معها المغفرة والرحمة ورضى الله تعالى[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، (١٦١٧/٣)، (ح ٥٠١٨). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، (٥٤٧/١)، (ح ٧٩٦).

(٢) فتح الباري، (٩/ ٨١).

(٣) انظر: أنوار القرآن، (ص ١١٠).

الجائزة الرابعة: ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فيمن عنده.

ومعنى: ﴿ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ﴾ أثنى عليهم، أو أثابهم فيمن عنده من الأنبياء والملائكة الكرام(١).

وأيُّ مكانة أكرمُ وأعظمُ من أن يذكر اللهُ جلَّ جـلالُه وتقدَّست أسماؤه عبدَه الفقيرَ الضَّعيفَ فيمن عنده في الملكوت الأعلى!.

فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَـالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَقُـولُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»(٢).

ولقـد ندب اللهُ عبـادَه المؤمنين إلى ذكره فـقال تعـالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. قـال ابنُ عبـاسٍ ﷺ: ذِكْـرُ الله إيَّاكم أكبـرُ من ذكركم إياه.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي(٣).

فإذاَ عَلِمَ المسلمُ أن عظيـماً من العظماء ذَكَرَه أمـام حاشيته أو خـاصَّتِه بخيرٍ وأثنى عليه، ألاَ تمتلئ نفسه غِبطةً وسروراً، ويستبشر بذلك؟

ولله المثلُ الأعلى في الـسمـاوات والأرض فـكيف إذا عَلِمَ أَنَّ اللهَ جلَّ جلالُه يثني عليه في الملكوت الأعلى؟ ألاَ يستبشر وَيُسَرُّ؟

فإنَّ هذا من أعظم الحوافـز والدَّوافع إلى المسارعة إلى مجـالس القرآن

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٣٠).

(٢) رواه مسلم في صـحيحه، كتـاب الذكر والدعاء والتوبـة والاستغفار، باب فـضل الذكر والدعاء، (٤/ ٢٠٦٨)، (ح ٢٦٧٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، (١/ ٤١٩).

المباركة تلاوةً وتدارساً وتدبراً وعملاً.

فهنيئاً لأهل القرآن بهذا الفضل العظيم والمنزلة الرفيعة، وعَجَباً مِمَّنْ يزهدُ ويتكاسل أو يُعرض عن مجالس القرآن العظيم(١).



المطلب الثالث
اغتباط صاحب التِّلاوة

١- اغْتِبَاطُ التَّالي للقرآن.

عَنْ أبي هُريرة: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْن(٢): رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرآنَ فَهوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهار، فَسَمعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَني أُوتيْتُ مثْلَ ما أُوتيَ فُلاَنٌ، فعَملْتُ مثْلَ ما يَعْمَلُ، ورَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُهْلكُهُ في الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مثْلَ ما يَعْمَلُ»(٣).

وفي لفظٍ آخَرَ مرفوعاً: «لاَ تَحَاسُدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ القُرآنَ،

---

(١) انظر: أنوار القرآن، (ص١١١). ورتل القرآن ترتيلاً، (ص١٥).

(٢) (لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ): الحسد: أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه، والغبط: أن يتمنى أن يكون لـه مثلها ولا يتـمنى زوالها، والمراد بالحسـد هنا: الغبطة. «النهاية: في غريب الحديث، (١/ ٣٨٣)، مادة: (حسد)».

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، (٣/ ١٦١٩)، (ح ٥٠٢٦).

فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» الحديث[١].

ومعنى: «**لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين**».

«أي: لا رُخْصَةَ في الحسد إلاَّ في خصلتين، أو لا يَحْسُنُ الحسدُ إنْ حَسُنَ، أو أطلق الحسد مبالغة في الحثِّ على تحصيل الخصلتين، كأنه قيل: لو لم يحصلا إلاَّ بالطَّريق المذموم لكان ما فيهما من الفضل حاملاً على الإقدام على تحصيلهما به، فكيف والطَّريق المحمود يمكن تحصيلهما به؟!»[٢].

قال النَّووي رحمه الله:[٣] «قال العلماء: الحسد قسمان: حقيقيٌّ، ومَجازيٌّ. **فالحقيقيُّ**: تمني زوال النِّعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأُمَّة مع النصوص الصحيحة، **وأمَّا المَجازي**: فهو الغبطة وهو أن يتمنَّى مثْلَ النِّعمةِ التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فَإِنْ كانت مِنْ أُمور الدُّنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعةً فهي مستحبة. **والمرادُ بالحديث**: لا غِبْطَةَ محبوبةٌ إلاَّ في هاتين الخصلتين، وما في معناهما».

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن صاحب القرآن - الذي يتلوه آناء الليل وآناء النهار - في غِبْطَة، أي في فَرحٍ وَحُسْنِ حال، فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه، ويُستحب تغبيطُه بذلك، يقال: غَبَطَهُ يَغْبِطُهُ بكسر الباء غَبْطاً؛ إذا تمنَّى مثل ما هو فيه مِنَ النِّعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنِّي زوال نعمة المحسود منه سواء حصلت لذلك الحاسد أم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التَّمني، باب تمني القرآن والعلم، (٤/ ٢٢٦١)، (ح ٧٢٣١).

(٢) فتح الباري، (٩/ ٩٢).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٣٣٨).

لا، وهذا مذموم شرعاً، وهو أَوَّلُ معاصي إبليس حين حَسَدَ آدمَ على ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام(١).

والغِبطة ليست بحرام بل رُبَّما كانت واجبة أحياناً أو مندوبة أو مباحة في أحيان أخرى، والله تعالى يقول: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]. ويقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]. والمسابقة منافسة، والمنافسة غبطة.

ولكن مجرد التمني والغبطة لا يكفي بحال من الأحوال مادام المسلم قادراً على أن يكون خيراً مما هو فيه، وآتاه الله تعالى من الوسع والطاقة والأسباب التي تُعينه على تحصيل القرآن والعلم الشرعي، ثم قعد يتمنَّى فقط فهذا التَّمني لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر(٢).

٢- اغتباط القائم بالقرآن.

فعن عَبْد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ عَلَى اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكتَابَ وَقَامَ به آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ»(٣).

وعن يَزِيدَ بْنِ الأَخْنَسِ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا تَنَافُسَ بَيْنَكُمْ إلاَّ في اثْنَتَيْن: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ القُرآنَ، فَهُوَ يَقُومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ، ويَتَّبِعُ مَا فِيْهِ، فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي مِثْلَ ما

---

(١) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (ص ٢٠١).

(٢) انظر: أنوار القرآن، (ص ٢٥٢ - ٢٥٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، (٣/١٦١٩)، (ح ٥٠٢٥).

أَعْطَى فُلاناً، فَأَقُومَ بِهِ كَمَا يَقُومُ بِهِ» الحديث[١].

قال ابن حجر رحمه الله:[٢] «والمراد بالقيام به العمل به مطلقاً، أعَمّ من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها، ومن تعليمه، والحكم والفتوى بمقتضاه».

وهذا يُذكِّرنا بقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

والمشهور عند كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت فيمن آمَنَ مِنْ أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سَلام وأَسَدِ بن عبيد وثعلبةَ بن سعيد وغيرهم، أي: لا يستوي مَنْ تقدَّم ذكرهم بالذَّم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، أي: ليسوا كلهم على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المُجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه، مُتَّبعة نبيَّ الله فهي ﴿قَائِمَةٌ﴾، أي: مستقيمة عادلة. من قولك: أقمت العود فقام، أي استقام.

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: ساعاته واحدها: إِنى كمعنى، أو إِنو كقنو، أو إِنى كنحى. والمقصود أنهم يقومون الليل، ويُكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند، (٤/ ١٠٤)، (ح ١٧٠٠٧).
وقال مُحَقِّقُو المسند (٢٨/ ١٦٨)، (ح ١٦٩٦٦): «صحيح لغيره».
وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٥)، (ح ٦٣٦): «حسن صحيح».

(٢) فتح الباري، (١/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١١٤). تفسير النسفي (١/ ١٧٣). التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٦).

قال ابن عاشور رحمه الله:(١) «وجملة ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ حال، أي يتهجدون في اللَّيل بتلاوتهم كتابهم، فَقُيِّدت تلاوتُهم الكتاب بحالة سجودهم. وهذا الأسلوب أبلغُ وأَبْيَنُ من أن يقال: يتهجَّدون؛ لأنه يدل على صورة فعلهم».

ولقد أثنى النبيُّ ﷺ على جماعة الأشعريين لكثرة قراءتهم القرآن باللَّيل، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ(٢) بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ، بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ. وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ**»(٣).

قال النَّووي رحمه الله: (٤) «فيه دليل لفضيلة الأشعريين، وفيه أن الجهر بالقرآن في اللَّيل فضيلة، إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم، أو لمصل، أو غيرهما، ولا رياء».

وقال أيضاً:(٥) «وإنما رَجُحَتْ صلاةُ الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشَّرْعُ به من إيجاد الخيرات في

(١) التحرير والتنوير، (٣/ ١٩٥).

(٢) (**رُفْقَة الأشعريين**): الرفقة بضم الراء وكسرها والأشهر الضم، وهم الجماعة المترافقون. [انظر: فتح الباري، (٧/ ٤٨٧)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (٣/ ١٢٨٤)، (ح ٤٢٣٢). ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين ﷺ، (٤/ ١٩٤٤)، (ح ٢٤٩٩).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ٦١).

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص٨٨).

الليل، فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً».

فهنيئاً لمن يُكْثِرُ قراءَةَ القرآن، ولْيُبشر بمجيء القـرآن العظيم يوم القيامة حين يشـهد له بالخير ويشفع له عند ربِّ العالمين: فعن بُرَيدَةَ بن الحُصَيب ﷺ قال: كُنْتُ عند رَسُول الله ﷺ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: **«إنَّ القُرآنَ يَلْقى صَاحِبَهُ يَوْمَ القِيَامَة حِيْنَ يَنشَقُّ عنه قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِب، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ القُرآنُ الَّذي أَظْمَأْتُكَ في الهَوَاجِر، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وإنَّ كُلَّ تاجِرٍ مِنْ وَرَاء تِجارَته، وَإنَّكَ اليَوْمَ مِنْ وَرَاء كُلِّ تِجَارَة، فيُعْطَى المُلْكَ بِيَمِيْنِه، والخُلْدَ بِشِمَاله، ويُوْضَعُ عَلَى رَأْسِه تَاجُ الوَقَار»**[1].

فالقـرآن لا يتخلَّى عن صاحبه الذي صَحِبَهُ في اللَّيل والنهار، وفي الصَّيف والشِّتاء، فإذا هو يبرز له يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، وكأنه يتمثل بصورة قارئه الذي اتعب نفسه بالسَّهر في الليل، والصَّوم في النهار. وفي ذلك دلالة على مدى ما أنفق صاحِبُ القرآن مِنْ جُهْدٍ، فأصابه من ذلك التَّعبُ والشُّحُوب[2].



(١) رواه أحمد في المسند، (٥/٢٣٨)، (ح ٢٣٠٠٠)، وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، وقد سبق تخريجه وشرح ألفاظه الغريبة (ص ٤٣٢).

(٢) انظر: شرح سنن ابن ماجة، (ص ٢٦٨). أنوار القرآن، (ص ١٧٩).

المطلب الرابع
التِّلاوة حِلْيَةٌ لأهل الإيمان

عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ. قَالَ: قَـالَ رسُولُ الله ﷺ : «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ(١)، رِيْحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيْحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ المُنَافق الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الرَّيحْانَةِ(٢)، رِيْحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ المُنَافق الَّذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ(٣)، لَيْسَ لَهَا رِيْحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(٤).

ما أروعَ بلاغةَ الرسول الأعظم ﷺ في حثِّه الناسَ على قراءة القرآن والعمل به عن طريق ضرب الأمثلة المحسوسة التي تُقرِّب المعنى وتُحفِّزُ الانتباه.

---

(١) الأُتْرُجُّ: بضم الهمزة والراء، بينهما مثناة ساكنة، وآخره جيم ثقيلة: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكِبَار، وهو ذهبيُّ اللون، زكيُّ الرائحة، حامض الماء. «انظر: لسان العرب، (٩/ ٨٤)، المعجم الوسيط، (ص٤)».

قال في القاموس المحيط (١/ ٣٦٤): «الأترج والأترجة والترنجة والترنج معروف، وهي أحسنُ الثمار الشَّجرية وأنفسها عند العرب».

(٢) الرَّيْحَانُ: جنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية، وكل نبت طيب الرائحة، ويقال: للمرأة رَيْحَانة. «انظر: المعجم الوسيط، (ص ٣٨١)».

(٣) الحَنْظَلُ: نبتٌ مفترشٌ، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لبٌّ شديد المرارة. «انظر: المعجم الوسيط، (ص ٢٠٢)».

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجرِ والمنافقِ، وأصواتُهم وتلاوتُهم لا تُجاوزُ حناجِرَهم، (٤/ ٢٣٦٣)، (ح/ ٧٥٦٠). ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن، (١/ ٥٤٩)، (ح ٧٩٧).

قال ابن حجر رحمه الله:[١] «قيل: خَصَّ صفةَ الإيمان بالطَّعم وصفةَ التلاوة بالرِّيح؛ لأن الإيمانَ ألزمُ للمؤمن من القرآن إذْ يُمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزمُ للجوهر من الرِّيح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه.

ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأُترجَّة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تَجمعُ طِيب الطَّعم والرِّيح كالتفاحة؛ لأنه يُتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصِّية، ويُستخرج من حبِّها دهن له منافع، وقيل: إنَّ الجِنَّ لا تقرب البيتَ الذي فيه الأُترج، فناسب أن يُمثَّلَ به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبِّه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جِرْمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة، ودباغ معدة، وجودة هضم».

فالمؤمنون - كما يُصنِّفُهم الحديث - درجات، وحالهم مع القرآن مُتفاوتة، وكذلك حال المنافقين، وبيانه كالآتي:

١- أحوال المؤمن مع القرآن.

إنَّ المؤمن الذي يقرأ القرآن طَيِّبُ الظاهر والباطن، كالأُترجَّة في طَيِّب طعمها ورائحتها، وكما أن المؤمن يستريح ويُسرُّ بتلاوة القرآن فكذلك الناس مِنْ حوله يُسرُّون بصوته والاستماع له.

أَمَّا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فإنه يفقد صفةً هامة وهي طيب الظاهر، فمثله كمثل التمرة طعمها طَيِّب ولا ريح لها، **وهذا نقص في شخصية المسلم لابد من تداركه** بالإقبال على القرآن العظيم تلاوة وحفظاً وتدبراً.

---

(١) فتح الباري، (٩/ ٨٤). وانظر: تحفة الأحوذي (٨/ ١٦٨). حاشية السندي (٨/ ١٢٥).

وطِيب الطَّعم هنا كناية عن قُوَّة الإيمان في قلب المؤمن وصِحَّة المعتقد، لكن بعض المؤمنين رغم نقاء قلوبهم وصِحَّة اعتقادهم، يبقى عطره محتبساً في قلبه وصدره، لا يتعدى أثره إلى غيره، وما ذاك إلاَّ لإعراضه عن تلاوة القرآن وتدبره كما ينبغي.

فالمؤمنُ الحقُّ يتميَّز بالقرآن ويرتقي بالقرآن إذا تلاه بشروطه، وعَمِلَ به، والْتزمه منهجَ حياة، وسبيلَ دعوة وإرشاد، فعند ذلك يتكامل الباطن والظاهر، كما يتكامل في الأُترجَّةِ طِيبُ طعمها، وطيب رائحتها، وَحُسْنُ منظرها.

وكما لا يُتصوَّر أن ينفصل في الأُترجَّةِ طيب طعمها عن طيب نشرها وَعِطرها - في الأعمِّ الأغلب - كذلك لا يُتصور أن ينفصل إيمان المؤمن عن عمله وسلوكه، ومنه تلاوة القرآن والتزامه منهج حياة.

وكذلك لا يُتصوَّر أن ينفصل القرآن عن المؤمن أبداً. فيصبح القرآن في واد والمؤمن في واد، ومنْ هنا يمكن أن نفهم الآية الكريمة: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ [الفرقان: ٣٠]؛ فما بين الهجرة إلى القرآن والهجرة عن القرآن يظهر التفاوت بين طيب الطعم مع طيب الرائحة، وبين طيب الطعم وغياب الرائحة.

٢- أحوال المنافق مع القرآن.

المنافق بين حالين أَحْسَنُهما سيئ؛ لأنه سيئ الباطن ولو حاول التظاهر بصفات أهل الإيمان وشاركهم بقراءة القرآن، فإن هذه القراءة عمل ظاهري يقصد به خداع الناس والتَّمويه عليهم، فمثله كمثل الرَّيحانة قد يَغْتَرُّ الجاهل بطيب رائحتها فإذا أكل منها ذاق المُرَّ والعلقم، وكذلك المنافق إنْ عاملته وعاشرته تذوقت مرارته وكشفت حقيقته.

قال ابن بطال فيما نقله عنه ابن حجر رحمهما الله جميعاً: «إنَّ قراءة

الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكــو عنده، وإنما يزكو عنده ما أُريد به وجهــه وكان على نِيَّةِ التَّـقرب إليه، وشَـبَّهَهُ ﷺ بالرَّيحـانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطِّيبُ مَوضِعَ الصوت وهو الحَلْق، ولا اتصل بالقلب»(١).

فالمنافق إذا ســمعتَه يتلو القــرآن تصوَّرتَ وراء هذه التلاوة صدراً يــعمر بالإيمان، ولكنك لو تأمَّــلْتَ أكثـر عــرفتَ حالَ وفـســادَ عقــيــدته عند ذلك ستنصرف عنه وتلقيــه من حساباتك ومن حياتك كما يُلقى بالثَّـمرة إذا اختُبِرَ طَعْمُها فَوُجدت مُرَّةً خبيثةَ الطعم.

وإذا كان هذا حــال المنافق الذي يقرأ القرآن، فـما الظَّنُّ بالمنافق الذي لا يقرأ القرآن؟ فقد جَـمَعَ إلى مرارة الطعم (أي فساد العقيــدة) خُبْثَ الرائحة، فقلبه فــاسد بسوء معــتقده، ورائحتــه فاسدة بإعراضــه عن كتاب الله تلاوةً، فضلاً عن التَّـدبر والتَّأثر والعمل، فهــذا سيئ الباطن والظاهر، فمـثله كمثل الحنظلة وهو الشوك الذي تنفر من منظره وتعافه حتى الإبل؛ لما فيه من مرارة وطعم خبيث. فهو في بحرٍ لجيٍّ مــن الظلمات بعضها فوق بعض: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

ففي هذا الحـديث الشَّريف دعـوةٌ منه ﷺ إلى كلِّ مؤمن ومـسلم أن يتكامل باطنه مع ظاهره، ومخبره مع مظهره، واعتقاده مع سلوكه، ولا يتحقَّق ذلك إلاَّ بملازمة المؤمن لتلاوة القرآن وتدبُّره والعمل به(٢).



(١) فتح الباري، (١٣/ ٦٥٧).

(٢) انظر: أنوار القرآن، (ص ٨٩-٩٢). ورتل القرآن ترتيلاً، (ص ١٦-١٧).

المطلب الخامس
التـلاوة كُلُّهـا خـيرٌ

عن عائشةَ رضي الله عنها قـالت: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**المَاهرُ بالقُرآن**(١) **مَعَ السَّفَرَة**(٢) **الكِرَامِ البَرَرَة**(٣)، **والَّذِي يَقْرَأُ القُـرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِـيه**(٤)، **وَهُوَ عَلَيْه شَاقٌّ لَهُ أَجْرَان**(٥)»(٦).

وعند أبي داود(٧) من حديث عـائشة أيضاً مرفـوعاً بلفظ: «**الَّذي يَقْرَأُ**

(١) (الماهر بالقرآن): هو الحاذق الكامل الحفظ، الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة، لجودة حفظه وإتقانه.

(٢) (مع السفرة): السفرة جمع سافر، ككتبة وكاتب. والسافر: الرسول. والسفرة: الرسل؛ لأنهم يُسْفِرون إلى الناس برسالات الله. وقيل: هم الملائكة، سُمُّو بذلك؛ لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، كالسفير يُصْلِحُ بين القوم، وكذلك أهلُ القرآن يُصْلِحُ الله بهم المجتمع.

(٣) (البررة): أي المطيعون لله، مأخوذ من البرِّ وهو الطاعة.

(٤) (ويتتعتع فيه): هو الذي يتردد في تلاوته؛ لضعف حفظه.

(٥) (له أجران): أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته.

«انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٤-٨٥). فتح الباري، (٨/ ٦٩٣). شرح السنة، للبغوي (٤/ ٣٠)».

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، (١/ ٥٥٠)، (ح ٧٩٨).

(٧) هو سليمان بن الأشعث بن شدَّاد بن عمرو بن عامر - أو عمران - ولد سنة (٢٠٢هـ)، وهو أحد أئمة الحديث الحفَّاظ، ومن أعلام المسلمين فقهاً وعلماً وورعاً، ومن أشهر مَنْ خَدَمَ العلمَ والسُّنة وجَمَعَ وصنَّف وذبَّ عنها. ومن أشهر مؤلفاته: «كتابه السنن» أحد الكتب السِّتة التي اتَّفق أهل العلم على قبولها وصحَّتها في الجملة، توفي رحمه الله سنة (٢٩٨هـ). «انظر: تهذيب التهذيب، (٤/ ١٦٩-١٧٣)».

الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ الْسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَـرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ»[1].

١- الماهر بالقرآن.

فهذه بشارةٌ عظيمة لمن تعلَّمَ القرآن وأتقن تلاوته وأكثرَ منها حتى أصبح ماهراً فهو مع السفرة وهم الرسل الذين أرسلهم اللهُ عزَّ وجلَّ لهداية الناس، أو الملائكة المقرَّبين؛ لاتصافه بصفتهم التي تشرَّفُوا بها، وهي حَمْلُ كتاب الله تعالى وتبليغه، والإكثار من ذكر الله تعالى[2].

مَنْ هو الماهر:

هل الماهر بالقـرآن الذي يُجيد تلاوته فـقط، ولا شيءَ وراء ذلك؟ وهل مَنْ فعل ذلك يستحقُّ هذه المنزلة العظيمة؟!

لنستمعَ إلى الإمام القـرطبيِّ رحمه الله **وهو يصف لنا الماهرَ بالقرآن،** لندرك أن نيل هذه المرتبة الرفيعة يحتاج إلى مشقة وصبر وعمل متواصل حتى ينالها، فيقول:[3] «ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالفرقان، وذلك بأن يتعلم أحكامه، فيفهم عن الله تعالى مراده وما فرض عليه، ويعرف المكيَّ من المدني، لِيُفَـرِّقَ بين ما خاطَبَ الله به عبادَه في أول الإسـلام، وما ندبهم إليـه في آخر الإسـلام، وما افـترض في أول الإسـلام، وما زاد عليـهم من الفرائـض في آخره، ويعرف الإعـراب والغريب، فـذلك الذي يَسْهُلُ عـليه

---

(١) رواه أبو داود، كـتـاب قـراءة القـرآن وتحـزيبـه وترتيله، باب في ثواب قـراءة القـرآن، (٢/ ٧٠)، (ح ١٤٥٤)، وقال الألباني فـي صحيح أبي داود (١/ ٢٧٢)، (ح ١٢٩٠): «صحيح».

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٥). ورتل القرآن ترتيلاً، (ص ١٩).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار، (ص ٨٣-٨٤).

معرفة ما يقرأ، ويُزيلُ عنه الشكَّ فيما يتلو، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن النبيِّ ﷺ فَبِهَا يصل الطالبُ إلى مراد الله - عزَّ وجلَّ - وهي تَفْتَحُ له أحكامَ القرآن فتحاً».

٢- الذي له أجران.

مِنْ فَضْلِ الله تعالى وكرمه وتيسيره القرآن للمسلمين أَنَّ كل مَنْ يُقْبِلُ على القرآن العظيم فيتلوه ويتدبره فإن له أجراً عظيماً عند الله تعالى، سواء أكان ماهراً بالقراءة أم مُتَتَعْتِعاً فيها قد جاهد نفسَه واشتدَّت عليه التلاوة فله أجران، : **أَجْرٌ على التِّلاوة، وأجرٌ على المشقَّة.**

وهل يعني هذا أَنَّ مَنْ له أجران أكثرُ ثوباً من الماهر بالقرآن؟

يُجيبنا على هذا السؤال الإمامُ النَّوويُّ رحمه الله حيث يقول[١]: «وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، **بل الماهر أفضل، وأكثر أجراً**؛ لأنه مع السَّفرة وله أجور كثيرة.

ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يَلْحَقُ به مَنْ لم يَعْتَنِ بكتاب الله تعالى وحِفظِه، وإتقانِه، وكثرةِ تلاوته وروايتِه، كاعتنائه حتى مَهَرَ فيه».

«**والحاصل أن المضاعفة للماهر لا تُحصى**، فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر، والأجر شيء مُقَدَّر، وهذا له أجران من تلك المضاعفات»[٢].

والماهر نفسُه كان القرآنُ مُتَتَعْتَعاً عليه ثم ترقَّى بعد ذلك إلى أن شُبِّهَ بالملائكة[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٣٢٦).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٤/ ٢٣٠).

(٣) انظر: التذكار في أفضل الأذكار، (ص ٨٣).

وبعد هذا كُلِّه هل يرضى المسلمُ أن يكون القرآنُ عليه شاقاً، وأن يلقى على الدوام صعوبة في تلاوته، ويتتعتع فيه؟

إذا كانت التِّلاوةُ شاقةً عليه فهذا يؤجر على مجاهدته، ويُقْبَلُ منه ذلك، فإنه قد بذل جُهدَه ووسعَه وطاقَتَه، والله تعالى لا يكلف نفساً إلاَّ وسعها، وما آتاها، ولكن لاينبغي للمسلم أبداً أن يرضى لنفسه بهذه الحال ويقنع بضعفه إذا كان قادراً على بذل المزيد.

والعَتَبُ كلُّ العتب على أولئك الذين يُتَعْتِعُون في تلاوة القرآن وهو عليهم شاق باختيارهم؛ ذلك بأنهم على درجةٍ من العلم، وإجادةِ القراءة، أو أنهم مِمَّنْ حمل شهادات علمية عالية.

لاريب أنهم مُفَرِّطون بذلك، ومَرَدُّ تفريطهم يرجع إلى أمرين أَحسنهما سيئ:

١- **إمَّا أنهم أهملوا كتاب اللَّه ابتداءً**، وأعرضوا عنه، فصعبت عليهم التلاوة وأصبحت شاقة؛ لأَنَّ فاقِدَ الشيء لا يُعطيه. فهم لم يتعلَّموه البَتَّةَ.

٢- **أو أنهم تَعَلَّموا التلاوة ثم انصرفوا عنها وهَجَرُوها**، فطال عليهم الأمد فزهدوا في الأجر وشَقَّتْ عليهم التلاوة بعد ذلك، وهؤلاء على خطر كبير إذا لم يتداركوا أنفسَهم، ولهم أوفر النصيب من قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً**﴾ [الفرقان: ٣٠].

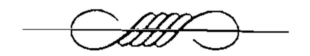
وإذا كان هذا حالَ أهلِ العربية الذين أكرمهم الله تعالى بها، ونزل القرآن بلسانهم، فلا عَتَبَ، ولا عجب إذاً على غير العرب من المسلمين إذا شَقَّ عليهم القرآن وتَتَعْتَعُوا في تلاوته.

لكنَّ الواقعَ خلاف ذلك، فإن كثيراً من إخواننا المسلمين من غير العرب في بقاع الأرض كُلِّها، يتلون كتابَ الله تعالى، وهم مَهَرَةٌ في ذلك،

والآلاف من هؤلاء يحفظونه عن ظهـر قلب، بل أصبحـوا معلِّمين له، وربما أتوا إلى بلادٍ عربيةٍ ليعلموا أولادَ الـعرب القرآنَ الكريم، وهو فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء.

وفي هذا الحديث إيحاءٌ قويٌّ، بأنَّ المسـلم لا ينبغي له في أيِّ حال كان، أن ينصرف عن تلاوة القرآن العظيم، سواء كان مِنَ المَهَرَة المُتْقنين المتمكِّنين من التِّلاوة، أم كان ضـعيفَ القُدرة على تحصيل ذلك، فـيتَّخِذَ ضَعْفَـه حُجَّةً في الإعراض عن التلاوة.

ولاريبَ أن كثرة الممـارسة والمحاولة الجادَّة ستـؤدِّي إلى حُسْنِ التلاوة، وربَّما حُسْنِ الحـفظ فيما بَعْـدُ، وهو أمر مُجرَّبٌ، ويسيـر على مَنْ يَسَّره الله عليه، ووفَّقَهُ لذلك[1].



(١) انظر: أنوار القرآن، (ص ٩٣-٩٨).

المبحث الرابع
فضائل حفظ القرآن

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عُلُوُّ درجة الحافظ.

المطلب الثاني: الحافظ مُقَدَّمٌ في الدُّنيا والآخرة.

المطلب الثالث: فضائل متنوِّعة للحافظ.

تمهيــــــد

حفظُ القـرآن العظيم هو الأصل في تلقِّيه، قـال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. فقد أكـرم الله تعالى هذه الأمة بأن جـعل قلوبَ صالحيـها أوعيـةً لكلامه، وصدورَهم مـصاحف لحفظ آياته.

وقـال الله عزَّ وجلَّ لنبيـه محـمد ﷺ - كـمـا جاء في الحـديث القدسي: «إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَاباً لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائماً ويَقْظَانَ»[١].

فمـعنى ذلك: أن القرآن الـعظيم محفـوظ في الصُّدور لا يتطـرق إليه الذهاب، بل يبقى على مَرِّ الزمان[٢].

ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده أنْ يَسَّرَ لهم حِفْظَ القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

«أي: سَهَّلْناه للحفظ وأَعَنَّا عليه مَنْ أراد حِفْظَه، فهل مِنْ طالبٍ لحفظه فيُعَانُ عليه؟»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ «أي: فهل مِنْ مُتَّعِظٍ به، حافظٍ له؟

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤/ ٢١٩٧)، (ح ٢٨٦٥).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٧/ ٢٠٤).

(٣) تفسير القرطبي، (١٧/ ١٣٤).

والاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي احفظوه واتّعظوا به»[١].

والمتأمِّل في هذه الآية الكريمة يجد أن اللَّه تبارك وتعالى أَكَّدَ تيسير حفظ كتابه بمؤكدات متعدِّدة قويَّة، منها: القَسَم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾، ومنها: التعبير بنون العظمة ﴿يَسَّرْنَا﴾، ومنها: تكرار هذه الآية أربع مرات في سورة القمر.

والواقع المشاهَد يُصَدِّقُ هذا التَّيسير، فقد حَفِظَ القرآنَ حُفَّاظٌ لا يُحصَون عدداً في كل جيل ومن كل قَبيل، لا يُخطئُ أحدُهم في كلمة ولا حرف، سواء كانوا عرباً أم عجماً، وأَكثَرُ الحفاظ العجم لا يعرفون من العربية شيئاً، وربما قرأ الواحد منهم القراءات السَّبع والعشر عن ظهر قلب[٢].

وقد عَدَّ الإمام أبو الحسن الماوردي[٣] رحمه الله **هذا الأمر وَجْهاً من وجوه إعجاز القرآن العظيم** وخصائصه التي تَميَّز بها عن سائر كتب الله تعالى، فقال: «مِنْ إِعجازِه تيسيره على جميع الألسنة، حتى حَفِظَه الأعجميُّ الأبكم، ولا يُحفظ غيره من الكتب كحفظه، . . . وما ذاك إلاَّ بخصائص إلهية فَضَّله بها على سائر كتبه»[٤].

---

(١) تفسير الجلالين، (ص ٧٠٦).

(٢) انظر: كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها، د. نور الدين عتر، (ص ٨٣-٨٤).

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المشهور بالماوردي الإمام الفقيه، قيل له الماوردي: لعمل عائلته بصناعة ماء الورد وبيعه، ولد سنة (٣٦٤هـ) بالبصرة، وطلب فيها العلم على المذهب الشَّافعي، ثمَّ رحل إلى بغداد وتتلمذ على يد رئيس الشَّافعية هناك الشَّيخ الإسفراييني، ثمَّ تقلَّد رئاسة الشَّافعية بعده، وله مؤلفات عديدة منها: «الحاوي الكبير»، و«الأحكام السلطانية» وغيرها. توفي سنة (٤٥٠هـ).

«انظر: البداية والنهاية، (١٢/ ٨٥). طبقات الشَّافعية، (٥/ ٢٦٧)».

(٤) أعلام النبوة، (ص ٦٩).

وقال ابن الجَزَري[(١)] رحمه الله: «ثُمَّ إنَّ الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصِّيصة من الله تعالى لهذه الأمة»[(٢)].

وحفْظُ القرآن العظيم فيه تأسٍ بالسَّلف الصالح، فهو أصل الأصول، والمعَوَّل عليه في جميع الأمور، وهو مرجعٌ أساس لسائر المناهج والعلوم، فكانوا لا يبدؤون إلاَّ به، وما أن نقرأ في ترجمة أحدٍ من أهل العلم إلاَّ ونرى في سيرته: حَفِظَ القرآنَ الكريم، ثم ابتدأ بطلب العلم[(٣)].

وكان كثير من السَّلف رحمهم الله يرفضون تدريس الحديث وغيره من العلوم للحَدَثِ؛ حتى يحفظ القرآن أولاً.

قال النَّووي رحمه الله:[(٤)] «كان السلف لا يُعَلِّمُون الحديث والفقه إلاَّ لمن يحفظ القرآن».

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي الدِّمشقي، ثم الشِّيرازي، الشَّافعي (أبو الخير)، ويعرف بابن الجَزَري، مقرئ، مجوِّد، محدِّث، حافظ، مشارك في بعض العلوم. ولد في دمشق سنة (٧٥١هـ)، وتفقَّه بها وطلب الحديث والقراءات، وعمَّر مدرسةً للقُرَّاء سمَّاها: دار القرآن، وأقرأ الناسَ. وله تصانيف كثيرة منها: «النَّشر في القراءات العشر»، و «التَّمهيد في التَّجويد»، و «تذكرة العلماء في أصول الحديث»، و «الأربعون العوالي»، وغيرها. توفي بشيراز سنة (٨٣٣هـ).

«انظر: طبقات القراء، لابن الجَزَري (٢/ ٢٤٧ - ٢٥١). معجم المؤلفين، (٣/ ٦٨٧)».

(٢) النَّشر في القراءات العشر، (١/ ٦).

(٣) انظر: الكلمات الحسان فيما يُعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن، (ص ٤٣-٤٦). حفظ القرآن الكريم، لمحمد الدويش (ص ١٠-١٢).

(٤) المجموع، (١/ ٣٨).

وعَدَّ ابنُ جـماعة[١] رحمـه الله الأدبَ الأوَّلَ من آداب طالب العلم: «**أن يبتدئ بكتاب اللَّه العزيز**، فيتقنه حفظاً، ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه؛ **فإنه أصلُ العلوم وأُمُّها وأهَمُّها**»[٢].

ولم يتـرك النبيُّ ﷺ أمراً فـيه تشـجيـع على حِفْظ القـرآن العظيم إلاَّ سلكه، فكان يُفـاضِل بين أصحـابه الكرام في حفظ القـرآن، فيـعقـد الرَّايةَ لأكثرهم حفظاً. وإذا بعث بعثاً جـعل أميرَهم أحفَظَهم للقـرآن، وإمامَهم في الصلاة أكثَـرَهم قراءةً للقرآن، ويُقدِّم لِلَّحْـد في القبر أكثـرَهم أخذاً للقرآن، وربَّما زَوَّج الرجلَ على ما يحفظه في صدره من القرآن[٣]، وهذا هو محور حديثنا من خلال المطالب الآتية:

---

(١) هو محـمد بن إبراهيم بن سـعد الله بن جـماعة بـن علي بن حازم الكناني، الحـموي، الشَّـافعي (بدر الدين) مـفسِّـر، فقـيه، أصـولي، مـتكلِّم، محـدِّث. ولد بحمـاة سنة (٦٣٩هـ)، وولي القـضاء بـالقدس، والدِّيار المصـرية، وبدمـشق، وجَـمَعَ بين القضـاء ومـشيـخة الشُّيـوخ والخطابة، توفي بالقـاهرة سنة (٧٣٣هـ)، ودفن قـريباً من الإمـام الشَّافـعي. ومن تصانيـفه الكثيـرة: «المنهل الرَّوي في علوم الحديث النبـوي»، و «تذكرة السَّـامع والمتكلم في آداب الـعالـم والمـتعلِّـم»، و «إيضاح الـدَّليل في قطع حـجج أهل التَعطيل»، و «تحرير الأحكام في تدبير جيش الإسلام» وغيرها.

«انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (٣-٢٨٠-٢٨٣). معجم المؤلفين، (٣/ ٣٠)».

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (ص ١٦٦ - ١٦٧).

(٣) انظر: ورتل القرآن ترتيلاً، (ص ٦٩).

المطلب الأول
عُلُو درجة الحافظ

حين يدخل المؤمنون الجنة فإن حافظ القرآن له شأن آخر، حيث يعلو غيرَه في درجات الجنة لتعلو منزلته، وترتفع درجته في الآخرة، كما ارتفعت في الدنيا، ويتبين ذلك جلياً من خلال عدة أحاديث:

١- منزلة الحافظ عند آخر آية يقرؤها.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**يُقَالُ لصَاحِب القُرآن**(١)**: اقْرَأ وارْتَق**(٢)**، ورَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا**(٣)**، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٤).

أفاد الحديثُ الترغيبَ في حفظ القرآن، **وتخصيصُ الصَّاحب في الحديث بالحافظ عن ظهر قلب دون التَّالي من المصحف تكريماً له وتشريفاً.**

---

(١) (**لصَاحِب القُرآن**): أي حافظه عن ظهر قلب أو حافظ بعضه الملازم لتلاوته مع التدبر لآياته، والعمل بأحكامه، والتأدب بآدابه.

(٢) (**اقْرأ وارْتَقِ**): أَمْرٌ مِنْ رَقَى يَرْقَى، أي: اصعد دَرَجَ الجنة بمقدار ما حفظته من آي القرآن.

(٣) (**ورَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنيا**): أي لا تستعجل في قراءتك فالترتيل في الجنة لمجرد التلذذ؛ إذ لا عَمَلَ ولا تكليف هناك، وفيه إشارة إلى أنَّ الجزاء على وفق الأعمال كمِّيةً وكيفية. «انظر: عون المعبود، (٤/ ٢٣٧). تحفة الأحوذي، (٨/ ٢٣٢). فقه قراءة القرآن الكريم، (ص٧١)».

(٤) رواه أبو داود، كتاب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب استحباب الترتيل في القراءة، (٢/ ٧٣)، (ح ١٣٦٤). وقال الألباني في صحيح أبي داود (١/ ٢٧٥)، (ح ١٣٠٠): «حسن صحيح».

قال ابن حجر الهيتمي[١] رحمه الله: «**الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف**؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلَّةً وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم، ومما يؤيد ذلك أيضاً أنَّ حِفْظَ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة، ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظٍ لا يسقط بها الطلب، فليس لها كبير فضل كفضل الحفظ، فتعين أنه - أعني الحفظَ عن ظهر قلب - هو المراد في الخبر، وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمُّل، وقول الملائكة له: اقرأْ وارْقَ صريح في حفظه عن ظهر قلب كما لا يخفى»[٢].

الغُنْمُ بالغُرْم:

والفوز بهذه المنزلة له شروط يوضِّحها الألباني[٣] رحمه الله بقوله:[٤] «ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حِفْظُه لوجه الله

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهَيْتَمِي، السعدي، الأنصاري، الشافعي، ولد بمصر سنة (٩٠٩هـ) في محلة أبي الهيتم المنسوب إليها، برع في علوم كثيرة، وازدحم الناس على الأخذ منه، له مصنفات كثيرة منها: «شرح المشكاة»، و «شرح المنهاج»، و «الزواجر عن اقتراف الكبائر». توفي بمكة سنة (٩٧٣هـ).
«انظر: مقدمة كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر، (١/ ٨-١٠)».

(٢) الفتاوى الحديثية، (ص ١٥٦).

(٣) هو المحدِّث محمد ناصر الدِّين بن نوح الألباني نسبة إلى أصله، من علماء الحديث المعاصرين المشهورين، ولد في أشقودره - عاصمة ألبانيا - سنة (١٣٣٣هـ) والده كان عالماً ومرجعاً في أمور الدِّين سيَّما المذهب الحنفي، وقد فرَّت أسرته بدينها من حكم الملك أحمد زوغو، واستقرَّت في دمشق، وفيها تلقَّى الشيخ ناصر علومه على شيوخها بالإضافة إلى أخذه عن والده، ثمَّ إنه عكف على دراسة الحديث النَّبوي فبرز فيه آخذاً بالمذهب السَّلفي، وله أكثر من مائة كتاب، توفي في مدينة عمَّان ودفن بها سنة (١٤٢٠هـ). «انظر: إتمام الأعلام، د. نزار أباظة ومحمد رياض الملاح، (ص ٤١٦)».

(٤) السلسلة الصحيحة، (٥/ ٢٨٤).

تبارك وتعالى، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلاَّ فقد قال ﷺ: «**أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**»[(١)].

فيا لها من سعادة للحافظ المُخْلص إذا قيل له: اقرأْ وارقَ ورتِّلْ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها. تُرى إلى أين يرقى؟

«قال الطِّيبي: إنَّ التَّرقي يكون دائماً، فكما أنَّ قراءته في حال الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له، كذلك هذه القراءة والتَّرقي في المنازل التي لا تتناهى، **وهذه القراءة لهم كالتَّسبيح للملائكة لا تشغلهم من مستلذاتهم بل هي أعظم مستلذاتهم**»[(٢)].

تنبيه على أثر ضعيف:

قال الخطابي رحمه الله:[(٣)] «جاء في الأثر[(٤)]: أن عدد آي القرآن على قدر دَرَج الجنَّة، يقال للقارئ: ارق في الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فَمَنْ استوفى قراءة جميع القرآن استولى[(٥)] على أقصى درج الجنَّة،

(١) رواه أحمد في المسند، (٢/ ١٧٥)، (ح ٦٦٣٧). وقال محققو المسند (١١/ ٢١٣)، (ح٦٦٣٧): «إسناده حسن». وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٨٦)، (ح ٧٥٠).

(٢) عون المعبود، (٤/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٣) معالم السنن، (٢/ ١٣٦). وانظر: عون المعبود (٤/ ٢٣٧)، تحفة الأحوذي (٨/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٠)، (رقم ٢٩٩٥٢) عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: «دخلتُ على عائشة فقلت: ما فضل مَنْ قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة؟ فقالت: **إنَّ عدد دَرَج الجنة على عدد آي القرآن**، فليس أحد ممن دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن». قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٨٣): «**وجملة القول؛ إن إسناد هذا الأثر ضعيف**».

(٥) الأولى أن يعبر بلفظ الحديث (ارتقى)؛ لأن كلمة (استولى) تُوحي بالقهر والغلبة والاستيلاء، وأهل الجنة ليسوا كذلك.

[انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن، (ص ٤٦)].

ومَنْ قرأ جزءاً منها كان رقيه في الدَّرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثَّواب عند منتهى القراءة».

٢- يُلْبَسُ تاج الكرامة وحلَّة الكرامة ويفوز بالرِّضى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**يَجيءُ صَاحبُ القُرآن يَوْمَ القِيَامَة فَيَقُولُ: يَارَبِّ حَلِّه**[1]**، فَيُلْبَس تَاجُ الكَرَامَة، ثُمَّ يَقُولُ: يَارَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَة، ثُمَّ يَقُولُ: يَارَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيُقَالُ: اقْرَأ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَة حَسَنَةً**»[2].

بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أَنَّ القرآنَ العظيم يرفع شأن صاحبه يوم القيامة، وأنه يطلب من الله تعالى أن يُزَيِّنَ صاحبه ويحلِّيه ويلبسه تاج الكرامة ويرضى عنه عزَّ وجلَّ جزاءً وفاقاً، فكما أرضى صاحبُ القرآن كتابَ الله في الدنيا بقيامه به، وعمله به، وتدبره، والدعوة إليه؛ فإن القرآن يسأل الله تعالى أن يرضى عن عبده الحافظ للقرآن العامل به.

ففي هذا الحديث عِدَّةُ كرامات لحافظ القرآن وهي:

الإنعام عليه بتاج الكرامة، وحُلَّة الكرامة، فهو يُعرف بهما يوم القيامة بين الخلائق، وهي علامةٌ على كرامة لابسهما ومكانته عند الله عزَّ وجلَّ.

وهذا التَّاج وهذه الحُلَّة وسام شرف ورفعة يتميَّز بها أصحاب القرآن عن غيرهم من المؤمنين، وجدير بمن لبس هذا التَّاج وهذه الحُلَّة أن يكون رفيع الدَّرجة عالي المقام.

---

(١) (يارَبِّ حَلِّه): الظاهر أنه أَمْرٌ مِنَ التَّحلِيَة، يُقال: حَلَيتُه أحليه تحلية إذا أَلْبَسْتُه الحِلية. والمعنى: يارَبِّ زَيِّنْهُ. [انظر: تحفة الأحوذي، (٨/ ٢٣٢)].

(٢) رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر، (٥/ ١٧٨)، (ح ٢٩١٥). وقال: «حسن صحيح». وحسَّنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣/ ١٠)، (ح ٢٣٢٨).

وإذا كان العبد في الدنيا يزهو ويفتخر ويمتلئ إعجاباً وخيلاء إذا ما خَلَعَ عليه سلطانٌ أو مَلكٌ خُلْعَةً ما، فما بالك بصاحب القرآن يوم القيامة إذا أنعم عليه مولاه، خالقُ الخلق جميعاً، ومَلِكُ الناس وإلهُهم بهذه النعمة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، وألْبَسَهُ تاجَ الكرامة، وحُلَّةَ الكرامة على أعين الخلائق.

ما بالك بالسَّعادة والغبطة والفرح الذي يملأ قلبه.

وأعظَمُ من ذلك كلِّه: رِضا اللهِ عنه، ثم يُزاد على كل ذلك بكل آية حسنة، فضلاً عن رفعه درجات في الجنة بعدد الآيات التي يحفظها من القرآن.

فهل يعي المسلمون فضائلَ حفظِ القرآن، ويُقْبِلوا عليه بشوق، ورغبة، ونَهَمٍ، ويربُّوا على ذلك أبناءَهم؟

ويا للأسف إنَّ أكثرهم يتسابقون على دنياهم أضعاف تسابقهم إلى آخرتهم. وقد حَذَّرنا اللهُ تعالى الدنيا ومتاعَها فقال تعالى: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾** [النساء: ٧٧].

فمن أظلم ممن زهد في كتاب ربِّه، فَأَعْرَضَ عنه حفظاً وفقهاً وتلاوة ودراسة وعملاً(١).

٣- حافظه مع السَّفرة الكرام البررة.

عن عائشةَ ﵂، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ، وَهُوَ**

---

(١) انظر: فضائل سور القرآن الكريم (ص ٦٤)، أنوار القرآن (ص ٢٦٢-٢٦٣)، فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة (ص ٤٣).

حَافِظٌ لَهُ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»[١].

هؤلاء السَّفَرة الكرام اختارهم اللهُ تعالى، وشَرَّفهم بأن تكون بأيديهم الصُّحُف المطهرة، قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٥].

مغزى معيَّة السَّفرة:

ومعنى كون الحافظ مع السَّفرة يحتمل أمرين:

الأول: أن له في الآخرة منازلَ يكون فيها رفيقاً للملائكة السَّفَرة؛ لاتِّصافه بصفتهم مِنْ حَمْلِ كتاب الله تعالى. فأُنزل منازلهم الرفيعة، وأُسكن مقاماتهم العالية من جوار الحقِّ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

الثاني: أنه عاملٌ بعملهم وسالكٌ مسلكهم[٢].

«وما نفتأ نرى الناسَ اليوم يفتخرون حين يُنْسَبون إلى عظيم من العظماء، أو رجل يحمل الشُّهرة والاسم اللاَّمع ولو كان ذلك في ميدان الرياضة أو اللَّهو الباطل، فهنيئاً لهؤلاء ما اختاروه من هوان لأنفسهم، وهنيئاً لحفظة كتاب الله حين اختاروا أن يكونوا مع السَّفَرة الكرام البررة»[٣].



(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿عَبَسَ﴾، (٤/ ١٨٨٢)، (ح ٤٦٥٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٤)، عون المعبود (٤/ ٢٣٠)، تحفة الأحوذي (٨/ ١٧٤)، فيض القدير (١٢/ ٦٠٩٩).

(٣) حفظ القرآن الكريم، (ص ٢٥).

المطلب الثاني
الحافظ مُقَدَّمٌ في الدُّنيا والآخرة

١- الحافظ أَولى الناس بالإمارة.

ممن رفعهم الله تعالى بالقرآن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي رضي الله عنه، وهو من أواخر صغار الصحابة، كان مولى لنافع بن عبد الحارث، وكان في عهد عمر رجلاً، وكان على خراسان لعليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه(١).

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ؛ أَنَّ نَافِعَ بْنَ الحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ. وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ. فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(٢).

إنَّ قارئَ القرآن، العالِمَ بأحكامه، رفيعُ القدر، عظيمُ المنزلة، يفوق غيرَه وإن كان أشرفَ منه نسباً، أو أعظم جاهاً، فهذا مولى منَ الموالي لا جاه له، ولا مال، ولا حسب، ولا مكانة عُليا في المجتمع، وربما كان في السُّلَّم الاجتماعي دون غيره بمقاييس أهل الدنيا، ولكنه بمقياس القرآن شيء آخر، وله مقام آخر.

---

(١) انظر: الإصابة (٤/ ١٤٩)، التقريب (١/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، (١/ ٥٥٩)، (ح ٨١٦).

فقد رَفَعَه القرآن مِنْ مـقام المولى إلى مقام الولاية، وَعِلْمُهُ بالقرآن أَهَّلَهُ لأن يحكم ويقضي بين الناس، وتكون له الكلمةُ النافذة، والرأي المسموع في المجتمع.

وها هو ذا عُـمَرُ ﷺ يعرف لهـذا العالِم بالقـرآن والحافظ له مكـانَتَه وفضلَه، فإذا به يُقـرُّ نافعاً على اختيـاره، ويذكر قولَه ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذا الكتَاب أَقْوَاماً» الحديث[(١)].

٢- الحافظ أولى الناس بالإمامة.

عن أبي مـسـعود الأنصـاريِّ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قـال: «يَؤُمُّ الْقَـوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكتَاب اللَّه...»[(٢)].

وعن أبي سعـيد الخُـدريِّ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا كَانُوا ثَلاَثَةً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ، وأَحَقُّهُمْ بِالإِمَامَة أَقْرَؤُهُمْ»[(٣)].

وهذا مقام آخر من مقامـات الأفضلية للحـافظ، بأن قُدِّمَ على كُلِّ مَنْ حضر في المسجد للصلاة.

والأكثر قرآناً هو المُقَدَّمُ في إمامة الصلاة وإنْ كان مولى:

عن ابنِ عُمَرَ ﷺ قـال: «لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ العَصْـبَةَ - مَوْضِعٌ بِقُبَاءَ - قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ الله ﷺ ، كَـانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ،

---

(١) انظر: أنوار القرآن، (ص ٢٤٨).

(٢) رواه مسلم في صـحيـحه، كتـاب المساجد ومـواضع الصلاة، باب مَنْ أحقُّ بالإمـامة، (١/ ٤٦٥)، (ح ٦٧٣).

(٣) رواه مسلم في صـحيـحه، كتـاب المساجد ومـواضع الصلاة، باب مَنْ أحقُّ بالإمـامة، (١/ ٤٦٤)، (ح ٦٧٢).

وكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآناً»[١].

زاد الهيثم بن خالد الجهني: «وَفِيهِمْ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وأبو سَلَمَةَ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله:[٣] «ووجه الدَّلالة منه **إجماع كبار الصحابة القرشيين على تقديم سالم عليهم**، وكان سالمٌ المذكور مولى امرأة من الأنصار فأعتقته، وكأنَّ إمامتَهُ بهم كانت قبل أن يُعتق، . . .

وإنما قيل له مولى أبي حذيفة؛ لأنه لازَمَ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بعد أن أُعتق فتبنَّاه، فلما نُهُوا عن ذلك قيل له مولاه. . .

وقوله: (وكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآناً) إشارة إلى سبب تقديمهم له مع كونهم أشرفَ منه».

والأكثر قرآناً هو المُقَدَّمُ في إمامة الصلاة وإن كان صبياً مميِّزاً:

عن عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ ﷺ قَالَ:

لَمَّا كانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الفَتْحِ، بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بإِسْلاَمِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بإِسْلاَمِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ واللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَقّاً، فَقَالَ: **«صَلُّوا صَلاَةَ كَذَا في حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا في حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً»**. فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، (١/ ٢١٩)، (ح ٦٩٢).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب مَنْ أحقُّ بالإمامة، (١/ ١٦٠)، (ح ٥٨٨). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١/ ١١٧)، (ح ٥٥٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢/ ٢٤١).

أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآناً مِنِّي، لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنَ الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ...»(١).

قال ابن حجر رحمه الله:(٢) «وفي الحديث حُجَّةٌ للشافعية في إمامة الصبيِّ المُميِّز في الفريضة، وهي خلافية مشهورة ولم يُنْصِفْ مَنْ قال إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم، ولم يَطَّلِعْ النبيُّ ﷺ على ذلك لأنها شهادة نفي، ولأن زمن الوحي لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز».

٣- الحافظ مُقَدَّمٌ في المشورة.

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً»(٣).

٤- الحافظ مُقَدَّمٌ في قبره.

وكما أعلى اللهُ تعالى شأنَ حافظِ القرآن في الدنيا فقد أعلى شأنه في الآخرة، فهو أولى الناس بالتقديم حتى بعد موته:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النَّبيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرآنِ**». فإذا أُشِيرَ لهُ إلَى أَحَدِهِما قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ، فقال: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مَنْ شَهِدَ الفتح، (٣/ ١٢٩٩)، (ح ٤٣٠٢).

(٢) المصدر السابق، (٨/ ٣٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، (٣/ ١٤٢٠)، (ح ٦٤٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب اللَّحد والشَّق في القبر، (١/ ٤٠١)، (ح ١٣٥٣).

قال ابن حجر رحمه الله:[١] «وفيه فضيلةٌ ظاهرة لقارئ القرآن، ويُلحق به أهل الفقه والزهد وسائر وجوه الفَضْل».

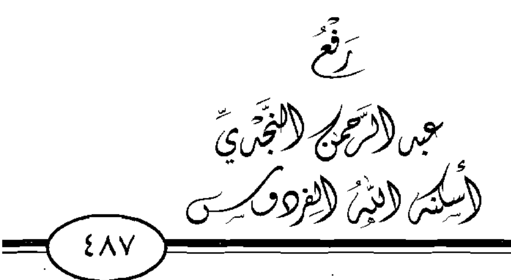
ومع أن مقام الشهادة فوق كل مقام، ومع أن النبيَّ ﷺ شهد لقتلى أُحد عند الله تعالى بالصِّدق فيما عاهدوا عليه، وشهد لهم بالجنة، إلاَّ أنه في غمرة هذه الفضائل للشهداء، **لم يَنْسَ ﷺ الشهيدَ الأكثر حفظاً للقرآن في تقديمه في اللَّحد.**

فصاحب القرآن، والأكثر أخذاً للقرآن، له الأفضلية حتى بين الشهداء، لعظمة القرآن الذي في صدره، وما تقديم الرسول ﷺ له في اللَّحد إلاَّ رَمْزٌ لتقدُّمه على مَنْ سواه من الشهداء في الأجر والثواب، وفي المكانة والجنة.

وإذا كان التَّفاضل بالقرآن بين الشهداء، فالتَّفاضل به بين الأحياء ولا شَكَّ أكبر وأعظم: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: ٢٦]. فليتأمل المسلم هذا الأمرَ جيداً، ويقف عنده طويلاً، ومِنْ ثَمَّ يقوده للعناية بالحفظ والإكثار منه والصبر عليه[٢].



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٣/ ٢١٣).
(٢) انظر: أنوار القرآن، (ص ٢٥٠).



المطلب الثالث
فضائل مُتنوِّعَة للحافظ

١- حَمَلَةُ القرآن هم أهل الله وخاصَّته.

من تمام إكرام الله تعالى لحملة كتابه أَنْ جعلهم من أهله وخاصَّته، وهو شرف عظيم، وتكريم لحفَّاظ القرآن لا يُدانيه أيُّ شرف يسعى إليه الناس في الدنيا؛ ذلك أنَّ العبد الضَّعيف يُصبح من أهل الله وخاصَّته، ولا شك أن أهل الله وخاصَّته، هم أقرب الناس إلى نيل رحمته، وكرامته، ومحبَّته، والقرب منه تعالى. فهو فَضْلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء، والله واسع عليم.

عن أَنَس بنِ مالك ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ للَّه أَهْلِينَ**[١] **منَ النَّاس**» قَالُوا: يَارَسُولَ الله! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ القُرآنِ، أَهْلُ اللَّه وَخَاصَّتُهُ**»[٢].

والمقصود بأهلِ اللَّه وخاصَّته في الحديث المذكور:

هم حَفَظَةُ القرآن، العاملون به، هم أولياء الله، والمُخْتَصُّون به اختصاصَ أهل الإنسان به.

وقيل: هم الذين يختصون بخدمته، فإنه لَمَّا قرَّبهم واختصَّهم كانوا كأهله، ومنه قيل لأهل مكة: أهل الله، لَمَّا كانوا سكان بيته وما حوله كانوا كأهله[٣].

---

(١) (أَهْلِينَ): جَمْعُ أهلٍ، جُمِعَت بالياء والنون لكونها ملحق بجمع المذكر السالم، ونُصِبت بالياء لكونها اسم إنَّ مؤخر.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدِّمة، باب فضل من تعلَّم القرآن وعلَّمه، (١/ ٧٨)، (ح٢١٥). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (١/ ٤٢)، (ح ١٧٨).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٣)، لسان العرب (١١/ ٢٨)، شرح سنن ابن ماجه (١/ ٢٠)، فيض القدير (٥/ ٢٣٤١، ٢٠٦٠).

وإذا اختَصَّ المخلوقُ أحداً من المخلوقين قَرَّبَهُ منه وأفاضَ عليه من إكرامه وعطائه ومحبَّته الشيءَ الكثير، فما الظَّنُّ بالله الكريم - وله المثل الأعلى في السماوات والأرض - مالكِ المُلك ذي الجلال والإكرام.

فأَكْرِمْ به مِنْ فَضْل، وأَعْظِمْ بها من مكانة ومنزلة يطمح إليها كُلُّ مؤمن، وتصبو إليها كلُّ نفس تريد وجهَ الله الكريم ورضوانَه وجنَّته.

فَلْينتسب كلُّ إنسان لما يتمنَّى ويرغبُ مِنْ أهل المال أو الجاه أو المناصب أو الشُّهرة، ولْتَجِدْ القواميس بكلِّ وصف وثناء، فهل تأتي بأكملَ مِمَّا وُصِفَ به حملة كتاب الله: «أَهْلُ اللَّه وخَاصَّته»؟[1].

٢- تكريم الحافظ من إجلال اللَّه.

إكرام حافظ القرآن الكريم من إجلال الله تعالى وتعظيمه؛ لعظيم حرمة الحافظ ومنزلته عند الله تعالى.

فعن أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، قال: قال رَسُولُ الله ﷺ:

«إنَّ منْ إجْلاَل اللَّه إكْرَامَ ذي الشَّيْبَة المُسْلم، وَحَامل القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فيه[2] والجَافِي عنه[3]، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسط»[4].

---

(١) انظر: حفظ القرآن الكريم (ص ١٥)، أنوار القرآن (ص ٢٣٩).

(٢) (**غير الغالي فيه**): الغلو هو التشديد ومجاوزة الحد، والمعنى: غير المتجاوز الحد في العمل بالقرآن، وتتبع ما خفي منه واشتُبه عليه من معانيه، وفي حدود قراءته ومخارج حروفه.
وقيل: الغلو المبالغة في التَّجويد، أو الإسراع في القراءة، بحيث يمنعه عن تدبر المعنى.

(٣) (**والجافي عنه**): أي غير المتباعد عن القرآن، المُعرض عن تلاوته، وإحكام قراءته، ومعرفة معانيه، والعمل بما فيه.
وقيل: الجفاء أن يتركه بعد ما عَلِمَه، لا سيما إذا كان نسيه؛ فإنه عُدَّ من الكبائر.
«انظر: عون المعبود، (١٣/ ١٩٢)».

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (٤/ ٢٦١)، (ح ٤٨٤٣). وحسَّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٣/ ٩١٨)، (ح ٤٠٥٣).

وسُمِّي الحافظُ حاملاً للقرآن: لَما يتحمَّلُه من المشاقِّ الكثيرة والتي تزيد على الأحـمال الثَّقـيلة[١]، فَحُقَّ له أن يُكْرَمَ ويُعـظَّمَ ويُبَجَّلَ؛ لأن في ذلك تبجيلاً وتعظيماً وإجلالاً لله تعالى، ذلك أنَّ الحافظَ قد حوَى صدرُه كلامَ الله تعالى، فمن هنا ينبغي إكرامُه وإنزالُه المنزلةَ اللاَّئقة به.

٣- الحافظ من الذين أُوتوا العلم.

مَدَحَ الله تَعالى حفَّاظَ كتابه وأثنى عليهم بأَنْ جعل كتابَه آيات بينات في صدورهم، وفي هذا مَنقبةٌ عظيمـة لهم، دون غيرهم، فقال تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ [العنكبوت: ٤٩].

«**أي في صدور العلماء به وحُفَّاظه**، وهما من خصائص القرآن، كونه آيات بينات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور بخلاف سائر الكتب؛ فإنها لم تكن معجزات ولا كانت تُقرأ إلاَّ منَ المصاحف»[٢].

«ووَصَفَهـم بالعلم؛ لأنهم مَيَّزُوا بأفهـامهم بين كلام الله وكلام الـبشر والشياطين»[٣].

فـهؤلاء الحُـفَّـاظ «سادةُ الخَلْـق، وعقـلاؤُهم، وأُولو الألبـاب منهم، والكُمَّلُ منهم. فإذا كـان آيات بينات، في صدور أمثال هؤلاء، كـانوا حُجَّةً على غيرهم»[٤].

فكفى بحافظ القرآن فخراً وشرفاً أنَّ الله تعالى أكرمه وجعله من أسباب

---

(١) انظر: عون المعبود، (١٣/ ١٩٢).
(٢) تفسير النسفي، (٣/ ٢٦١).
(٣) تفسير القرطبي، (١٣/ ٣٥٤).
(٤) تفسير السعدي، (٤/ ٦٧).

حفظ القرآن؛ ذلك أنَّ آيات القرآن العظيم محفوظةٌ في الصُّدور والسُّطور، وهذا من أسباب حفظ الدِّين، ووسائل حفظ الشَّريعة.

فلو تَطَرَّقَ تحريفٌ مَّا - جَدَلاً - إلى السُّطور فأنَّى له أن يصل إلى الصُّدور. قال البيضاوي[1] مادحاً حُفَّاظَ القرآن: «يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه»[2].

٤- حملة القرآن لا تحرقهم النار.

إنَّ أعظم ما يسعى إليه المسلم أن يُزحزحه الله تعالى عن النار ويدخله الجنة، وقد أكرم الله تعالى حُفَّاظَ كتابه بنجاتهم من النار وعدم إحراق إجسادهم الطَّاهرة فيها؛ لعظمة ما في صدورهم مِنْ كلامِ الله تعالى.

فعن عُقْبَةَ بنِ عَامر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ القُرآنُ في إهَابٍ مَا أكَلَتْهُ النَّارُ**»[3].

فلو صُوِّرَ القرآنُ وجُعِلَ في إهاب وأُلقي في النار ما مسته النار، ولا أحرقته ببركته، فكيف بالمؤمن المواظِب لقراءته ولتلاوتِه والعملِ به؟

وقيل: المعنى مَنْ عَلَّمَه اللهُ القرآنَ لم تحرقه نار الآخرة، فَجَعَل جِسْمَ

(١) هو أبو سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدِّين البيضاوي، كان عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، نظَّاراً صالحاً متعبِّداً زاهداً شافعياً، ولي القضاء بشيراز، ودخل تبريز مات بها سنة (٦٨٥هـ). من مؤلفاته: تفسيره «أنوار التَّنزيل وأسرار التأويل»، و «مختصر الكشَّاف»، و «شرح الكافية» لابن الحاجب، و «الإيضاح» في أصول الدِّين. «انظر: طبقات المفسرين، (١/ ٢٤٨)».

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، (٤/ ٣٢٠).

(٣) رواه أحمد في المسند، (٤/ ١٥٥)، (ح ١٧٤٥٦). والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٠٨)، (ح ٨٥٠). وابن عدي في الكامل (١/ ٣٢). وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، (٢/ ٩٥٣)، (ح ٥٢٨٢).

حافظِ القرآنِ كإهابٍ له[١].

ويشهد له ما رواه أبو الفَضْلِ الرَّازي[٢] بسنده عن يزيد بن عمرو، قال: سَأَلْتُ الأَصْمَعيَّ عنه، قال: يعني في إنْسان. أراد مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ مِنَ المسلمين وحَفَّظَهُ إيَّاهُ لَمْ تَحْرقْهُ النَّارُ يومَ القيَامَة إنْ أُلْقيَ فيها بالذُّنُوب، كما قال أَبُو أُمَامَةَ رضي الله عنه: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ ولا تَغُرَّنَّكُمْ هذه المَصَاحِفُ المُعَلَّقَة[٣]، فَإِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ بالنَّارِ قَلْباً وَعَى القُرْآنَ»[٤].

قال أبو عُبيد رحمه الله[٥]: «وَجْهُ هذا عندنا أن يكون أراد بالإهاب

---

(١) انظر: فيض القدير، (١٠/ ٤، ٥١٠٤).

(٢) هو أبو الفضل، عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُندار العِجْليُّ، الرَّازي، المقرئ. ولد بمكة سنة (٣٧١هـ) ونشأ بها، وكان أبوه عالماً ثقةً شيخاً للحرم. قال السَّمعاني: «كان (أبو الفضل) مقرئاً فاضلاً، كثير التَّصانيف، حَسَن السِّيرة، زاهداً، متعبِّداً، خَشِنَ العيش، قانعاً، يُقرئ ويُسمع في أكثر أوقاته». ويبدو أنَّ تصانيفه الكثيرة فُقدت ولم يبق منها إلاَّ كتاب: «فضائل القرآن وتلاوته». تُوفي بكَرْمان (ولاية مشهورة بين فارس وسجستان وخراسان) سنة (٤٥٤هـ). «انظر: سير أعلام النبلاء، (١٨/ ١٣٥). معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/ ٤٥٤). مقدمة كتابه: «فضائل القرآن وتلاوته»، تحقيق وتخريج: د. عامر حسن صبري (ص ٩-١٦)».

(٣) لعلَّ المقصود: الحث على فضيلة حفظ القرآن عن ظَهْرِ قلب، والله أعلم.

(٤) رواه الرازي في فضائل القرآن وتلاوته، (ص ١٥٤)، (رقم ١٢٥). والبخاري في خلق أفعال العباد، (١/ ٨٧)، (رقم ٢٧٣). وابن أبي شيبة في مصنفه، (٦/ ١٣٣)، (رقم ٣٠٠٧٩). والدارمي في سننه، (٢/ ٣٠٦)، (رقم ٣٣١٩). وصحَّحَ إسنادَه الحافظُ ابنُ حجر في فتح الباري: (٩/ ٧٩).

(٥) هو القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي، الخزاعي بالولاء، الخرساني، البغدادي (أبو عُبيد) ولد سنة (١٥٧هـ)، من كبار العلماء في الحديث، والأدب، والفقه. ولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، من كتبه: «الأموال»، و «أدب القاضي»، و «الإيمان ومعالمه وسننه، واستكماله، ودرجاته» مخطوط في الظاهرية بدمشق. توفي بمكة سنة (٢٢٤هـ). «انظر: تهذيب التهذيب، (٨/ ٣١٥-٣١٨). الأعلام، (٥/ ١٧٦). معجم المؤلفين، (٨/ ١٠١)».

قلبَ المؤمن وجوفَه الذي قد وعى القرآن»[١].

وقال الزَّبيدي[٢] رحمه الله في شرحه لأثر أبي أُمامة ﷺ: «أي حَفظَهُ وتدبَّرَه وعَمِلَ بما فيه، فَمَنْ حَفظَ ألفاظَه وضيَّعَ حُدودَه فهو غَيرُ واعٍ له»[٣].

وقد «ضُـرِبَ المثل بالإهاب وهو جلد لم يُدبَغْ؛ لأنَّ الفسادَ إليـه أسرع ولَفْحَ النار فيه أنفذ؛ لِيُبْسِهِ وجَفافه، بخلاف المدبوغ لِلِينه.

والمعنى: لو قُـدِّرَ أَنْ يكون في إهاب ما مـسَّـه النار ببركـة مجـاورته للقـرآن، فكيف بمؤمنٍ تولَّى حِـفْظَه والمواظبَـةَ عليـه، والمرادُ نار الله الموقـدة المميزة بين الحق والباطل.

قال الطِّيبي: وتحـريرُه أن التمثيل واردٌ على المبالغة والفَـرْض، كما في قوله: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا**﴾ [الكهف: ١١٠]، أي ينبغي ويَحقُّ أَنَّ القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يُؤْبَهُ به، ويُلقى في النار ما مسته، **فكيف بالمؤمـن الذي هو أكـرمُ خَلْقِ اللَّه، وقـد وعـاه في صـدره، وتفكَّر في**

---

(١) فضائل القرآن، (ص ٥٤).

(٢) هو أبو الفيض، مـحمـد بن عبد الرَّزاق الحسيني، الزَّبيدي، الملقَّـب بمرتضى، لغوي، نحوي، محدِّث أصولي. أصله من واسط (في العراق)، ولد في الهند سنة (١١٤٥هـ)، ومنشأه في زبيد (باليمن)، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فَضْلُه، وكاتَبَه الملوكُ، توفي بالطَّاعون في مصر سنة (١٢٠٥هـ). من تصانيـفه الكثيرة: «تاج العروس في شرح القاموس»، و «إتحاف السَّادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي»، و «بُلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب» وغيرها.

«انظر: معجم المؤلفين، (٣/ ٦٨١). الأعلام، (٧/ ٧٠)».

(٣) إتحاف السَّادة المتقين، (٤/ ٤٦٥).

معانيه، وعَمِلَ بما فيه، كيف تمسُّه، فضلاً عن أن تحرقه»[١].

فهنيئـاً لمن حَفِظَ كتابَ الله تعالى فـجمعه في صدره، وعَـمِلَ بما فيه، هنيئاً له بهذه البشارة في النجاة من النار، وهذا من أعظم فضائل حفظ القرآن الكريم. فهل من مُشَمِّرٍ لذلك؟



(١) فيض القدير، (١٠/ ٥١٠٥).

المبحث الخامس
فضائل العمل بالقرآن

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: وجوب العمل بالقرآن.

المطلب الثاني: النبيُّ ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن.

المطلب الثالث: الصَّحابة ﷺ يتواصون بالعمل بالقرآن.

المطلب الرابع: فضائل العمل بالقرآن.

إنَّ الغاية العظمى من إنزال القرآن العظيم هو العملُ، واتِّباعُ أوامره، واجتنابُ نواهيه، والاتعاظُ بمواعظه، والوقوفُ عند حدوده، وجعلُه واقعاً عملياً في حياة الفرد أو المجتمع أو الدولة، ولا يؤجر صاحب القرآن الأجر الكامل المستوفى، إلاَّ بعد تطبيقه واقعاً مُعاشاً في الحياة، والاهتداء بهديه المبارك، والعمل به آناء الليل وأطراف النهار. والحديث عن ذلك يتضح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
وجوب العمل بالقرآن

إنَّ الواجب على أهل القرآن وعلى غيرهم العملُ به، وامتثالُ أمره، واجتناب نهيه، والتحاكم إليه، والتزام منهجه. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]. أي: يتَّبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله، وقيل: يقرؤونه كما يجب من التَّدبر له، والعمل به[١].

ولاريب أن مَنْ يقرأَ القرآن ولا يعمل بمقتضاه يكون شأنُه شأنَ اليهود، الذين ذَمَّهم الله تعالى في عدم العمل بالتوراة، وشبههم بما يتناسب مع جريمتهم في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة: ٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ٥١٩)، الدر المنثور (١/ ٢٧٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٦٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٥٩).

قال ابن القيم رحمه الله:(١) «فَقَاسَ سبحانه من حَمَّلَه كتابَه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثُمَّ خَالَفَ ذلك، ولم يَحملْه إلاَّ على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتِّباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه، كحمارٍ على ظهره زَاملةُ أسفارٍ لا يدري ما فيها، وحظُّه منها حملها على ظهره ليس إلاَّ، فحظُّه من كتاب الله عزَّ وجلَّ كَحَظِّ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، **فهذا المثل وإنْ كان قد ضُربَ لليهود فهو مُتناولٌ من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العملَ به** ولم يُؤَدِّ حَقَّه، ولم يرعه حَقَّ رعايته».

وقد وردت آياتٌ في كتاب اللَّه تعالى تُوجِبُ العملَ به، وذلك في مواضع عدة، ومنها ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ١٠٦].

فقد أمَرَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ وأُمَّتَه مِنْ بعده أَنْ يقتد بكتاب الله تعالى ويقتفي أثره ويعمل به؛ لأنه حَقٌّ لا مرية فيه مِنْ واحدٍ أحد(٢).

وأَمَرَهُ تعالى كذلك ألاَّ يشغل قلبه وخاطره بهؤلاء المشركين المعاندين، وليشتغل بعبادة الله تعالى واتِّباع ما أوحي إليه(٣).

قال ابن عاشور رحمه الله:(٤) «والاتِّباع في الأصل اقتفاء أثر الماشي، ثُمَّ استُعمل في العمل بمثل عمل الغير، كما في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم**

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم، (ص ٢٦-٢٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٤)، تفسير البغوي (٢/ ١٢١)، تفسير السمرقندي (١/ ٤٩٢).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٦٠)، فتح القدير (٢/ ١٥٠).

(٤) التحرير والتنوير، (٦/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

﴿بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ثُمَّ استُعمل في امتثال الأمر والعمل بما يأمر به المتبوع، فهو الائتمار، . . .

فيجوز أن يكون الاتِّباع في الآية مراداً به دوام الامتثال لما أَمَرَ به القرآن».

ولاريبَ أنَّ النبيَّ ﷺ قد اتَّبَعَ ما أُوحي إليه من ربِّه خير اتِّباع، وأولى القرآنَ العظيم كُلَّ عنايةٍ وتقدير، ودعا النَّاسَ كافة إلى الله تعالى، وشملت دعوتُه المباركة جميعَ الأوقات والأزمان، وكافة الظروف والأحوال، فجزاه الله تعالى خير ما جزى به جميعَ الأنبياء عن أممهم.

٢- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وفي هذه الآية الكريمة أَمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه محمداً ﷺ باتِّباع الوحي والتنزيل، فَإِنْ أصابه مكروه بسبب هذا الاتِّباع فَلْيصبر عليه إلى أن ﴿يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ فيه بالحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[١].

والمعنى: تَمَسَّك بما أنزله الله إليك، واثْبُتْ على العمل بمقتضاه، واصبرْ على مُخالفة الناس لك، حتى يفتح الله بينك وبينهم بحكمه، وعدله، ورحمته، وهو خير الفاتحين[٢].

قال السعدي رحمه الله: [٣] «﴿وَاتَّبِعْ﴾ أيُّها الرسولُ ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ عِلْماً، وعَمَلاً، وحَالاً، ودعوةً إليه. ﴿وَاصْبِرْ﴾ على ذلك، فإن هذا، أَعْلَى أنواع الصبر، وأنَّ عاقبته حميدة، فلا تكسلْ، ولا تضجرْ، بل دُمْ على

(١) انظر: التفسير الكبير، (١٧/ ١٤٠-١٤١).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٣٦).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، (٢/ ٣٤٨-٣٤٩).

ذلك، واثْبُتْ.

﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ بينك وبين مَنْ كَذَّبك ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فَإِنَّ حُكمه، مشتمل على العدل التَّام، والقسط الذي يُحمد عليه. وقد امتثل ﷺ أمرَ ربِّه، وثَبَتَ على الصراط المستقيم، حتى أظهر اللهُ دينَه على سائر الأديان، ونَصَره على أعدائه بالسَّيف والسِّنان بعد ما نَصَره الله عليهم، بالحُجَّة والبرهان».

٣- قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

لقد أَمَرَ الله تعالى الناس جميعاً أن يقتفوا آثار النبيِّ ﷺ الذي جاءهم بكتابٍ من عند الله تعالى فيحلُّوا حلاله، ويحرِّموا حرامه، ويمتثلوا أمره، ويجتنبوا نهيه، ولا يخرجوا عما جاءهم به الرسول ﷺ إلى غيره، فيكونوا قد عدلوا عن حُكم الله عزَّ وجلَّ إلى حكم غيره. **ودلت هذه الآية الكريمة على ترك اتِّباع الآراء مع وجود النَّصِّ من كتاب أو سنة**[(١)].

قال السعدي رحمه الله: [(٢)] «﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ أي: الكتاب الذي أُريد إنزاله لأجلكم، وهو: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الذي يريد أن يُتِمَّ تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي إن اتَّبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهُدِيتُم لأحسن الأعمال والأخلاق، ومعاليها.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: تتولَّونَهم، وتتَّبِعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فلو تذكَّرتم وعرفتم المصلحة، لما آثرتم الضَّارَ على

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ١٦١)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣٠).
(٢) المصدر السابق،، (٢/ ٩٥ - ٩٦).

النافع، والعدوَّ على الوليِّ».

٤- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

ولاريبَ أَنَّ القرآنَ العظيم أَحْسَنُ ما أُنزل إلينا من ربِّنا تبارك وتعالى، فله الحمد والمنَّةُ، والسنَّةُ مبينة له ومُوَضِّحة، لكنَّ هذه النِّعمةَ الجليلة تستوجب الشُّكرَ العملي لا الشكرَ اللفظي، فقد هُدِّدَ مَنْ لم يَتَّبِعْ أحسنَ ما أُنزل إلينا منْ ربِّنا بقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(١).

كما قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله:(٢) «معناه أَنَّ القرآن العزيز تضمَّن عقائدَ نَيِّرة، وأوامرَ ونواهي مُنجية، وعدات على الطاعات والبرِّ، وحدوداً على المعاصي، ووعيداً على بعضها، فالأَحْسَنُ أن يَسْلُكَ الإنسانُ طريقَ التَّفهم والتحصيل، وطريقَ الطاعة، والانتهاء والعفو في الأمور، ونحو ذلك، فهو أحسن مِنْ أَنْ يسلك طريقَ الغفلة والمعصية، فيجد أو يقع في الوعيد».

فالمقصود إذاً من إنزال القرآن العظيم العملُ بمقتضاه لا تلاوته باللِّسان وترتيله فقط، ثم نَبْذُهُ بعد ذلك، كما فَعَلَ ذلك فريق مِنْ عُصاة أهل الكتاب، فَذَمَّهُم الله تعالى على فعلهم الشَّنيع وشَهَّرَ بهم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

أي: اطَّرَحَ طائفةٌ منهم كِتَابَ الله الذي بأيديهم، مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراءَ ظهورهم وتركوا العمل به.

---

(١) انظر: أضواء البيان، (٧/ ٣٠٠-٣٠١).

(٢) تفسير ابن عطية، (٤/ ٥٣٧).

وأَصْلُ النَّبْذ: الطَّرْحُ والإلقـاءُ، ومنه سُمِّيَ اللَّقيطُ مَنْبُـوذاً، ومنه سُمِّيَ النَّبيذ، وهو التَّمْرُ والزَّبيب إذا طُرِحَا في الماء(١).

فالله تعالى أَمَـرَنا باتِّباع كتابه والعملِ بمقـتضاه، لَكنَّا - ويا للأسف - تركناه كما تركت اليهود والنصارى - إلاَّ من رحم الله تعالى.

فبقيت أشخاص المصاحف لا يُبالى بما فيها من كلام الله تعالى وأوامره العظيمة لغلبة جَهْلِنا، ولطلب الرِّياسات، ولاتِّباعِ الأهواء، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم(٢).

والمتأمِّلُ في هذه الآيات السابقة يلحظ أمرين مهمين وهما:

١- الآية الأُولى والثانيـة جاءتا بلفظ: ﴿**اتَّبِعْ**﴾ وهو أمر من الله تعالى لنبيـه الكريم ﷺ باتِّباع ما أوحي إلـيه من الكتاب والسنة، والأَمْـرُ له أمر لأمته مِنْ بعده، ولا مُخَصِّصَ للآيتين.

٢- الآية الثالثة والرابعة جاءتا بلفظ: ﴿**اتَّبِعُوا**﴾ وهو فِعْلُ أمرٍ يقتضي الوجوب، كما هو المعلوم من لغة العرب، ولا صارفَ له.

فهذا يدلُّ دلالة واضـحة على وجوب اتِّباع كتـاب الله تعالى، والعمل بمقتضـاه. فاللهَ تعالى وحده نسـأل أن يُعِينَنَا على العملِ بكتابِه، وسُـنَّةِ نبيِّه، وتطبيقهما في واقع الحياة. ويُعيذنَا من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.



(١) انظر: تفسير ابن كثير، (١/ ٢٩٦-٢٩٧).
(٢) انظر: تفسير القرطبي، (١/ ٤٣٧).

المطلب الثاني
النَّبيُّ ﷺ يوصي بالعمل بالقرآن

إنَّ خير مَنْ عَمِلَ بكتاب الله تعالى، وطَبَّقَهُ في ظاهره وباطنه، وأصبح خُلُقاً لـه هو نبيُّنا وقـدوتنا محمـدٌ ﷺ، الذي أثنى اللهُ تعالى علـى خُلُقه ونَعَتَه بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

وقد بَيَّنَتْ عـائشة رضي الله عنها هذه الآية أوضح بيان، عندمـا سألها سَـعْدُ بنُ هشام بن عامر فقـال لها: «يا أُمَّ المُؤمنينَ أَنْبِئيني عَنْ خُلُق رَسُول الله ﷺ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: **فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ القُرْآنَ**»[١].

قال النووي رحمه الله:[٢] «معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدُّب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبُّره، وحسن تلاوته».

وقال ابن كثير رحمه الله في معنى الآية:

«ومعنى هذا أنه، عليه السَّلام، **صار امتـثالُ القرآن، أمراً ونهياً، سـجيَّة له، وخُلُقاً تَطَبَّعَه**، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمـره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هـذا مع ما جَبَلَه الله عليـه مِنَ الخُلُقِ العظيمِ، من الحـياءِ والكرم والشجاعة، والصَّفح والحلم، وكل خُلُقٍ جميل. كما ثبت في الصَّحيحين[٣] عن أنسٍ قال: خَدَمْتُ رسولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ. فَمَا قَالَ لي: أُفٍّ قَطُّ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، (١/٥١٣)، (ح ٧٤٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (٥/٢٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حُسْنِ الخُلُقِ والسَّخاء، (٤/١٩٠٨)، (ح ٦٠٣٨). ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقاً، (٤/١٨٠٤)، (ح ٢٣٠٩).

ولا قال لشَيء فَعَلْتُه: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولا لِشَيءٍ لَمْ أفعَلْهُ: ألا فَعَلْتَهُ. وكان ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً»(١).

وخلاصةُ القول: إنَّ جميع ما فُصِّلَ في القرآن العظيم من مكارم الأخلاق فإن النبيَّ ﷺ كان مُتَحَلِّياً به(٢).

ولم يقتصرْ ﷺ على ذلك، بل **كان يحثُّ أصحابَه الكرام وأمَّتَه من بعدهم على العمل بالقرآن العظيم**، ويُؤكِّد على ذلك بصور مختلفة، مرة بالترغيب في ثواب العمل بالقرآن، وأُخرى بالترهيب من مغَبَّةِ ترك العمل بالقرآن، **ومن أقواله المباركة في ذلك** ما يأتي:

١- عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ الْكلابِيِّ ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**يُؤْتَى بالْقُرآنِ يوْمَ القيامَةِ وأَهْلِه الَّذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ به، تَقْدُمُهُ**(٣) **سُورَةُ الْبَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ**». وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ، ما نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ. قَالَ: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ**(٤) **أو ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ، بَيْنَهُمَا شَرْقٌ**(٥)، **أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ**(٦) **مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**(٧)، **تُحَاجَّانِ عَنْ**

---

(١) تفسير ابن كثير، (٨/ ١٦٤).

(٢) انظر: عون المعبود، (٤/ ١٥٤).

(٣) (تَقْدُمُهُ): أي تتقدّمه.

(٤) وفي رواية أخرى عند مسلم: «**كَأَنَّهُما غَيَايَتَانِ**». قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما. قال العلماء: المراد: أن ثوابهما يأتي كغمامتين. «صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٣٣١)».

(٥) (**بَيْنَهُمَا شَرْقٌ**): هو بفتح الراء، وإسكانها. أي: ضياء ونور. وممن حكى فتح الراء وإسكانها: القاضي وآخرون. **والأشهر في الرواية واللغة الإسكان**.

(٦) وفي رواية أخرى عند مسلم: «**أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ**». الفِرقان والحِزقان، معناهما واحد. وهما قطيعان وجماعتان. يقال في الواحد: فِرق وحِزق وحزيقة.

(٧) (**مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**): جمع صافَّة، وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء. «انظر: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على مسلم، (١/ ٥٥٣)».

صَاحِبِهِمَا»(١).

فالقرآن العظيم يشفع لصاحبه الذي كان يعمل به في الدُّنيا، وفي مقدمة ذلك سورةُ البقرةِ وآلِ عمران، تتقدَّمان في الشَّفاعة، والذَّود عن حافظهما، والعامل بهما خصوصاً؛ لكثرة ما تحويان من أحكام وأمور عظام. **وهذا من أعظم فوائد العمل بالقرآن**(٢).

٢- عن أبي مُوسَى ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**المُؤْمنُ الَّذي يَقْرأُ القُرآنَ ويَعْمَلُ به كَالأُتْرُجَّة، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ. وَالمُؤْمنُ الَّذي لا يَقْرأُ القُرآنَ ويَعْمَلُ به كَالتَّمْرَة، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا. وَمَثَلُ المُنَافق الَّذي يَقْرأُ القُرآنَ كَالرَّيْحَانَة، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ المُنافِق الَّذي لا يَقْرأُ القُرآنَ كَالحَنْظَلَة، طَعْمُهَا مُرٌّ، أَوْ خَبِيثٌ، وَرِيحُهَا مُرٌّ**»(٣).

في هذا الحديث تَبيَّن لنا فضيلة حافظ القرآن العاملِ بما فيه، وأنَّ **المقصود من التلاوة هو العمل بما دلَّ عليه القرآن، لا مجرد تلاوته**(٤).

قال ابن بطَّال رحمه الله - في شرحه للحديث: «قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وإنما يزكو عنده ما أُريد به وجهه، وكان على نية التقرب. **وشبَّهَهُ بالرَّيحانة حيث لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره**، فلم يجاوز الطِّيبُ موضعَ الصَّوت وهو الحلق، ولا اتَّصَلَ بالقلب»(٥). الذي هو موطن الاعتبار، **فكيف يَعْمَلُ بالقرآن مَنْ هذا**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (١/ ٥٥٤)، (ح ٨٠٥).

(٢) انظر: هذا القرآن في مائة حديث نبوي، د. محمد زكي محمد خضر، (ص ٤٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب إثم مَنْ راءى بقراءة القرآن، أو تأكَّل به، أو فَجَرَ به، (٣/ ١٦٢٨)، (ح ٥٠٥٩).

(٤) انظر: فتح الباري، (٩/ ٨٥).

(٥) المصدر نفسه، (١٣/ ٦٥٧).

حـاله[١].

فالقرآن العظيم لا تنفتح أسـراره ولا ينتفع به إلاَّ مَنْ يعمل به، ويتحرك به، لتحقيق مدلوله في عالــم الواقع. لا لمن يقرؤه لمجرد التَّبرك! أو الدِّراسة الفنِّية أو العِلْمية!، أو لمجرد تتبُّع الأداء البياني فيه!

فالقــرآن العظيم لم يتنزَّل ليكون مادة دراسة عــلى هذا النحو؛ إنما تنزَّل ليكون مادة عمل وتوجيه[٢].

٣- سُئِلَ عَـبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: هَلْ كَـانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِـيَّةُ، أَوْ أُمِرُوا بِالوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ[٣].

قال ابن حجر رحمه الله:[٤] «أي بالتَّمسك به والعمل بمقتضاه».

وقال أيضاً:[٥] «فإذا اتَّبَعَ الناسُ ما في الكتــاب؛ عملوا بكل ما أمرهم النبيُّ ﷺ به، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]».

ولهذا لم يكن رسولُ الله ﷺ ليوصي أُمَّته من بعده بأفضل من اتِّباع كتاب الله؛ لكونه أعظَمَ وأهَمَّ من المال والخلافة - على أهمِّيَّتِهِما - فمن اتَّبع كتــابَ الله لن يضلَّ أبداً، بنصِّ حديث رســول الله ﷺ، الذي قال فـيه: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ: كِـتَابُ اللَّهِ حَـبْلٌ مَمْـدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِـتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَلَنْ

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٨٣).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٤/ ١٩٤٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصية، (٢/ ٨٤٢)، (رقم ٢٧٤٠).

(٤) فتح الباري، (٥/ ٤٤٣).

(٥) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»[١].

وأخرجه مسلمٌ مِنْ وَجْهٍ آخرَ ولَفظُه:

«ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ[٢]**: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الهُدَى والنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»** فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ[٣].

فكتاب الله تعالى إنْ عَمِلَ به الناس واستمسكوا به، كفاهم كُلَّ شيء:

قال تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [العنكبوت: ٥١].

٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ**[٤] **مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إلى الجَنَّة، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إلى النَّارِ»**[٥].

ومعنى الحديث: أَنَّ مَنْ اتَّبع القرآن وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول

---

(١) رواه الترمذي، (٥/ ٦٦٣)، (ح ٣٧٨٨). وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣/ ٢٢٧)، (ح ٢٩٨٠): «صحيح».

(٢) (ثَقَلَيْن): سُمِّيا ثَقَلَين: لعظمهما وكبير شأنهما. وقيل: لثقل العمل بهما.

«انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ١٨١)».

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فضائل عليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، (٤/ ١٨٧١)، (ح ٢٤٠٨).

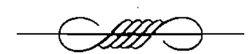
(٤) (مَاحِلٌ): أي مُجادلٌ ومُدافِعٌ، وقيل: سَاعٍ مُصَدَّق، مِنْ قولهم: مَحَل بِفُلان إذا سعى به إلى السلطان. «النهاية في غريب الحديث، (٤/ ٣٠٣). مادة: (محل)».

(٥) رواه الطبراني في الكبير، (١٠/ ١٠٤٥٠). وأبو نعيم في الحلية، (٤/ ١٠٨). وابن عدي في الكامل، (٣/ ١٢٧) عن ابن مسعود.

ورواه ابن حبان في صحيحه، (١/ ١٦٧). والبيهقي في الشعب، (٢/ ٢٠١٠) عن جابر. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٨١٨)، (ح ٤٤٤٣). والصحيحة: (٥/ ٣١)، (ح ٢٠١٩).

الشفاعة في العفو عن زلاته وسقطاته، فَمَنْ جعله أمامه بالعمل به قاده إلى الجنة. ومَنْ ترك العمل به وجعله خلف ظهره أَثِمَ على إساءته، وَمُصَدَّق عليه فيما يُرْفَعُ مِنْ مَسَاوِيه وعند ذلك يسوقه إلى النار[(١)].

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على وجوب اتِّباع القرآن العظيم والعمل به، فأين نحن مِنْ هذه التَّحذيرات النبوية المباركة، حتى نفور بسعادة الدنيا والآخرة. اللَّهم اجعل هذا الأمرَ حُجَّةً لنا لا علينا.



المطلب الثالث
الصحابة ﷺ يتواصون بالعمل بالقرآن

اقْتَفَى الصحابةُ الكرام ﷺ جميعاً ومَنْ تَبِعَهم بإحسان هذا الخُلُقَ الكريم **فكانوا يتواصون فيما بينهم على أهمية العمل بكتاب اللَّه تعالى** والحذر مِنْ ترك العمل به، **وَمِنْ وصاياهم المباركة في ذلك** ما يأتي:

١- قال **عُمَرُ** رضي الله عنه: «لا يَغْرُرْكُمْ مَنْ قَرَأَ القُرآنَ، إِنَّمَا هُوَ كَلامٌ نَتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنِ انْظُرُوا مَنْ يَعْمَلُ بِهِ»[(٢)].

٢- قال **ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: «تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا فَإِذَا عَلِمتُمْ فَاعْمَلُوا»[(٣)].

---

(١) انظر: فيض القدير، (٨/٤٣٩٩)، النهاية في غريب الحديث، (٤/٣٠٣). مادة: «محل».

(٢) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، (ص ٧١)، (رقم ١٠٩).

(٣) المصدر نفسه، (ص ٢٣)، (رقم ١٠). وقال مُحقِّقُه (العلامة الألباني): «موقوف حسن».

٣- عن أبي الدَّرْداء رضي الله عنه قال: «إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَا يَسْأَلُنِي عَنْهُ رَبِّي أَنْ يَقُولَ: قَدْ عَلِمْتَ فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ»[١].

٤- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أَنْ يُعْرَفَ بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً سكِّيتاً»[٢].

٥- عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ[٣] اسْتَقِيمُوا[٤]، فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقاً بَعِيداً[٥]، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَميناً وَشِمَالاً[٦]، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالاً

---

(١) المصدر نفسه، (ص ٤١)، (رقم ٥٣). وقال مُحَقِّقُه (العلامة الألباني): «موقوف حسن الإسناد».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، (٧/ ٢٣١)، (رقم ٣٥٥٨٤). ورواه بنحوه: أبو عبيد في فضائل القرآن، (ص ١١٣). وأحمد في الزهد، (ص ١٦٢). وأبو نعيم في الحلية، (١/ ١٢٩).

(٣) (يا مَعْشَرَ القُرَّاء): جَمْع قارئ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسُّنَّة العُبَّاد.

(٤) (اسْتَقِيمُوا): أي اسلكوا طريق الاستقامة وهو كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً.

(٥) (فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقاً بَعِيداً): أي ظاهراً، ووصفه بالبعد؛ لأنه غاية شأو السابقين، والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا تمسَّك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير؛ لأن مَنْ جاء بعده إنْ عَمِلَ بعلمه لم يصل إلى ما وصل إليه مَنْ سَبَقَهُ إلى الإسلام، وإلاَّ فهو أبعد منه حساً وحكماً.

(٦) (فإنْ أَخَذْتُمْ يَميناً وشمَالاً): أي خالفتم الأمر المذكور، وكلامُ حذيفة رضي الله عنه منتزع من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
«جميع ما ذُكِرَ في شرح أثر حذيفة، انظره في: فتح الباري، (١٣/ ٣١٦)».

بَعيداً»[١].

٦- قال الفضيل بن عياض[٢] رحمه الله: «إِنَّمَا نَزَلَ القُرْآنُ لِيُعْمَلَ به، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِـراءَتَهُ عَمَلاً. قيلَ: كَيْفَ العَمَلُ به؟ قَـالَ: أَيْ لِيُحِلُّوا حَلاَلَهُ، وَيُحَـرِّمُوا حَـرَامَـهُ، وَيَأْتَمِرُوا بِـأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَـهُـوا عَنْ نَوَاهِيه، وَيَـقِفُـوا عِنْدَ عَجَائِبه»[٣].

وبمقدار العـمل بالقرآن وتطبيقـه في واقع الحياة والاهتـداء بهديه يكون الأجر، وهذا ملحوظ حتى في قوانين البشر الناقصة، فكيف بكلام الله تعالى الذي يصـفه تعـالى بقـوله: ﴿لا يَأْتِيـهِ الْبَـاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِـهِ﴾ [فصلت: ٤٢]. ويقول عنه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَهَبْ أن رجلاً حَـفِظَ قانونَ بلدِه عن ظهر قلـب، ثم هو يُخالف هذا القانون ولا يبالي بتطبيقه والالتزام به، فهل ينفعه ذلك، أو يُقبل منه؟

أو طبيباً تعلَّم قوانينَ الطبِّ وفهمها ووعاها ثم عالج المرضى بخلاف ما تعلَّم، فماذا تكون النتيجة؟

فإذا كـان هذا مُلاحَظاً في القـوانين الاجتـهادية الأرضـية فمـا الظَّـن بكتاب الله الذي يُتـعبَّدُ بتلاوته وبسـماعه وبتـدارسه؟ ولا يكتمل هذا التَّعـبد

---

(١) رواه البخـاري في صحيـحه، كتـاب الاعتصـام بالكتاب والسنة، باب الاقـتـداء بِسُـنَنِ رسولِ الله ﷺ، (٤/ ٢٢٧٤)، (رقم ٧٢٨٢).

(٢) هو الفضـيل بن عياض بن مسـعود بن بشر التَّـميمي، الزاهد العابد المجـاور بحرم الله، ثقةٌ، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما، ولد بسمرقند، وتوفي سنة (١٨٧هـ). «انظر: وفيات الأعيـان، (٤/ ٤٧-٥٠)، (ت ٥٣١). تقريب التهذيب، (٢/ ١١٣)، (ت ٦٧). سير أعلام النبلاء، (٨/ ٤٢١-٤٤٢)».

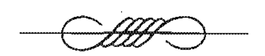
(٣) اقتضاء العلم العمل، (ص ٧٦)، (رقم ١١٦).

والأجر المُترتِّب عليه إلاَّ إذا تلازم مع العمل والتَّطبيق.

وما يُجدي مسلماً حفظ سورة النور بأكملها، ويعلم جزاءَ الزاني والقاذف، فإذا هو يقترف هذا الكبائر عياذاً بالله من ذلك! هل ينجيه حفظُه من العقوبة؟[١].

وعَوداً على ذي بدء يتبيَّن لنا مما تقدَّم أنَّ المقصودَ الأول مِنْ تعلم القرآن وحفظه وتدبُّره هو العمل به:

روى الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إذا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيهِنَّ، وَالعَمَلَ بِهِنَّ»[٢].



المطلب الرابع
فضائل العمل بالقرآن

إنَّ أعظم جزاء ينتظر العامل بالقرآن العظيم هو الجنة. والجنة درجات، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

«أي: ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازلُ ومراتبُ مِنْ عَمَلِه، يُبَلِّغُهُ اللهُ إيَّاه، ويُثيبه بها، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر»[٣].

---

(١) انظر: أنوار القرآن، (ص ٢١١).

(٢) مقدمة تفسير ابن كثير، (١/ ٣٦). وقال مُحَقِّقوه: «إسناده جيد».

(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٨٣).

وقد جاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ في الجَنَّة مائَةَ دَرَجَة، أعدَّهَا اللَّهُ للمُجَاهدينَ في سَبيلِ اللَّه، ما بَيْنَ الدَّرَجَتَيْن كما بَيْنَ السَّمَاء والأَرْضِ، فَإذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإنَّهُ أوْسَطُ الجَنَّة، وأَعْلَى الجَنَّة - أُرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّة**»(١).

وقد **وَعَدَ اللَّهُ تعالى مَنْ عَمِلَ بالقرآن العظيم أن يُحيِيه حياةً طَيِّبة** في قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

«فأخبر سبحانه عن فلاح مَنْ تمسَّك بعهده علماً وعَمَلاً في العاجلة بالحياة الطيبة، وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس مَنْ له المعيشة الضَّنك في الدنيا والبرزخ، ونسيانه في العذاب بالآخرة»(٢).

ولابد لكل مَنْ عَمِلَ صالحاً أن يحييه الله حياةً طَيِّبة بحسب إيمانه وعمله، ولكن **يغلط أكثر الناس في مسمَّى الحياة** حيث يظنونها التَّنعم في أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح أو لذة الرِّياسة والمال والتَّفنن بأنواع الشهوات.

ولاريب أنَّ هذه لذة مشتركة بين الإنسان وبين البهائم، بل قد يكون حَظٌّ كثير من البهائم منها أكثر من حظِّ الإنسان، فأين هذه اللذة من اللذة بأمرٍ إذا خالط بشاشتُه القلوبَ سلى عن الأبناء والنِّساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن، ورضي بتركها كلها والخروج منها رأساً، وعَرَّضَ نفسَه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، (٢/ ٨٦٤)، (ح ٢٧٩٠).

(٢) مفتاح دار السعادة، (ص ٤٤).

لأنواعِ المكاره والمشاقّ، وهو منشرح الصدر، حتى أنَّ أحدهم ليتلقى الرُّمح بصدره ويقول: فـزْتُ وربِّ الكعبة، ويستطيل الآخَرُ حياتَه حتى يُلقي قُوتَه من يده، ويقول: إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى آكلها ثم يتقدَّم إلى الموت فرحاً مسروراً، ويقولُ الآخَرُ مع فقره: لو علِمَ الملوكُ وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف، ويقول الآخَرُ: إنه ليمر بالقلب أوقات ليرقص فيها طرباً، وربما قال بعضهم: إنه لتمرُّ بي أوقاتٌ أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيِّب(١).

وفضائلُ العمل بالقرآن العظيم كثيرة ومتنوعة، بعضها في الدُّنيا، وبعضها في الآخرة، ومنها ما يأتي:

١- الهداية في الدُّنيا والآخرة.

قال الله تعالى: **﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: ١٧-١٨].

فهذا أَمْرُ تكريمٍ من الله عزَّ وجلَّ لنبيه الكريم محمدٍ ﷺ أن يُبَشِّرَ الذين يستمعون القرآن ثم يقودهم هذا الاستماع إلى العمل به وتطبيقه.

وفي معنى قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قولان:

الأول: يستمعون القولَ على العموم فيتَّبعون القرآن؛ لأنه أحسن الكلام.

الثاني: أنَّ **﴿الْقَوْلَ﴾** هو القرآن. أي: يستمعون القرآنَ فيتَّبعون بأعمالهم أَحْسَنَه من العفو، والصَّفح، واحتمال الأذى، الذي هو أحسن من الانتصار، ونحو ذلك(٢). كما قال تعالى: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا**

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص ٣٥-٣٦).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/ ١٩٣).

عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

ومعنى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾: أي المُتَّصِفون بهذه الصفة الجليلة - وهي العمل بكتاب الله - هم الذين هداهم الله تعالى للدِّين الحق، ومحاسن الأمور، فهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وضَمِنَ لهم ألاَّ يضلوا في الدنيا، ولا يشقوا في الآخرة بسوءِ الحساب.

قال ابن عباس ﷺ: «ضَمِنَ الله تعالى لِمَنْ قرأ القرآنَ وعَمِلَ بما فيه ألاَّ يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة». ثم تلا قولَه تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣][(١)].

وقال أيضاً: «مَنْ قرأ القرآنَ واتَّبَعَ ما فيه، هداه الله مِنَ الضَّلالة، ووقاه يومَ القيامة سُوءَ الحساب». ثُمَّ تلا الآيَةَ نفسَها[(٢)].

ومعنى قوله: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾:

«أي: هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم، ومنازعة الهوى، المستحقون للهداية لاغيرهم، وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بِفِعْلِ الله تعالى وقبول النفس»[(٣)].

فالذي لا يُـمَيِّزُ بين الأقوال حسنِها وقبيحِها ليس من أهل العقول السليمة، والذي يميز لكن شهوته تغلبه أحياناً، فيبقى عقله تابعاً لشهوته كان ناقص العقل.

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية، (٤/ ٥٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ٢٧٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩).

(٣) تفسير أبي السعود، (٧/ ٢٤٨).

فهؤلاء أهل العقول الزاكية، والفطر المستقيمة من لُبِّهم وحَزْمِهم عرفوا الحَسَنَ وغيرَه فآثروه وتركوا ما سواه، فهذه علامة العقل الصحيح، نسأل اللهَ تعالى أن يجعلنا منهم(١).

٢- الرَّحمة في الدُّنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

هذه الآية الكريمة تدل دلالةً واضحةً على أَنَّ أقصرَ سبيل وأوضَحَه لنيلِ رحمة اللَّه تعالى هو اتِّباع هذا الكتاب العظيم علماً وعملاً.

ومعنى **الآية**: إن ﴿هَذَا﴾ الذي تُليت عليكم أوامره ونواهيه ﴿كِتَابٌ﴾ عظيم الشأن، لا يقادر قدره، ﴿أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ لكثرة منافعه الدِّينية والدنيوية.

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، **فإنَّ عظمة هذا الكتاب، وكونه منزلاً من اللَّه جلَّ جلالُه، وفيه مافيه من المنافع الدينية والدنيوية، هذا كُلُّه موجب لاتِّباعه والعمل به**(٢).

قال ابن عاشور رحمه الله:(٣) «وافتتاح الجملة باسمِ الإشارة، وبناءُ الفعلِ عليه، وَجَعْلُ الكتابِ الذي حَقُّه أن يكون مفعولَ ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ مبتدأ، كُلُّ ذلك للاهتمام بالكتابِ والتنويه به، . . .

وتَفْرِيعُ الأمرِ باتِّباعه على كونِه مُنَزَّلاً من الله، وكونِه مباركاً، ظاهر:

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (٤/ ٣١٦).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، (٣/ ٢٠١).

(٣) التحرير والتنوير، (٧/ ١٣٣).

لأنَّ ما كان كذلك لا يَترَدَّدُ أحد في اتِّباعه . . .

ومعنى: ﴿اتَّقُوا﴾ كونوا مُتَّصفين بالتَّقوى. وهي الأخذُ بِدِين الحَقِّ والعملُ به.

وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَعْدٌ على اتِّباعه، وتعريضٌ بالوعيد بعذاب الدُّنيا والآخرة إن لم يَتَّبعوه».

فهذا ترغيب من الله تعالى لعباده أن يَتَّبِعوا هذا الكتاب المبارك، ويعملوا به؛ رجاء أن تنالهم رحمته في الدنيا والآخرة.

٣- الفلاح في الدُّنيا والآخرة.

قال الله تعالى: **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٧].

فقد شَبَّهُ الله تعالى القرآنَ بالنور الذي يكشف ظلمات الجهل، ويَظْهَرُ في ضوئه الحقُّ، ويتميَّز عن الباطل، ويُميَّز به بين الهدى والضلال، والحَسَن والقبيح. **وشَبَّه حال المقتدي بهدي القرآن، بحال السَّاري في الليل إذا رأى نوراً يلوح له اتَّبعه، لعلمه اليقيني أنه يجد عنده مَنْجَاةً مِنَ المخَاوفِ وأضرارِ السَّير.**

فيجب على كل مسلم أن يستضيءَ بنور القرآن العظيم، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويُحَرِّم حرامه، ويمتثل أوامر، ويجتنب ما نهى عنه، ويعتبر بقصصه وأمثاله، ولا ينبغي لمسلم بعد هذا كُلِّه أن تعمى بصيرتُه عن هذا النور العظيم(١).

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٨٠)، التحرير والتنوير (٨/ ٣١٩).

فمن استجاب لهذا النور واتَّبعه وعمل بما فيه، فهو المُفلح الفائز بالمطلوب في الدنيا والآخرة، الظَّافر بِخَيرِهما والنَّاجي من شَرِّهما، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المفلحين.

٤- تكفير السَّيِّئات وإصلاح البال.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «أي: آمنت قلوبُهم وسرائرُهم، وانقادت لشرع الله جوارحُهم وبواطنُهم وظواهرُهم»[(١)].

﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ هذا مِنْ عطف الخاص على العام. «قال سفيان الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء»[(٢)]. ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ «يُريد أَنَّ إيمانهم هو الحقُّ مِنْ ربِّهم، وقيل: أي أَنَّ القرآنَ هو الحقُّ من ربهم، نسخ به ما قبله»[(٣)].

وثمرة هذا الإيمان الصحيح، وهذا الاتِّباع الكامل للقرآن والعمل به، أمران عظيمان:

أولهما: تكفير السَّيئات.

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ «صغارها وكبارها، وإذا كُفِّرت عنهم سيئاتهم نجوا من عذاب الدُّنيا والآخرة»[(٤)]. «وقيل: سَتَرَ بإيمانِهم وعَمَلِهم الصَّالح ما

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤/ ١٧٣).

(٢) تفسير البغوي، (٤/ ١٧٧).

(٣) تفسير القرطبي، (١٦/ ٢٢٤).

(٤) تفسير السعدي، (١/ ٧٨٤).

كان من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم»[(١)].

ثانيهما: إصلاح البال.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي «أصلح شأنَهم وحالَهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أَنْ أورثهم نعيمَ الأبد، والخلودَ الدَّائم في جناته»[(٢)].

وقيل: «أصلح دينَهم، ودنياهم، وقلوبَهم، وأعمالَهم، وأصلح ثوابَهم بتنميته وتزكيته، وأصلح جميعَ أحوالهم»[(٣)].

ولاريب أَنَّ إصلاحَ البالِ نعمةٌ كبرى، ومِنَّةٌ عُظمى، تلي نعمة الإيمان في القَدْر والقيمة والأثر. وفي ذلك اطمئنان لهم، وراحة كبيرة، وثقةٌ بالله تعالى في ثوابهم العاجل والآجل.

ومتى صَلَحَ البال، استقام السُّلوك والعمل، واطمأنَّ القلب، وتنزَّلت عليه السَّكينة، ورضيت النَّفس واستمتعت بالأمن والإيمان، وماذا بعد هذا من نعمةٍ أو متاع[(٤)].

والسبب المباشر لهذا الجزاء المبارك أنهم: ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣].

أي أنهم عملوا بهذا القرآن العظيم الصادر **﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾** الذي ربَّاهم بنعمته، ودبَّرهم بلطفه، فربَّاهم تعالى بالحقِّ فاتَّبعوه، فعند ذلك صلحت أمورهم.

---

(١) الكشاف، (٤/ ٣١٩).

(٢) تفسير الطبري، (٢٦/ ٣٩).

(٣) تفسير السعدي، (١/ ٧٨٤).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٦/ ٣٢٨١).

فلمَّا كانت الغاية المقصودة لهم متعلِّقة بالحقِّ المنسوبِ إلى اللهِ الباقي الحقِّ المبين، كانت الوسيلةُ صالحةً باقياً ثوابُها[١].

فهذه هي بعض فضائلِ العمل بالقرآن العظيم، وحُسْنِ الجزاء في الدُّنيا والآخرة، نسأل اللهَ تعالى أن يرزقنا حُسْنَ العملِ بكتابه، وحُسْنَ الجزاءِ على ذلك، إنه سميع مجيب.



(١) انظر: المصدر السابق، والصفحة نفسها.

الباب الثالث

أهمية القرآن في حياة المسلمين وحقوقه عليهم

وفيه فصلان

الفصل الأول: أهمية القرآن في حياة المسلمين.

الفصل الثاني: حقوق القرآن على المسلمين.

الفصل الأول
أهميـة القـرآن
في حيـاة المسـلمين

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مكانة القرآن في حياة المسلمين.

المبـحث الثـاني: الأهداف الأسـاسـيـة للقـرآن في حـيـاة المسلمين.

المبحث الثالث: منهج القرآن في إصلاح المسلمين.

المبـحث الـرابـع: الآثار العظيـمـة للقـرآن في حـيـاة الأمـة الإسلامية.

تمهيد

إن المسلمين جميعاً على تباين أقطارهم، وتباعد ديارهم، واختلاف أشكالهم وألسنتهم وألوانهم، لاغنى لهم عن القرآن العظيم طرفة عين، ولا أقل من ذلك؛ لأنه المنهاج الأمثل الذي ارتضاه الله لهم، وبَيَّنَ لهم فيه كل شيء، من العقائد، والعبادات والمعاملات، والحقوق الشخصية.

ومهمة القرآن العظيم لا تقف عند حد الاعتقاد الصحيح وتوحيد الخالق، بل تزيد عليه تهذيب السلوك، وتربية القلب والعقل، وتصحيح المعاملات، وتطبيق قواعد العدل على النفس والغير.

وإذا كان الإنسان لاوجود له، ولا حياة، بغير الروح والقلب والعقل، فإن المسلمين لا كيان لهم، ولا حياة، ولا منزلة، بغير القرآن العظيم، فهو لهم الضياء والغذاء والشفاء.

لو تنشده أُمَّتُنا الإسلامية في عصرنا لَوَجدت فيه مُبتغاها من التَّشريعات الفردية والجماعية والعلائق الأسرية، والمعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والأنظمة الدولية.

وبعبارة أدق وأوجز: إن أمتنا الإسلامية تجد في القرآن الحكيم كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة، والدِّين والدُّنيا.

ولقد اشتمل القرآن العظيم على ست آلاف ومائتين وست وثلاثين آية احتوت جملة وتفصيلاً على العبادات والعقائد والتكاليف والأصول والأحكام، والمعاملات، وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها في السلم والحرب، وسياسة الحكم، وإقامة العدل، والعدالة الاجتماعية، والتضامن الاجتماعي،

وكل ما يتصل ببناء المجتمع المسلم في نواحٍ شتى، ورسم الشخصية الإسلامية الكاملة خلقاً وأدباً وعلماً وعملاً[١].

وإن هذا القرآن **العظيم** يهدي المسلمين للتي هي أقوم في دنياهم وأخراهم، ويحفظ لهم طريق الإصلاح والصَّلاح، ويُنَظِّمُ لهم شئونهم تنظيماً مُحكماً سديداً.

هذا القرآن **الكريم** يريد للمسلمين جميعاً أن يكونوا قوة في أنفسهم وعلى أعدائهم، لا يَظلمون ويعتدون، ولا يُظلمون ويُقهرون، ولكن عليهم أن يردوا الظلم والاعتداء، ثم لا يستزيدون.

هذا القرآن **المجيد** إذا تَدَبَّرهُ المسلمُ حَقَّ التدبر وعلم أهدافه استطاع أن يُبْعِدَ عن نفسه أخلاق الجاهلية الأُولى بكل ما تحمله من مفاسد وضلالات.

هذا القرآن **الحكيم** إذا رجع إليه المسلمون وفهموه على وجهه الصحيح استطاعوا بناء قوة تقدر على خوض معركة الحياة الضَّارية بعزم وحزم، وهي متسلحة بسلاح العلم والتقوى والإيمان، والفضائل والأخلاق التي لم يَعُدْ لها مكان في هذه الحضارة المادية المعاصرة المتغلِّبة على القلوب والعقول والأبدان[٢].

وفي هذا القرآن **العزيز** المخرج للمسلمين في كل مكان وزمان، يعتصمون به في روابطهم، ويقيمون أحكامه في حياتهم، ويجاهدون به

---

(١) انظر: مع كتاب الله، أحمد عبد الرحيم السايح، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٤٠)، (ربيع الأول ١٣٩٨هـ)، (ص٢٣-٢٧).

(٢) انظر: هذا القرآن، لعبد الحي العَمراني (ص٩-١١).

أعداءهم، ويصلحون به دنياهم، ويستقبلون به آخرتهم، ولقد اقتضت سُنَّة الله تعالى أن تكون هداية هذا القرآن سبباً رئيساً لنجاتهم، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] [١].

وسيكون الحديث بعون اللَّه وتوفيقه في هذا الفصل الهام عن أربعة مباحث، وهي على النحو الآتي:

---

(١) انظر: القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، محمد الراوي، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٥٠ -٥١)، (ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١ هـ)، (ص١٧٧-١٨٨).

المبحث الأول
مكانة القرآن في حياة المسلمين

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: القرآن أكبر عوامل توحُّد المسلمين.

المطلب الثاني: القرآن منهج تربية للمسلمين.

المطلب الثالث: القرآن مصدر الشَّريعة.

المطلب الرابع: القرآن منهاج لحياة المسلمين.

المطلب الخامس: القرآن يُوجِّه المسلمين إلى السُّنن الثَّابتة.

تمهيد

إن القرآن المبين لم يغادر صغيرة ولا كبيرة فيها صلاح المجتمع المسلم والفرد المسلم إلاَّ أمر بها، وحذَّر مِنْ تركها والزهد فيها.

فللقرآن العظيم في نفوس المؤمنين مكانة عظيمة ليست لأيٍّ كتاب آخر على الإطلاق.

وكفى بالمسلمين شرفاً أن القرآن العظيم هو كلام ربِّ العالمين، نزَّله بواسطة رسوله الملكي الأمين، على رسوله البشري سيد الأنبياء والمرسلين، بلسان عربي مبين، فتعبَّدَ المسلمين بتلاوته وكفى بذلك تعظيماً في نفوسهم.

إنَّ الكتاب الذي يصل للناس من مؤلِّف قدير يعرفونه، يكون عزيزاً عندهم بمقدار ما يعرفونه عن ذلك المؤلِّف من مكانة علمية، فكيف بكتاب ربِّ العالمين القادر المقتدر العليم الحكيم؟.

وإنَّ الكتاب الذي يُعطي الناسَ جزءاً صغيراً من المعلومات، وفي باب واحد من أبواب المعرفة، يكون عزيزاً لديهم بمقدار فائدتهم منه، فكيف بالكتاب الذي يحوي الخير كلَّه ويدل عليه؟

وإنَّ الكتاب الذي أعلمُ أن قراءتي له ترفع منزلتي بين أصحابي، يكون عزيزاً عندي بمقدار هذه الرفعة، فكيف بالكتاب الذي يرفع منزلتي في الملأ الأعلى، وعند ربِّ العالمين؟

وإنَّ الكتاب الذي يقدِّمُه إليَّ أستاذي، وأعلمُ أن قراءتي له ستزيد درجاتي عنده، أكون حريصاً على قراءته بقدر ما يزيدني من درجات وعلامات، فكيف بالكتاب الذي تكون تلاوته تعبُّداً يرفع درجاتي عند الله

تعالى؟

ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

فلا يوجد كتاب في تاريخ البشرية كلّه نال من المكانة في نفوس أصحابه كما نال القرآن العظيم في نفوس المسلمين.

ولا يوجد أيضاً كتاب قُرئ وحُفظ في تاريخ البشرية بقدر ما قُرئ هذا الكتاب، ولا عجبَ أنْ سمَّاه الله تعالى «القرآن» فهو الكتاب المقروء، الذي لا تفتر قراءته في ليل أونهار أو سر أو جهار، في صلاة أو ذكر أو حلقة أو درس[1].

وستظهر لنا مكانة القرآن العظيم في حياة المسلمين من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
القرآن أكبر عوامل تَوَحُّدِ المسلمين

فالله تعالى أوجب على المسلمين كافة التَّمسك بكتابه العظيم، والرجوع إليه عند الاختلاف وكذلك السنة، وأمرهم بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة، اعتقاداً وعملاً. وذلك سبب لاتفاق كلمتهم، وانتظام شتاتهم، الذي تتم به مصالح الدين والدنيا، والسلامة من الاختلاف. وأَمَرَ بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين، قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا**

(١) انظر: ركائز الإيمان، (ص٢٠٨-٢٠٩).

بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالاعتصام يوجب على المسلمين أن يجعلوا اجتماعهم ووحدتهم على كتاب الله تعالى، عليه يجتمعون، وبه يتَّحدون، لا بجنسيات يتَّبعونها، ولا بمذاهب يبتدعونها، ولا بسياسات يخترعونها[١].

والقرآن العظيم هو حبل اللَّه تعالى الموصل إلى هداه، كماجاء ذلك في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ**[٢]**، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَةٍ**»[٣].

وهو حبل اللَّه الممدود من السَّماء إلى الأرض، كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- أن النبيَّ ﷺ قال: «**كِتَابُ اللَّهِ هو حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**»[٤].



---

(١) انظر: تفسير القرطبي، (٤/ ١٥٩). تفسير المنار، محمد رشيد رضا. (٤/ ٢٠). مع كتاب الله، (ص٢٥).

(٢) **(حبل اللَّه)** قيل: المراد بحبل الله عهده. وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته. وقيل: هو نوره الذي يهدي به.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (٤/ ١٨٧٤)، (ح٢٤٠٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده، (٣/ ١٤). وابن أبي شيبة في مصنفه، (٧/ ١٧٦)، (ح٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ٨٢٦)، (ح٤٤٧٣). والصحيحة: (ح٢٠٢٤).

المطلب الثاني
القرآن منهج تربية للمسلمين

إنَّ إعداد الأُمَّة فرداً وجماعةً، والعمل على نقلتها السَّريعة من وضع مُتَرَدٍّ إلى وضع أسمى وأفضل وأقوم، ليس بالأمر الهيِّن اليسير، بسبب إصرار الناس على ما أَلِفُوه وورثوه، فيصبح جزءاً من حياتهم، فيحتاج الأمر إلى التَّدرج بهم من حال إلى حال؛ لتحسين أوضاعهم في جميع المجالات.

ولهذا جاء القرآن العظيم منهج تربية للمسلمين، فأيقظ فيهم عواملَ الخير، وبواعثَ العقل، وحَوَّلَ طاقاتهم وبدَّل أحوالهم، ووجَّههم توجيهاً عالياً وقويماً، فانتقلت الأُمَّة من حال الضَّعف إلى حال القوة، ومن حال المرض إلى حال الصِّحة، ومن التَّخلف والتَّفرق والضَّياع إلى ذروة التَّقدم والوحدة والوئام والتَّعاون، حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس.

ولم يأت الأمر من فراغ بل كان القرآن العظيم يُوَجِّه أفراد المجتمع الإسلامي في جميع مجالات التربية: العقدية والعبادية والأخلاقية والثَّقافية والاقتصادية والسِّياسية.

ولايوجد كتاب في التَّربية - قديماً كان أو حديثاً - يحوي الثَّروة التَّربوية العُظمى في الأهداف والمحتويات والأساليب، مقرونة بالتَّسامي والواقعية والشُّمول والاتِّزان كالقرآن العظيم(١).

فهو يحوي - بين دفَّتيه - جميع عناصر التربية الصالحة للمسلمين، وكل كلمة فيه تُعَدُّ توجيهاً تربوياً لإنشاء «المسلم الصالح» في هذه الأرض. سواء أكان أَمْراً بعبادة، أو توجيهاً أخلاقياً، أو نهياً عن أمرٍ لا يُحبه الله ولا

---

(١) انظر: فلسفة التربية في القرآن الكريم، عمر أحمد عمر (ص٧، ١٩).

يرضاه لعباده، أو تشريعاً مُنَظِّماً لحياة المسلمين، أو قصةً من قصص المؤمنين أو قصص المكذبين، أو حديثاً عن اليوم الآخر، ووصفاً لمشاهد الحساب والثواب والعقاب، أو توجيهاً عقلياً لتدبر آياته في الكون أو سننه في الحياة.

فكل هذه الأمور جاءت للتربية والتوجيه[١].



المطلب الثالث
القرآن مصدر الشريعة

القرآن العظيم مصدر الشريعة الإسلامية السَّمحة المُنَظِّمَة لحياة المسلمين، وهو دستورها القائم أبد الدَّهر، وقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول فأغناهم عن كل شيء، فلم يمدوا أبصارهم إلى غيره، ولم يأخذوا لدينهم ودنياهم إلاَّ بما توحي به إليهم كلماته، وتوحي به إليهم آياته.

فمن الأصول العظيمة التي تجمع المسلمين، وتعمل على حمايتهم، أنَّ مصدر تشريعهم واحد، مِنْ إله واحد، ليس مستورداً من الشرق، ولا من الغرب، ولا هو من الأفكار التي دبَّجها البشر، وروَّج لها سماسرةُ القوانين الوضعية، ولا يقبل أن يُؤخذ بعضه ويترك بعضه[٢].

ومن ثَمَّ **فلا شيء في حياة المسلم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الفكرية أو الروحية يرجع فيه إلى مصدر آخر غير هذا**

---

(١) انظر: ركائز الإيمان، (ص٢٠٩).

(٢) انظر: جوانب من عظمة القرآن الكريم، (ص١٩٣). مع كتاب الله، (ص٢٣).

الكتاب[١] ، ولاشيء في حياته يجوز أن يَخرج عن تعاليم هذا الكتاب، مهما استجدَّ في حياته من أمور!

لقد أنزل الله هذه الشريعة لتحكم حياة الناس إلى قيام الساعة، **فقول مرضى القلوب**: إنَّ هذه الشريعة قد نزلت قبل أربعة عشر قرناً، فهي لا تصلح للتطبيق اليوم، **معناه** - تعالى الله عن ذلك: أن الله لم يعلم وقت تنزيل هذا القرآن أنه ستجدُّ في حياة الناس أمور غير التي كانت قبل انقطاع الوحي، ولا يوجد لها في الشريعة حكم يشملها!

وقد عرف المسلمون خلال التاريخ أن نظام حياتهم كلِّه قد شملته أحكام الشريعة، وأن عليهم - حين يجدُّ في حياتهم أمر - أن يستنبطوا له حُكماً من الشريعة الثابتة الأركان.

وعرفوا - فوق ذلك - أنه تُوجد أمور تركها رَبُّ العِزَّةِ بغير نص، لا نسياناً منه جلَّت قدرته، ولكن رحمة منه بعباده، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ، فهذه أمور يجتهدون فيها بما يُحقق مصالح الناس دون أن يخالفوا مقاصد الشرع[٢].



(١) وشرحه وتفصيله في سنة الرسول ﷺ .

(٢) انظر: ركائز الإيمان، (ص ٢١٠).

المطلب الرابع
القرآن مِنْهاجٌ لحَياةِ المسلمين

ينبغـي على كل مسلم أن يعلم يقـيناً أن الله تعالى نَزَّلَ القـرآن العظيم ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو منهاج عملي يتضمن الأصول المُوَجِّهة لحيـاة الفرد، وعلاقتـه بالربِّ سبحانه، وعـلاقته بالكون والحيـاة مِنْ حوله، وعلاقته بنفسه، وعـلاقته بأسرته وجيرانه ومجتمعه، وعـلاقته بأمته المسلمة، وعلاقته بغير المسلمين، ممن يُسالمونه وممن يُحاربونه.

علاقتـه باللَّه تعالى: أن يعبده ولا يشـرك به شيئاً: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١١-١٥].

وعلاقته بالكون: أن يتأمله وينظر فيـه ليهتدي به إلى خالقه ومُبدعه: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وعلاقة المسلم بالحياة الدنيا: أن يتخذها مزرعـة للحياة الأخرى، وأن يستمتع بطيبـاتها دون أن يجعلها له غاية، وأن يعمل لدنياه كـأنه يعيش فيها أبداً، ويعـمل لآخرته كأنه يمـوت غداً، وبذا يجمـع الحسنيين، ويسـعد في الدارين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وعـلاقة المسلـم بنفسـه: أن يوجه قـواها كلها في طلـب الحق، وفعل الخير، ومـجاهدة الباطل والشر، وأن يزكِّـي نفسه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وعلاقة المسلم بأسرته: بِحُسْنِ العِشرة، والقيام بحَقِّ القوامة والرحمة، وحُسْنِ المعاملة، وَحُسْنِ تربيتها، وإيقافها على حقوقها والواجبات التي عليها قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

كمـا بَيَّن علاقـة الأولاد بوالديهم في مثل قـوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وأشار إلى عـلاقة الآباء بأولادهم في مثل قـوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. وبمثل دُعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

والأسرة في نظر القرآن العظيم هي الأسرة الموسَّعة الممتدة التي تشمل

الإخوة والأخوات، بل الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، من أولي القربى والأرحام، وقد قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وعلاقته بجيرانه وجماعته المسلمة من حوله: ذكرها القرآن في مثل قوله تعالى في آية الحقوق العَشَرة: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وعلاقته بأُمَّتـه الكبرى -أُمَّة الإسلام: أن ينصح لها، ويَعُدَّ نفسه جزءاً منها، يعطيها ويأخذ منها، ويغار عليها، ويذود عنها، داعياً إلى الخير آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مجاهداً في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وللأمة كلِّها حق عليه - وخصوصاً الضعفاء من فئاتها المختلفة، مثل اليتامى والمساكين وابن السبيل - كما قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وعلى المسلم أن يكون ولاؤه لأمته، المنبثق من ولائه لله تعالى ولرسوله ﷺ، وأن يُعادي مَنْ يعاديها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

وعلاقته بغير المسلمين: بيَّنتها آيتان من كتاب الله تعالى، هما بمثابة الدستور في تحديد العلاقات بين المسلمين وغيرهم، يقول الله تعالى: **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الممتحنة: ٨-٩].

فللمُسالمين من غير المسلمين: القسط، وهو العدل الذي يحبه الله تعالى ويحب أهله، والبر، وهو الإحسان، وهو أمر فوق العدل.

وأما غير المُسالمين - ممن قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم - فلهم ما يستحقونه من مناصبة العداء، ورفض الولاء: **﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** وفيهم يقول تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** [البقرة: ١٩٠][1].



---

(١) انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟، (ص٤٨٩-٤٩٤). مباحث في علوم القرآن، (ص١٨). ذلك الكتاب لاريب فيه، محمود عبد الوهاب فايد، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ١١)، (محرم ١٣٩١هـ)، (ص٤٦-٥٤). القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق، محمد الراوي، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٥٠-٥١)، (ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ)، (ص ١٧٧-١٨٨).

المطلب الخامس
القرآن يُوَجِّهُ المسلمين إلى السُّنن الثَّابتة

القرآن العظيم يوجه أنظار المسلمين إلى السنن الربانية التي تستقيم بها حياة البشر على الأرض، ليتعرفوا عليها وتقوم حياتهم بمقتضاها، لأنها سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

فمن هذه السنن: أن المؤمنين متى استقاموا على أمر الله تعالى فإن الله يستخلفُهم، ويمكِّنُ لهم في الأرض، ويمنحهم الأمن والطمأنينة، ويبارك لهم في حياتهم أيضاً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ويبين القرآن للمسلمين أن تمكينهم في الدنيا هو لإصلاح الأرض، ثم تكون لهم العاقبة الحسنة في الآخرة، فينعمون بالجنة والرضوان: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أما الكفار فَيُمكَّنون ابتلاء وفتنة، وحين يُوغِلون في البعد عن الله تُفتح

عليهم أبواب القوة والاستمتاع، وتنهال عليهم الأسباب من كل جانب. وليس ذلك رضىً من الله عليهم، بل ليزدادوا إثماً، ثم يأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومن السنن الربانية الثابتة التي يبينها القرآن للمسلمين: أن أعمال البشر من سيئة أو حسنة تترتب عليها نتائج حتمية لا يمكن تغييرها: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

والنتائج تترتب بِقَدَرٍ من الله. ولكن الله يُخبرنا أنه يُجري قَدَرَهُ في

الأرض بحسب ما يكون من سلوك الناس[١].



(١) انظر: ركائـز الإيمان، (ص٢١٥-٢١٧). جوانب من عظمة الـقرآن الكريم، (ص١٨٣-١٩٤).

المبحث الثـــاني
الأهداف الأساسية للقرآن
في حياة المسلمين

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الهداية إلى اللَّه تعالى.

المطلب الثاني: إيجاد المجتمع القرآني المتعاون.

المطلب الثالث: تحصين الأمة الإسلامية من أعدائها.

تمهيـــد

يُخطئ كثيـر من المسلمين عندما **يقصـرون مهـمة القـرآن العظيم على الأموات فقط دون الأحياء**، فَيُلتفت إلى القرآن عندما يموت المسلم، وترتفع أصوات أجهزة التسجيل بالقـرآن لعدة أيام، ويحضر بعض القراء إلى البيوت والمقابر في مناسبات العزاء وتأبين الموتى. أمَّـا أن يتعامل الأحياء مع القرآن، ويبحثوا عن حِكَمه وأهدافه ليحققوهـا فيهم وفي مجتمعاتهم، فهذا الذي لم يفكر فيه هذا الصِّنف من الناس.

وبعضـهم يجعل القرآن لمجرد البـركة، حين يُحَوِّلونه إلى حجب وتمائم ورُقًى يضعـونها على الأجساد أو البـيوت أو السيارات، اسـتحضاراً للبـركة ودفعاً للضرر، كما زعموا.

وبعضـهم يفتـتح بالقرآن الكريم المؤتمرات أو الكلمـات أو اللقاءات أو الاحتـفالات من باب التـيمن والتبـرك ، وتعطير الأجـواء بذكره، **لكنهم لا يريدون أن يفتـحوا للقرآن نفـوسهم وقلوبهم ليـحييـهم بما فيه من حـياة، ولا يريدون أن يفتحوا له مؤسساتهم ومناهـجهم ووزاراتهم وتشريعاتهم لتتحول إلى هدى ورحمة وعدل**[1].

وإن من أبرز الأهداف الأسـاسيـة للقرآن العظيم في حـياة المسلمـين ما يلي:

---

(١) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن، (٧٦-٧٧).

المطلب الأول
الهداية إلى الله تعالى

أنزل الله تعالى القرآن لمقصد عظيم ألا وهو هداية البشر إليه وإلى طريقه المستقيم، وقيادتهم إلى جنَّته ورضوانه، وإنقاذهم من إبليس ومن المصير الذي يقودهم إليه، إن استجابوا له.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فالقرآن العظيم يهدي البشر إلى طرق النَّجاة والسَّلامة ومناهج الاستقامة، وينجي مَنْ اتَّبعه من المهالك، ويوضح له أبين المسالك، فيصرف عنه المحذور، ويُحَصِّل له أَبْيَنَ الأمور، وينفي عنه الضَّلالة، ويُرشده إلى أقوم حالة[١].

إنَّ القرآن العظيم كالمصباح لهذه الأمَّة، فلا سبيلَ لهدايتها إلاَّ به، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. وكثيراً ما يُوصف القرآن في الآيات الكريمة بأنه نور وهدى للناس.

ولقد قال النبيُّ ﷺ لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «**ياعَلِيُّ! سَلِ اللَّه الهُدَى والسَّدَادَ، واذْكُرْ بِالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَبِالسَّدادِ تَسْدِيدَكَ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ٨٥).

السَّهْمَ»(١).

فمعنى الهداية بصفة عامة: معرفة الطَّريق الصَّحيح الموصل للهدف الذي يسعى المرءُ لبلوغه.

ولقد أخبرنا الله جلَّ جلالُه بأنه ليس هناك إلاَّ طريق واحد يؤدِّي إلى هذا الهدف، ألآ وهو: الصِّراط المستقيم.

قال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾** [الأنعام: ١٥٣].

والطُّرق التي تحيط بالصِّراط كثيرة، ويقف على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو الناس إليه، كما أخبرنا بذلك المعصوم ﷺ.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ رَسُولُ الله ﷺ خَطّاً بِيَدِه، ثُمَّ قَالَ: **«هذا سَبِيلُ اللَّه مُسْتَقِيماً»**، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عن يَمِينه وَشِمَاله، ثُمَّ قَالَ: **«هذه السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إلاَّ عَلَيْه شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه»**، ثُمَّ قَرَأَ: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾** [الأنعام: ١٥٣](٢).

---

(١) رواه الحاكم واللفظ له، (٤/ ٢٩٨)، (ح ٧٧٠٠). والنسائي في الكبرى، (٥/ ٤٦٠)، (ح ٩٥٦٢). وأحمد في المسند (١/ ١٣٤)، (ح١١٢٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١٣١٦)، (ح ٧٩٥٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، (٢/ ٢٦١)، (ح ٢٨٣٨) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأحمد في المسند، واللفظ له، (١/ ٤٦٥)، (ح ٤٤٣٧). وقال محققو المسند (٧/ ٤٣٦): «إسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي بكر - وهو ابن عياش - فمن رجال البخاري، وأخرج له مسلم في (المقدِّمة)».

فهذا الطَّريق المستقيم ينبغي على المسلم أن يعرفه من بين الطُّرق الأُخرى المحيطة به، وأن يسير فيه طيلة حياته حتى يلقى اللهَ تعالى.

واللهُ تبارك وتعالى لا يترك الإنسان بدون دليل يدلُّه على الصِّراط، ويهديه إليه، وهو القرآن العظيم، قال تعالى - حكايةً عن مقولة الجنِّ لقومهم: ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩].

فهداية القرآن للنَّاس تتمُّ من خلال كشفه وإنارته لكلِّ الجوانب التي تتعلَّق بحركة الإنسان الخارجيَّة، وكذلك كل ما يوجد بداخله من جوانب غامضة، وأسئلة مُحيِّرة، وتصوُّرات خاطئة، يكشفها القرآن العظيم، ويوجِّهها الوجهة الصَّحيحة، وهو ما يُعَبَّرُ عنه «بسبل السَّلام» في قوله تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⁽¹⁵⁾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [المائدة: ١٥-١٦][(١)].

«**قيل**: السَّلام هو اللهُ عزَّ وجلَّ، وسبيلُه دينُه الذي شَرَعَ لعباده، وبَعَثَ به رسله، **وقيل**: السَّلام هو السَّلامة، كاللَّذاذ واللَّذاذة بمعنى واحد، والمراد به طرق السَّلامة»[(٢)].

---

(١) انظر: العودة إلى القرآن، د. مجدي الهلالي (ص ١٩ - ٢١).

(٢) تفسير البغوي، (٢/ ٢٢).

فالهدف الرَّئيس إذاً للقرآن العظيم هو الوصول بمن يتبعه إلى بَرِّ الأمان في كلِّ ما يتعلق به من أمور الدُّنيا قبل الآخرة.

«و ﴿مَنْ﴾ مِنْ ألفاظ العموم تَصْدُقُ على الفرد والجماعة، فكلُّ من اتَّبع رضوان الله بأنْ عَمِلَ بما في كتابه واستضاء بنوره فاتَّخذه إماماً وحاكماً، وتخلَّق بما فيه من الأخلاق يهديه اللهُ سُبُلَ السَّلام، أي طُرق السَّلامة في الدُّنيا والآخرة، فلا يسلك سبيلاً إلاَّ صَحِبَتْهُ السَّلامة.

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾ أي المستضيئين بنور القرآن **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾** وظلماتُ الحياة كثيرة، والنُّور هو زوالُها، ولذلك أُفرد، **﴿بِإِذْنِه﴾** أي بتوفيقه وإرادته، **﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾** في جميع أعمالهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**، وهو الاعتدال في أعمالهم وأحكامهم بلا إفراط ولا تفريط؛ لتمسُّكهم بالقرآن الذي هو الميزان»[1].

وفي هذه الآية الكريمة أوضَحُ دليل على أنَّ القرآن العظيم «يُخرِجُ كلَّ أُمَّة - آمنت به، وعَمِلت بمقتضاه، واتَّخذته إماماً وحَكَماً - من ظلمات الشَّقاء المادِّي والرُّوحي إلى نور السَّعادة الكبرى، حتى تكون أسعد الأمم في حياتها من جميع الوجوه، ولا تكاد تُساويها في ذلك أُمَّة أُخرى من الأمم المخالفة، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاؤوا بنور القرآن، ولكلِّ أمَّة استضاءت به بعدهم»[2].

---

(١) مباحث في القرآن الكريم، د. محمد تقي الدِّين الهلالي، مجلة البحوث الإسلامية بالرياض، (عدد: ٩)، (جمادى الأولى ١٤٠٤هـ)، (ص ٨٦ - ٨٧).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٨٥).

ونستطيع أن نقرر - بكلِّ ثقة : أنَّ الإيمان بالقرآن العظيم، والاعتصام به، شرط في الاستضاءة بنوره، والخروج من ظلمات الشَّقاء؛ ذلك أنَّ الله تعالى يقول - وقوله الحقُّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

والرَّحْمَةُ هنا: هي السَّعادة الدُّنيوية والأُخروية جميعاً، أي سعادة البدن والرُّوح، العاجل والآجل.

والفَضْلُ هنا: زيادة الإكرام والإنعام لِمُتَّبِعي ذلك النُّور - القرآن - فوق ما يخطر ببالهم حتى يُدهشوا ويُغبطوا.

فمن اعْتَلَّ إيمانُه بالله، ولم يعتصم بالقرآن، ولم يعمل به، ولا اتَّخذه إماماً وحكَماً، لا يستضيء بنوره، ولا يخرج من ظلمات شقائه البتَّة[1].

وخلاصةُ القول: إن هداية القرآن العظيم هداية شاملة للأُمَّة بكلِّ أفرادها ومرافقها ومجالاتها وحياتها، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فالقرآن روح ولن يهدي إلاَّ ذا روح، والقرآن نور، والله تعالى يهدي بهذا الروح، وبهذا النُّور، وهو الذي شرَّف رسولَه ﷺ ليهدي بهذا القرآن العظيم إلى صراط الله المستقيم.

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (٨٥ - ٨٦).

المطلب الثاني
إيجاد المجتمع القرآني المتعاون

وهو المجتمع المُكَوَّن من الأفراد القرآنيين المتعاونين فيما بينهم، والذي نشأ وتربى على منهج القرآن الحكيم وأُسُسِه ومبادئِه وتوجيهاتِه.

وعندما يتربَّى المجتمع على نصوص القرآن، وينمو في جوٍ قرآني، ويهتدي بأنواره، يكون مجتمعاً حياً حياةً عزيزةً كريمة، وإلاَّ فهو مجتمع ميت يجترُّ آلامَه ومآسيه، ويتجرع ذُلَّه وجهلَه وهوانَه كل لحظة.

وقد أدرك الصَّحابة الكرام ﷺ أنه لابُدَّ من التَّعاون فيما بينهم؛ ليظفروا بعون الله وتأييده ونصره وتمكين الدِّين في الأرض، فكانوا يتواصون فيما بينهم على التَّعاون والاجتماع ونبذ التَّفرق والخلاف انطلاقاً من الآيات الكريمة الآتية:

١- قوله تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾** [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن عاشور رحمه الله:(١) «والحَبْل: ما يُشَدُّ به للارتقاء، أو التدلِّي، أو للنَّجاة من غَرَق، أو نحوه، والكلام تمثيلٌ لهيئة اجتماعهم والْتِفَافِهِم على دين الله ووصاياه وعهوده بهيئة استمساك جماعةٍ بحبلٍ أُلْقِيَ إليهم من مُنقذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا

---

(١) التحرير والتنوير، (٣/ ١٧٤).

التَّمشيل. وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال، وهو الذي رجَّح إرادة التَّمثيل، إذ ليس المقصود الأمر باعتصام كُلٍّ مسلم في حال انفراده اعتصاماً بهذا الدِّين، بل المقصود الأمر باعتصام الأمَّة كُلِّها، ويحصل في ضِمْنِ ذلك أمرُ كُلِّ واحد بالتَّمسك بهذا الدِّين، فالكلام أمرٌ لهم بأن يكونوا على هاته الهيئة».

والله تبارك وتعالى حثَّ عباده المؤمنين أن يقيموا دينَهم بالتَّعاون فيما بينهم، ويستمسكوا بحبله الذي أوصله إليهم، وجعله السَّبب بينهم وبينه، وهو دينه وكتابه، والاجتماع على ذلك وعدم التَّفرق، وذكَّرهم ما هم عليه قبل هذه النِّعمة العظيمة، وهو: أنَّهم كانوا أعداء متفرقين.

فجمعهم بهذا الدِّين، وألَّف بين قلوبهم، وجعلهم إخواناً متعاونين، وكانوا على شفا حفرة من النار، فأنقذهم من الشَّقاء، ونهج بهم طريق السَّعادة[1].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

حذَّر اللهُ المؤمنين أن يسلكوا مسلك المتفرِّقين، الذين جاءهم الدِّين، الموجب لقيامهم به، واجتماعهم، فتفرَّقوا واختلفوا وصاروا شيعاً.

ولم يصدر ذلك عن جهل وضلال، وإنَّما صدر عن علم وقصد سيئ، وبغي من بعضهم على بعض، ولذلك هدَّدهم بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (١/ ٢٦٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه، (١/ ٢٦١).

وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أنَّ الاختلاف المذموم هو الاختلاف في أصول الدِّين والذي يُفضي إلى تكفير بعض أفراد الأمة بعضاً أو تفسيقه، فيؤدي بعد ذلك إلى الافتراق.

أمَّا الاختلاف في فروع الدِّين المَبْنِيَّة على اختلاف مصالح الأمَّة الإسلامية في مختلف الأقطار والأعصار، فهذا ليس بمذموم، وهو المُعَبَّر عنه بالاجتهاد.

والمتتبِّع لتاريخ المذاهب الإسلامية لا يجد افتراقاً نشأ بين المسلمين إلاَّ عن اختلافٍ في العقائد والأصول، دون الاختلاف في الاجتهاد في فروع الشَّريعة[1].

٣- قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

أَمَرَ اللهُ عباده المؤمنين أن يتعاونوا فيما بينهم على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التَّقوى، وفي الوقت ذاته نهاهم عن التَّناصر فيما بينهم على الباطل وأنواع المآثم والمحارم[2].

والبر: اسم جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله، وحقوق الآدميين.

والتقوى: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣/ ١٨٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ١٥).

والإثم: هو التَّجرِّي على المعاصي، التي يأثم صاحبها.

والعدوان: هو التَّعدِّي على الخَلْق، في دمائهم، وأموالهم وأعراضهم(١).

مظاهر التَّعاون وفوائده:

للتَّعاون مظاهرُ كثيرة جداً: منها التَّعاون في الفكر، والتَّعاون في المال، والتَّعاون في الأجسام والأعمال، والتَّعاون النفسي والوجداني في الأفراح والأحزان(٢).

وفائدة التَّعاون بين المسلمين: «تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتِّحاد والتَّناصر، حتى يصبح ذلك خُلُقاً للأمَّة»(٣).

ومن أجل ذلك أمر الله تعالى في كتابه العظيم بمبدأ التَّعاون، إلاَّ أنه قيَّده بأن يكون تعاوناً على البرِّ والتَّقوى، لا تعاوناً على الإثم والعدوان.

ولذلك حَثَّ النبيُّ ﷺ على فضيلة التَّعاون في مناسبات كثيرة، منها ما يلي:

١- تشبيه المتعاونين بالبنيان المرصوص.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**». ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(٤).

---

(١) انظر: تفسير السعدي، (١/ ٤٥٢-٤٥٣).

(٢) انظر: الأخلاقُ الإسلامية وأسسُها، عبد الرحمن الميداني (٢/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، (٥/ ٢٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، (٤/ ١٩٠٥)، (ح ٦٠٢٦). ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩)، (ح ٢٥٨٥).

«قال ابن بطال: والمعاونة في أمور الآخرة وكذا في الأمور المباحة من الدُّنيا مندوبٌ إليها»[(١)].

٢- تشبيه المتعاونين بالجسد الواحد.

عن النُّعمان بن بشير قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ. إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ**[(٢)] **بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[(٣)].

«قال القاضي عياض: فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيلٌ صحيح، وفيه تقريبٌ للفهم، وإظهارٌ للمعاني في الصُّوَر المرئية، وفيه تعظيمُ حقوقِ المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضاً»[(٤)].

٣- حَثُّ الرجالِ والنساءِ على التَّعاون.

فَممَّا جاء في حثِّ الرجال: عَنْ أَبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ. قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشمَالاً، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ**».

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٠/٥٥٣).

(٢) (تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَد): أي دعا بعضُه بعضاً إلى المشاركة في ذلك، ومنه قولهم: «تداعت الحيطانُ». أي: تساقطت، أو قربت من التَّساقط.
«انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/٣٥٦)».

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة النــاس والبهائم، (٤/١٩٠١)، (ح ٦٠١١). ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/١٩٩٩)، (ح ٢٥٨٦).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١٠/٥٤٠).

قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ(١).

قال النووي رحمه الله:(٢) «وفي هذا الحديث الحثُّ على الصَّدقة، والجُود، والمواساة، والإحسانِ إلى الرِّفقة والأصحاب، والاعتناءِ بمصالح الأصحاب. وأمْرُ كبيرِ القومِ أصحابَه بمواساة المُحتاج، وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرُّضه للعطاء، وتعريضه من غير سؤال. وهذا معنى قوله فجعل يصرف بصره، أي متعرِّضاً لشيءٍ يَدْفَعُ به حاجتَه. وفيه مواساة ابن السبيل، والصَّدقة عليه إذا كان مُحتاجاً، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان مُوسراً في وطنه. ولهذا يُعطى من الزكاة في هذه الحال والله أعلم».

ومما جاء في حثِّ النساء: عن أُمِّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي الكَلْمَى(٣)، وَنَقُومُ عَلَى المَرْضَى، فَسَأَلَتْ أُخْتِي النَّبِيَّ ﷺ: أَعَلَى إحْدَانَا بَأْسٌ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا جِلْبَابٌ، أَلاَّ تَخْرُجَ؟ قَالَ: «**لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا**(٤)، **وَلْتَشْهَدِ الخَيْرَ، وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ**»(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللُّقَطَة، باب استحباب المواساة بفضول المال، (٣/ ١٣٥٤)، (ح ١٧٢٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٢/ ٢٥٩).

(٣) (الكَلْمَى): أي الجرحى، والكَلْمَى جمع كَلِيم أي جريح.
«انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (١/ ٥٤٩)».

(٤) (لِتُلْبِسْهَا صَاحِبَتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا): المراد به الجنس، أي تُعيرها من ثيابها ما لا تحتاج إليه.
ولذلك قال النووي رحمه الله: «الصَّحيح أن معناه: لِتُلْبِسْهَا جلباباً لا تحتاج إليه عاريةً».
«انظر: فتح الباري، (١/ ٥٤٩). شرح النووي على مسلم، (٦/ ٤٢٠)».

(٥) رواه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين، (١/ ١٢١)، (ح ٣٢٤). ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، =

قال النووي رحمه الله: [١] «وفيه الحثُّ على حضور العيد لكلٍّ أحد، وعلى المواساة والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى».

٤- الثَّناءُ على المتعاونين:

عَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا [٢] فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَة، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ [٣]**» [٤].

قال ابن حجر رحمه الله: [٥] «في الحديث فضيلةٌ عظيمةٌ للأشعريين قبيلةِ أبي موسى، وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزَّاد في السَّفر وفي الإقامة أيضاً».

ولاريبَ أنَّ التَّعاون الجماعي أثره ملموس في تحقيق مصالح النَّاس،

= باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، (٢/ ٦٠٥)، (ح ٨٩٠).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٦/ ٤٢١).

(٢) (**أَرْمَلُوا**): أي فَنِيَ طعامُهم، وأصله من الرَّمْل، كأنهم لصقوا بالرمل من القلة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ [البلد: ١٦].

«انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥/ ١٦١)».

(٣) (**فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**): قال النووي رحمه الله: «معناه المبالغة في اتِّحاد طريقتهما، واتِّفاقهما في طاعة الله تعالى». «شرح النووي على مسلم، (١٦/ ٢٤٥)».

(٤) رواه البخاري ي صحيحه، كتاب الشركة، باب الشركة في الطَّعامِ والنِّهدِ، والعُرُوضِ، (٢/ ٧٤٨)، (ح ٢٤٨٦). ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم، (٤/ ١٩٤٤)، (ح ٢٥٠٠).

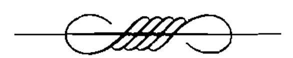
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥/ ١٦١).

الدُّنيوية والأخروية، **فلم تظهر جلائل الأعمال الكبرى إلاَّ في ظلٍّ التَّعاون**، ويستوي في ذلك ما كان منها علمياً، أو عملياً.

ومن ذلك سَدُّ ذي القرنين الذي حَدَّثنا القرآن العظيم عنه(١)، فهو عَمَلٌ مِنْ أضخم الأعمال التي قام بها الناس في العصور القديمة بفضل التَّعاون فيما بينهم.

ولقد أَوْجَدَ القرآنُ العظيم مجتمعَ الصحابةِ الأول - المجتمع القرآني المتعاون - وهو قادر على إيجاد المجتمعات وبنائها وتعاهدها إذا صَدَقت في الإقبال عليه والتَّفاعل معه والحياة به والاستجابة له.

كما أرشد الله تعالى بذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال: ٢٤]. وَمَنْ رَفَضَ دعوة الله تعالى ودعوة رسوله ﷺ فقد رفض الحياةَ كلياً، واختار لنفسه الموت المعنوي، موت القلوب والعقول لا الأجساد.



(١) ذُكِرَ سَدُّ ذي القرنين ضمن سياق آيات سورة الكهف رقم: [٩٤ - ٩٨].

المطلب الثالث
تحصين الأمة الإسلامية من أعدائها

يُعَدُّ القرآنُ العظيم «مُعلِّم الأمة ومرشدها ورائدها وحادي طريقها على طول الطريق. وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها، وعن جِبِلَّتِهِمْ وعن تاريخهم مع هدى الله كله. **ولو ظلَّت هذه الأمة تستشير قرآنها؛ وتسمع توجيهاته؛ وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام**.. ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها؛ وحين اتَّخذت القرآن مهجوراً - وإن كانت ما تزال تَتَّخذ منه ترانيم مطربة، وتعاويذ ورقى وأدعية - أصابها ما أصابها»[(١)].

إنه منذ بدء نزول القرآن الحكيم، وحتى عصرنا هذا، والحرب الضَّروس المعلنة من الأعداء عليه وعلى أهله لم تتوقف لحظة واحدة.

«مَرَّةً بإثارة الشُّبه والافتراءات حول القرآن الكريم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥].

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

---

(١) في ظلال القرآن، (٢/ ٨٥٩).

ومَـرَّةً بتعـذيب المؤمنين بهذا القـرآن الداعين إليـه، على نحو مـا وقع لبلال، وخباب، وابن مسعود، وآل ياسر وسائر المستضعفين في مكة، وعلى نحو ما وقـع ويقع للمسلمين على مَرِّ العصـور. . .، بهدف قطع هؤلاء عن القـرآن وصرفهـم إلى المبادئ الهـدَّامة التي ينشـرونها في الناس ويـحمونـها بالحديد والنار.

ومرة بالإغراء في صورة من صور الإغـراء: مالاً أو وظيفة أو جاهاً أو نحو ذلك، على نحو ما صنع عتبة بن ربيعة مع النبي -ﷺ.

ومـرة بالدخول فـي حظيرة هذا القـرآن اليـوم والخـروج عليه غـداً، محـدثين زلزالاً في نفوس الضعـفاء من المؤمنين: أن لو كـان في هذا القرآن خير ما تركوه، كما قال الله -عز وجل: ﴿**وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [آل عمران: ٧٢].

وقابل المسلمون - لا سيما علماؤهم - كُلَّ كـيد بما يناسبه، مرة بتفنيد الشبـهات ورد الافتراءات، ومـرة بالصَّبر والتَّـحمل، ومرة بالاستـعلاء على شهوات الأرض وزخارف الحياة الدنيا، ومرة، ومرة. . .» [(١)(*)].

فالقـرآن العظيم يمدُّ هذه الأمـة بوسائل النصـر على أعدائهـا، ويعرِّفـها أسلحةَ القتال المؤثرة وأساليب الجهاد المتنوعة، ويعرِّفها سَبَبَ العداء، والهدف

---

(١) دوافع عناية المسلمين بالقرآن الكريم، د. السيد محمد السيد نوح (ص٦٧-٦٩).

(*) للاستـزادة في هذا الموضـوع الهام، انظر: أثر الإيمان في تحـصين الأمة الإسـلاميـة ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع.

من هذه الحـرب الضَّروس، وشـخصيـات أعدائهـا ونفسـياتهم، وأسـاليبـهم ومكائدهم، ومكرهم ومـراوغاتهم، وشـبهـهم وأسلحتـهم وأدواتهم، ويضع أيديها على عُدَّة النَّصـر وزاد الطَّريق وقوة المواجهة، وهذا ما أَمَدَّهُ القرآن من قَبلُ للصحابة الكرام في جـهادهم، وما فتئ مستعداً ومهـيئاً وقادراً بعون الله تعـالى في كل مكان وزمان، فـأين المجاهدون المقـبلون عليه؟ الحـاملون له؟ المتحركون به؟ المواجهون للأعداء من خلاله وعلى هديه؟.

قال الله تعـالى: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وهو توجيه رباني للرسول ﷺ، وأمتـه من بعده، أن تُجاهدَ الكافرين بالقرآن العظيم جـهاداً كبيـراً في شتَّى المجالات، وتَعُدَّهُ السِّلاحَ الأوَّل الفَعَّال في هذا الجهاد[1].



(١) انظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن، (ص٨١-٨٢).

المبحث الثالث
منهج القرآن في إصلاح المسلمين

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: التَّدرج في التَّشريع.

المطلب الثاني: الإقناع.

المطلب الثالث: التَّكرار.

المطلب الرابع: تهذيب الغرائز واستثمارها إيجابياً.

المطلب الخامس: التَّوازن الدُّنيوي والأخروي.

المطلب السادس: استقراء التَّاريخ لأخذ العظة والعبرة.

نزل القرآن العظيم في أمة مُفككة ومتنازعة، فلم يكن لها اقتصاد قائم، ولا نظام مُحْكم، ولا سياسة مرسومة، فانتشلها من ركام الجاهلية وظلماتها، إلى شموخ الإسلام وعزّته.

ومهما حاول المصلحون في كل مكان وزمان أن يسلكوا غير مسلك القرآن في إصلاح المسلمين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وسيكون الحديث عن منهج القرآن العظيم في إصلاح الأمة الإسلامية من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول
التّدرج في التّشريع

فقد اقتضت حكمة الله تعالى التدرج بهؤلاء العرب الذين نزل فيهم القرآن وأُشربت قلوبهم شعائر الجاهلية وليس من اليسير اجتثاثُهم منها أو نَزْعُها دفعة واحدة من عقولهم وقلوبهم.

فقد بدأ القرآن الحكيم بتصحيح العقيدة أولاً، فنزلت الآيات التي تدعو إلى عبادة الله وحده وتحذّر من عبادة الأوثان، وتدعو إلى التفكر في المخلوقات، والتوصُّل بذلك إلى عظمة الخالق جلَّ جلالُه، وساقت القصص والشواهد في إثبات العقيدة الصحيحة، ونزلت بعد ذلك الآيات المتعلقة بأصول الشريعة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والأخلاق، وغيرها.

ومن الشّواهد على ذلك، حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت:

«إنما نَزَلَ أوَّلَ ما نزل منه -أي القرآن- سورةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فيها ذِكْرُ

الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناسُ إلى الإسلام، نزلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزل أوَّلَ شيءٍ: لا تشربوا الخَمْرَ، لقالوا: لا نَدَعُ الخمرَ أبداً، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لقالوا: لا نَدَعُ الزِّنى أبداً»[1].



المطلب الثاني
الإقناع

كثيراً ما ترد في القرآن الحكيم عبارات: (لعلَّكم تعقلون) (لقوم يتفكرون) (لقوم يفقهون) (أفلا يسمعون) (قليلاً ما تذكَّرون) (أنَّى يؤفكون) (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) بعدما يسوق القرآن الكريم عقيدةً من عقائده أو حُكماً من تشريعه يُعقب بمثل هذه العبارات حتى لا يبقى عذر لمستمع.

وقد ذمَّ القرآن الحكيم الذين لا يُعملون عُقولَهم ولا يتأمَّلون ولا يتدبَّرون بعبارات شتى، كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

فالقرآن العظيم يدعو المسلمين في كلِّ مكان وزمان إلى التفكر والتدبُّر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، بابُ تاليفِ القرآن، (٣/ ١٦١٢)، (ح ٤٩٩٣).

والتأمل في الأدلة والحجج والبراهين وأمور العقيدة وأحكام الشريعة، حتى يصل المسلم إلى اقتناع من عقله، وطمأنينه من قلبه، ويقف على محجَّة واضحة ظاهرة تُنير له طريق الحق.



المطلب الثالث
التَّكـــــــــرار

من طبيعة النَّفس الإنسانية النِّسيان، وعلاجه في التَّكرار، والقرآن العظيم هو كتاب التَّربية لهذه الأمة، والتَّربيةُ ليست قولةً تُقال مرَّةً وتنتهي، فكلُّ مَنْ مارَسَ التربية - مع صغير أو كبير - يعلم إلى أيِّ مدى يحتاج مَنْ يتلقَّى التَّربية التَّذكير الدَّائم حتى يستقيم على الأمر المطلوب، ومن ثم يستطيع أن يُقَدِّرَ الهدف التَّربوي من عملية التَّكرار في القرآن العظيم.

قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ**﴾ [الأعلى: ٩-١٠].

ومن هنا نُدرك أن التَّكرار لا يأتي اعتباطاً، إنما يأتي لهدف مقصود.

وأكثر الموضوعات تكراراً وتنوعاً في القرآن العظيم: موضوعات العقيدة والمتمثِّلة في أركان الإيمان السِّتة، وكذلك قصص الأنبياء، وقصَّة آدم والشَّيطان، وأخلاقيات الإيمان[1].

---

(١) انظر: دراسات قرآنية، (ص ٢٤٥ - ٢٤٧).

وعندما يدعو القرآن العظيم إلى عقيدة التوحيد مثلاً، كثيراً ما يكرر ذلك في السُّورة الواحدة، ولكن بألوان شتى، فنراه مرة يُصرِّح، وأُخرى يُلمِّح، وثالثة يُوجز، ورابعة يُطنب، وأحياناً يسوق العقيدة مجردةً، وأحياناً يُتبعها الدليل، وتارة يورد دليلاً واحداً، وتارة جملة أدلة، وتارة يضرب لها الأمثال، وتارة يسوقها في قصة، ويُعَقِّبُ عليها بالوعد مرة، وبالوعيد مرة أخرى[١].

وخَيرُ مثال على ذلك: ما نجده في سورة الأنعام، والتي يدور محورها حول «العقيدة وأصول الإيمان» فقد تناولت القضايا الكبرى الأساسيَّة لأصول العقيدة والإيمان، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١- قضية الألوهية. ٢- قضية الوحي والرِّسالة.

٣- قضية البعث والجزاء.

فقد تنوَّعت وتكرَّرت هذه القضايا في سورة الأنعام بألوان شتَّى، وأساليب مختلفة مُوزَّعة على السورة كلِّها، حسب مقتضيات الأحوال، والسِّياق الواردة فيه تلك الدَّلائل؛ لأجل إثبات التَّوحيد الخالص لله ربِّ العالمين، وإفراده بالعبادة، وإظهار بديع صُنعه، وإبطال الشرك والوثنية التي كانت سائدة قبل نزول القرآن العظيم[٢].

فلا يشعر القارئ بتكرار، بل يجد في كلِّ مرة صورةً أخرى مختلفةً عن التي سبقتها أو ستأتي بعدها، مما يكون له أبلغ الأثر في إصلاح الفرد المسلم والجماعة المسلمة.

---

(١) انظر: مناهل العرفان، (٢/ ٣٣٣).

(٢) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، (ص ٣٨٠).

المطلـــب الرابع
تهذيب الغرائز واستثمارها إيجابياً

لقد رَكَّبَ اللهُ تعالى في الإنسان غرائزَ متعددةً ابتلاءً وامتحاناً، وجاء القرآن العظيم بتهذيب هذه الغرائز وتوظيفها واستثمارها إيجابياً لصالح المسلم.

فهذَّب غريزةَ الخوف مثلاً، واستثمرها إيجابياً في الترهيب من وقوع العذاب في الدنيا، ومن النار وجحيمها في الآخرة، وما جرى للأمم السابقة من أنواع العذاب والابتلاء، ووصف ما أعد الله لأهل النار يوم القيامة.

وهذَّب القرآنُ الحكيمُ غريزةَ المحبَّة، كالأثرة، وحب التملُّك، وتحدَّث عَمَّا أعده الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة، وأفاض في وصف الجنة: أنهارها وأشجارها وفاكهتها وطيورها ومائها وألبانها وخمرها وحورها العين، مما يشبع غريزة حب التملُّك، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا**﴾ [الإنسان: ٢٠].

وهذَّب غريزةَ حُبِّ البقاء، وسخَّرها ووظَّفها واستثمرها في الدِّفاع عن حياض الدِّين، وبشَّرهم بأن الذين يُقتلون في سبيل الله أحياء عند ربِّهم يرزقون، ووصف حال أهل الجنة من الصِّحة والسَّلامة من الأمراض والنَّصَب والجوع والعطش(١)، مما كان له أثره الذي لا يُنكَر في الجهاد الإسلامي على مر العصور المختلفة.

وهذَّب غريزةَ حُبِّ الاقتداء، فطهَّرها ونقَّاها من الاقتداء الأعمى

(١) انظر: المصدر نفسه، (٢/٢٥٩ - ٢٦٠).

الضَّار، ودعا إلى القدوة والأسوة الحسنة والاتباع المحمود: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وهكذا سلك القرآنُ الحكيمُ المسلكَ الحكيمَ في بقيَّة الغرائز، وكان لذلك أثره في الاتباع والانقياد لشرع الله تعالى وسلامة المكلَّفين.

فمن عظمة القرآن ورفعته وعلوِّ شأنه: أنه يُعلي الغرائز ولا يُلغيها.



المطلب الخامس
التَّوازن الدُّنيوي والأخروي

النُّصوص القرآنية الكثيرة كلُّها تشهد وتحث المسلم على التوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة، **وأنَّ القرآن حين دعا إلى العمل للآخرة لم يهدم الدنيا، وحين أمر بالكسب في الدنيا لم يغفل الآخرة، فكان وسطاً بين مطالب الروح والجسد، والغيب والشهادة**، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وأعلن القرآن الحكيم أن ثواب الدنيا والآخرة عند الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيراً﴾ [النساء: ١٣٤].

وذَمَّ الذين يطلبون حَسَنَةَ الدنيا وحدها، فقال سبحانه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴿٢٠٠﴾ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].



المطلب السادس
استقراء التَّاريخ لأخذ العظة والعبرة

القرآن المجيد، وإن لم يكن كتابَ تاريخ، إلاَّ أنه استعمل التَّاريخ ووظَّفه أحسن توظيف، وأَخَذَ خلاصته وعصر عصارته.

ففي القرآن أخبار كثيرة عن الأمم السابقة مما جرى للأنبياء مع أقوامهم، وما نتج من ذلك من أنواع العذاب الذي وقع عليهم، أو الحوار والجدل سواء كان بين الأنبياء وآبائهم، كحديث إبراهيم عليه السَّلام مع أبيه، أو مع أبنائهم كحديث نوح عليه السَّلام مع ابنه، أو مع إخوانهم كقصة يوسف وأخوته، أو مع ملوكهم كحديث إبراهيم عليه السَّلام مع الذي آتاه الله الملك، أو حديث موسى عليه السَّلام مع فرعون، أو كان جدالاً عاماً، أو قصة عن الأمم الماضية والقرون الخالية، أو خلق آدم عليه السَّلام، وما جرى له مع إبليس لعنه الله.

والمقصود من إيراد هذه القصص أو الحوادث التَّاريخية في القرآن أمور عديدة من أهمها:

١- جذبُ انتباه القارئ للقصَّة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ

وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:٧]. وقال أيضاً: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

٢- أخذُ العظَة والعبرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

٣- إبراز الأفكار شاخصة في أشخاص يؤمنون بها، كما تبرز فكرة ادِّعاء الألوهية بِشَخْصِ فرعونَ مثلاً، قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤-٢٦].

فمن خلال قراءة القرآن العظيم يستقرئ القارئ التَّاريخ، ويستوعب تلك العبر والعظات[١].



(١) انظر: خصائص القرآن الكريم، (ص٧٦-٨٦).

المبحث الرابع

الآثار العظيمة للقرآن
في حياة الأمة الإسلامية

إن الله تبارك وتعالى شَرَّفَ الأمة المسلمة بإنزال القرآن إليها، وخصَّها بذلك دون سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وبقدر عناية المسلمين بالقرآن تكون رفعتهم وعلو مكانتهم، وبقدر إهمالهم له يكون ضياعهم وهلاكهم، مصداقاً لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أقواماً وَيَضَعُ به آخرين»[1].

ماذا كان العرب قبل نزول القرآن إليهم، وكيف أصبحوا بعد ذلك، إن البون شاسع والفرق كبير. كانوا قبائل متحاربة متناحرة لأتفه الأسباب، من أبرز ملامحهم وصفاتهم: عبادة الأصنام، وشرب الخمور، ووأد البنات، والجهل، والفقر وسوء الأحوال، ومما يُصوِّر جهلهم وحماقتهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً﴾ [الأنعام: ١٣٦]. تعالى الله عن فعلهم الشنيع علواً كبيراً.

ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما[2] - موضِّحاً جهلَ العرب آنذاك: «إذا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فاقْرَأ ما فَوْقَ الثَّلاثينَ وَمائةً من سُورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾». [الأنعام: ١٤٠].

والمراد بقتل الأولاد: وأد البنات.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، (٥٥٩/١)، (ح ٨١٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب، (١٠٩٥/٣)، (ح ٣٥٢٤).

كما يَذْكُرُ جهلَهم في الجانب الخُلُقي قولُه تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَيَذْكُرُ جهلَهم في الجانب العقدي قولُه تعالى حكاية عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

ومما جاء في السنة من أحوالهم المزرية، ما جاء في حديث أبي رجاء العُطَارديِّ ﷺ قال: «**كنا في الجاهلية نَعْبُدُ الحَجَرَ، فإذا وَجَدْنا حَجَراً أخير منه**[١]**، ألْقيناه وأَخَذْنا الآخَرَ، فإذا لَمْ نَجِدْ جَمَعْنَاهُ جُثْوَةً مِنْ تُرابٍ**[٢] **ثم جِئْنَا بالشَّاة فَحَلَبْنَاهُ عليه ثُمَّ طُفْنَا به**»[٣].

هذا وصف موجز لبعض أحوال العرب قبل نزول القرآن، ثُمَّ مَنَّ الله عليهم بنزوله، وأنقذهم به من ظلمات الجاهلية من الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات وهداهم سواء السبيل.

بل نقلهم من رعاة إبل وغنم إلى قادة أمم وشعوب، ومن قبائل متحاربة متناحرة فيما بينها إلى أمة متآلفة متحابة شعارها: «**واللَّهُ في عَوْنِ**

---

(١) المراد بالخيرية هنا: الخيرية الحسية من كونه أشد بياضاً أو نعومة أو نحو ذلك من صفات الحجارة المستحسنة. (فتح الباري: ٨/ ٩١).

(٢) (جُثْوَةً مِنْ تُراب): بضم الجيم وسكون المثلثة، هي القطعةُ من التراب تُجْمَعُ فتصير كوماً. (فتح الباري: ٨/ ٩١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وَفْدِ بني حنيفةَ، (٣/ ١٣٢٢)، (ح٤٣٧٦).

العَبْدِ ما كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخيْه»(١).

وشعارها كذلك: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنَفْسه»(٢).

ووعدهم الله تعالى على ذلك بالعـزَّة والكرامة في الدنيا والآخرة، **أما في الدنيا**: فسيادة الأمم والتمكين في الأرض وسعة الأرزاق وحلول البركات قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وأما في الآخرة: فالفوز برضوان الله تعالى والدَّرجات العالية في جنات النعيم.

ولقد عرف المسلمون الأوائل -ﷺ- مكانة القرآن والهدف الذي أُنزل من أجله، فطبَّقوه في واقع حياتهم، وتركوا عاداتهم وأعرافهم السابقة، فأعزَّهم الله بالقرآن، فسادوا الدنيا بأسرها حتى بلغ ملكهم من المحيط الهندي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس.

والأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر أصبحت في مؤخرة الأمم وتنكَّبت عن ركب الحضارة، وتداعت عليها أسافل الأمم كما تداعى الأكلة إلى

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، (٤/ ٢٠٧٤)، (ح٢٦٩٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب مِنَ الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١/ ٢٩)، (ح١٣).

قصعتها، فأصبحت غثاءً كغثاء السَّيل؛ **لبعدها عن دينها، وتركها هدي القرآن العظيم ومنهجه في الحياة، ولا صلاح لها ولأحوالها إلاَّ بعودتها إلى كتاب ربها، والعمل به والتَّحاكم إليه، وجعله دستوراً للحياة**، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (١).

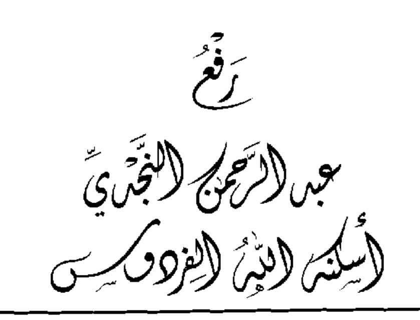


(١) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سورة القرآن الكريم دراسة ونقد، (ص١٣-١٦). السيرة النبوية من الكتاب والسنة دراسة وتحليل، د. عبد المهدي بن عبد الهادي (ص٩٧ - ١٠٠). سيرة ابن هشام، (١/٢٠٦). منهاج الإسلام في إصلاح البشرية، د. عبد الله عبد الحي (ص٩٣-١٠٣).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس



الفصل الثـــاني
حقوق القرآن على المسلمين

وفيه مبحثـــــان

المبحث الأول: حقوقٌ عــامَّة.

المبحث الثاني: حقوقٌ مُفَصَّلَةٌ.

المبحث الأول
حقـــوق عـــامَّـــة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: معنى النَّصيحة لكتاب اللَّه:

المطلب الثاني: تحقيقُ النَّصيحةِ لكتاب اللَّه.

تمهيد

إن المسلم لتأخذه الرَّهبة والرَّجفة عندما يُطلب منه لأول وهلة أن ينصح لكتاب الله تعالى، ويقول في نفسه: سبحان الله، لقد تعودنا أن يكون القرآن العظيم، كلام الله تعالى، هو الناصح الأول للمسلمين فما بال الناصح يُنصح له؟ وكيف تكون هذه النصيحة؟ وما حدودها؟ وما الذي يجب أن أستحضره في نفسي عندما يُطلب مني النصيحة لكتاب الله؟

ولكنه عندما يهدأ قليلاً ويفكِّر في الأمر يتذكَّر ابتداءً حديثاً عظيم الشَّأن، حديث تميم الداريّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ» ثلاثاً، قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

فعندما يتذكَّر المسلمُ هذا الحديثَ يعلم يقيناً أنها سُنَّة متبعة ومنقولة من السلف إلى الخلف، بل من قدوتهم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، الذي أدَّى هذه النَّصيحة كاملة غير منقوصة.

وسيكون الكلام عن النَّصيحة لكتاب اللَّه من خلال المطلبين الآتيين:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤)، (ح٥٥).

المطلب الأول
معنى النَّصيحة لكتاب الله

أ - معنى «النَّصيحة»:

١- قال المازَري[1] رحمه الله: «**النَّصيحة مشتقةٌ من نصحت العسل إذا صَفَّيته**. ويقال: نَصَحَ الشيءُ إذا خَلَصَ، ونصح له القول إذا أخلصه له. **أو مشتقة من النُّصْحِ، وهو الخياطة بالمِنصَحَة وهي الإبرة**. والمعنى: أنه يَلُمُّ شَعْثَ أخيه بالنُّصْحِ كما تلُمُّ المِنْصَحَةُ، ومنه: التَّوبةُ النَّصُوحُ، كأنَّ الذَّنبَ يُمَزِّقُ الدِّينَ والتوبة تُخَيِّطُه»[2].

٢- وقال الخطَّابي: «**النَّصيحة كلمةٌ جامعةٌ معناها حيازة الحظِّ للمنصوح له**، ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب أجمع لخير الدنيا والآخرة منه»[3].

---

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التَّميمي المازَرِيُّ نسبةً إلى (مازَر) بجزيرة صقليَّة. محدِّث، من فقهاء المالكية، حافظ، أصولي، متكلم، أديب، ولد بمدينة المهدية من أفريقية سنة (٤٥٣هـ)، وتوفي بها سنة (٥٣٦هـ). من تصانيفه: «المُعْلِم بفوائد مسلم»، و «نظم الفرائد في علم العقائد»، و «تعليق على المدونة» وغيرها.
«انظر: معجم المؤلفين، (٣/ ٥٢٥). الأعلام، (٧/ ١٦٤)».

(٢) المُعلِم بفوائد مسلم، (١/ ١٩٧). وانظر: فتح الباري، (١/ ١٣٨). جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٢٠٧).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/ ٢٢٦). وانظر: فتح الباري، (١/ ١٣٨). لسان العرب، (٧/ ٤٤٣٨). الصحاح، (١/ ٤١٠ -٤١١). المصباح المنير، (٢/ ٢٧٦). معجم مقاييس اللغة، (٥/ ٤٣٥). المفردات في غريب القرآن، (ص٤٩٤).

ب- معنى «النَّصيحة لكتاب الله».

مما جاء عن أهل العلم في تعريفهم للنَّصيحة لكتاب الله ما يلي:

١- قال الإمام محمد بن نصر المَرْوَزي[١] رحمه الله: «النَّصيحة لكتاب الله: شدة حبه وتعظيم قدره، إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية في تدبره، والوقوف عند تلاوته لِطلب معاني ما أحبَّ مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعدما يفهمه.

وكذلك الناصح من العباد يتفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتابٌ منه عُنِي بفهمه ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه، فكذلك الناصحُ لكتاب ربِّه يُعْنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ثُمَّ يَنْشُرُ ما فهمه في العباد، ويديم دراسته بالمحبة له، والتخلُّق بأخلاقه، والتأدب بآدابه»[٢].

٢- وقال النووي -رحمه الله[٣]: «النَّصيحة لكتاب الله تعالى: هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يُشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوة، وتحسينها،

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله، محمد بن نصر ابن الحجَّاج المَرْوزي، فقيه، أصولي، محدِّث، حافظ. ولد ببغداد سنة (٢٠٢هـ)، ونشأ بنيسابور، وتفقَّه بمصر على أصحاب الشَّافعي. قال الحاكم عنه: «إمام عصره بلا مُدافعة في الحديث». وقال الذَّهبي: «يقال: إنه كان أعلم الأئمة باختلاف العلماء على الإطلاق». سكن سمرقند إلى أن توفي بها سنة (٢٩٤هـ). من مصنفاته: «الصلاة»، و «الوتر»، و «الورع»، و «قيام الليل»، و «المسائل في النجوم» وغيرها.

«انظر: سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٣٣-٤٠). معجم المؤلفين، (٣/ ٧٥٠)».

(٢) تعظيم قدر الصلاة، (٢/ ٦٣٩). جامع العلوم والحكم، (١/ ٢٠٩).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص٢٠١-٢٠٢). صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/ ٣٨).

والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذَبُّ عنه من تأويل المحرِّفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما جاء فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم معانيه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكره من النصيحة».

٣- وقال الحافظ **ابن حجر** -رحمه الله[(١)]: «النَّصيحة لكتاب الله: تعلمه وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذَبُّ تحريف المبطلين عنه».

وخلاصة القول في معنى «النَّصيحة لكتاب الله» أنها تعني:

١- الإيمان بأنَّه كلامُ الله تعالى، والتَّصديق بما جاء فيه.

٢- شِدَّةُ حُبِّه وتعظيمُ قدرِه.

٣- العملُ بمحكمِه، والتَّسليمُ لمتشابهه.

٤- حِفْظُ حدودِه، والعملُ بما فيه.

٥- شِدَّةُ الرَّغبةِ في فهمِه وتدبُّرِه، وتلاوتِه، وتعلُّمه وتعليمِه.

٦- الاعتبارُ بمواعظِه، والتَّخلُّقُ بأخلاقِه، والتأدُّبُ بآدابِه.

٧- ذَبُّ تحريفِ المُبطلين عنه.



---

(١) فتح الباري، (١/١٣٨). وانظر: جامع العلوم والحكم، (١/ ٢١٠ -٢١١). روائع من أقوال الرسول ﷺ، عبد الرحمن حبنكة الميداني (ص٥١٣ -٥١٥).

المطلب الثاني
تحقيقُ النَّصيحةِ لكتاب اللَّه

مرَّ بنا ما ذكره الأئمة الأعلام في تعريفهم النَّصيحةَ لكتاب الله تعالى، وهي صورة مشرقة ووضيئة إذا ما قورنت بحال المسلمين اليوم في النصيحة لكتاب الله، **وتوجد جهود تُبذل في النصيحة لكتاب اللَّه تعالى على مستوى الفرد أو المجتمع أو الأمة، لكنها قليلة لا تليق بكتابٍ نزل من عند اللَّه تعالى مهيمنٍ على ما سبقه من كتب سماوية**، وهو كتابٌ خاتم يقود إلى سعادة الدارين.

والمتأمل اليوم لحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يرى تقصيراً واضحاً بل تفريطاً عظيماً في هذا الجانب، والهوة سحيقة وكبيرة بين حالنا وحال أسلافنا الصالحين على جميع المستويات.

ويصف شيئاً من هذا الحال العلامةُ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- فيقول[1]: «إن أكثر المنتسبين للإسلام اليوم في أقطار الدنيا مُعرضون عن التدبر في آياته [أي: القرآن] غير مُكترثين بقول مَنْ خلقهم: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]. لا يتأدبون بآدابه ولا يتخلقون بما فيه من مكارم الأخلاق، يطلبون الأحكام في التشريعات الضالة المخالفة له، غير مكترثين بقول ربِّهم: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]. وقوله: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾[النساء: ٦٠].

---

(١) أضواء البيان، (١/ ٢).

بل المتأدِّبُ بآداب القرآن، المتخلِّقُ بما فيه من مكارم الأخلاق، مُحتَقَرٌ مغموز فيه عند جُلِّهم إلاَّ من عصمه الله، فهم يحتقرونه، واحتقاره لهم أشد، كما قال الشافعي رحمه الله:

فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه

وإياك يا أخي ثم إياك، أن يُزَهِّدَكَ في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيِّس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين».

وما ذكر الشَّيخ -رحمه الله- من واقع المسلمين أوضح من فلق الصبح، لا يحتاج إلى برهان ودليل، بل الأمر كما قيل:

وليس يصحُّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[(١)].

سبب التَّقصير:

الفصام النَّكد بين تعلُّم القرآن وحفظه من جهة، وبين العمل به من جهة أخرى هو السَّبب الرَّئيس في هذا التَّقصير، فأصبحت الوسيلة غاية، فاتَّخذ الناس - في هذا الزمان - تلاوة القرآن عملاً، **وأصبح شعارهم: التِّلاوة للتِّلاوة،** فهذا لسان الحال عند المسلمين اليوم إلاَّ مَنْ رحم الله تعالى.

وصَدَقَ فينا قولُ الحسن البصري[(٢)] -رحمه الله: «نزل القرآن ليتدبر

---

(١) انظر: النصيحة لكتاب الله، (ص٨٤-٨٥).

(٢) هو الحسن بن يَسَار البصريُّ (أبو سعيد)، من كبار التَّابعين، ولد سنة (٢١هـ) بالمدينة، وسكن بالبصرة، وكان حبر الأمة وإمامها في زمانه في الحديث والفقه والتَّفسير، وكان قد شَبَّ في كنف علي بن أبي طالب ﷺ، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم حتى صارت له هيبة عظيمة، توفي سنة (١١٠هـ).

«انظر: وفيات الأعيان، (٢/ ٦٩-٧٣)، (ت ١٥٦). وتهذيب التهذيب، (٢/ ٢٦٣-٢٧٠)، (ت ٤٨٨)».

ويعمل به، فاتَّخَذوا تلاوته عملاً»[١]. وقال أيضاً: «إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربِّهم، فكانوا يتدبَّرونها باللَّيل، وينفِّذونها بالنَّهار»[٢].

ولقد استقرت حقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم - **فرأوا ضرورة تلازم تعلم كتاب الله تعالى والعمل به**، وأنه لا يمكن الفصل بينهما، وأن التمازج بينهما كما بين اللحم والعظم، فكانوا يُلَقِّنون تلاميذهم من التابعين هذا المفهوم الصحيح للنصيحة لكتاب الله تعالى، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**لقد عشت برهة من دهري وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على رسول الله ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تُعَلَّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يوتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدَّقل**»[٣].

فالإيمان الذي أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما بقوله: «**وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن...**» هو الإيمان بأن القرآن إنما أُنزل لتدبر آياته والعمل بما فيه.

وذلك الإيمان هو الذي دفع الصحابة رضوان الله عليهم لتحقيق

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٥١). ونحوه في تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص١٠٩). ونُقل أيضاً عن الفضيل بن عياض، انظر: اقتضاء العلم العمل، (ص٧٦).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص٧٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، انظر: مجمع البحرين بزوائد المعجمين، (١/ ٤٨٢)، وَحَسَّنَهُ المحقق. والحاكم في المستدرك، (١/ ٣٥) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: على شرطهما ولا علة له».

النصيحة لكتاب الله على ذلك الوجه، فكانوا فور نزول السورة أو الآية يبادرون لتعلمها والعمل بها، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما في حديثه السابق: «**وتنزل السورة على رسول الله ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن نقف عنده منها**».

وهذا التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السُّلَمي -رحمه الله- ينقل ذلك عن ثلاثة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، فيروي عن عثمان وابن مسعود وأُبَيِّ بن كعب -رضي الله عنهم-: «**أن رسول اللّه ﷺ كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أُخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، [قالوا:] فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً**»(١).

وأفاد أثر ابن عمر السَّابق أيضاً: أن سبب التقصير في العمل بكتاب الله يرجع إلى عدم تمكن ذلك الإيمان من القلوب، فقد جاء فيه قوله: «**ولقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره...**».

فالصحابة -رضي الله عنهم- لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثَّقافة والاطلاع، ولا بقصد التَّذوق والمتاع، لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة فحسب، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العملية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته، وإنما كان يتلقَّى القرآن ليعرف أمرَ الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته،

---

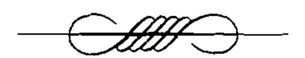
(١) انظر: مقدمة تفسير القرطبي، (١/٥٦)، وعزاه إلى كتاب أبي عمرو الداني: «جامع البيان في القراءات السبع». تفسير الطبري، (١/ ٦٠، ٨٢). مقدمة تفسير ابن كثير (١/١٣).

يتلقى الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه.

إن هذا القرآن لم يأت ليكون كتابَ متاعٍ عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ، وإن كان هذا كله من محتوياته، إنما جاء ليكون منهاج حياة[(١)].

فقد ظهر لنا مما سبق أن إيمان السَّلف الصَّالح بتلازم تعلم كتاب الله والعمل به هو الذي جعلهم في رأس قائمة الذين يحققون النصيحة لكتاب الله تعالى، وكما أن ضعف الإيمان بذلك في قلوب مسلمي اليوم، هو الذي حملهم على التقصير في تحقيق النصيحة.

إذاً هي سُنَّة ماضية، فبقدر زيادة نسبة الإيمان في قلوب المسلمين اليوم يكون تحقيقهم للنصيحة وقربهم من حال أسلافهم، وبقدر ما يضعف ذلك الإيمان في قلوبهم يكون تقصيرهم في تحقيق هذه النصيحة وبعدهم من حال أسلافهم[(٢)].



(١) انظر: معالم في الطريق، لسيد قطب (ص١٤-١٥).

(٢) انظر: النصيحة لكتاب الله، (ص٨٦-٨٩).

المبحث الثاني
حقـــوق مُفصَّلَـة

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: الإيمانُ به.

المطلب الثاني: صونُه والعنايةُ به.

المطلب الثالث: تلاوتُه.

المطلب الرابع: حفظُه في الصُّدور.

المطلب الخامس: تدبُّرُ آياته.

المطلب السادس: تعلُّمه وتعليمُه.

المطلب السابع: العملُ به.

المطلب الثامن: التأدُّبُ معه.

المطلب التاسع: الدَّعوةُ إليه وتبليغُه.

سبق الحديث في المبحث الأول عن حقٍ عامٍ للقرآن العظيم يتمثل في النصيحة له، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن بعض الحقوق المُفصَّلة للقرآن يتوجب على المسلمين فعلها والقيام بها، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول
الإيمان به

الإيمان بالقرآن العظيم وبكل ما جاء فيه، وأنه كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، والإيمان بأنه محفوظ، هو المَعْلَمُ الأوَّلُ والأساسُ للقيام بحقوق كتاب الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

إن أول ما يُطلب من مريض يرجو البرء على يد طبيبٍ أن يثق بهذا الطبيب ويعتقد جازماً بحسن مهارته وتعاليمه وفائدتها، حتى يستطيع هذا المريض أن يعمل بهذه التعاليم. وإذا فُقد هذا الاقتناع والاعتقاد فإن العلاج لن يؤتي ثماره.

كذلك الأمر بالنسبة للمؤمن، فإن أول ما يُطلب من قارئ القرآن أن يؤمن به، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

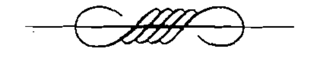
وإن الإيمان هو ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل، لذلك نجد القرآن العظيم يأمرنا بقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. فهذا مما وقر في القلب، ونطق به اللسان.

ويأمرنا فيقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] وهذا ما صَدَّقه العمل، فَمَنْ آمن بالقرآن حقاً تلاه حق تلاوته.

أمَّا مَنْ فقد الإيمان بالقرآن، فَحَظُّهُ ما أشار إليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥][1].

فيتعين على المسلمين توقيرُ هذا الكتاب والقيام بإجلاله وتعظيمه تحقيقاً للإيمان بالقرآن العظيم، وتنفيذاً للنصيحة لكتابه تعالى[2].



(١) انظر: يعلمهم الكتاب: التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعَّال (ص٢٧ - ٢٨).

(٢) انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف (ص٣٩٢ - ٣٩٣). من أسرار عظمة القرآن الكريم، (ص٥٤).

المطلب الثاني
صونُه والعنايةُ به

وأساس حقوق هذا الكتاب العظيم هو صونه والعناية به، وتقديره والاهتمام به، ولذلك جاءت الوصية به من النبيِّ ﷺ:

فعن طلحةَ قال: **سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي أوفى: أَوْصَى النبيُّ ﷺ؟ فقال: لا، فَقُلْتُ: كُتِبَ على النَّاس الوَصِيَّةُ، أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ؟ قال: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ**[1].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله[2]: «قال الكرماني:

المنفي: الوصية بالمال أو الإمامة،

والمثبت: الوصية بكتاب الله، أي: بما في كتاب الله أن يُعمل به».

وقد صحح الحافظُ ابنُ حجر كلامَ الكرماني هذا واعتمده.

ولعل النبيَّ - ﷺ - «اقتصر على الوصية بكتاب الله؛ لكونه أعظم وأهم؛ ولأن فيه تبيانَ كُلِّ شيء، إما بطريق النص، وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبيُّ ﷺ به، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾ [الحشر: ٧] الآية»[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الوصية بكتاب الله عز وجل، (٣/ ١٦١٩)، (ح٥٠٢٢). وكتاب الوصايا، باب الوصايا، وقول النبي ﷺ: «وصية الرجل مكتوبة عنده»، (٢/ ٨٤٢)، (ح٢٧٤٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٥/ ٤٤٣).

(٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

«والمراد بالوصية بكتاب الله، حفظه حساً ومعنى، فيكرم ويصان، ولا يسافر به إلى أرض العدو، ويتبع ما فيه، فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه، وتعليمه ونحو ذلك»[١].

وعلى هذا فليس صون الكتاب مجرد حفظ المصحف في الخزائن والرفوف أو جعله في قلادة من ذهب على الصدور، أو تعليق آيات منه على الجدران **بل إن المقصود من الصون أبعد من هذه المظاهر، وهو صونه في الصدور وفي السطور بشكل مطابق لما أُنزل عليه**، وإدراك المعنى المقصود بعيداً عن الإفراط والتفريط، أو الابتداع أو الاستهزاء والسخرية.

وتقدير الكتاب واحترامه لا يقف عند مجرد تقبيله ووضعه في المكان اللائق به، بل إن احترامه يمتد إلى الخشوع عند تلاوته والاستماع إليها، وتنفيذ ما جاء فيه من أوامر، والاتعاظ بزواجره، والانتهاء عن نواهيه، قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾** [الحديد: ١٦][٢].



(١) المصدر نفسه، (٩/ ٨٥).

(٢) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال (ص٣٣-٣٤).

المطلب الثالث
تــــلاوتُــــــه

لقد جاء الأمر الإلهي بتلاوة القرآن الكريم في آيات متعددة، منها قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

ولئن كان ظاهر الخطاب في هذه الآية موجهاً إلى الرسول ﷺ، فإنه في الوقت نفسه أمر لأتباعه، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقد اقترن الأمر بتلاوة القرآن مع الأمر بعبادة الله تعالى، وَعُدَّت تلاوة القرآن جزءاً من مناسك العبادة، وأهمها الصلاة، وتوضيح ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢].

وقد أوجب الله تعالى تلاوة ما تيسر من القرآن في حالة المرض وحالة الصحة والعافية، وفي حالة العمل والسعي إلى طلب الرزق فضلاً عن أوقات الفراغ، وكذلك في حالة الجهاد في سبيل الله فضلاً عن حالة السِّلم والاطمئنان، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠][1].

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص٣٥-٣٦).

ومع ما تقدم فَإِنَّ مُجَرَّدَ تلاوة القرآن ليست مدعاةَ ثناء، بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك؛ لأن معظم الآيات التي وُجِّهَتْ إلى بني إسرائيل وعاتبهم الله فيها وأدانهم بها كانت مرتبطةً بتلاوتهم الكتاب؛ لأنهم أقاموا حروفه وأضاعوا حدوده.

قال الله تعالى منكراً عليهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣] فالتلاوة وحدها لا تكفي.

وَوَصَفَ اللهُ عزَّ وجلَّ بعضَ بني إسرائيل بالأُميَّة؛ لأنهم كانوا لا يعرفون منَ الكتاب إلاَّ قراءته، دون أداء ما تقتضيه القراءة منهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

فهم لا يعلمون الكتابَ «إلاَّ ما يقرؤون قراءةً عاريةً عن معرفة المعنى وتدبُّرِه»[1].

على حين أنه عزَّ وجلَّ امتدح فريقاً آخر منهم؛ لأنهم يتلون الكتاب حقَّ التِّلاوة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

وحَقُّ التِّلاوَة: هو تفهُّم القرآن العظيم وتدبُّره والتأثُّر به واتِّباعه وإقامته

(١) روح المعاني، (١/ ٣٠٢).

والاعتصام به والثَّبات عليه، وأخـذه بقوة وتبليغه للناس وتبيينه لهم والتَّأدب معه والعمل به[(١)].



المطلب الرابع
حفظه في الصدور

امتـدح الله تعالى حُفَّاظَ كـتابه ووصفـهم بأنهم من أهل العلم؛ لأنهم يحملون القرآن في صـدورهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وإنَّ مَنْ لم يحفظْ القـرآن العظيم كاملاً، فَلْيحـفظْ ما تيسر منـه، فقد وَجَّهَنا النبيُّ ﷺ إلى حفظ آيات مُـعيَّنة كقولة: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيات مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهف، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّال**»[(٢)].

ثم إن على مَنْ حَـفظَ القـرآنَ كلَّه أو شيـئاً منه أن يـتعـهَّده بالقـراءة والتِّلاوة حتى لا ينسـاه، فـقد أرشـدنا النبيُّ الكريم ﷺ إلى ذلك بقـوله المبارك: «**إنَّمـا مَثَلُ صَـاحب القُرآن كَـمَثَلِ صَاحِبِ الإبلِ المُعَقَّلَة: إنْ عَـاهَدَ عَلَيْها أَمْسَكَهَا، وإنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**»[(٣)].

(١) انظر: يعلمهم الكتاب: التعامل مع القرآن الكريم، (ص ٢٨-٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (١/ ٥٥٥)، (ح ٨٠٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (٣/ ١٦٢١)، (ح ٥٠٣١).

وزاد مسلم[١]: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرآنِ فَقَرأَهُ بِاللَّيلِ و النَّهارِ ذَكَرَهُ، وَإذا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ».

وقال أيضاً: «تَعَاهَدُوا هذا القُرآنَ[٢]، فَوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ في عُقُلِهَا»[٣].

وقد نهانا رسول الله ﷺ عن نسيان القرآن، ونهى كذلك عن قول الرجل نَسِيتُه فقال: « بِئْسَ مَا لأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيْتُ آيَةَ كَيتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ، اسْتَذْكِرُوا القُرآنَ، فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنَ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا»[٤].

وإنَّ «سبب الذم ما فيه مِنَ الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذْ لا يقع النِّسيان إلاَّ بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حِفظُه وتذكُّرُه، فإذا قال الإنسان نَسيت الآية الفلانية فكأنما شهد

---

(١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (١/ ٥٤٤)، (ح ٧٨٩).

(٢) أي: جَدِّدُوا عهده بملازمة تلاوته لئلا تنسوه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، (٣/ ١٦٢١)، (ح ٥٠٣٣). ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (١/ ٥٤٥)، (ح ٧٩١).
والتَّعَهُّدُ: المُراجعةُ والمُعاوَدَةُ.
والإِبلُ المُعَقَّلَةُ: هي الإبل التي شُدَّتْ بالعقَال لئلا تَهْرُبَ. **والعقَالُ**: حَبْلٌ صَغيرٌ يُشَدُّ به ساعِدُ البَعِيرِ إلى فَخِذِهِ مَلْوِيّاً. «انظر: جامع الأصول، ابن الأثير (٢/ ٤٤٨)».

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، (٣/ ١٦٢١)، (ح ٥٠٣٢). ومسلم واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، (١/ ٥٤٤)، (ح ٧٩٠).

على نفسه بالتَّفريط، فيكون متـعلَّق الذَّم ترك الاستذكار والتَّعاهد؛ لأنه الذي يورث النسيان»[١].



المطلب الخامس
تدبُّـــرُ آيــاته

ليست العبرة في التلاوة أن يُقرأ القرآن مـرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يُقرأ، **والترتيل والتدبر مع قلة مقدار القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها**، لأن المقصود من القراءة الفهم والتدبر والعمل.

والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعنى بصورة كاملة ، وبالشكل المطلوب، ومن أجل ذلك كانت القراءة بتمهل خطوة نحو التدبر.

وقد ندَّدَ اللَّه تـعالى بصورة الاسـتفهـام بمن لا يفتح عـقلَه وقلبَه لتـفهُّم القرآن من أجل إدراك مـا فيه من حـكم وأسرار ومواعظ وتشـريعات، فقال تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤][٢].

وإن الذي يقرأ القرآن بلا فهم كالمذياع يرتل قرآناً دون أن يفهم مِمَّا رتَّلَ شيئاً، وهو مـخالف لهدف القرآن العظيم، فآيات كثيـرة تشير إلى أن القرآن يُتلى لعلَّنا نتفكـر، لعلَّنا نتدبر، لعلَّنا نعقل، لعلَّنا نُبـصر. كما قـال تعالى:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩/١٠١).

(٢) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، (ص٤١).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

«أما الذي تسمع أذنه ولا يسمع عقله، أو تنظر عينه ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره فهو أصم أبكم أعمى. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٣]. وفي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفاً بذاته بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكناً تماماً كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكناً إذ يبقى المُطَفِّفُ مطففاً، ويبقى الكاذب كاذباً، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذمَّ الله هؤلاء المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. «قال سفيان بن عيينة: أَنْزِعُ عنهم فهم القرآن»(٢).



(١) يعلمهم الكتاب: التعامل مع القرآن، (ص٢٠-٢١).
(٢) الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ٤٨٠).

المطلب السادس
تعلُّمـه وتعليمـُه

لقد حث النبيُّ ﷺ أصحابه الكرام وأُمَّته من بعده على تعلم القرآن وتعليمه بقوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ»(١).

وقد بَعَثَ النبيُّ ﷺ أصحابه إلى الأمصار المختلفة معلِّمين للقرآن الكريم: فبعث مصعبَ بن عمير وابنَ أم مكتوم في بيعة العقبة الثانية إلى المدينة، ليعلِّما الأنصار القرآن ويفقهانهم في الدِّين، فنزل مصعب على أسعد بن زرارة، وكان يُسمَّى المُقرئ والقَارئ:

يقول البراء بن عازب رضي الله عنهما: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ»(٢).

وبعث ﷺ معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه قاضياً إلى اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم(٣).

واستَعْمَلَ ﷺ عمرو بن حزم الخزرجي النَّجَاري رضي الله عنه على نجران ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن، ويأخذ الصَّدقات منهم(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (٣/ ١٦٢٠)، (ح٥٠٢٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبيِّ ﷺ وأصحابه المدينة، (٣/ ١٢٠٠)، (ح ٣٩٢٥). وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٧/ ٣٢٤ - ٣٢٦).

(٣) انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٢/ ٣٣٧). فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٧/ ٢٢٠).

(٤) انظر: الاستيعاب، (٢/ ٥١٠).

وكان «أبو الدرداء رضي الله عنه إذا صلى الغداة في جـامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجـعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشـرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك»(١).

وكان هذا التَّـعليم - من النبيِّ ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم - مجَّـانياً من غيـر مقـابل، ولعل مَدرسـة رسول الله ﷺ هي المدرسـة الأولى التي رَفَعَتْ شعارَ مـجَّانية التعليم، وشعار إلزامية الـتعليم والتعلم. ولم يبقَ الأمرُ شِعاراً بل نزل إلى ساحة التطبيق والتنفيذ(٢).

قال النووي رحمه الله:(٣) «تعليم المتعلِّمين فرض كفاية، فإن لم يكن مَنْ يصلح له إلاَّ واحـد تَعَيَّنَ عليه، وإن كـان هناك جمـاعة يحصل الـتعليم ببعـضهم: فـإن امتنعوا كُلُّهـم أَثِمُوا، وإن قام به بعـضُهم سـقط الحرج عن الباقين، وإن طُلِبَ من أحدهم وامتنع فأَظْهَرُ الوجهين، أنه لا يأثم لكن يُكْرَهُ له ذلك إنْ لم يكن له عذر».

ومع ترغـيبـه ﷺ أصحـابَه على تعليم القـرآن، كـان يحثُّـهم على الإخلاص في هذا التَّعليم: فعن سهل بن سـعد السَّاعدي، رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومـاً، ونحن نقترئ فـقال: «**الحمـدُ للَّه، كتـابُ اللَّه واحدٌ، وفـيكم الأَحْمَرُ وفيكم الأَبْيَـضُ وفيكم الأَسْوَدُ، اقْرَؤوهُ قَـبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ**

---

(١) معرفة القُرَّاء الكبار، للذهبي (١/ ٤١).

(٢) انظر: يعلمهم الكتاب، (ص٧٦ - ٨٠).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص ٥٦).

أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كما يَقُومُ السَّهْمُ يَتَعَجَّلُ أَجْرَهُ ولا يَتَأَجَّلُهُ»[(١)].

فينبغي أن يحرص المسلمون على طلب الثواب الأخروي في تعلمهم وتعليمهم لكتاب الله تعالى ويجتهدوا في ذلك.

ومن غير اللائق بمسلم نال أعلى الشهادات العلمية والخبرات العملية، ثم إذا سمعته يقرأ القرآن تعجبت من حاله وأمره، فلا يقيم حروفه وكلماته، وليس حاله كحال من يعذر لضعف تعليمه.

وإن من وسائل تعلمه وإتقانه: قراءته على أحد المقرئين، وكثرة الاستماع إليه، واستشعار عظمته وأنه كلام رب العالمين[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يُجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، (١/ ٢٢٠)، (ح ٨٣١). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١/ ١٥٧)، (ح ٧٤١): «حسن صحيح».

* قوله: «**ونحن نقترئ**» أي: نحن نقرأ القرآن، من باب الافتعال من القراءة.

«انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (٣/ ٤٢)».

* قوله: «**وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض**» كناية عن العجم؛ لأن الغالب على ألوانهم البياض والحمرة.

* قوله: «**وفيكم الأسود**» كناية عن العرب؛ لأن الغالب على ألوانهم الأُدْمَةُ، والأُدْمَةُ: قريبة من السواد.

* قوله: «**يقيمونه كما يُقام السهم**» أي: يُحَسِّنون النُّطق به.

* قوله: «**يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**» أي: يطلبون بذلك أجر الدنيا من مال وجاه ومنصب، ولا يطلبون به أجر الآخرة.

«انظر: جامع الأصول، (٢/ ٤٥٠ - ٤٥١)».

(٢) انظر: من أسرار عظمة القرآن، (ص٥٧).

المطلب السابع
العمـــلُ بــــــه

العمل بالقرآن العظيم هو ذروة حقــوق القرآن وسنامها، وهو الغاية من تنزيل الكتاب العــزيز، قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥][(١)].

التَّحذير من التَّشبُّه باليهود:

إن من أعظم شقاء اليهــود هو أنهم اكتفوا بقراءة التوراة وســماعها دون أن يتبع ذلك عــمل فَشَبَّهَهــم الله تعالى بالحميــر. فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

فهــؤلاء اليهود حُمِّلوا التــوراة أي: عَلِمُوها وكُلِّفوا العــمل بها، ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار يحمل كتباً يتعب في حملها ولا ينتفع بها[(٢)].

فقد ذمَّ الله تعالى اليهود؛ لأنــهم «اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التوراة دون فهم، وهم يحسبون أن ادخار أســفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كافٍ في التبجح بها. . .

وقد ضَرَبَ الله لهؤلاء مــثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حَظَّ له منها

---

(١) تقدَّم الحديث عن أهمية العمل بالقرآن: (ص ٥٨٠ - ٥٨٤)، بما أغنى عن إعادته هنا.

(٢) انظر: روح المعاني، (٢٨/ ٩٥). تفسير البيضاوي، (٥/ ٣٣٨).

إلاَّ الحَمل دون علم ولا فهم»[١].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: كنا مع النبيِّ ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال:

«هذا أوَانُ يُخْتَلَسُ العلمُ مِنَ الناسِ حتى لا يَقْدِرُوا منْهُ على شَيءٍ».

فقال زيادُ بنُ لَبيد الأنصاري[٢]: كَيفَ يُخْتَلَسُ منَّا، وقد قرأْنا القُرآنَ؟ والله، لَنَقْـرأَنَّهُ، ولَنُقْرئَنَّهُ نسَـاءَنا وأَبْنَاءَنَا؟ قـال: ثكلَتْكَ أُمُّك[٣] يا زِيَادُ، إنْ كُنتُ لأَعُـدُّكَ منْ فُـقَـهـاء أهل المَدينَةِ؛ هذه التَّـوراةُ والإنجـيلُ عند اليـهـودِ والنصارى فماذا تُغْنِي عَنْهُمْ؟[٤].

فرسول الله ﷺ يدعو الأمة إلى العمل بالقرآن بعد قراءته وفهمه، لا إلى الاقتصار على القراءة فحسب، فيـفعلون كما فعل بنو إسرائيل، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة : ٧٨].

قال القرطبي رحمه الله:[٥] «والأمانِيُّ: جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ وهي التِّلاوةُ».

---

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ١٩١).

(٢) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أُميَّة الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله، شهد العقبة وبدراً والمشاهد. ومات النبيُّ ﷺ وهو عامله على حضرموت، وكان من فقهاء الصحابة. توفي (سنة ٤١). «انظر: تهذيب التهذيب، (٣/ ٣٨٣)».

(٣) أي: فقدتك، وأصله الدعاء بالموت، ثم يستعمل في التعجب.
«تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للماركفوري، (٧/ ٤٤٩)».

(٤) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، (٥/ ٣١)، (٢٦٥٣).
وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٢/ ٣٣٧)، (ح٢١٣٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ٦).

وغالبُ المسلمين اليوم لا يعلمون مِنَ القرآن إلاَّ تلاوته!.

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أصحابَه من أفعالِ طائفةٍ تأتي مِنْ بعدهم يقرؤون القرآن، غيرَ أنَّ القراءة لا تتعدَّى حناجرهم، وتبقى في حيِّز الأصوات بلا عمل فقال: «**يَخْرُجُ فِي هذه الأُمَّة** - ولم يقل منها - **قومٌ تَحْقِرُونَ صَلاتكُمْ مَعَ صَلاتهم، يَقْرَؤُونَ القُرانَ لا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، أو حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١).

ثمار التَّوجيه النَّبوي:

أثمرت التوجيهات النبوية المباركة جيلاً من الصحابة الكرام يقرؤون القرآن ويفهمونه ويعملون به.

* **وهذه طائفةٌ من الحوادث تشير إلى اتِّباعهم - رضي الله عنهم - وسعيهم للعمل بكتاب اللَّه امتثالاً للأمر، واجتناباً للنهي:**

١ - لَمَّا جَرَتْ حادثة الإفك، وتكلم ناسٌ في عائشة الصدِّيقة رضي الله عنها كان ممَّنْ تكلَّم فيها مِسْطَحُ بنُ أُثاثةَ، وهو رجل فقير ذو قرابة لأبي بكر، وكان أبو بكر رضي الله عنه يُنفقُ عليه من ماله الخاص، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ضمن سياق حديث الإفك: «... فَلَمَّا أنزلَ اللهُ هذا في بَراءَتي، قال أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضي الله عنه، وكان يُنْفِقُ على مِسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ لِقَرَابَتِه منه وفَقْرِه: واللهِ لا أُنْفِقُ على مسْطَحٍ شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشةَ ما قال، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابه المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، (٤/ ٢١٦٤)، (٦٩٣١).

[النور: ٢٢]. قال أبوبكر: بَلَى واللهِ إنِّي أُحِبُّ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لي، فَرَجَعَ إلى النَّفَقَةِ التي كان يُنْفِقُ عليه، وقال: واللهِ لا أَنْزِعُها منْهُ أبداً»(١).

فأبوبكر رضي الله عنه لَمَّا قرأ الآية وفهمها عمل بما فيها، وأعاد النفقة على من تكلم في عرضه وآذاه في ابنته زوج النبي ﷺ، بل حلف بالله تعالى ألاَّ ينزع منه النفقة أبداً، فأين نحن من هذه الأخلاق العظيمة، والقدوات المباركة؟.

٢- عن أبي مُلَيْكَةَ قال: كَادَ الخَيِّـرانِ أنْ يَهْلِكا، أبو بكرٍ وعُمَرُ رضي الله عنهما، رَفَعَا أصواتَهُما عند النبيِّ ﷺ حين قَدِمَ رَكْبُ بَني تَميمٍ، فَأَشَارَ أَحَدُهَما بالأَقْرَعِ بنِ حَابِسٍ أخي بَني مُجَاشِعٍ، وأشار الآخَرُ برَجُلٍ آخَرَ، قال نافعٌ: لا أَحْفَظُ اسْمَهُ، فقال: أبوبكرٍ لعُمَرَ: ما أَرَدْتَ إلاَّ خلافي، قال: مَا أَرَدْتُ خلافَكَ، فارْتَفَعَتْ أصواتُهُما في ذلك، فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]. قال ابنُ الزُّبَيْرِ: فما كان عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدَ هذه الآيةِ حتى يَسْتَفْهِمَهُ(٢).

أي: حتى يستفهمه رسولُ الله عدة مرات.

٣- وعن زَيْد بن ثابت: «أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمْلَى عليه: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

فجاءَهُ ابنُ أُمِّ مكتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّها عَلَيَّ، قَالَ: يا رَسُولَ الله، واللهِ لَوْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه «مُطَوَّلاً»، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ... ﴾، (٣/ ١٤٨٨)، (ح٤٧٥٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية، (٣/ ١٥٣٧)، (ح٤٨٤٥).

أَسْتَطِيعُ الجِهادَ لجَاهَدْتُ. - وكان أَعْمَى - فأَنْزَلَ اللهُ على رَسُولِه ﷺ، وفَخِذُهُ على فَخذي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتَّى خِفْتُ أَنْ تُرَضَّ فخذي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾»[1].

حتى صاحب العذر لم يعذر نَفْسَه من الجهاد لاستشعاره أهمية العمل بالقرآن الحكيم، وتنفيذ أوامره، فيأتي رسولَ الله ﷺ متوسلاً متأثراً، يحلف بالله العظيم أن لو مَلَكَ القُدرةَ لَخَرَجَ، حتى أكرمه الله تعالى وأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، في هذا الاستثناء لأصحاب الأعذار: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾.

٤- عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «بَيْنَا النَّاسُ بقُبَاء في صَلاة الصُّبْحِ، إذْ جَاءَهمْ آت فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أُنزلَ عَلَيه اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فاسْتَقْبِلُوها، وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إلى الشَّامِ، فاسْتَدَارُوا إلى الكَعْبَةِ»[2].

فهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم لَمَّا سمعوا مَنْ يُخبرهم بآية تحويل القبلة لم ينتهوا حتى يفرغوا من صلاتهم، بل ولُّوا وجوههم شطر المسجد الحرام مباشرة؛ امتثالاً لأمر الله وتطبيقاً لما جاءهم في القرآن.

٥- قال أَنَسُ بنُ مالك رضي الله عنه: «ما كان لنا خَمْرٌ غَيْرَ فَضيخكُمْ هذا الذي تُسَمُّونَهُ الفَضِيخَ، فَإِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ وَفُلاناً وَفُلاناً إِذْ جَاءَ رَجُلٌ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (٣/ ١٣٩٨)، (٤٥٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، (١/ ١٤٦)، (ح٤٠٣). ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (١/ ٣٧٥)، (٥٢٦).

فَقَالَ: وهَلْ بَلَغَكُمْ الخَبَرُ ؟ فَقَالُوا: وما ذَاكَ ؟ قَالَ: حُرِّمَتْ الخَمْرُ، قَالُوا: أَهْرِقْ هذه القِلاَلَ يا أَنَسُ، قَالَ: فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا ولا رَاجَعُوها بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُل»(١).

هرعوا ﷺ مباشرة إلى العمل والتطبيق امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي، وأهرقوا دنان الخمر وما رجعوا إليها أبداً .

٦- وعن عائشةَ ﵂ قالت: «يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَات الأُوَل، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. شَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ(٢) فاخْتَمَرْنَ بِهَا(٣)»(٤).

وفي روايةٍ أُخرى تقولُ عائِشَةُ ﵂: «أَخَذْنَ أُزْرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الحَوَاشِي، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، (٣/ ١٤٠٨)، (ح ٤٦١٧).

(٢) (المُرُوطُ): جمع مِرْط، وهو الإزار، وقيل: هو كل ثوب غير مخيط، أي: شققن كساءهن. «انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٨/ ٦٢١). لسان العرب، (٧/ ٤٠) مادة: (مرط)».

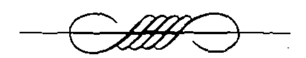
(٣) (فاختمرن بها): أي غطَّينَ وجوههن، وصفة ذلك: أن تضع الخِمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع، قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل. «انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٨/ ٦٢١)».

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (٣/ ١٤٩٢)، (٤٧٥٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، الكتاب نفسه، والباب نفسه، (٣/ ١٤٩٢)، (٤٧٥٩).

وعن أمِّ سَلَمَةَ ﵄، قالت: «لَـمَّا نَزَلَتْ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] . خَـرَجَ نِسَـاءُ الأَنْصَـارِ كَـأَنَّ على رُؤُوسِـهِنَّ الغـرْبَانُ مِنَ الأَكْسِيَةِ»(١) .

وهكذا كانت نساؤهم، كرجالهم، يُسـارعن إلى امتثال أمر الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وأمره تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فلا ينتظرن شراء خُـمُرٍ جديدة، ولا ينتظرن العودة للمنازل، بل يسارعن فيشقـقن مروطهـن ويلقينها على جيوبهن ﵅ و ﵃ أجمعين.



المطلب الثامن
التـأدُّب معـه

أولاً: آداب تتعلّق بالتلاوة:

وهي نوعان:

أ- آداب قلبية.   ب- آداب ظاهرية.

النوع الأول: الآداب القلبية.

١- **معـرفة أصل الكلام**: وهو التنبه إلى عظمـة الكلام المقروء وعلوِّه،

---

(١) رواه أبوداود، كتاب اللباس، باب لبس النسـاء، (٤/ ٦١)، (٤١٠١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٢/ ٧٧٣)، (ح ٣٤٥٦).

وإلى تَفَضُّلِ الله تعالى ولطفه بِخَلْقِه، حيث خاطبهم بهذا الكلام العظيم الشريف، وتكفل - تفضلاً منه ورحمةً - بتيسير إفهامهم إياه.

٢- **تَعْظِيمُ مُنَزِّلِه:** لأن الذي يقرؤه ليس من كلام البشر، خاصة إذا تَفَكَّرَ في صفات الله، وأسمائه، وأفعاله.

٣- **حضور القلب عند التلاوة:** لأن المُعَظِّم لكلام الله تعالى يستبشر به، ويأنس له، ولا يغفل عنه.

٤- **تدبُّر المقروء والمسموع:** إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها، فيحاول استيعاب المعاني؛ لأنها أوامر ربٍّ العالمين.

٥- أن يتفاعل قَلْبُه مع كل آية بما يليق بها:

فيتأمل معاني أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله ليستدل من عظمة الفعل على عظمة الفاعل، ويتأسى بأحوال الأنبياء وكيف كُذِّبوا وضُربوا وقُتل بعضهم، ولم يُنْقِصْ هذا في ملك الله جناح بعوضة، ولم يزد أيضاً؛ لأنَّ الله غنيٌّ عن العالمين، لا تنفعه تقوى المتَّقين، ولا يضره فجور الكافرين، ويعتبر بأحوال المكذبين، وأنه إذا غفل وأساء الأدب فربما أدركته النقمة، وهكذا.

٦- أن يستشعر بأنَّ كُلَّ خطاب في القرآن مُوَجَّهٌ إليه شخصياً:

فعليه أن يقرأ كما يقرأ العبد كتاباً خَصَّه به مولاه، يأمره فيه وينهاه.

وهذا ما أكَّدَ عليه ابن القيم -رحمه الله- بقوله[1]: «**إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجْمَعْ قلبك عند تلاوته وسماعه، وألْقِ سمعك، واحضر**

(١) الفوائد، (ص٣).

حضـور مَنْ يخاطبـه مَنْ تكلم به سبحـانه منه إليه، فـإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ».

إن مما يؤسف له في صـلة المسلمين المعـاصـرين بإسـلامـهم وقـرآنهم وتعاملهم مع ربهم، أن الواحـد منهم لا يشعر أنه هو المقصود أسـاساً بالأمر أو التوجيـه، وأنه مطالب به، ولكنه يشعر أن الخطاب لفلان أو عـلاّن، فهو يُبعد المسؤوليـة عن نفسه، و «يُوَزِّعُ» الواجبات على غيـره، ولهذا لم يتفاعل معها ولم يسع لكي يلتزم بها.

فإذا قرأ آيـات القصص قصرها على السَّـابقين، وإذا قرأ آيات الخطاب والتكليف للرسول ﷺ خَصَّهُ بها، وإذا قرأ حادثةً زمن الصحابة فهي لهم فقط، وإذا سمع: «يا أيها الذين آمنوا» فهـي تُخاطِب الصَّحابة أو مؤمنين في العوالِم الأخرى، آيات الـزكاة والصدقة للأغنياء فـقط، وآيات الحكم والتزام الطاعة للحكَّام فقط، وآيات الجهـاد والحرب للعسكريين فقط، وآيات الولاء والمحبـة للسِّـياسيين فقط، وآيات الدعـوة والبلاغ للشُّـيوخ والعلمـاء فقط، وهكذا وإذا بهـذا المسلـم لم تُوجَّـه له آية، ولم يُطالب بحُـكم، ولم يُكلَّف بواجب[(١)].

٧- أن يتأثر بكل آية يتلوها:

فيرتعـد خوفاً عند الوعيد وذكر النـار ويستبشر فرحـاً عند الوعد وذكر الجنة، ويُطأطأ رأسه خـضوعاً عند ذكر الله تعـالى وأسمائه الحسنى وصـفاته العلا، ويخـفض صوته وينكسـر في باطنه حياءً من قـبح مقالـة الكفار وقلَّة أدبهم في دعاويهم.

---

(١) انظر: مفاتيح للتعامل مع كتاب الله، (ص ١٣٢ - ١٣٣).

٨- التَّخلِّي عن موانع الفهم:

وهو تجنب موانع الفهم، مثل أن يصرف همَّه كلَّه إلى تجويد الحروف، أو يتعصَّب لآراء الرجال، أو يتكبَّر، أو يعشق الدُّنيا.

والتَّخلي أيضاً عن اعتقادة حصر معاني آيات القرآن العظيم فيما تلقَّنه من تفسير.

ومن أعظم أنواع التَّخلي:

التَّخلِّي عن الذنوب، وعلى رأسها أمراض القلوب، حتى يتهيأ القلب ويستعد لقبول كلام الله تعالى.

وقد حكى الإمام ابن القيم -رحمه الله- قاعدةً عقليَّةً في ذلك فقال[١]: «قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضِدِّه».

فالقلب المطمئن بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ينفر عن ضد ذلك من اللهو والغناء، وكذلك العكس بالعكس، القلب المشرب بحب الغناء واللهو لا ينشرح لذكر الله وتلاوة القرآن ولا ينتفع بذلك.

وقد جعل العلاَّمة ابن جماعة -رحمه الله- التَّوبةَ أوَّلَ آدابِ طالبِ العلم، فقال في معرض تعداده لآداب المتعلِّم[٢]: «الأول: أن يُطَهِّر قلبه من كلِّ غشٍ ودنسٍ وغلٍ وحسد وسوء عقيدة وخلق؛ لِيَصلُحَ بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر، وعبادة القلب، وقربة الباطن، وكما لا تصلح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلاَّ بطهارة الظاهر من الحدث والخبث،

---

(١) الفوائد، (ص٢٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، (ص٦٧).

فكذلك لا يصلح العلم الذي هو عبادة القلب إلاَّ بطهارته من خبث الصِّفات وحدث ومساوئ الأخلاق ورديئها.

وإذا طُيِّبَ القلبُ للعلم ظهـرت بركته ونما، كـالأرض إذا طُيِّبَتْ للزرع نما زرعها وزكا».

٩- أن يتبرأ من حوله وقوته:

إذ لا حول ولا قـوة إِلاَّ بالله العليِّ العظيم، ويتجنب النظر إلى نفـسه بعين الرضا والتزكية[١].

النوع الثاني: الآداب الظَّاهرية:

كالتَّطهُّـر، والتَّطيُّب، ونظافة المكـان، ولبس ثياب التَّجـمُّل، وتنظيف الفم بالسِّواك، واستـقبال القبلة، والجلوس بالسَّكينـة والوقار، والقراءة على ترتيب المصحف، واستـحضار الحزن والبكاء، فإن لم يحـضره البكاء فليبكِ على قسوة قلبه.

ويُمْسِكُ عن القراءة - إذا عرض له تثاؤب - حتى ينقضي تثاؤبه.

ويقطع القـراءة - وجـوباً - لرد السَّـلام، ولحمـد الله بعـد العطاس، ولتشميت عاطس، ويقطعها - ندباً - لإجابة المؤذن.

ويُكره اتِّخاذُ القرآن معيـشةً، وتكره قراءة متنجِّس الفم، وتكره القراءة الجهـرية في الأسواق وفي مـواطن اللَّغط واللَّهو ومـجمع السُّـفهـاء، ومثله القراءة الجهرية في المقاهي والمحلات العـامة حيث لا تُسمع القراءة بل يُتَلَهَّى عنها.

---

(١) انظر: حق التلاوة، حسني شيخ عثمان (٣٩٩ - ٤٠٠).

ويُكره أن يتأوَّل آيةً من القـرآن عندما يعرض له شيء من أمـور الدُّنيا، كأن يقول - إذا جاءه أحد: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾.

أو يقول - حين حضـور الطَّعام: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ونحو هذا.

ولا يجوز أن يقرأ القرآن منكوساً؛ كما كان يفعل بعض مَنْ يلتمس أن يرى من نفسه الحذق والمهارة فيقرأ: «الضالين ولا عليهم المغضوب غير...» عياذاً بالله من هذا الحال [1](*).

ثانياً: آداب عامة في التّعامل مع القرآن.

هناك آداب عـامـة مع هذا الكتـاب العظيم المجيـد لا يليق بمسلم أن يجهلها، ومنها:

١-تعهُّده بالقراءة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

بعد أن أثنى الله تعالى على العلماء الذين يخشونه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. ذَكَرَ صفات العالمين بكتابه العاملين به.

يقول ابن عاشور - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: [2] «فالمراد بـ ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ المؤمنون به؛ لأنهم اشتُهـروا بذلك وعُرِفوا به وهم

---

(١) انظر: المصدر نفسه، (ص١٠٤).

(*) ومَنْ أراد الاستزادة والتفصيل في آداب تلاوة القرآن فلا غنى له عن كتـاب: «التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي» فقد أجاد في ذلك وأفاض رحمه الله تعالى.

(٢) التحرير والتنوير، (٢٢/١٥٩).

المراد بالعلماء. قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وهو أيضاً كناية عن إيمانهم لأنه لا يتلو الكتابَ إلاَّ مَنْ صدَّق به وتلقاه باعتناء...

فقد أشعر الفِعلُ المضارع: ﴿يَتْلُونَ﴾ بتجدد تلاوتهم، فإن نزول القرآن متجدد، فكلما نزل منه مقدار تلقوه وتدارسوه».

٢- عدم هجرانه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠].

و «معنى هذه الآية الكريمة ظاهر، وهو أن نبينا ﷺ شكا إلى ربه هجر قومه، وهم كفار قريش لهذا القرآن العظيم، أي تركهم لتصديقه، والعمل به، **وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم**، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال»[(١)].

وبَيَّنَ ابنُ القيم - رحمه الله - أنواعَ هَجْرِ القرآنِ، فقال:[(٢)]

«هَجْرُ القرآنِ أنواع:

أحدها: هجر سماعِه والإيمانِ به والإصغاءِ إليه.

والثاني: هجر العملِ به والوقوفِ عند حلاله وحرامه، وإنْ قرأه وآمَنَ به.

والثالث: هجر تحكيمِه والتحاكمِ إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد

---

(١) أضواء البيان، (٦/٣١٧).

(٢) الفوائد، (ص١٥٦).

أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبُّرِه وتفهُّمِه ومعرفة ما أراد المتكلِّم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاءِ والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠]، وإن كان بعضُ الهجر أهونَ من بعض».

وإننا اليوم نشهد هجراً للقرآن العظيم في جميع أنواع الهجر التي ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله، فإلى الله - وحده - المشتكى.

لقد هُجِرَ القرآنُ الحكيم **تلاوةً**، وزهد الكثير في مذاكرته وحفظه وتدارسه على الرغم من حرصهم الشَّديد على متابعة وسائل الإعلام بشتَّى وسائلها المشروعة وغير المشروعة؛ ليتابعوا بلهف وشوق أخبار من لا خلاق لهم عند الله تعالى.

وهجِرَ القرآنُ المجيد **استماعاً**، وارتبط استماع القرآن في أذهان كثير من الناس بالأحزان والسرادقات التي تقام للمآتم! بل أقبل الناس على سماع اللهو والغناء ومزمار الشيطان وهجروا قرآن الرحيم الرحمن!

وهُجِرَ القرآنُ العزيز **تدبُّراً**، ولو أنزله الله تعالى على الجبال الرواسي الشَّامخات لتصدَّعت من خشيته، فقست القلوب، وتحجَّرت العيون، فلا قلب يتدبر فيخشع، ولا جوارح تنقاد فتخضع، ولا عين تتحرك فتدمع!

وهُجِرَ القرآنُ العظيم **عملاً**، فبدل أن يكون منهج حياة متكامل يصبح - في واقع الناس إلاَّ من رحم الله - آيات تقرأ عند القبور، ويُهدى ثوابها للأموات، مع أن هؤلاء الأحياء أحوج منهم إلى ثوابها وجعلها منهجاً للحياة

بشتَّى أشكالها وصورها، أو تصنع منه التَّمائم والأحجبة فتعلق على صدور الغلمان، أو يوضع في البيوت والمحلات والسيارات للحفظ والبركة زعموا !

وهُجِرَ القرآنُ العظيم **تحاكماً**، ووقع المسلمون في المنكر الأعظم، بتنحية كتاب الله عن الحكم بين الناس، واتِّهِم شَرْعُ الله بالضَّعف والعجز والقصور والتَّخلف عن ركب الحضارة، وحل محله القانون الوضعي الضعيف القاصر يحكم في الدِّماء والأموال والأعراض !

وهُجِرَ القرآنُ الكريم **استشفاءً وتداوياً**، ولجأ الناس إلى السَّحرة والعرافين والدجالين يطلبون منهم الشفاء والدواء لأمراضهم !

فهل من عودة وهل من أوبة ؟ نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدُّنيا والآخرة(١).

٣- التَّريُّث في قراءته:

* قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ومعنى ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ جعلناه فِرَقاً ، أي: أنزلناه منجماً مفرقاً غير مجتمع صبُرة واحدة. يقال: فَرَقَ الأشياءَ إذا باعد بينهما، وفَرَقَ الصبرة إذا جزأها.

«قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: فَصَّلْنَاهُ»(٢).

---

(١) انظر: فتح الرحمن في بيان هجر القرآن، لمحمد آل عبد العزيز، ومحمود الملاح، (ص ٤-٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: الترتيل في القراءة، (٣/ ١٦٢٤).

ومعنى ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: على مَهل وبطء وهي عِلَّةٌ لتفريقه. **والحكمة في ذلك**: أن تكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين[1].

* وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يقرأ القرآن بمهل وتبيين: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

وقد امتثل ﷺ أمرَ ربِّه: فعن قَتادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ عن قِراءَةِ النبيِّ ﷺ فقال: «**كان يَمُدُّ مَداً**».

وعن قَتادَةَ قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كانَتْ قِراءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟

فَقَالَ: «**كانَتْ مَداً، ثُمَّ قَرَأَ: «بِسْمِ اللَّه الرحمنِ الرحيم» يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، ويَمُدُّ بِالرَّحْمنِ ويَمُدُّ بِالرَّحِيم**»[2].

وتَصِفُ حَفْصَةُ رضي الله عنها قراءةَ النبيِّ ﷺ فتقول: «**كان يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا**»[3].

«**والتَّرتيل**: جَعْلُ الشيءِ مرتَّلاً، أي مفرقاً، وأصله من قولهم: ثَغْرٌ مُرَتَّل، وهو المفلج الأسنان، أي المفرق بين أسنانه تفرقاً قليلاً بحيث لا تكون النواجذ متلاصقة، وأُريدَ بترتيل القرآن ترتيل قراءته، أي التَّمهل في النُّطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة مع إشباع الحركات التي تستحق الإشباع...

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٤/ ١٨١).

(٢) رواهما البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب مَدِّ القراءة، (٣/ ١٦٢٥)، (ح ٥٠٤٥، ٥٠٤٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً، (١/ ٥٠٧)، (ح ٧٣٣).

وفائدة هذا أن يرسخ حفظه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بحوافظهم، ويتدبر قارئه وسامعه معانيَه كي لا يسبق لفظُ اللسان عملَ الفهم.

قال قائل لعبد الله بن مسعود: قرأتُ المُفَصَّلَ في ليلةٍ فقال عبدُ الله: «هَذّاً كَهَذِّ الشِّعْرِ»[١]. لأنهم كانوا إذا أنشدوا القصيدةَ أسرعوا لِيَظْهَرَ ميزانُ بَحرِها، وتتعاقَبَ قوافيها على الأسماع. والهَذُّ: إسراع القطع»[٢].

ثالثاً: آداب تتعلّق بالمصحف:

لما كان المصحف الكريم أشرف كتاب في الوجود لما تضمنه بين دفتيه من كلام الخالق المعبود جَلَّ جلاله، تأكدت في حقِّه جملة من الآداب المرعية المستلزِمة لطائفة من جوانب تعظيمه القولية والفعلية:

فَمِنَ الآدابِ المُتأكِّدة في حَقِّ المُصْحَفِ ما يلي:

١ - اشتراط الطهارة لملامسته، وتحاشي التَّصغير في اسمه ورسمه وحجمه، ويُطالب مَنْ يكتب القرآن العظيم بتحسين خَطِّه وتجميله، وأن يكتبه على ورق يليق بمقامه.

قال القرطبي رحمه الله:[٣] «ومِنْ حُرمته أن يجلل تخطيطه إذا خطه. وعن أبي حُكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمرَّ عليٌّ - رضي الله عنه -

(١) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: جَاءَ رَجُلٌ إلى ابنِ مَسْعُود فقال: «قرأتُ المُفَصَّلَ الليلةَ في رَكْعَة، فقال: هذّاً كَهذِّ الشِّعْرِ».
كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة، (١/ ٢٣٩)، (ح ٧٧٥).
ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، (١/ ٥٦٥)، (ح٨٢٢).

(٢) التحرير والتنوير، (٢٩/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٤٤).

فنظر إلى كتابته فقال له: أَجِلَّ قَلَمَكَ فأخذتُ القلمَ فقططته[١] من طرفه قطاً، ثم كَتَبْتُ وعليٌّ - رضي الله عنه - قائم ينظر إلى كتابتي؛ فقال: هكذا، نَوِّرْهُ كما نَوَّرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ».

ونحن في هذه الأزمنة لا نعاني كثيراً مما كان يعانيه السابقون بسبب نعمة الله علينا في وجود هذه المطابع الحديثة، وعلى رأسها مُجَمَّعُ الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف بالمدينة النبوية وَفَّقَ اللهُ القائمين عليه إلى كل خير، ومع ذلك يوجد في بعض الطَّبعات التجارية شيء من الأخطاء المطبعية، فعلى دُور النشر أن تتَّقي الله تعالى في ذلك، فلا تُدْفَعُ المصاحِفُ إلى الأسواق إلاَّ بعد تدقيقها والتأكد تماماً من خلوها من أية أخطاء.

وهناك فئات ضالة كالقاديانية[٢] تطبع المصاحف المحرَّفة، ولهذا يجب على المسلمين التنبه لهذا المنكر العظيم ويتلفوا كلَّ نسخة تظهر فيها أخطاء قَلَّتْ أم كَثُرت صَغُرت أم كَبُرت سداً للذَّريعة.

٢- الحذر من إضافة شيء إليه، أو زخرفته، أو تحليته، أو كتابته بأحد النَّقدين، أو كتابته بالأعجمية، أو اتخاذه مُتَّجَراً.

---

(١) **قَطَّ الشَّيءَ:** قَطَعَهُ عَرْضاً، وبابُهُ رَدَّ. ومنه قَطَّ القَلَمَ.
«انظر: مختار الصحاح، (ص٢٥٦)، مادة: (قطط)».

(٢) **القاديانية:** هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة، ظهرت سنة (١٩٠٠م) بالهند، وكان الدَّاعي لها رجل يسمَّى: مرزا غلام أحمد، الذي ادَّعى أنه المسيح، ثم أنه نبي، ثُمَّ ادَّعى الألوهية. وقد احتضن القاديانيةَ الإنجليزُ حينما كانوا حكَّاماً مستعمرين للهند وتبنوها وبذلوا لنصرتها ما في وسعهم من الإمكانيات المادِّية والمعنوية.
«انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، (ص ٣٨٧). فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب بن علي عواجي (٢/ ٤٨٧)».

قال القرطبي رحمه الله:[١] «وَمِنْ حُرمته ألاَّ يخلط فيه ما ليس منه. ومن حرمته ألاَّ يُحلَّى بالذهب، ولا يُكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا؛ وروى مغيرة عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يُحلَّى المصحف أو يُكتب بالذهب أو يعلم رؤوس الآي أو يُصغَّر.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فَالدَّبَارُ**[٢] **عَلَيكُمْ**»[٣].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وقد رأى مُصْحَفاً زُيِّنَ بِفِضَّة: تُغْرُونَ به السَّارق وزينته في جوفه».

٣- الحذر من استدباره، أو توسُّده، أو رميه عند وضعه أو مناولته، أو مَدِّ الرِّجْلين إليه، أو التَّروح به، أو استعمال الشِّمال في تناوله وأخذه، أو تصغير اسمه. وألاَّ يقال: سورة صغيرة.

قال القرطبي رحمه الله:[٤] «وَمِنْ حُرمته ألاَّ يتوسد المصحف، ولا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٤٥).

(٢) «يُقَالُ: دَبَرَ القَومُ يَدْبُرُونَ دِباراً: هلكوا. وأَدْبَرُوا: إذا وَلَّى أَمْرُهُمْ إلى آخِرِه فَلَمْ يبقَ منهم باقية». «لسان العرب، (٤/ ٢٧٣)، مادة: (دبر)».

(٣) رواه الترمذي في: «نوادر الأصول» عن أبي الدرداء، ووقفه ابن المبارك في: «الزهد»، وابن أبي الدنيا في: «المصاحف» عن أبي الدرداء.
انظر: فيض القدير (١/ ٣٦٦)، (ح٦٥٨). وكشف الخفا (١/ ٩٥)، (ح٢٤٢).
وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (١/ ١٦٢)، (ح ٥٨٥) بلفظ: «إذا زَخْرفتم مساجدَكم،وحَلَيتُم مصاحفكم، فالدَّمارُ عليكم». والسلسلة الصحيحة، (٣/ ٣٣٦)، (ح ١٣٥١) بلفظ: «إذا زَوَّقتكم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدَّمارُ عليكم».

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٤٥).

يعتـمد عليه، ولا يرمي به إلى صـاحبه إذا أراد أن يتناوله. ومن حُرمـته ألاَّ يصـغر المصـحف؛ روى الأعمش عن إبراهيم عن علـيٍّ - ﷺ - قال: لا يُصَغَّرْ المُصْحَفُ».

قال ابن المسيب[(١)] رحمه الله: «لا تقـولوا مُصيحف ولا مُسيـجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل»[(٢)].

«وقاعدة الباب كما ذكرها أبو حيَّان[(٣)]- رحمه الله تعالى - (لا تُصَغَّرْ الاسم الواقع على مَنْ يجب تعظيـمه شـرعاً، نحـو أسمـاء الباري تعالى، وأسماء الأنبياء - صلوات الله عليهم - ومـا جرى مجرى ذلك؛ لأن تصغير ذلك غَضٌّ لا يَصْدُرُ إلاَّ عن كـافر أو جاهل. . . وتَصْـغِيرُ التـعظيم لم يَثْبُتْ مِنْ كلامِهِم)»[(٤)].

---

(١) هو الإمام سعـيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخـزومي، من أئمة التابعين وعلمائهم الأثبات، ومن الفقهاء الكبار، قال ابن حجر: «من كبار الثانية، اتَّفقوا على أنَّ مُرْسَلاته أصحُّ المراسيل»، وقال ابن المديني: «لا أعلم في التَّابعين أوسعَ علماً منه». مات بعد التسعين هجرية، وقد ناهز الثمانين.

«انظر: تقريب التهذيب، (١/ ٣٠٥ - ٣٠٦)، (ت ٢٦٠)».

(٢) رواه ابن سعد في: «الطبقات»، (٥/ ١٣٧). والذهبي في: «السير»، (٤/ ٣٣٨).

(٣) هو مـحمـد بن يوسف بن علي، (أبو حـيان) الأندلسي، الغـرناطي، إمـام العربيـة في عصره، مفسِّر، ومـحدِّث، ومؤرِّخ، ومقرئ، اشتهر اسمه وطار صِـيته، وأخذ عنه أكابر عـصره، ولد بغـرناطة سنة (٦٥٤هـ)، ومـات بالقاهرة سـنة (٧٤٥هـ). من مصنفـاته: «البحـر المحيط» في التفـسير، و «شرح كـتاب سيـبويه»، و «تذكرة النُّحـاة» و «إرتشاف الضَّرب من لسان العرب» وغيرها.

«انظر: طبقات المفسرين، (٢/ ٢٨٧). معجم المؤلفين، (٣/ ٧٨٤)».

(٤) معجم المناهي اللفظية، لبكر بن عبد الله أبوزيد، (ص٥١٢).

وأحال على: السير، للذهبـي (٤/ ٢٣٨). الطبقات، لابن سعـد (٥/ ١٣٧). حليـة =

«ومن حرمته ألاَّ يُقال: سورة صغيرة. وكَره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة؛ وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغر منها؛ وأمَّا القرآن فكلُّه عظيم؛ ذكره مكِّيٌّ[(١)] رحمه الله»[(٢)].

٤- الحذر من وضع شيء فوقه، أو بين أوراقه، أو حمله حال دخول الأماكن الممتهنة، أو السفر به إلى أرض العدو، أو تعريضه لأيِّ نوع من أنواع الأقذار، كأن يَبُلَّ أصبعَه بالرِّيق عند تقليب ورقه. أو تعريضه لمظانِّ امتهانِه أو النَّيلِ مِنْ قُدسيَّته، كأن يُمَكَّنَ منه الصِّغار أو المجانين أو الكفار.

قال القرطبي رحمه الله:[(٣)] «وَمِنْ حُرمته إذا وضع المصحف ألاَّ يتركه منشوراً، وألاَّ يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب، عِلْماً كان أو غيره. ومن حرمته أن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيءٍ بين يديه ولا يضعه على الأرض. ومن حرمته ألاَّ يمحوه من اللَّوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء. ومن حرمته إذا غسله بالماء أن يتوقَّى النَّجاسات من

= الأولياء (٤/ ٢٣٠). الحيوان، للجاحظ (١/ ٣٣٦). تذكرة النحاة، لأبي حيان (ص٦٨٦). المنهيات للحكيم الترمذي (ص ٧٦-٧٧).

(١) هو مكِّي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار الأندلسي، القيسي، (أبو محمد): كان فقيهاً مقرئاً عالماً بالتَّفسير والعربية. ولد بالقيروان سنة (٣٥٥هـ) ونشأ بها، وطاف في بعض بلاد المشرق، ثم عاد إلى بلده، وأقرأ بها. ثم سكن قرطبة سنة (٣٩٣هـ)، وأقرأ بجامعها وتوفي فيها سنة (٤٣٧هـ). له مصنَّفات كثيرة منها: «إعراب القرآن»، و «التَّبصرة والهداية في التفسير»، و«التَّذكرة لأصول العربية ومعرفة العوامل» وغيرها. «انظر: طبقات المفسرين، (٢/ ٣٣١). الأعلام، (٣/ ٢٨٦). معجم المؤلفين، (٣/ ٩٠٨)».

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ٤٦-٤٧).

(٣) المصدر نفسه، (١/ ٤٣).

المواضع، والمواضع التي تُوطأ، فإن لتلك الغسالة حـرمة، وكان مَنْ قبلنا مِنَ السلف منهم مَنْ يُستشفى بغسالته. ومن حرمته ألاَّ يتخذ الصَّحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب؛ فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء».

٥- الحـذر من كتـابتـه على الأرض، أو حوائط المسـاجـد وغيـرها، أو الكتابة في حواشيه، أو جلده، كما يفعله كثير من طلاَّب المدارس.

قال القرطبي رحمه الله: [(١)] «وَمِنْ حُرمته ألاَّ يُكتب على الأرض، ولا على حائط، كـما يُفعل به في المساجـد المُحدثة... قال محمـد بن الزبير: رأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآنَ على حائط فضربه».

وقد عمد بعض الحاقدين من أعداء القرآن في الآونة الأخيرة من اليهود والنصارى، أن يطبعوا بعض الآيات القرآنية على الملابس الدَّاخلية أو الأحذية أو الأوراق التي تُغلَّف فـيـهـا المشـتـريات كيـداً بالمسلمين، ومـحـاولةً منهم الانتقاص من قدر هذا الكتاب الكريم.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] [(٢)].

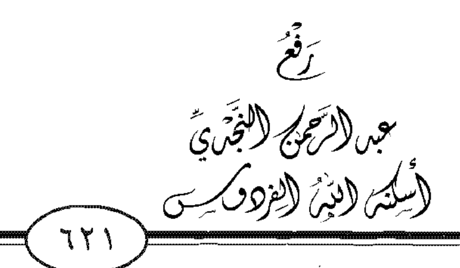
٦- الحذر من استـعمـاله في غير مـا جُعل له، كالتَّـثقيل به، أو تعليـقه كـحــرز، أو زينة، أو اقـتنائـه لمجـرد التَّـبـرُّك به، إلى غـيــر ذلك مِنْ أنواع الاستعمالات التي لم يأذن الشَّرع بمثلها [(٣)].



(١) المصدر نفسه، (١/ ٤٥).

(٢) انظر: كيف نحيا بالقرآن، (ص ٩٤ - ٩٥).

(٣) انظر: المُتحَفُ في أحكام المُصْحَف، د. صالح بن محمد الرشيد، (ص٢٢-٢٣).



المطلب التاسع
الدَّعوةُ إليه وتبليغُه للناس

إن الواجب الشَّرعي يُوجِبُ على المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، العرب منهم والعجم، تبليغ القرآن لغيرهم، والدَّعوة إليه، وإبراز محاسنه، وأنه حُجَّة الله على الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وأمْرُ الله لنبيِّه محمدٍ ﷺ هو أمر لأمته، وعليهم إكمال تنفيذ هذا التبليغ، كُلٌّ بقدر استطاعته، ولاشك أن العلماء تقع عليهم أعظم مسئولية، بحكم تخصصهم بعلوم الشريعة، وقدرتهم على شرح أحكام القرآن وبيان معانيه للناس.

وقد أوحى الله تعالى القرآن لنبيه ﷺ لينذر قومه ابتداءً ويبلغه للناس جميعاً، كما ذَكَرَ اللهُ تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

قال الربيع بن أنس(١): «حَقٌّ على من اتبع رسول الله ﷺ، أن يدعو كالذي دعا رسول الله ﷺ، وأن ينذر كالذي أنذر»(٢).

والمسلمون كلُّهم أمة محمد ﷺ، ويجب عليهم تبليغ رسالته، كما

(١) هو الربيع بن أنس البكري - ويقال: الحنفي - البصري، ثم الخراساني، قال العجلي وأبو حاتم: «صدوق». وقال النسائي: «ليس به بأس». وذكره ابن حبان في الثِّقات، ورماه بعضهم بالتَّشيع، وقال ابن حجر في التَّقريب: «صدوق، له أوهام». أخرج له السِّتة سوى البخاري ومسلم، ومات سنة (١٤٠هـ). «انظر: تهذيب التهذيب، (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، (ت٤٦١). وتقريب التهذيب، (١/ ٢٤٣)».

(٢) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٧٩).

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] فلا يكفي أن يكون المسلم صالحاً في نفسه، بل عليه بذل الجهد لإصلاح الآخرين وهدايتهم.

مسئوليّة العرب أكبر:

إنَّ عَرَبَ المسلمين اليوم عليهم مسئوليَّة خاصة تجاه القرآن المجيد؛ لأنه نزل بلغتهم - وكفى بذلك شرفاً وفخراً لهم - فهم أعرف الناس بأسراره وفحواه، فوجب عليهم عرضه على العالمين، وشرح مزاياه، ومراد الله فيه.

والعامل يسمو بسموِّ العمل المناط به، وإن شرف العرب، وعلو شأنهم، وأهمية مركزهم، وما خصَّهم الله به من المزايا، جعلهم مؤهلين لنشر القرآن العظيم وتبليغه للناس، ولقد كرَّمهم الله تعالى باختيار أفضل الرسل منهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فمتى ينتبه العرب من غفوتهم؟ فإن الأمر جِدٌّ خطير، والمسئولية عظيمة، والأمانة ثقيلة، **وإنَّ واجب الدَّعوة إلى القرآن في هذا العصر، يُوجِبُ على العرب خصوصاً والمسلمين عموماً، مضاعفة الجهد؛ لمواجهة طغيَان المادة، والصِّراعات المذهبية، والغزو الفكري، والخلافات السِّياسية.**

وإنَّ التَّصدي لهذا الزحف المخيف يتطلَّب أن يشعر كُلُّ فرد، أنه على ثَغْرٍ من ثغور الإسلام، ومن هذا الشُّعور فإنه يندفع لاستعمال كل الطرق والوسائل المتاحة، من قنوات فضائية، وبرامج إذاعية، وصحف، ومجلات، وكتب، ودعم لكلِّ مركز أو مؤسسة أو جمعية تسعى لرفع راية القرآن العظيم، وتبليغه للناس أجمعين[١].

---

(١) انظر: قرآنكم.. يا مسلمون، (ص٣٢ -٣٧).

الخــــاتمة

وبعــد :

فهــذا ما وفَّـقني اللهُ إليه، ويسَّــره لي في هذا البحث: «عظمــة القرآن الكريم» ويمكن استخلاص أبرز نقاطه وأهمِّ نتائجه فيما يأتي :

أولاً : في مباحث التَّمهيد.

إنَّ «عظمة القرآن» تعني الأمور الآتية :

أ- سُمُوَّ مَعانيه، وفخامَةَ أُسلوبِه.

ب- وسطيَّةَ مَنْهَجِه.

ج- شمولَ أحكامِه.

د- قُوَّةَ تَأثيره.

هـ- استقامةَ أهدافِه ونبلَها.

و- الهيبةَ والحُرْمَةَ التي أَوْجَدَها الله تعالى في قلبِ كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ وقَرَأَهُ مِنَ الإِنسِ والجِنِّ مُؤمِنهم وكافِرهم، ومِنَ الجمادِ والحيوانِ.

ز- الشَّرَفَ الحاصِلَ لكلِّ مَنْ آمن به واستجاب له.

ح- غلبةَ إعجازِه التي أَعْيَت الكافرين عن الإتيان بمثله.

ثانياً : في مباحث الباب الأوَّل.

١- من «مظاهر عظمة القرآن» ما يأتي :

أ- كثرةُ أسمائه وأوصافه.

فمن أسمــائه الدَّالة على عظمته: الفرقان، والبرهان، والحــقُّ، والنَّبأ

العظيم، والبلاغ، والرُّوح، والموعظة، والشِّفاء، وأحسن الحديث.

ومن **أوصافه** الدَّالة على عظمته: الحكيم، والعزيز، والكريم، والمجيد، والعظيم، والبشير، والنَّذير، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ب- التَّنويه به في مُفتتح أربعٍ وثلاثين سورة.

ج - الحديثُ عنه في أواخر ثلاثٍ وعشرين سورة.

د- القَسَمُ به وعليه في ثمانِ سورٍ.

هـ- اقترانُ أسماءِ الله الحسنى بتنزيل القرآن العظيم في مُفتتح تسعِ سورٍ.

و - نزوله في أفضل الأزمنة (ليلة القدر)، وبأرقى اللغات وأجْمَعِها (العربية).

ز- عظمةُ مُنَزِّله (تبارك وتعالى)، وفَضْلُ مَنْ نَزَلَ به (جبريل عليه السَّلام)، وفَضْلُ مَنْ نَزلَ عليه (محمد ﷺ).

ح- تيسيرُ فهمِه وحفظِه وتلاوتِه للعالمين.

ط- التَّنويهُ بِحِفْظِ الله له **قبل نزوله** في أربعِ سورٍ، **وأثناء نزوله** في سورتين، **وبعد نزوله** في أربعِ سورٍ.

ي- التَّأكيدُ على عالميَّته صراحةً في اثنتين وثلاثين آية.

ك- التَّنويهُ بهيمنة القرآن العظيم على سائر الكتب السَّابقة عليه، وتصديقه لها، في أربعة عشر نصاً من كتاب الله تعالى.

٢- من «دلائل عظمة القرآن» ما يأتي:

أ- اتِّساقُه على نمط واحد.

ب- تحقُّقُ أخباره الغيبيَّة المستقبلية.

ج- أنَّه معجزةٌ لا تنتهي.

د- جَمَعَ كُلَّ ما يحتاج إليه البشر في المعاش والمعاد.

هـ- حَوَى القرآنُ كثيراً من علوم الدُّنيا تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارةً، أو إيماءً.

و- خصومُهُ وأعداؤه شهدوا بعظمته.

٣- من «عظمة أسلوب القرآن» ما يأتي:

أ- لا يعلو عن أفهام العامَّة، ولا يقصر عن مطالب الخاصَّة.

ب- يُخاطِبُ العقلَ والعاطفةَ معاً.

ج- جَودَةُ سَبْكِهِ وإحكامُ سَردِه.

د- تعدُّدُ أساليبِهِ واتِّحادُ معناه، بمعنى: أنه يُورد المعنى الواحد بألفاظٍ وطرائق مختلفة.

هـ- جَمْعُهُ بين الإجمال والبيان، مع أنهما غايتان متقابلتان، لا يجتمعان في كلامٍ واحدٍ للناس.

و- إيجازُ لفظِه ووفاءُ معناه، فلو نُزِعَتْ منه لفظةٌ ثمَّ أُدِيرَ لسان العرب في أن يُوجد أحسنَ منها لم يُوجد.

٤- من عظمة «مقاصد القرآن» ما يأتي:

أ- إقامةُ الدِّين وحفظُه.

ب- تصحيحُ العقائد والتَّصوُّرات.

ج- رَفْعُ الحرجِ عن المكلَّفين.

د- تقريرُ كرامةِ الإنسان وحقوقِه.

هـ- تكوينُ الأسرة الصَّالحة، وإنصافُ المرأة وتحريرُها من ظلم الجاهلية.

و- إسعادُ المكلَّف في الدُّنيا والآخرة.

٥- **من «عظمة التَّشريع القرآني»**: شموله وعدالته وخلوده.

٦- **من عظمة «مقاصد قصص القرآن» ما يأتي :**

أ- إثباتُ الوحدانية لله تعالى، والأمرُ بعبادته.

ب- إثباتُ الوحي والرِّسالة.

ج- إثباتُ البعث والجزاء.

د- تثبيتُ النبيِّ ﷺ وأمَّته.

هـ- الاعتبارُ بأحوالِ المرسلين وأممِهِم.

و- بيانُ جزاءِ الأمم السَّابقة ونهايةِ مصيرها.

ز- تربيةُ المؤمنين على الثِّقة المطلقة بالله في قضائه وقدره.

ح- الدَّعوةُ إلى الخير والإصلاح، ومنع الفساد.

ط- مواجهةُ اليأسِ بالصبر.

ي- بيانُ قُدْرَةِ الله تعالى على الخوارق.

ك - بيانُ نِعْمَةِ الله على أنبيائه وأصفيائه.

٧- **من «أهميَّة الدَّعوة بالقرآن» ما يأتي :**

أ- القرآنُ الكريم أعظمُ سلاح يُؤثِّر في نفـوس المدعوِّين، فلا يكن في صدور الدُّعاة حرجٌ لدعوة النَّاس به.

ب- الدَّعوةُ بالقرآن إلى القرآن هي الميزان الذي يُعرف به صِدْقُ الدَّاعية وتجرُّدُه وسلامةُ منهجِه.

ج- ما أعظمَ فوزَ الدُّعاةِ بالقرآن، بشرف «المجاهدين جهاداً كبيراً».

ثالثاً: في مباحث الباب الثاني.

١- من فضائل «استماع القرآن» ما يأتي:

أ- التَّعبُّدُ باستماع القرآن أمْرٌ مُتَّفق على استحبابه، بل هو عادة الأخيار والصَّالحين من سلف الأمَّة.

ب- استماعُ القرآنِ سببٌ لرحمة الله تعالى.

ج- استماعُ القرآن سببٌ لهداية الإنس والجنِّ.

د- استماعُ القرآن سببٌ لخشوع القلب وبكاء العين.

هـ- استماعُ القرآن سببٌ لزيادة الإيمان.

٢- من فضائل «تعلُّم القرآن وتعليمه» ما يأتي:

أ- مُعلِّمُ القرآن ومتعلِّمُه متشبِّهٌ بالملائكة والرُّسل.

ب- خَيرُ النَّاسِ وأفضلُهم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه.

ج- تعلُّمُ القرآن وتعليمُه خيرٌ من كنوز الدُّنيا.

د- تعليمُ القرآن من النَّفع المتعدِّي، فَمَنْ علَّم آيةً كان له ثوابُها ما تليت.

هـ- الوالدان اللَّذان يُعلِّمان أولادَهما القرآن، يُكْسَيان حُلَّتين لا يقومُ لهما أهلُ الدُّنيا.

٣- من فضائل «تلاوة القرآن» ما يأتي:

أ- قراءةُ القرآن محبوبةٌ على الإطلاق، إلاَّ في أحوال مخصوصة جاء الشَّرع بالنَّهي عن القراءة فيها.

ب- في تلاوةِ كلِّ حرف منَ القرآن عَشْرُ حسنات، وزيادةُ الأجر ومضاعفتُه تتناسب وحال القارئ من الإخلاص، والخشوع، والتَّدبر، والتَّأدُّب مع كتاب الله.

ج- تَنَزُّل السَّكينة والرَّحمة والملائكة للتِّلاوة.

د- التِّلاوةُ كلُّها خير: فلا ينبغي للمسلم أن ينصرف عنها، سواءً كان من المهرة المُتقنين، أم كان من المُتعتعين، فيتَّخذَ ضَعْفَهُ حُجَّةً في الإعراض عنها.

هـ-التِّلاوةُ حِليةٌ للمؤمنين، وحُجَّةٌ على المنافقين:

* فالمؤمن الذي يقرأ القرآن طَيِّبُ الظَّاهر والباطن، والمؤمن الذي لا يقرؤه يفقد صفةً هامَّةً وهي طِيْبُ الظَّاهر، وهذا نقصٌ في شخصيَّته لابدَّ من تداركه بالإقبال على التِّلاوة.

* والمنافقُ بين حالين أحسَنُهما سيِّئ؛ لأنَّه سيئ الباطن ولو حاول التَّظاهر بصفات أهل الإيمان وشاركهم بقراءة القرآن.

٤- من فضائل «حفظ القرآن» ما يأتي:

أ- عُلُوُّ درجة الحافظ في الآخرة:

* منزلتُهُ عند آخر آية يقرؤها.

* يُلْبَسُ تاج الكرامة وحُلَّة الكرامة ويفوز بالرِّضى.

* الحافظ مع السَّفَرة الكرام البررة.

ب- الحافظ مُقَدَّمٌ في الدُّنيا والآخرة:

فهو أولى النَّاس بالإمارة، وبالإمامة في الصَّلاة، وفي المشورة، ومُقَدَّم في قبره.

ج- حَمَلَةُ القرآن هُمْ أهلُ الله وخاصَّته، وتكريمُهم من إجلال الله تعالى، ولا تحرقهم النَّارُ يوم القيامة.

٥- من فضائل «العمل بالقرآن»:

الهدايةُ، والرَّحمةُ، والفلاح، وتكفيرُ السَّيِّئات وإصلاح الحال في الدُّنيا والآخرة.

رابعاً: في مباحث الباب الثالث.

١- من «مكانة القرآن في حياة المسلمين» ما يأتي:

أ- القرآن أكبر عوامل توحُّد المسلمين.

ب- القرآن منهجُ تربية للمسلمين.

ج- القرآن مصدر الشَّريعة.

د- القرآن منهاجٌ لحياة المسلمين.

هـ- القرآن يُوجِّه المسلمين إلى السُّنن الثَّابتة.

٢- من «الأهداف الأساسية للقرآن في حياة المسلمين» ما يأتي:

أ- الهداية إلى الله تعالى.

ب- إيجاد المجتمع القرآني المتعاون.

ج- تحصين الأمَّة الإسلامية من أعدائها.

٣-من «منهج القرآن في إصلاح المسلمين» ما يأتي:

أ- التَّدرُّج في التَّشريع.

ب- الإقناع.

ج- التَّكرار.

د- تهذيبُ الغرائزِ واستثمارُها إيجابياً.

هـ- التَّوازن الدُّنيوي والأُخروي.

و- استقراء التَّاريخ لأخذ العظة والعبرة.

٤- إنَّ «النَّصيحة لكتاب اللَّه» تعني الأمور الآتية:

أ- الإيمانَ بأنَّه كلامُ الله تعالى، والتَّصديق بما جاء فيه.

ب- شِدَّةَ حُبِّه وتعظيمَ قدرِه.

ج- العملَ بمحكمِه، والتَّسليمَ لمتشابهه.

د- حِفْظَ حدودِه، والعملَ بما فيه.

هـ- شِدَّةَ الرَّغبةِ في فهمه وتدبُّرِه، وتلاوته، وتعلُّمه وتعليمه.

و- الاعتبارَ بمواعظه، والتَّخلُّقَ بأخلاقه، والتأدُّبَ بآدابِه.

ز- ذَبَّ تحريفِ المُبطلين عنه.

٥- هناك جهودٌ تُبذل في النَّصيحة لكتاب الله لكنها قليلة لا تليق بعظمة القرآن الكريم.

٦- **سببُ التَّقصير في هذه النَّصيحة:** الفصام النَّكد بين تعلُّمِ القرآن وحفظِه من جهة وبين العمل به من جهة أُخرى، فأصبحت الوسيلة غاية.

٧- لا يقف تعظيم القرآن عند حفظِهِ في الخزائن والرُّفوف، بل يتعدَّاه إلى تعظيم قَدْرِه في الصُّدور.

٨- من غير اللائق بمسلمٍ نال أعلى الشَّهادات العلمية والخبرات العملية، إذا سمعتَه يقرأ القرآن تعجَّبتَ من حاله وأمره؟! فلا يُقيمُ حروفَه، ولا يقفُ عند حدوده.

٩- **إنَّ واجب الدَّعوة إلى القرآن:** يُوجب على العرب خصوصاً والمسلمين عموماً، مضاعفة الجهد؛ لمواجهة طُغيان المادَّة، والصِّراعات المذهبيَّة، والغزو الفكري، والخلافات السِّياسية.

وفي الختام: أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ الكريمِ أنْ ينفعَ بهذا الجهد، وأنْ يُبارك فيه، وأنْ يغفرَ لي كُلَّ خطأ، أو سهو، أو تقصير.

وأعوذُ به تعالى من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

أولاً: منهج الفهارس

تم إعداد الفهارس وفقاً للمنهج التالي:

١- اعتماد رسم الحروف والألفاظ لإيرادها مع ما بعدها حسب الترتيب الألفبائي.

٢- عدم الاعتداد (بأل) التعريف إلاَّ مع لفظ الجلالة، وعدم الاعتداد بلفظة: «ابن - ابنة - أبو - أم».

٣- الاعتداد بالواو وحرف الجر والباء الزائدة.

٤- عدم التفريق بين: «أنْ - إنْ - أنَّ - إنَّ».

٥- عدم التفريق بين همزتي الوصل والقطع.

٦- الهمزة التي على الواو أو الألف أو النبرة اعتُبِرت همزة.

٧- اعتبار (لا) حرف مستقل.

٨- فهرس أطراف الحديث ضُمِّنَ الأحاديث القولية والفعلية والتقريرية، وكذا أوصاف النبي ﷺ. وضُمِّنَ كذلك الأحاديث القدسية مع الإشارة إليها.

٩- في «ثبت المصادر والمراجع» قُدِّمَ اسم الكتاب الأقل في عدد الكلمات إذا اشترك عدة كتب في جزء من الاسم مثال: «هذا القرآن»، «هذا القرآن في مائة حديث» قُدِّمَ الأول. وإذا اتفق كتابان في الاسم تم اعتماد اسم المؤلف وفقاً للترتيب الألفبائي.

١٠- في «المحتوى» تم اعتماد الفهرس التفصيلي؛ لتعم الفائدة المرجوة منه.

ثانياً: فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
(أ)	
آت محمداً الوسيلة	٣٥٢
أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله	٣٨١
أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف	٣٣٣
إذا زخرفتم مساجدكم	٦١٧
إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم	٤٨٣
إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ	٨، ٤١٠
اقرأ عليَّ	٤٠٣
اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت	٤٤٩
اقرأ يا ابن حضير	٤٥٢
اقرؤوا القرآن	٣٨٤
أكثر منافقي أمتي قراؤها	٤٧٨
ألآ أيها الناس، فإنما أنا بشر	٥٠٦
ألآ وإني تارك فيكم ثقلين	٣٨٢، ٥٢٨
ألآ وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً	٤٠
أما بعد: ألآ يا أيها الناس	٣٨٣
إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو	٥٥٢
إن أعظم المسلمين جرماً	٤١

طرف الحديث **الصفحة**

طرف الحديث | الصفحة

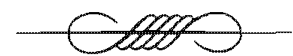
طرف الحديث **الصفحة**

طرف الحديث **الصفحة**

(م)

طرف الحديث | الصفحة

ثالثاً: فهرس الآثار



رابعاً: فهرس تراجم الأعلام

الاسم	الشهرة	الصفحة

خامساً: ثبت المصادر والمراجع

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن وما يتبعه.

(١) **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق وتخريج فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢) **الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم**: دراسة ونقد د. إبراهيم علي السيد علي عيسى. دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣) **أخلاق حملة القرآن**: محمد بن الحسين الآجُرِّي. تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٤) **إعجاز القرآن الكريم**: أ. د. فضل حسن عباس وسناء فضل عباس. دار الفرقان - عمَّان، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

(٥) **الأمثال في القرآن الكريم**: محمد ابن قيم الجوزية. منتخب من إعلام الموقعين، تحقيق سعيد محمد نمر، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٦) **الانتصار للقرآن**: أبو بكر ابن الطيب الباقلاني. تحقيق د. محمد عصام القُضاة، دار الفتح - عمَّان، الطبعة الأولى، السنة بدون.

(٧) **أنوار القرآن**: مصطفى الحمصي. مكتبة الغزالي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٨) **بالقرآن أسلم هؤلاء**: عبد العزيز سيد الغزاوي. دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٩) **بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم**: جمع وتخريج يسري السيد محمد. دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٠) **البرهان في علوم القرآن**: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

(١١) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة بدون.

(١٢) **بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم**: د. عبد الله محمد النقراط. دار قتيبة - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(١٣) **التبيان في آداب حملة القرآن**: يحيى بن شرف النووي. تحقيق نبيل بن منصور البصارة، دار الدعوة - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(١٤) **التبيان في أقسام القرآن**: محمد ابن قيم الجوزية. بعناية طه يوسف شاهين، دار الكتاب العربي.

(١٥) **التذكار في أفضل الأذكار**: محمد بن أبي بكر القرطبي. دراسة وتحقيق فواز أحمد زمرلي، دا الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

(١٦) **التربية في كتاب الله**: محمود عبد الوهاب فايد. دار الاعتصام - القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٩٨هـ.

(١٧) **التسهيل لتأويل التنزيل (سورة البقرة)**: مصطفى بن العدوي. دار القاسم - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(١٨) **التصوير الفني في القرآن**: سيد قطب. دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٣هـ.

(١٩) **تعظيم شأن القرآن في السور المكية**: أ. د. عاطف قاسم المليجي. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢٠) **تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**: محمود الآلوسي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(٢١) تفسير أسماء الله الحسنى: إبراهيم بن السَّري الزجاج. تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون - دمشق، ١٩٨٣م.

(٢٢) تفسير ابن باديس: عبد الحميد بن باديس. مؤسسة المعارف للنشر والطبع - الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢٣) تفسير البغوي (معالم التنزيل): الحسين بن مسعود البغوي. تحقيق خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢٤) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي. دار الفكر - بيروت.

(٢٥) تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٢٦) تفسير ابن جُزي (التسهيل لعلوم التنزيل): محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي- تحقيق محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوه، أم القرى للطباعة - القاهرة، الطبعة بدون.

(٢٧) تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٨) تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير): عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(٢٩) تفسير أبي حيان (البحر المحيط): محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٣٠) تفسير الرازي (التفسير الكبير): محمد بن عمر بن الحسين الرازي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣١) تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل): محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة بدون.

(٣٢) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. (عدد الأجزاء ١).

(٣٣) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): عبد الرحمن بن ناصر السعدي. دار المدني - جدة، الطبعة بدون، ١٤٠٨هـ. (عدد الأجزاء: ٥).

(٣٤) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): محمد بن محمد العمادي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٥) تفسير السمرقندي (بحر العلوم): نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي. تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.

(٣٦) تفسير السمعاني: منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني. تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣٧) تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور): عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.

(٣٨) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي. أخبار اليوم - القاهرة.

(٣٩) تفسير الشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي. مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٤٠) **تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية في علم التفسير)**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني. اعتنى به سعيد محمد اللَّحام، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤١) **تفسير الصنعاني**: عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٤٢) **تفسير الطبري (جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن)**: محمد بن جرير الطبري. دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٤٣) **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**: محمد الطاهر ابن عاشور. مؤسسة التاريخ - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٤٤) **تفسير ابن عطية (المحرر الوجير في تفسير الكتاب العزيز)**: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٤٥) **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)**: محمد جمال الدِّين القاسمي. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤٦) **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تحقيق وتخريج د. محمد إبراهيم الحفناوي و د. محمود حامد عثمان، دار االحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٤٧) **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**: إسماعيل بن عمر بن كثير. دار الفكر - بيروت، ١٤٠١هـ. (عدد الأجزاء: ٤).

(٤٨) **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**: إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق جماعة من الباحثين، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ. (عدد الأجزاء: ٨)

(٤٩) **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**: محمد رشيد رضا. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.

(٥٠) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**: أ. د. وهبة الزحيلي. دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

(٥١) **التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية**: د. عبد العزيز الدردير موسى. دار الطباعة المحمدية - القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥٢) **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٥٣) **تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**: علي بن أحمد الواحدي. تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥٤) **تقريب وتهذيب تفسير الطبري**: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٥٥) **الثمر الداني من صحيحة الألباني في فضائل القرآن وأحكامه**: إبراهيم المناوي. القاهرة، الطبعة بدون.

(٥٦) **جوانب من عظمة القرآن الكريم**: د. عبد الباري محمد داود. دار نهضة الشرق - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

(٥٧) **جواهر القرآن**: أبو حامد الغزالي الطوسي. تحقيق د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥٨) **حديث القرآن عن القرآن**: محمد بن عبد الرحمن الرَّاوي. مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٥٩) **حِرْز الأماني ووجه التَّهاني في القراءات السبع**: القاسم بن فِيُّرُّه بن خلف الشاطبي. دار الكتاب النفيس - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

(٦٠) **حفظ القرآن الكريم**: محمد بن عبد الله الدويش. دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(٦١) **حق التلاوة**: حسني شيخ عثمان. دار المنارة - جدة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٨هـ.

(٦٢) **حق القرآن الكريم على الناس**: يوسف علي بديوي. دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٦٣) **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي**: عبد العزيز مصطفى كامل. دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٦٤) **خصائص القرآن الكريم**: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.

(٦٥) **دراسات في علوم القرآن الكريم**: د. فهد الرومي. مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٦٦) **دراسات قرآنية**: محمد قطب. دار الشروق - القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ.

(٦٧) **دعوة إلى تدبر القرآن الكريم**: مختار شاكر كمال. دار البشير - عمَّان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٦٨) **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. تحقيق محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٦٩) **دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري**: د. محمد خليل جيجك. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٧٠) **دموع القرآء:** محمد شومان أحمد الرملي. دار النفائس - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٧١) **دوافع عناية المسلمين بالقرآن الكريم:** د. السيد محمد نوح. دار اليقين - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٧٢) **روائع الإعجاز في القصص القرآني:** محمود السيد حسن. المكتب الجامعي الحديث - إسكندرية، الطبعة بدون.

(٧٣) **سيكلوجية القصة في القرآن الكريم:** تهامى نقرة. الشركة التونسية للتوزيع - تونس، ١٩٧٤م.

(٧٤) **عالمية القرآن الكريم:** د. وهبة الزحيلي. دار المكتبي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٧٥) **عظمة القرآن:** عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، بدون.

(٧٦) **عظمة القرآن ودعوته إلى الخير والكمال:** د. محمد جمعة عبد الله. مكتبة المنتزة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٧٧) **العودة إلى القرآن لماذا وكيف:** د. مجدي الهلالي. دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٧٨) **فتح الرحمن في بيان هجر القرآن:** محمد آل عبد العزيز ومحمود الملاح. دار طيبة الخضراء - مكة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

(٧٩) **الفتوحات الربانية في الآيات القرآنية:** د. عبد الباري محمد داود. دار نهضة الشرق - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

(٨٠) **فضائل القرآن:** جمع وترتيب إبراهيم عبد المنعم الشربيني. دار ابن كثير - الزقازيق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٨١) **فضائل القرآن:** أحمد بن شعيب بن علي النسائي. تحقيق سمير الخولي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٨٢) **فضائل القرآن:** جعفر محمد الفريابي. تحقيق وتخريج د. يوسف عثمان جبريل، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(٨٣) **فضائل القرآن:** أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق وتخريج مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

(٨٤) **فضائل القرآن:** عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير. تحقيق وتخريج أبو إسحاق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٨٥) **فضائل القرآن وتلاوته وخصائص تلاته وحملته:** عبد الرحمن بن أحمد الرازي. تحقيق وتخريج د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٨٦) **فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة:** محمد موسى نصر. دار اليقين - البحرين، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

(٨٧) **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة:** محمد بن أيوب بن الضريس البجلي. تحقيق عروة بدير، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٨٨) **فقه قراءة القرآن الكريم:** سعيد يوسف. مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٨٩) **فلسفة التربية في القرآن الكريم:** عمر أحمد عمر. دار المكتبي - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٩٠) **فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن:** د. أحمد سالم ملحم. دار النفائس - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٩١) **في ظلال القرآن:** سيد قطب. دار الشروق - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٠٧هـ.

(٩٢) **قاعدة في فضائل القرآن:** ابن تيمية. دراسة وتحقيق د. سليمان بن صالح القرعاوي، مكتبة الظلال - الأحساء، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٩٣) **القرآن شريعة المجتمع:** د. عارف خليل محمد أبو عيد. دار الأرقم - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٩٤) **القرآن شريعة المجتمع:** عبد الله زيدان أبو معمر. المنشأة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

(٩٥) **القرآن الكريم تاريخه وآدابه:** إبراهيم علي عمر. مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٩٦) **القرآن الكريم رؤية تربوية:** د. سعيد إسماعيل علي. دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٩٧) **القرآن الكريم من منظور غربي:** د. عماد الدين خليل. دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٩٨) **قرآنكم يا مسلمون:** إبراهيم بن محمد الضبيعي. مطابع البادية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٩٩) **قصص القرآن الكريم:** أ. د. فضل حسن عباس. دار الفرقان - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٠٠) **القصص القرآني:** عماد زهير حافظ. دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(١٠١) **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه:** عبد الكريم الخطيب. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.

(١٠٢) **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: عبدالرحمن بن ناصر السعدي. مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(١٠٣) **الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن**: محمد بن مصطفى بن شعيب. مكتبة آل ياسر - الجيزة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٠٤) **الكليات الشرعية في القرآن الكريم**: د. الحسن حريفي. دار ابن عفان - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

(١٠٥) **كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها**: د. نور الدين عتر. دار الرؤية - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٠٦) **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**: د. يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٠٧) **كيف نحيا بالقرآن**: نبيه زكريا عبد ربه. دار الحرمين - الدوحة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(١٠٨) **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٤١٨هـ.

(١٠٩) **المُتْحَفُ في أحكام المصحف**: د. صالح بن محمد الرشيد. مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١١٠) **مختصر تفسير البغوي**: د. عبد الله بن أحمد علي الزيد. دار السلام - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١١١) **المدخل لدراسة القرآن الكريم**: أ. د. محمد بن محمد أبو شهبة. غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١١٢) **المصاحف**: عبد الله بن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

(١١٣) **معالم القصة في القرآن الكريم**: محمد خير العدوي. دار العدوي - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١١٤) **معاني القرآن الكريم**: أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس. تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١١٥) **المعجزة الكبرى**: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(١١٦) **المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم**: د. سعد الدين السيد صالح. دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

(١١٧) **معرفة شأن القرآن الكريم**: محمد أبو البشر رفيع الدين. دار الفنون - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١١٨) **مع القرآن الكريم**: عبد الفتاح عساكر. المركز الثقافي المقاولون العرب - القاهرة، العدد الثالث، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(١١٩) **مع القرآن وحملته في حياة السلف**: عبيد بن أبي نفيع الشعبي. دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

(١٢٠) **مفاتيح للتعامل مع القرآن**: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(١٢١) **من أسرار عظمة القرآن**: د. سليمان بن محمد الصغير. دار ابن الأثير - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٢٢) **من أسرار القرآن**: د. علي محمد العماري. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(١٢٣) **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزُّرقاني. المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٢٤) **منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم**: د. بدر بن ناصر البدر. دار الهدي النبوي - المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(١٢٥) **منهج القرآن في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه**: عبد الرحمن بن عبد الجبار هوساوي. دار الذخائر - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(١٢٦) **النبأ العظيم**: د. محمد عبد الله درَّاز. دار القلم - الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

(١٢٧) **النشر في القراءات العشر**: محمد بن محمد بن علي ابن الجَزَري. تحقيق علي الضباع، دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة بدون.

(١٢٨) **النصيحة لكتاب الله**: د. حافظ بن محمد الحكمي. دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(١٢٩) **الهدى والبيان في أسماء القرآن**: صالح بن إبراهيم البليهي. دار مسلم - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

(١٣٠) **هذا القرآن**: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار المنار - عمَّان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٣١) **هذا القرآن**: عبد الحي العَمراني. اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث الإسلامي - المغرب والإمارات. الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(١٣٢) **هذا القرآن في مائة حديث نبوي**: د. محمد زكي محمد خضر. الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(١٣٣) **الوحي المحمدي**: محمد رشيد رضا. الزهراء للإعلام العربي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٣٤) **ورتل القرآن ترتيلاً**: د. أنس أحمد كرزون. مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر. الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

(١٣٥) **يعلمهم الكتاب - التعامل مع القرآن الكريم**: محمد خير الشعَّال. دار أفنان - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

ثانياً: كتب الحديث وعلومه.

(١٣٦) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: محمد بن حبان البستي. بترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة - دمشق، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٣٧) **أحكام الجنائز وبدعها**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

(١٣٨) **الأدب المفرد**: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

(١٣٩) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(١٤٠) **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق وتخريج سمير بن أمين الزهيري، مكتبة الدليل - الجبيل الصناعية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(١٤١) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري. دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(١٤٢) **ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته على الأبواب الفقهية**: رتَّبه

وبوّبه عـوني نعـيم الشـريف. مكتـبة المعـارف - الرياض، الطبـعـة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٤٣) **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.

(١٤٤) **توضـيح الأحكام من بلوغ المرام**: عبـد الله بن عبـد الرحمن البـسام. مكتـبة ومطبعة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

(١٤٥) **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: المبارك بن محمد ابن الأثير الجَزري. تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(١٤٦) **جامع العلوم والحكم**: عـبد الرحـمن بن أحمـد بن رجب. تحقـيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٤٧) **حـاشـية السندي على سنن النسـائي**: أبو الحـسن نور الدين بن عـبد الهـادي السندي. (مطبـوع مع سنن النسائي)، اعتنى به عـبد الفـتاح أبو غدة، مكتـبة المطبوعات - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(١٤٨) **خلق أفعـال العباد**: محمد بن إبراهـيم بن إسماعيل البخاري. تحـقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف - الرياض، ١٣٩٨هـ.

(١٤٩) **الزهد**: أحمد بن محمـد بن حنبل. تحقيق محمد السعيـد بسيوني، دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٥٠) **الزهد**: عـبد الله بن المبـارك المروزي. تحقـيق حـبيب الرحـمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ.

(١٥١) **سلسلة الأحاديث الصحـيحة**: محمـد ناصر الدين الألباني. مكتـبة المعارف - الرياض، عدة طبعات مختلفة التاريخ.

(١٥٢) **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث - بيروت. بدون تاريخ.

(١٥٣) **سنن الدارمي:** عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. تحقيق وتخريج مجموعة من الباحثين. دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٥٤) **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.

(١٥٥) **سنن سعيد بن منصور:** سعيد بن منصور. تحقيق د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٥٦) **السنن الكبرى:** أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(١٥٧) **سنن ابن ماجه:** محمد بن يزيد القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت. بدون تاريخ.

(١٥٨) **شرح السندي على سنن ابن ماجه:** أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي. تحقيق خليل مأمون شِيحا، دار المؤيد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(١٥٩) **صحيح الأدب المفرد للبخاري:** محمد ناصر الدين الألباني. دار الصديق - الجبيل، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(١٦٠) **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد علي القطب، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(١٦١) **صحيح الترغيب والترهيب:** محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(١٦٢) **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(١٦٣) **صحيح ابن حبان**: محمد بن حبان بن أحمد البستي. تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

(١٦٤) **صحيح ابن خزيمة**: محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ.

(١٦٥) **صحيح سنن الترمذي باختصار السند**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٦٦) **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٦٧) **صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

(١٦٨) **صحيح سنن النسائي باختصار السند**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٦٩) **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(١٧٠) **صحيح مسلم بشرح النووي**: يحى بن شرف النووي. تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

(١٧١) **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

(١٧٢) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: محمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(١٧٣) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مكتبة دار الفيحاء - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١٧٤) **الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، (مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني): كلاهما تأليف أحمد عبد الرحمن البنا. دار الشهاب - القاهرة، بدون تاريخ.

(١٧٥) **فضل الله الصَّمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري**: فضل الله أحمد الجيلاني. تحقيق يوسف بن أحمد البكري، دار المعالي - عمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٧٦) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: عبد الرؤوف المُناوي. تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(١٧٧) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

(١٧٨) **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله الحاكم. دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(١٧٩) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة - القاهرة، بدون تاريخ.

(١٨٠) **مسند الإمام أحمد بن حنبل (الموسوعة الحديثية)**: تحقيق وتخريج جماعة من الباحثين، بإشراف شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

(١٨١) **مسند الشاميين**: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(١٨٢) **مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله التبريزي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

(١٨٣) **مصنف ابن أبي شيبة:** عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٨٤) **مصنف عبد الرزاق:** عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(١٨٥) **معالم السنن:** حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، بدون تاريخ.

(١٨٦) **معجم الطبراني الأوسط:** سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

(١٨٧) **معجم الطبراني الكبير:** سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

(١٨٨) **المُعلِم بفوائد صحيح مسلم:** محمد بن علي المازَري. تحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

(١٨٩) **موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية:** مجموعة من الباحثين. مجلة الحكمة - المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

ثالثاً: كتب العقيدة.

(١٩٠) **أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين:** نيقولا يعقوب غبريل. مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠١م.

(١٩١) **أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة:** عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع. أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٩٢) **الأسفار المقدسة**: علي عبد الواحد وافي. نهضة مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، بدون.

(١٩٣) **أعلام النبوة**: علي بن محمد الماوردي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة بدون.

(١٩٤) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: ابن تيمية. تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل. دار العاصمة - الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.

(١٩٥) **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**: د. محمد نعيم ياسين. مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(١٩٦) **البرهان والدليل على كفر مَنْ حكم بغير التنزيل**: أحمد بن ناصر المعمر. مكتبة طيبة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٩٧) **التبرك أنواعه وأحكامه**: د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع. مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

(١٩٨) **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم**: أحمد بن إبراهيم بن عيسى. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

(١٩٩) **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: أحمد بن الحسين علي البيهقي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢٠٠) **ركائز الإيمان**: محمد قطب. دار اشبيليا - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢٠١) **الزواجر عن اقتراف الكبائر**: أحمد بن محمد الهيتمي. دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢٠٢) **شرح العقيدة الواسطية:** محمد خليل هراس. دار الهجرة - الثقبة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢٠٣) **شعب الإيمان:** أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. تحقيق أبي هاجر زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢٠٤) **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى:** محمد بن حمد الحمود. مكتبة الإمام الذهبي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢٠٥) **نواقض الإيمان القولية والعملية:** د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف. دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

رابعاً: كتب الفقه وأصوله.

(٢٠٦) **الإحكام في أصول الأحكام:** علي بن محمد الآمدي. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

(٢٠٧) **خصائص الشريعة الإسلامية:** د. عمر بن سليمان الأشقر. مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

(٢٠٨) **قواعد الأحكام في مصالح الأنام:** عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (العز بن عبد السلام). تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، أم القرى للطباعة والنشر. بدون تاريخ.

(٢٠٩) **المجموع شرح المهذب للشيرازي:** يحيى بن شرف النووي. تحقيق محمد المطيلعي، مكتبة الإرشاد - جدة.

(٢١٠) **المستصفى من علم الأصول:** محمد بن محمد الغزالي. شركة المدينة المنورة - جدة، الطبعة الأولى.

(٢١١) **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة:** محمد بن حسين الجيزاني. دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢١٢) **مقاصد الشريعة الإسلامية:** محمد الطاهر بن عاشور. دار النفائس - عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(٢١٣) **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية:** د. يوسف حامد العالِم. الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢١٤) **الموافقات في أصول الشريعة:** إبراهيم بن موسى الشاطبي. شرح الشيخ عبد الله درّاز، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢١٥) **الموافقات في أصول الشريعة:** إبراهيم بن موسى الشاطبي. تحقيق مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان - الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢١٦) **الموسوعة الفقهية:** مجموعة من الباحثين بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. مطابع دار الصفوة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

خامساً: المعاجم والموسوعات ونحوها.

(٢١٧) **أساس البلاغة:** محمود بن عمر الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

(٢١٨) **الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية:** سليم بن عيد الهلالي. دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

(٢١٩) **الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:** د. حسين محمد فهمي الشافعي. دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢٢٠) **القاموس المحيط:** محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. مؤسسة الرسالة - سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

(٢٢١) **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:** أحمد عبد الحليم بن تيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية - الرياض، الطبعة الثانية.

(٢٢٢) **لسان العرب:** محمد مكرم ابن منظور. دار صادر ودار بيروت - لبنان، ١٣٨٨هـ.

(٢٢٣) **مختار الصِّحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد الرزاق الرازي. المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

(٢٢٤) **المصباح المنير:** أحمد بن محمد الفيومي المقرئ. المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(٢٢٥) **معجم البلدان:** ياقوت بن عبد الله الحموي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

(٢٢٦) **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا الرازي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢٢٧) **معجم المناهي اللفظية:** بكر بن عبد الله أبوزيد. دار العاصمة - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

(٢٢٨) **المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم:** صبحي عبد الرؤوف عَصَر. دار الفضيلة - القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢٢٩) **المعجم الوسيط:** جماعة من الباحثين. المكتبة الإسلامية - تركيا، أصدره مجمع اللغة العربية بمصر.

(٢٣٠) **المفردات في غريب القرآن:** الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق وضبط محمد خليل عيتَاني. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢٣١) **موسوعة نضرة النعيم**: مجموعة من المختصين. دار الوسيلة - جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

(٢٣٢) **النهاية في غريب الحديث والأثر**: أبو السعادات المبارك بن محمد الجَزَري. تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة بدون.

سادساً: كتب التاريخ والتراجم والسيرة والرجال.

(٢٣٣) **إتمام الأعلام**: د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح. دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

(٢٣٤) **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**: ابن عبد البر القرطبي. دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة بدون.

(٢٣٥) **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢٣٦) **الأعلام**: خير الدين الزِرِكْلي. دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

(٢٣٧) **الأنساب**: عبد الكريم بن محمد السمعاني. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٣٨) **البداية والنهاية**: إسماعيل بن كثير. دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢٣٩) **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع**: محمد بن علي الشوكاني. مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

(٢٤٠) **تاريخ بغداد**: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢٤١) **تاريخ الثقات**: أحمد بن عبد الله العجلي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢٤٢) **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق السيد هشام الندوي، طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند.

(٢٤٣) **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد الذهبي. دار إحياء التراث العربي عن مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.

(٢٤٤) **تقريب التهذيب**: أحمد بن حجر العسقلاني. تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢٤٥) **تهذيب الأسماء واللغات**: يحيى بن شرف النووي. إدارة المطبعة المنيرية - بيروت.

(٢٤٦) **تهذيب التهذيب**: أحمد بن حجر العسقلاني. دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢٤٧) **الثقات**: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي. تحقيق شرف الدين أحمد، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

(٢٤٨) **الجرح والتعديل**: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ.

(٢٤٩) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. دار الريان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٧هـ.

(٢٥٠) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أحمد بن حجر العسقلاني. دار الجيل - بيروت.

(٢٥١) **الرياض النضرة في مناقب العشرة:** محمد بن جرير الطبري. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٥٢) **سير أعلام النبلاء:** محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

(٢٥٣) **شذرات الذهب:** عبد الحي بن العماد الحنبلي. طبعة المكتبة التجارية الكبرى - بيروت.

(٢٥٤) **طبقات الشافعية الكبرى:** أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي. تحقيق د. عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

(٢٥٥) **الطبقات الكبرى (لابن سعد):** محمد بن سعد. دار صادر - بيروت، ١٣٨٠هـ.

(٢٥٦) **طبقات المفسرين:** محمد بن علي الداوودي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٢٥٧) **الكامل في ضعفاء الرجال:** عبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

(٢٥٨) **اللباب في تهذيب الأنساب:** عز الدين بن الأثير الجزري. مكتبة المتنبي - بغداد.

(٢٥٩) **معجم المؤلفين:** عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢٦٠) **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار:** محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق شعيب الأرناؤوط وصالح عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢٦١) **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**: مجموعة من الباحثين. مجلة الحكمة - المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢٦٢) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

(٢٦٣) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.

سابعاً: كتب متنوعة.

(٢٦٤) **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (للغزالي)**: محمد بن عبد الرزاق الزبيدي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٦٥) **أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة**: د. حمد بن ناصر العمار. دار اشبيليا - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

(٢٦٦) **الإسلام في العقل العالمي**: د. توفيق يوسف الواعي. دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢٦٧) **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**: عباس محمود العقاد. دار المعارف - الطبعة السادسة.

(٢٦٨) **اقتضاء العلم العمل**: أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ (الخطيب البغدادي). تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.

(٢٦٩) **تاريخ العرب العام**: سيديو ل. م.، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٩٤٨م.

(٢٧٠) **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العلم والمتعلم**: محمد بن إبراهيم ابن جماعة. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة بدون.

(٢٧١) **تلبيس إبليس**: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٢٧٢) **جذور البلاء**: عبد الله التل. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨.

(٢٧٣) **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**: محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق محي الدين مستو، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢٧٤) **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**: محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار إحياء العلوم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٧٥) **حضارة العرب**: غوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ.

(٢٧٦) **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**: د. محمد عبد الله درّاز. دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

(٢٧٧) **الدعوة الإسلامية**: د. أحمد أحمد غَلْوَش. دار الكتاب العربي - القاهرة، الطبعة بدون.

(٢٧٨) **دفاع عن الإسلام**: لورا فيشيا فاغليري. ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

(٢٧٩) **رجال ونساء أسلموا**: عرفات كامل العشّي. دار القلم - الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

(٢٨٠) **روائع من أقوال الرسول ﷺ**: عبد الرحمن حبنكة الميداني. دار القلم - دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ.

(٢٨١) **شأن الدعاء:** حمد بن محمد الخطابي. تحقيق أحمد الدقاق، دار المأمون - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢٨٢) **الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة:** عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(٢٨٣) **الفوائد:** محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق وتخريج بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٨٤) **في خُطَى محمد:** نصري سهلب. دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٧٠م.

(٢٨٥) **في طريقي إلى الإسلام:** أحمد نسيم سوسة. المطبعة السلفية - القاهرة، ١٩٣٦م.

(٢٨٦) **قادة الغرب يقولون دمِّروا الإسلام أبيدو أهله:** جلال العالم. الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

(٢٨٧) **قالوا عن الإسلام:** د. عماد الدين خليل. الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢٨٨) **قصة الإنسان:** جورج حنّا. دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م.

(٢٨٩) **قصة الحضارة:** د. ول ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود، نشر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، الطبعة الرابعة.

(٢٩٠) **لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها:** د. إبراهيم بن محمد أبو عباة. دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢٩١) **محاسن الإسلام:** محمد بن عبد الرحمن البخاري. دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية.

(٢٩٢) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

(٢٩٣) **معالم في الطريق:** سيد قطب. دار الشروق - القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤٠٣هـ.

(٢٩٤) **مفتاح دار السعادة:** محمد ابن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

ثامناً: بحوث في القرآن (مجلات علمية ومؤتمرات).

(٢٩٥) **أثر حفظ القرآن في سن مبكرة على المفاهيم العقلية لدى الإنسان:** د. عدنان الشطي. بحث مُقدَّم إلى مؤتمر «القرآن الكريم وأثره في إسعاد البشرية» المقام بجامعة الكويت - كلية الشريعة، (٢٥ - ٢٦ ذو القعدة ١٤١٥هـ).

(٢٩٦) **أثر سماع القرآن الكريم على الأمن النفسي:** عندليب أحمد عبد الله. مجلة جامعة أم القرى بمكة - العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية، (العدد: ١٦)، (١٤١٨هـ).

(٢٩٧) **أضواء على القرآن الكريم بلاغته وإعجازه:** د. عبد الفتاح محمد سلامة. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - (عدد: ٤٦)، (ربيع الآخر ١٤٠٠هـ).

(٢٩٨) **الأهداف التربوية للقصص القرآني في حياة النبي ﷺ:** وليد أحمد مساعدة. مجلة دراسات - الجامعة الأردنية (علوم الشريعة والقانون)، (عدد: ١)، (صفر ١٤٢٢هـ).

(٢٩٩) **تصديق القرآن الكـريم للكتب السماوية وهيمنتـه عليها**: د. إبراهيم عبد الحميد سـلامـة. مجلة الجـامـعــة الإسلامـيــة بالمدينة - (عــدد: ٤٦)، (ربيع الآخـر ١٤٠٠هـ).

(٣٠٠) **تيسيـر القرآن بلسان سيدنا مـحمد** ﷺ: د. عبدو علي الحاج الحريري. مجلة الأحمـدي - دار البحوث للدراسـات الإسلاميـة وإحياء التـراث بدبي، (عدد: ١٥)، (رمضان ١٤٢٤هـ).

(٣٠١) **الدعوة إلى الله تعالى بالقرآن الكريم**: د. خالد بن عبد الرحمن القريشي. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - (عدد: ٣١)، (رجب ١٤٢١هـ).

(٣٠٢) **ذلك الكتاب لاريب فيه**: محمود عـبد الوهاب فايد. مجلة الجامعـة الإسلامية بالمدينة - (عدد: ١١)، محرم (١٣٩١هـ).

(٣٠٣) **شـغف الرسول وأصـحابه بحـفظ القرآن أسـاس تواتره**: د. حسن ضـياء الدين عتـر. مجلة كليـة الشريعـة والدراسات الإسلامـية - جـامعة أم الـقرى بمكة، (العدد:٦)، (١٤٠٢-١٤٠٣هـ).

(٣٠٤) **شكوى النبي الكريم من هـجر القـرآن العظيم**: عبـد الحميـد بن باديس. مجلة البيان - المنتدى الإسلامي، (عدد: ١٣)، (ذو الحجة ١٤١٨هـ).

(٣٠٥) **عالميـة القرآن**: د. محـمد خليل جـيجك. مجلة البـيان - المنتـدى الإسلامي، (عدد: ١٥٥)، (رجب ١٤٢١هـ).

(٣٠٦) **العناية بتعليم القـرآن الكريم وإكرام أهله**: د. بدر بن ناصر البدر. مـجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية - (عدد: ٢٥)، (شوال ١٤٢٣هـ).

(٣٠٧) **عناية الله وعناية رسـوله بالقرآن الكريم**: أ.د. أبو سريع مـحمد. بحث مُـقدَّم إلى مؤتمر «القرآن الكريم وأثره في إسعاد البشـرية» المقام بجامعة الكويت - كلية الشريعة، (٢٥ - ٢٦ ذو القعدة ١٤١٥هـ).

(٣٠٨) **القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق**: محمد الراوي. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - (عدد: ٥٠ - ٥١)، (ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ).

(٣٠٩) **القصة القرآنية ودورها في التربية**: أحمد أحمد غَلْوَش. مجلة كلية التربية - جامعة الرياض، (العدد:١)، (السنة: ١٣٩٧هـ).

(٣١٠) **مباحث في القرآن الكريم**: د. محمد تقي الدين الهلالي. مجلة البحوث الإسلامية بالرياض - (عدد:٩)، (جمادى الأولى ١٤٠٤هـ).

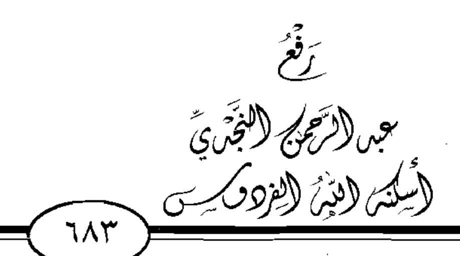
(٣١١) **محاسن ومقاصد الإسلام**: د. محمد أبو الفتح البَيانوني. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، (عدد: ٤٣)، (رمضان ١٤٢١هـ).

(٣١٢) **مع كتاب اللَّه**: أحمد عبد الرحيم السايح. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - (عدد: ٤٠)، (ربيع الأول ١٣٩٨هـ).

(٣١٣) **من مزايا التشريع الإسلامي**: محمد السحيباني. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة - (عدد: ٦١)، (محرم ١٤٠٤هـ).

(٣١٤) **من مشاهد الإعجاز النفسي في القرآن الكريم**: د. علي البدري. مجلة الجامعة الإسلامية - (عدد ٤٤).





سادساً: المحتـــوى

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الباب الأول: عظمة الدلائل والمقاصد والتأثير
الفصل الأول: دلائل عظمة القرآن

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الفصل الثاني: عظمة القرآن في أسلوبه ومقاصده

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الفصل الثالث: عظمة تأثير القرآن

الموضـــوع **الصفحة**

الباب الثاني: عظمة فضائل القرآن

الفصل الأول: عظمة الفضائل العامة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع — الصفحة

الفصل الثاني: حقوق القرآن على المسلمين

الموضــــوع **الصفحة**

